



فضيلة الشيخ حفظ الرحمن بن عباس البالنبوري كاكوسي

أستاذ علوم الحديث والتفسير في بومباي

أستحسنه

فضيلة الشيخ محمد يونس البالنبوري حفظه الله

ابن الشيخ الداعية الكبير محمد عمر البالنبوري رحمه الله

طبعه

مكتبة ابن عباس مومباى (الهند)

رقم الجوال: ٠٩٣٢٣٨٧٢١٦١ - ٠٩٩٦٧٣٠٠٢٧٤

الكتاب	:	نفحة الدعوة والتبليغ
الفه	:	فضيلة الشيخ حفظ الرحمن البالنبورى
تقديم	:	فضيلة الشيخ محمديونس البالنبورى
الطبعة الاولى	:	ثلثة آلاف
السنة	:	١٤٣٦هـ—المصادف٢٠١٥م
الناشر	:	مكتبة ابن عباس مومباى (الهند)
الكمبيوتر كتابت	:	سهيل اختر08791972418

يطلب من

مكتبة ابن كثير، مومبايى (الهند)

مكتبة رشيدية، جاپى (الهند)

مكتبة الحرمين، سهارنفور (الهند)

اداره علم وادب ديوبند، يوفى(الهند)

مكتبة الصديق، دابيل غجرات(الهند)

مكتبة العلم، نظام الدين، نئى دهلي(الهند)



ملحوظة

من يريد ان يطبع هٰذا الكتاب
او يترجمه الى لغة اخرى فذٰلك مسموح به
من جهة المؤلف على ان لاينقِصَ منه ولا يزيد عليه
شيئًا، ولا خباربه يزيد فرحا وسرورًا
طالب رضى اللّٰه

حفظ الرحمن ابن عباس البالنبورى عفى الله عنه
رقم الجوال: ٩٣٢٢٣٨٧٢١٦١ بومباى(الهند)

كلمة فضيلة الشيخ

الداعية الكبير محمد يونس البالنبورى حفظه الله

الحمدلله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبين محمد واله وصحبه اجمعين ومن تبعهم باحسان ودعا بدعوتهم الى يوم الدين

امابعد ! ان الذى ثبت بالآيات القرانيه والاحاديث الصحيحه ان الامة الاسلامية مبعوثة الى امم العالم، وما اخرجت الاللدعوة والتبليغ والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، يقول الله سبحانه وتعالى " كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر" وما ابتعثت هذه الامة الالاخراج من شاء من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جورالاديان الى عدل الاسلام كما صرح الصحابى الجليل ربعى بن عامرؓ امام رستم،

فالدعوة والتبليغ فقارة جسد الاسلام عليه اساس الاسلام وفلاحه وقوته وسعته، الامة الاسلامية تحتاح اليه اليوم اكثر من قبل، ورد المسلمين الى الاسلام وتطبيقهم الشريعة الاسلامية الحنيفية فى حياتهم بكاملها اهم واقدم من تبليغ الاسلام الى غير المسلمين، كما قال العلامة الداعية الكبير السيد سليمان الحسينى الندوى "احوال المسلمين اليوم تحتاح الى ان تبلغ رسالة الاية" "ياايها الذين آمنوا آمنوا" بيتا بيتا وقرية قرية وتبذل فى سبيلها ما تملك من نفس ونفيس كما يبذل اهل الدنيا قواتهم وصلاحيا تهم لحصول الجاه والمال.

فالحمد لله على ذلك ان جماعة الدعــوة والتبليغ التى مركزها الرئيسى فى نظام الدين بدهلى قد اصبح عملها ـــ بناء على مايدل عليه الواقع ـــ اوسع عمل دعوى واقواه تاثيرا ونفعا فى العالم الاسلامى اليوم، اقول ذلك بكل صراحةٍ بدون تورية مع اعترافى بحركات الدعوة الاخرى الكثيرة والجهود المختلفة الاخرى التى

خدمت الدعوة وعمل الخير بتعريف الناس بالخطار والفتن المحدقه بالاسلام، ولم يقتصر هذا العمل على نطاق شبه القارة الهندية ولا بالقارة الآسوية فحسب بل اتسع نطاقه الى القارات الاخرى والبلدان الاسلامية وغير الاسلامية كذلك.

ان المبادى والعناصر التى قررها مؤسّسُ هذه الدعوة انما هى مقتبسة من الكتاب والسنة النبويه الشريفة، فكانت الحاجة ماسة الى تاليف كتاب يشتمل على الايات والاحاديث التى يعتمد عليها منهج هذه الدعوة فاتاح الله بفضله وكرمه رجلا فاضلا لهذا العمل ـــ وهو الاخ الحبيب حفظ الرحمن بن عباس البالنبورى سلمه الله تعالى، فانه قام بتاليف كتاب مشتمل على ذلك، فقام بهذا العمل باستيعاب واستقصاءٍ فجاء الكتاب لاكمجموعة المبادى والاسس والتوجيهات الرشيدة لعمل الدعوة بل كموسوعة كاملة فى هذا المجال وسماها "نفحة الدعوة والتبليغ" فقد ذكرفيها اهمية الدعوة وفضائلها واسلوبها ومقاصدها وما يحتاج اليه الداعى والخارج فى سبيلها من صفات وروح واصلاح الاعمال الظاهرة مع اهتمام بالغ الى اصلاح الباطن والسريرة.

ولكن لايخفى على كل من يعقل ان منهج هذه الدعوة لايستطيع الانسان ان يدرك مرامها ويفهم حقيقتها بمجرد مطالعة الكتب الدعوية بل لابدله ان يشترك فيها استراكاً عملياً، فلنلتمس القارى ان لايكتفى بالقراء ة بل يخرج من اوقاتها القيمه ويبذلها فى سبيل الله بقدر استطاعته

نرجو من الله الكريم ان يكون هذا العمل عملا قيما مفيداً نافعا فى مجال اوسع واكبر ولله المن والفضل.

محمد يونس البالنبورى

١٣/ ربيع الاخر ١٤٣٦هـ

المصادف ٣/فبراير ٢٠١٥م

تقديم الكتاب

فضيله الشيخ الدكتور محمدالحسن سالم عبد اللّٰه

استاذ الحديث وعلومه جامعة القران والعلوم الاسلاميه (السودان)

بسم اللّٰه الرحمٰن الرّحيم

نحمدهٗ ونصلى ونسلم على نبيه الكريم ،وبعدُ

فَقَدْ طَلَبَ مِنِّى الْأَخُ الْحَبِيْبُ اَلْعَالِمُ وَالدَّاعِيَةُ حفظ الرحمن ابن عباس البالنبورى مِنْ بَلْدَة "كاكوسى" مِنْ ضَوَاحِى مدينة" بَالَنْبُور" بِإِقْلِيْم"غجرات" في الهند، اَلَّذِي ظَلَّ وَمَازَالَ يُخَرِّجُ اَلْعُلَمَاءَ الرَّبَّانِيِّيْنَ وَالدُّعَاةَ الْعَامِلِين فِي مَجَال الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيْغِ وَمِنْ أَشْهُرِ هِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ الشيخُ وَالدَّاعِيَةُ الْكَبِيْرُ محمد عمرالبالنبورى رحِمَهٗ الله۔

وَالَّذِي كَانَ يَحْلُو لِلَاحْبَابِ وَصْفُهُ بِلِسَانِ الدَّعْوَةِ وَقَدْ كَانَ كَذٰلِكَ رحمهٗ الله بحقٍ وحقيقةٍ۔

طَلَبَ مِنِّى اطلع عَلٰى كِتَابِهِ الَّذِي اَلَّفَهُ وصَنَّفَهُ وجَمَعَ مادته وهويَسُوح ويَنْعَمُ بِالْخُرُوْجِ وَالتَّجَوُّل فِي سبيل الله فى رَبُوْعِ بَلَدِنَا السودان، وَاللّٰهُ يَعْلَمُ كَمْ هُوَ صَعْبٌ اَلْجَمْعُ بَيْنَ حَيَاةِ الْاِجْتِهَادِ فِي الدَّعْوَةِ وَالْخُرُوْجِ وَحَياةِ التَّاليف وَالْكِتَابَةِ وَالتَّصْنِيْفِ۔

وَقَدْ شَرَّفَنِي بِطَلَبِهٖ هٰذَا عَلٰى مَااَعْرِفُهُ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَتَمَكُّنٍ وَفَهْمٍ عَمِيْقٍ، وَلٰكِنَّهُ تَوَاضُعُ الْعُلَمَاءِ، جَزَاهُ اللّٰهُ خَيْرًا، وَوَجَدْتُ نَفْسِي أَتَمَتَّعُ متعةً ما بعدها متعة وَأَنا أُطَالِعُ صَفْحَاتِهِ النَّيِّرَاتِ، وَقَدِ اسْتَطَاعَ الْكَاتِبُ بِتَوْفِيْق مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰىٰ أَنْ يَنْفَحَنَا بنَسَائِم عَطِرةٍ، ويطوف بِنَافِي رِياض

وَارِفَةٍ وِرِحَابٍ جَمِيلَةٍ، حيث اشتمل كتابه من كنوز السُّنَّةِ الْمُبَارَكةِ مما يطلبه ويحتاج إِلَيْهِ المسلمون جميعاً وخاصةً الاحبابُ الْكِرَام احاديث وآثار تَنَسَالُ كالرَّحِيق، وتدخل إلى القلوب مثل خيوطِ الفجر هادئةً فَتُشَجِّيُهَا لتشفيها وترويها، وهى قوافل للمعصوم قاصدة تَلْهَجُ بها الْأَفْئِدَةُ وتسير بها الركبانُ، تفيض حروفها نوراً، وتنبض كلماتها هداية وصدقاً وورعاً۔

وَقَدْ أَعْجَبَتْ أَيْضًا بِدِقَّةِ الإخْتِيَارِ لِلْعَنَاوِين وَالْأَبْوَابِ ومافيها من شذَاوَ رُوح عمل الدعوة العظيم وَأصوله وآدابه وممايؤكد تاثر المؤلف بالشيخ والداعية الكبير محمديوسف الكاندهلوى عليه رحمة الله فى كتابه المشهور " حياة الصحابة" والذى امتاز بعناوين قويَّةٍ ومؤثرة وضعت بعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ وَتَوَجَّهٍ تَامٍّ وَإِلْهَامٍ عظيم۔

وَالْكتاب ما انت تَبْدَأُ بمطالعته إِلَّاوَيَشُدُّكَ اليه ويَجْبَرُكَ على أَنْ تستمر في قراءته بِنَهَمٍ لِتَجِدَ فِيْهِ مِنْ طُعْمِ الْجُهْدِ وَرَائِحَةِ التَّعَبِ في الدعوة والدعاء ونفحة الدعوة والتبليغ۔

وَأَسْأَلُ اللّٰهَ الْكَرِيْمَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْمُسْلِمِيْن وَأَنْ يَزِيْدَ بِهِ أَحْبَابَنَا الكرام فهماً وعلماً وعملاً ويقيناً وجهداً فى سبيل نشرالخيروالرحمة والهداية في العالم كله (آمين) وَأَن يَجْزِي كاتبه خيرالجزاء وحُسْنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ عَنِ الْأُمة جَمْعَاء۔

الفقيير إلى عفوربه
محمدالحسن سالم عبد الله
استاذ الحديث وعلومه جامعة القران الكريم والعلوم اسلاميه
(السودان) 00249-923319196

تصدير الكتاب

فضيلة الشيخ ميرغنى احمدعبد الحفيظ محمد مدير مشارك

نائب عميد شئون المكتبات جامعة الجزيرة، ودمدنى(السودان)

بسم الله الرحمن الحريم

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الذى يدعوإلى دارالسلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، والصلوة والسلام على إِمَامِنَا وَقُدُ وَتِنَا نَبِيِّنَا محمدِ بن عبدِ اللّٰهِ– وعلى آله وصَحْبِهِ– الذى كان يدعو إلى الله بقوله وفعله امتثالاً لِاَمْرِرَبِّهِ الذى أَرْسَلَهُ وَأَمَرَهُ بالدعوة إليه حيث قال

﴿أُدْعُ اِلٰى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِىْ هِىَ أَحْسَنُ ط إِنَّ رَبَّكَ هُوَاَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهٖ وَهُوَأَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْن﴾[النحل:١٢٥]

أَيُّهَا الْأَحْبَابُ ! إن الدَّعْوَةَ إِلى الله شَأْنُهَا عَظِيْمٌ وفَضْلُهَا كَبِيْرٌ، وليس هناك خَبَرٌ أَصْدَقَ وَأَحْسَنَ مِنْ خَبَرِ رَبِّ العالمين، حيث قال۔

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًامِّمَّنْ دَعَآإِلَى اللّٰهِ وَعَمِلَ صَالِحًاوَّقَالَ إِنَّنِىْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ۔﴾[فصلت :٣٣]

وَإِنه يُسْعِدُنِى وَيُشَرِّفُنِىْ أَنْ أُقَدِّمَ إِلى أَحْبَابِنَا فى جَمَاعَةِ الدعوة والتبليغ، كتاب "**نفحة الدعوة والتبليغ**" لمؤلفه الشيخ العالم الداعية حفظ الرحمن ابن عباس القاسمى البالنبورى۔

وهو كتابٌ نفيسٌ قِيِّمٌ ومفيدٌ لَخَّصَ فيه مُؤَلِّفُهُ كلما يَتَعَلَّقُ بالدعوة إلى اللّٰهِ والى رسوله فى فصول عديدةٍ شَرَّحَ فيها أُسْلُوبَ الدعوةِ

ومَقَاصِدَهَا وَوَسَائِلَهَا، وَوَضَّحَ فِيْه ماينبغي لِلدَّاعي عَمَلُهُ فى سبيل تحقيق الْأَهْدَافِ وَالْوُصُوْلِ إِلَى الغايات والفوز بسعادةالدارين– وَبِأُسلوب جميلٍ سَهْلٍ، وَبِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ رَصِيْفَةٍ، وَلَاغَرْوَ فى ذلك فهو خِرِّيجُ جامعةِ أَزهرِ الهِنْدِ **"دارالعلوم ديوبند"** فهو عَالِمٌ جَيِّدٌ وداعٍ إلى الله وقد ترك أَثراً طيباً فى بلدنا "السودان" من جُهْدِه وكَدِّهِ للدعوة زادهٗ الله علمًا وشرفًا وفضلاً۔

وَأَسْأَلُ اللّٰهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ كل من قرأهٗ وَأَنْ يَجْعَلَ ثوابَهُ فِي ميزان حسناته، وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ۔

كتبه

ميرغنى احمد عبد الحفيظ محمدعفى الله عنه

١٧/٤/٢٠١١ يوم الاحد



كَلِمَةُ الْمُؤَلِّفِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتَدِیَ لَوْلَااَنْ هَدَا نَا اللّٰهُ وَالصَّلوٰةُ وَالسَّلَامُ عَلٰى الْهَادِي الْبَشِيْرِ السِّرَاجِ الْمُنِيْرِ الْمَبْعُوْثِ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمِيْعاً بِالْخَيْرِ الْوَفِيْرِ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ حَتّٰى لَقِیَ اللّٰهَ فِي الرَّفِيْقِ الْأَعْلٰى، صَلَوَاتُ اللّٰهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلٰى صَحْبِهِ الَّذِيْنَ حَمَلُوْا لِوَاءَ الدَّعْوَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْصَلُوْهَا إِلٰى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَاوتَرَكُوْنَا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَايَزِيْغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ فَرَضِیَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وارْضَاهُمْ وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُتَقَلَّبَهُمْ ومَثْوَاهُمْ فى جِوَارِ الْحَبِيْبِ ﷺ۔

أَمَّا بَعْدُ! فَاِنَّ الدَّعْوَةَ اِلَى اللّٰهِ مِنْ اَعْظَمِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِسْلَامِ وأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللّٰهِ وَهِیَ سَفِيْنَةُ النَّجَاةِ حِيْنَمَا تَهِيْجُ أَمْواجُ بُحُوْرِ الْفِتَنِ، وَالَّتِي تُخْرِجُ النَّاسَ مِنْ ظُلُمٰتِ الْفِتَنِ إِلٰى نُوْرِالْهِدَايَةِ وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلٰى سَعَتِهَا وَمِنْ ذُلِّ عُبُوْدِيَّةِ غَيْرِ اللّٰهِ إِلٰى عِزِّعُبُوْدِيَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى، وَيَفْتَحُ اللّٰهُ بِهَا أَعْيُناًعُمْيًا واٰذاناًصُمًّا وَقُلُوْبًا غُلْفاً۔

وَهِیَ سِلَاح الَّذِي لَايَهْزَمُ أَمَامَ أَیِّ قُوَّةٍ مَهْمَا عَظُمَتَ وَكَبُرَتُ فَهِي بِالنِّسْبَةِ إِلٰى قُوَّةِ اللّٰهِ وَقُدْرَتِهِ لَا شَيْءَ، فَقُوَّةُ اللّٰهِ وَقُدْرَتُهُ ومَعِيَّتُهُ تَكُوْنُ مَعَ الدُّعَاةِ إِلَى اللّٰهِ۔

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**ثَانِیَ اثْنَيْنِ إِذْهُمَافِي الْغَارِإِذْيَقُوْلُ لِصَاحِبِهٖ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللّٰهَ مَعَنَا**﴾ ۔[توبه : ٤٠] وَقَالَ ﷺ ﴿**مَاظَنُّكَ يَا أَبَابَكْرٍ بِإِثْنَيْنِ اَللّٰهُ ثَالِثُهُمَا**﴾[بخارى رقم:٤٦٦٣]

فَالْمُسْلِمُ عَلٰى مَرِّ الْعُصُوْرِ لَا يَنْتَصِرُ بِقُوَّتِهٖ وَلَا بِعُدَدِهٖ ولكنْ يَنْتَصِرَ بِنَصْرِ اللّٰهِ لَهٗ وَنُصْرَةُ اللّٰهِ تَكُوْنُ مَعَ الْاُمَّةِ الدَّاعِيَةِ الْقَائِمَةِ عَلٰى حُدُوْدِ اللّٰهِ وَالنَّاصِرَةِ لِدِيْنِ اللّٰهِ۔

قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُوْمُ الْاَشْهَادُ**﴾ [غافر: ٥١]

فَنُصْرَةُ الله تعالىٰ لِلرُّسُلِ بِسَبَبِ الدَّعْوَةِ وَلِاَتْبَاعِهِمْ كَذٰلِك، فَيَظْهَرُ لَنَا مِنْ هٰذَا أَهَمِّيَّةُ عَمَلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ وَحَاجَةُ النَّاسِ اِلَيْهِ فِي عَصْرِنَا هٰذَا وَفِي جَمِيْعِ الْعُصُوْرِ۔

فَجَمَعْتُ هٰذَا الْكِتَابَ الْمُشْتَمِلَ فِي بَعْضِ الْأُمُوْرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالدَّعْوَةِ وَالدُّعَاةِ الْمُفِيْدَةِ لِلطَّالِبِيْنَ مِنْ مُصَنَّفَاتِ الْمَشَائِخِ و إِفَادَاتِهِمُ الَّتِى كَانَتْ مُنْتَشِرَةً مُتَفَرِّقَةً – وَالسَّبَبُ الَّذِي جَعَلَنِى اِخْتِيَارَ الْكِتابَةِ فِي هٰذَا الْمَوْضُوْعِ أَنَّهُ مَسَّتْنِى الْحَاجَةُ إِلٰى كِتَابٍ مِثْلِ هٰذَا حِيْنَمَا خَرَجْتُ إِلٰى بِلَادِ السُّوْدَانِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ لِأَرْبَعَةِ اَشْهُرٍ وَكَانَ فِي زُمَلَاءِ نَا خَمْسَةُ عُلَمَاءَ، وَكَانَتِ الْمُشْكِلَةُ الَّتِى تُوَاجِهُنَا هِيَ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَكَانَتْ غَرِيْبَةً لِعَدَمِ مُدَارَسَتِهَا، فَكُلُّ مَنْ كَانَ مَعِىَ لَمْ يَزَلْ يَطْلُبُوْنَ مِنِّى أَنْ أُتَرْجِمَ لَهُمُ الْبَيَانَ وَآدابَ اَعْمَالِ الدَّعْوَةِ وَمَقَاصِدَهَا، آداب الْجَوْلَةِ، حَلَقَةَ التعليم، وَالشُّوْرٰى وَغَيْرَهَا مِنَ الْمُذَاكَرَاتِ وَالْهِدَايَاتِ۔

فَبَدَأْتُ اَجْمَعُ هٰذِهِ الْاٰدَابَ والمذاكراتِ فِي كُرَّاستى كَىْ نَسْتَفِيْدَ مِنْ هٰذِهِ الْوُرَيْقَاتِ، فَبَيَّضْتُ فَازْدَادَتِ الْمَوَادُّ، وَكَثُرَتِ الْعَنَاوِيْنُ فَبَيَّضْتُهَا مَرَّةً ثَانِيةً – فَلَمَّا رَاٰ هٰذِهِ الْمُسَوَّدَةَ بَعْضُ أَحْبَابِنَا فِي السُّودَانَ فِي مَقَامَاتٍ

مُخْتَلِفَةٍ – وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ حَاتِم الرِّفَاعِيُ فِي خُرْطُوم، وَشَيْخ ذَهَاب رَئِيْسُ الدَّعْوَةِ فِي سُوْدَانَ، شَيْخ عَبْدُ الْوَهَّابِ اَرْكَوِيْتُ، عَبْدُ الْبَاقِي، فَرِيْد، مَمْدُوْح، هِشَام، عُثْمَانَ، يَحْىٰ، وَبَانَّغَاء اَمِيْرُ الدَّعْوَةِ فِي وَدُمَدَنِى وَغَيْرُهُمْ – فَعَجِبُوْا وَأَصَرُّوْا أَنْ أُجِيْزَهُمْ لِلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ – وَوَاللّٰهِ مَا كُنْتُ اَتَصَوَّرُ وَمَا خَطَرَ بِبَالِيْ مِنْ قَبْلُ أَنَّ مِثْلَ هٰذَا الْجُهْدِ الْمُتَوَاضِعِ يُصْبِحُ كِتَابًا يُطْبَعُ وَيُنْشَرُ۔

حَتّٰى أَنهُمْ عَرَضُوْا هذهِ الْوُرَيْقَاتِ إِلٰى كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَائِخِ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيْمِ، فَكَتَبَ فِيْهَا اَلتَّقْرِيْظَ وَالتَّقْدِمَةَ فَضِيْلَةُ الشَّيْخ مُحَمَّدحَسَنْ سَالِمُ عَبْدُاللّٰهِ أُسْتَاذُ الْحَدِيْثِ وَعُلُوْمِهٖ في جَامِعَةِ الْقُرْآن الْكَرِيْمِ وَالْعُلُوْمِ الإِسْلَامِيَّةِ(اَلسُّوْدَانِ) وَفَضِيلةُ الشيخ مِيْرغَنِى اَحْمَد عَبْدُ الْحَفِيْظ مُحمدبرفوسور مشارك نائب عميد مَكْتَبَه جَامِعَة الْجَزِيْرَةِ وَدُمَدَنِى، فَجَزَاهُمَا اللّٰهُ أَحْسَنَ الْجَزَاءِ۔

وَلٰكِنِّي اِعْتَذَرْتُ اِلَيْهِمْ أَنَّ هٰذَا الْكِتَابَ يَحْتَاجُ إِلى التَّخْرِيْج وَالتَّعْلِيْقِ وَالتَّسْهِيْلِ وَأُجِيْزُكُمْ بِالطَّبع بَعْدَ التخرِيْجِ وَالتَّعْلِيْقِ إِنْشَاءَ اللّٰهُ تَعَالىٰ۔

وَبَعْدَ قَضَاءِ مُدَّةِ الْخُرُوْج لَمَّا رَجَعْتُ إِلى الْهِنْدِ فَرَىٰ بَعْضُ أَحْبَابِنَا هٰذِهِ الْمُسَوَّدَةَ فَكَذٰلِكَ أَصَرُّوا عَلٰى طَبْعِهَا كَىْ تَعُمَّ الفائدةُ – خَاصَّةً فَضِيْلَةُ الشَّيْخ عَلِي حَسَنَ الْمَظَاهِرِي، مُدِيْرُ الجامعة امداديه فى يمنانكروفضيلة الشيخ مَسْعُوْد عَزِيْزِى مدير الجامعه أَبِى الْحَسَن عَلِي اَلنَّدْوِي وَغَيْرُهُمْ وَالشَّيْخُ ثَانِيُ الذِّكْرِ قَدْ سَاعَدَنِي فِى التَّخْرِيْجِ وَالتَّعْلِيْقِ، والذى ذكرت أَوَّلًا قد حمل عليه طبعه ونشرهٗ – فجزا هما الله تعالىٰ

فی الدارین۔

وانی اَرْجُوْ مِنَ اللّٰهِ ان يَتَقَبَّلَ مِنّی هذا الجهد القليل ويفيد منه خَلْقَهُ، وَيَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ ويجعله لی ذُخْرًا يومَ القيمة وَلِوَالِدَیَّ وَلِاَسَاتِذَتِیْ وَلِمَشَائِخِی ولجميع المسلمين وماتوفيقی الا بالله عليه تَوَكَّلْتُ وَاِلَيْهِ اُنِيْبُ۔

وَأَشْكُر أَخِيرًا كلَّ من شَجَّعَنِیْ لِكِتَابَتِهٖ وكُلَّ مَنْ سَاهَمَ مَعِی أَوْوَقَفَ مَعِیَ أَوْأَعَانَنِی بِكَلِمَةٍ أَوْكِتَابٍ أَوْبِایِّ طَرِيْقٍ كَانَ، وجَزَى اللّٰه الَّذِيْنَ قَامُوا بِطبعهٖ ونَشرِه فَارْجُوْ مِنَ اللّٰهِ اَنْ يَتقَبَّلَ مِنّی ومِنْهُمْ وأَنْ يَجْعَلَهُ فِی صَحَائِفِهِمْ وَيُوَفِّقَنِی وَإِيَّاهُمْ للقيام بِجُهْدِ النَّبِیِّ ﷺ وَيَقْبَلَنَا كَمَا قَبِلَ الصَّحَابَةَ رضي اللّٰهُ عنهم۔

وَأَخِيْرًا اَعْتَذِرُإِلى الْقُرَّاءِ الْكِرَامِ– وَالْعُذْرُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مقبولٌ– أَنْ يُغْمِضُوْا عَمَّالَاحَ لَهُمْ مِنْ أَخْطَاءٍ أَوْخَلَلٍ فِیْ جَمْعِ هٰذِهِ السُّطُوْرِ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ كَانَتْ وَلَا بُدَّ مِنْ وُجُوْدِهَا فِی عَمَلِ طَالِبٍ لَمْ يَنَلِ الْحُصُوْلَ عَلٰى شَهَادَةِ الْفَضِيْلَةِ لَدَى الْعَمَلِ، فَالرَّجَاءُ مِنْهُمْ أَنْ يَتَكَرَّمُوْا عَلَیّ بِإِبْدَاءِ مَوَاقِعِ الْأَخْطَاءِ وَالنُّقْصِ مِن وِجْهَةِ النَّصِيْحَةِ فَإِنَّ الدِّيْنَ كُلَّهُ النَّصِيْحَةُ ۔

طَالِبُ رِضَا اللّٰهِ

حفظ الرحمن ابن عباس البالنبوری(كاكوسی)

خادم التفسير والحديث النبوی الشريف فی بومبای

مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ التَّعْرِيْفُ بِالدَّعْوَةِ وَالدُّعَاةِ

مَعْنَي الدعوةِ

اَلدَّعْوَةُ فِي اللُّغَةِ مَعْنَاهَا اَلْحَثُّ وَالطَّلَبُ، يُقَالُ دَعَا بَالشَّيْءِ– اَيْ طَلَبَ اِحْضَارَهٗ– وَدَعَاهُ إِلَي الشَّيْءِ– أَيْ حَثَّهُ عَلٰى قَصْدِهٖ– وَدَعَاهُ إِلَى الدِّيْنِ وَالْمَذْهَبِ– أَيْ حَثَّهُ عَلٰي اِعْتِقَادِهٖ وَسَاقَهُ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ دَعَا اللّٰهَ أَیْ رَجَامِنْهُ الْخَيْرَ، وَدَعَا لِفُلَانٍ أَيْ طَلَبَ لَهُ الْخَيْرَ(١)۔

وَالدَّعْوَةُ هُنَامَأْخُوْذَةٌ مِنْ قَوْلِهٖ تَعَالٰي ﴿وَاللّٰهُ يَدْعُوْآ إِلٰى دَارِ السَّلٰمِ ؕ وَيَهْدِيْ مَنْ يَّشَآءُ إِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ ۔[سورة يونس:٢]

قَالَ فِي اللِّسَانِ، دَارُالسَّلام هِيَ الْجَنَّةُ، وَالسَّلَامُ هُوَاللّٰهُ(٢)

وَالْمُرَادُ بِدَعْوَتِهٖ سُبْحَانَهٗ وَتَعَالٰي اِلَي دَارِالسَّلَامَ وَهِيَ الْجَنَّةُ– دَعْوَتُهٗ عِبَادَهٗ إِلٰى مَا يَكُوْنُ سَبَباً فِي دُخُوْلِهِمُ الْجَنَّةَ، وَهُوَالإِلْتِزَامُ بِدِيْنِه الَّذِيْ بَعَثَ بِهٖ رُسُلَهُ وأَنْزَلَ بِهٖ كِتَابَهٗ(٣)۔

اَلْمَعْنَي الْإِصْطِلَاحِي لِلدَّعْوَةِ

تَعَدَّدَتْ اَوْجُهُ النَّظْرِفِي الْمَعْنَي الْاِصْطِلَاحِي لِلدَّعْوَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ، فَهُنَاكَ مَنْ نَظَرَإِلَيْهَا بِأَنَّهَا تَبْلِيْغٌ وَبَيَانٌ لِمَا جَاءَ بِهِ الْاِسْلَامُ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَظَرَإِلَيْهَا بِأَنَّهَا عِلْمٌ وَتَعْلِيْمٌ وَجَرَّدُوْهَا عَنِ الْجَانِبِ التَّطْبِيْقِيِّ۔

يُمْكِنُنَا إِسْتِخْلَاصُ الْمَعْنَي الْإِصْطِلَاحِي لِلدَّعْوَةِ مِنْ مَعْنَاهَا اللُّغْوِي وَهُوَ(اَلطَّلَبُ وَالْحَثُّ عَلَي الشَّيْءِ وَالسَّوْقُ اِلَيْهِ) فَيَتَضَمَّنُ مَعْنَي الدَّعْوَةِ

(١) المعجم الوسيط الجزء الاول ص٢٨٦

(٢) لسان العرب الجزء١٤/ ٢٥٧

(٣) معالم الدعوة فی قصص القران الجزء ٢٩/١

اِلَى الْاِسْلَام طَلَبَ النَّاسِ وَسَوْقَهُمْ اِلَيْهِ وحَثُّهُمْ عَلَى الْاَخْذِبِهِ، وَلٰكِنْ يَشْمَلَ تَعْرِيْفُ الدَّعْوَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ مَرَاحِلَ الدَّعْوَةِ الثَّلَاثَ التَّبْلِيْغِيَّةَ، وَالتَّكْوِيْنِيَّةَ، وَالتَّنْفِيْذِيَّةَ جِهَةً، وَلِكُلٍّ يَحْوِى عَلٰى عَنَاصِرِ عَمَلِ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَامَّةً وَعَمَلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَّةً–اَرَى اَنْ تُعَرَّفَ الدَّعْوَةُ الْاِسْلَامِيَّةُ اِصْطِلَاحاً بِأَنَّهَا(تَبْلِيْغُ الْإِسْلَامِ لِلنَّاسِ وَتَعْلِيْمُه إِيَّاهُمْ وتَطْبِيْقُه فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ(١)۔

وَعَرَّفَهَا الْعِرْمَابِيُّ فِي كِتَابِهِ (حَرْكَةٌ عِلْمِيَةٌ عَمَلِيَّةٌ لِنَشْرِ الْاِسْلَامِ وَتَعْلِيْمِهِ لِلنَّاسِ وَتَعْرِيْفِهِمْ بِهِ عَلٰى وَجْهِ الصَّحِيْحِ وَفْقَ مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ مَدْرُوْسٍ بِوَسَائِلَ وَاَسَالِيْبَ رَاقِيَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ بِوَاسِطَةِ دُعَاةٍ مُسْلِمِيْنَ يَقُوْمُوْنَ بِهِ فِى النَّاسِ عَلٰى هُدًى وَبَصِيْرَةٍ)(٢)

هٰذَا وقَدِ اخْتَارَالْبَاحِثُ هٰذَا الْمَعْنٰى(حَثُّ النَّاسِ عَلَى الْاَخْذِ بِالْخَيْرِ لِيَفُوْزُوْا بِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ۔

تَعْرِيْفُ الدُّعَاةِ

وَالدُّعَاةُ فِي اللُّغَةِ (قَوْمٌ يَدْعُوْنَ النَّاسَ اِلٰى بِيْعَةِ هُدًى اَوْضَلَالَةٍ، وَاحِدُهُمْ دَاعِى، وَرَجُلٌ دَاعِيَةٌ اِذَا كَانَ يَدْعُوالنَّاسَ اِلٰى بِدْعَةٍ اَوْدِيْنٍ، وأُدْخِلَتِ الْهَاءُ فيه للمُبَالَغَةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺدَاعِى اِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى، وَكَذٰلِكَ الْمُؤَذِّنُ ـ

وَفِى التَّهْذِيْبِ الْمُؤَذِّنُ دَاعِى اِلَى اللّٰهِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَاعِى الْاُمَّةِ اِلٰى تَوْحِيْدِ اللّٰهِ وَطَاعَتِهِ۔

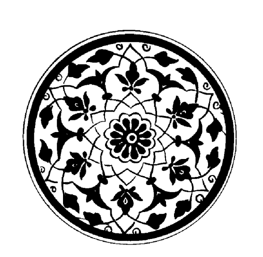
(١) المدخل الى علم الدعوة ص١٤–١٧
(٢) الدعوة الاسلامية الشمول والاستيعاب ص١٠

وَفِي الْحَدِيْثِ مَنْ دَعَا اِلٰى هُدًي كَانَ لَهُ مِنَ الْاَجْرِمِثْلَ اُجُوْرِ مَنْ تَبِعَهُ لَايَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ اُجُوْرِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ دَعَا اِلٰى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْاِثْمِ مِثْلَ اٰثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَايَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ اٰثَامِهِمْ شَيْئًا(١)۔

وَفِي الْاِصْطِلَاحِ

فَيُمْكِنُنَا اِسْتِنْتَاجُ الْمَعْنَي الْاِصْطِلَاحِي لِلدَّاعِيْ فَنَقُوْلُ هُوَ:(الْمُبَلِّغُ لِلْإِسْلَامَ وَالْمُعَلِّمُ لَهُ والسَّاعِي إلى تَطْبِيقه) فَيَشْمَلُ مُصْطَلَحُ الدَّاعِي مَنْ قَامَ بِأَعْمَالِ الدَّعْوَةِ كُلِّهَا أَوْبِاَيِّ عَمَل مِنْ أَعْمَالِهَا(٢)۔

وَقِيْلَ" اَلدَّاعِي هُوَ الَّذِىْ يَقُوْمُ بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ وَيَتَحَمَّلُ أَعْبَاءَ هَا وَمَسْئُوْلِيَّتَهَا(٣)۔



(١) صحيح مسلم باب من سن سنة حسنة رقم ٦٩٨٠
(٢) المدخل الى علم الدعوة ص٤٠
(٣) خصائص الدعوة الاسلامية ص١٥

اَلْبَابُ الْأَوَّلُ فِى فَضَائِلِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ

فَضَائِلُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ

اِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ قَدْ اَعْطٰى هٰذِهِ الْاُمَّةَ عِدَةَ فَضَائِلَ وَمَيَّزَهَا مِن سَائِرِ الْاُمَمِ السَّابِقَةِ وَاَعَزَّهَا بِالْمَقَامِ الرَّفِيْعِ بَيْنَ سَائِرِ الْاُمَمِ مَالَمْ يَفُزْ بِه احدٌمِنَ الْاُمَمِ السَّابِقَةِ، حيثُ قال اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ۔

﴿**كُنتُمْ خَيْرَاُمَّةٍاُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِوَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰه**﴾ [سورة ال عمران : ١١٠]

يَقُوْلُ سَيِّدُنَا عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ حَوْلَ هٰذِهِ الْاٰيَةِ

يَا اَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَرَّهٗ اَنْ يَكُوْنَ مِنْ تِلْكُمُ الْاٰيَةِ فَلْيَؤَدِّ شَرْطَ اللّٰهِ مِنْهَا۔(١)

وَقَدْ رُوِىَ فِي الْحَدِيْثِ اَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ اَوْحىٰ اِلىٰ دَاوٗدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الزَّبُوْرِ ـ

يَادَاوٗدُ اِنَّهُ سَيَأْتِي مِنْ بَعْدِكَ نَبِيٌّ إِسْمُهُ أَحْمَدُ وَمُحَمَّدُ صَادِقاً وَسَيِّداً لَاأَغْضَبُ عَلَيْهِ اَبَدًا وَلَا يُغْضِبُنِي أَبَدًا وَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ قَبْلَ اَنْ يَعْصِيَنِى مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهٖ وَمَا تَأَخَّرَ وَاُمَّتُهُ مَرْحُوْمَةٌ أَعْطَيْتُهُمْ مِنَ النَّوَافِلِ مِثْلَ مَاأَعْطَيْتُ الْاَنْبِيَاءَ وَفَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْفَرَائِضَ الَّتِى افْتَرَضْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ حَتّٰى يَأْتُوْنِي يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَنُوْرُهُمْ مِثْلُ نُوْرِالْاَنْبِيَاءِ—اِلىٰ أَنْ قَالَ يَادَاوٗدُ! اِنِّى فَضَّلْتُ مُحَمَّداً وَاُمَّتَهُ عَلَى الْاُمَمِ كُلِّهَا۔(٢)

(١) كذا فى كنزالعمال ، حياة الصحابه ٢٤/١ ، جامع الاحاديث للسيوطى رقم الحديث ٢٩٩٨٤

(٢) كذافى البدايه، حياة الصحابه ١٧/١ ، دلائل النبوة للبيهقى الجزء ٣٨٠/١

هٰكَذَا هٰذِهِ الْاُمَّةُ هِىَ آخِرُ الْأُمَمِ وَلٰكِنْ يَسْبِقُوْنَ سَائِرَ الْاُمَمِ فِى دُخُوْلِ الْجَنَّةِ كَمَا وَرَدَ فِى الْحَدِيْثِ اَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ۔

(اَلْجَنَّةُ حُرِّمَتْ عَلَى الْاَنْبِيَاءِ حَتّٰى اَدْخُلَهَا وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتّٰى تَدْخُلَهَا اُمَّتِي(١) ـ

هٰذِهِ الْأُمَّةُ أَقَلُّ عَمَلًا وَأَكْثَرُعَطَاءً

وَمِمَّا فَضَّلَ اللّٰهُ تَعَالىٰ هٰذِهِ الْأُمَّةَ مِنَ الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ الْخَاصِّ بِهَا إِنَّهُ يُعْطِيْ عَلٰى عَمَلِهَا الْقَلِيْلِ الْأَجْرَ الْجَزِيْلَ، وَقَدْ ضَرَبَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ اَلْمَثَلَ فِى الْحَدِيْثِ۔

إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُوْدِ وَالنَّصَارٰي كَرَجُلٍ إِسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِى اِلىٰ نِصْفِ النَّهَارِ عَلٰى قِيْرَاطٍ قِيْرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُوْدُ إِلىٰ نِصْفِ النَّهَارِ عَلٰى قِيْرَاطٍ قِيْرَاطٍ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِى مِن نِصْفِ النَّهَارِ إِلىٰ صَلٰوةِ الْعَصْرِ فَعَمِلَتِ النَّصَارٰي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِإِلىٰ صَلٰوةِ إِلَى صلٰوة الْعَصْرِ عَلٰى قَيْرَاطٍ قيراطٍ ثم قال مَنْ يَعْمَلُ لِي من صلوة الْعَصْرِ إِلىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلٰى قِيْرَاطَيْنِ قِيْرَاطَيْنِ أَلَا فَاَنْتُمُ الَّذِيْنَ تَعْمَلُوْنَ مِنْ صَلٰوةِ الْعَصْرِ إِلىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلٰى قِيْرَاطَيْنِ قِيْرَاطَيْنِ اَلَالَكُمُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُوْدُ وَالنَّصَارَىٰ فَقَالُوْا إِنَّاأَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً ا(يَعْنِي نَحْنُ عَمِلْنَا عَمَلًا كَثِيْرًا ووَجَدْنَا الْأُجْرَةَ قَلِيْلًا، وَجَدْنَا قِيْرَاطًا وَاحِدًا وَهٰذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ عَمِلَتْ قَلِيْلًا وَوَجَدَتِ الْأُجْرَةَ كَثِيْرًا، وَوَجَدَتْ قِيْرَاطَيْنِ)

فَقَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهٗ وَ تَعَالىٰ

(١) رواهُ الطبرانى فى الاوسط برقم : ٩٥٥ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

هَـلْ ظَـلَـمْتُـكُـمْ مِـنْ حَـقِّكُمْ شَيْئًا (يَعْنِي مَاعَاهَدتُّ مِنْكُمُ الْأَجْرَةَ وَالْعَمَل فَهَلْ ظَلَمْتُكُمْ شَيْئًا؟) فَقَالُوْا لَا (بَلْ اَنْتَ أَدَّيْتَ مَاعَاهَدتَّنَاـ)

(فَـقَـالَ تَعَالٰي لَمَّا اَعْطَيْتُكُمْ حَقَّكُمْ وَمَاظَلَمْتُ–فَاِنْ اَنَا اُعْطِي اَحَدًا غَيْرَكُمْ اَكْثَرَ مَاأَعْطَيْتُكُمْ) فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيْهِ مَنْ شِئْتُ(١)ـ

فَهٰذَا الْفَضْلُ أَعْطَا اللّٰهُ تَعَالٰيٰ هٰذِهِ الْأُمَّةَ وَخَصَّهَا بِهٖـ

هٰذِهِ الْأُمَّةُ تَمْلِكُ اَرْبَعَ نَجمَاتٍ

وَقَـدْ أعْـطَى اللّٰهُ هٰذِهِ الْاُمَّةَ اَرْبَعَ نَجْمَاتٍ اَلْاَوَّلُ **"كُنتُمْ خَيْرَأُمَّةٍ"** ، وَالثَّانِي **"أُمَّةً وَسَطًا"** كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى **﴿وَجَعَلْنَا كُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** أَیْ أُمَّةً عَـدْلًا كَـمَـا فَسَّرَالْمفَسّرُوْنَ وَلٰكِنْ جَاءَ الطَّبْرِي بِتَفْسِيْرِهٖ ، وَسَطًا مَعْنَاهُ وَاسِطَةٌ ، يَعْنِي هٰذِهِ الْأُمَّةُ وَاسِطَةٌ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ اَلَّذِیْ رَوَاهُ الطَّبْرِي أَنَّهُ قَالَ

حَـدَّثَـنِـى يُـوْنُـسُ قَـالَ اَخْبَرَنَا ابْنُ وَهَبٍ قَالَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ **﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا كُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** قَالَ هُمْ وَسَطٌ بَيْنَ النَّبِي ﷺ وَبَيْنَ الْأُمَمِ ، انتهي(٢)

وَالثَّالِثُ : **﴿هُوَاجْتَبَاكُمْ﴾** اَیْ إِخْتَارَكُمُ اللّٰهُ

وَالرَّابِعُ : **﴿ شُهَـدَاءُ عَلَى النَّاسِ﴾** أَیْ هٰـذِهِ الْأُمَّةُ تَشْهَدُ عَلَى النَّاسِ ...... بِـاَنَّ الـرُّسُـلَ قَـدْ بَلَّغُوْا...... وَيَكُوْنُ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْدًا ......فَهٰذِهٖ اَرْبَعُ نَجَمَاتٍ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ!!!

(١) صحيح بخاری رقم الحديث ٣٤٥٩، عن ابن عمر ؛ صحيح ابن حبان رقم الحديث٧٢١٧، باب فضل الامة ؛ سنن الترمذی رقم الحديث ٢٨٧١، مثل ابن آدم واجله وامله

(٢) تفسير الطبری :الجزء ١٤٥/٣

كَرَامَةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَار رضي الله عنه إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰي أَكْرَمَ هٰذِهِ الْأُمَّةَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ قَـدْ أَكْـرَمَ بِهَـا أَنْبِيَاءَ ہٗ اَحَدُهَا أَنَّهُ جَعَلَ كُلَّ نَبِيٍ شَاهِداً عَلٰي قَوْمِهٖ وَجَعَلَ هٰـذِهِ الْأُمَّةَ شُهَـدَاءَ عَـلَـي النَّاسِ وَقَالَ لِلرُّسُلِ **﴿يٰٓأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوْامِنَ الطَّيِّبٰتِ وَاعْمَلُوْاصَالِحًا﴾** [سورة المؤمنون :٥١] وَقَالَ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ **﴿كُلُوْامِنْ طَيِّبٰتِ مَارَزَقْنٰكُم﴾** [سورة البقرة :١٧٢] وَقَالَ لِكُلِّ نَبِيٍ **﴿أُدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾** وَقَالَ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ **﴿أُدْعُوْنِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** (غافر :٦٠)(١)

وَذُكِرَأَنَّ آدَمَ عَـلَيْهِ السَّلَامُ قَال إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰي اَعْطٰي اُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ اَرْبَعَ كَرَامَاتٍ مَا أَعْطَانِيْهَا

أَحَدُهَا : أَنَّ قَبُـوْلَ تَوْبَتِي كَانَ بِمَكَّةَ ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَتُوْبُوْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَيَتَقَبَّلُ اللّٰهُ تَوْبَتَهُمْ ـ

وَالثَّانِي : إِنِّـى كُـنْـتُ لَابِسًافَلَمَّا عَصَيْتُ جَعَلَنِيْ عُرْيَاناً ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَعْصُوْنَ عُرَاةً فَيُلْبِسُهُمُ اللّٰهُ

وَالثَّالِثُ : إِنِّي لَـمَّـا عَـصَيْتُ فُـرِّقَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ إِمْرَأَتِی، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَايُفَرَّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوَاجِهِمْ

وَالرَّابِعُ : إِنِّـي عَـصَيْـتُ فِي الْجَنَّةِ فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا ، وَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ يَعْصُوْنَ خَارِجَ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُوْنَهَا بِالتَّوْبَةِـ

فَضَائِلُ الْأُمَّةِ فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ

وَقَدْذَكَرَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰي فَضَائِلَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ وَمَنَا قِبَهَا فِي الْكُتُبِ

(١) البدايه النهايه باب ذرية ابراهيم الجزء ٢٩٠/١؛ قصص الانبياء لابن كثير الجزء ١٢٩/٢

السَّابِقَةِ كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ أَنَّ مُوسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَأَ فِي التَّوْرَاةِ فَضَائِلَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِى مَقَامَاتٍ شَتّٰي فَقَالَ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ۔

يَارَبِّ! أَجِدُفِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ۔

رَبِّ اجْعَلْهُمْ اُمَتِى!

قَالَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ ﷺ۔

قَالَ مُوسٰي عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ إِنِّي أَجِدُ فِي الْاَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْآخِرُوْنَ فِي الْخَلْقِ أَلسَّابِقُوْنَ فِي دُخُوْلِ الْجَنَّةِ۔

رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي!

قَالَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ يَامُوسٰي! تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَﷺ۔

قَالَ مُوسٰي عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ إِنِى أَجِدُ فِي الْاَلْوَاحِ أُمَّةً اَنَا جِيْلُهُمْ فِي صُدُوْرِهِمْ يَقْرَأُوْنَهَا وَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ أَعْطَاكُمْ أَيَّتُهَا الْأُمَّةُ مِنَ الْحِفْظِ شَيْئاً لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا مِنَ الْاُمَمِ– قَالَ

رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي!

قَالَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ تِلْكَ أُمَّةُ اَحْمَدَﷺ۔

قَالَ مُوْسيٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ إِنِى أَجِدُفِي الْاَلْوَاحِ أُمَّةً يُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَبِالْكِتَابِ الْآخِرِ۔

فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي!

قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَﷺ۔

قَالَ مُوْسي عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ إِنِّي أَجِدُفِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً صَدَقَاتُهُمْ

يَأْكُلُوْنَهَا فِي بُطُوْنِهِمْ وَيُؤْجَرُوْنَ عَلَيْهَا – وَكَانَ تَرْتِيْبُ قَبُوْلِ الصَّدَقَاتِ فِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَّةِ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَصَدَّقَ شَيْئاً فَيَذْهَبَ بِهِ إِلٰى الْجَبَلِ يَتْرُكُهُ فَإِنْ قُبِلَ فَتَأْكُلُهُ النَّارُ وَإِنْ لَمْ يُقْبَلْ لَمْ تَأْكُلْهُ فَيَأْكُلُهُ السِّبَاعُ والْحَشَرَاتُ۔

قَالَ رَبِّ اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي!

قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَﷺ۔

قَالَ مُوْسيٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّ إِنِى أَجِدُفِي الْأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الْمُشَفِّعُوْنَ۔ اَلْمَشْفُوْعُ لَهُمْ

وَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي!

قَالَ تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَﷺ۔

يَقُوْلُ رَاوِي هٰذَا الْحَدِيْثِ قَتَادَةُ وَذُكِرَلَنَا أَنَّ مُوسٰي عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبَذَ الْأَلْوَاحَ وَقَالَ أَللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَﷺ(١)۔

أَللّٰهُ أَكْبَرُ كَمْ مِنْ فَضائِلَ لِهٰذِهِ الْأُمَّةِ!

فَضِيْلَةُ الْأُمَّةِ بِسَبَبِ مَسْئُوْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ﴾ [سورۂ ال عمران : ١١٠]

فَالْمَعْنٰى كُوْنُوْا اُمَّةً دُعَاةً اِلٰى الْخَيْرِ اٰمِرِيْنَ بِالْمَعْرُوْفِ نَاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ اَىْ لِتَكُوْنُوْا كُلُّكُمْ كَذٰلِكَ

(١) تنبيه الغافلين للامام الفقيه ابى الليث السمرقندى ص/٣٥٨ مطبوعة مكتبة الصفا

وَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ بِصِحَّةِ مَايَدْعُو إِلَيْهِ الدَّاعِي شَرْطاً لِصِحَّةِ الدَّعْوَةِ فَهٰذَا لَايَعْنِي اَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللّٰهِ خَاصَّةٌ بِالْعُلَمَاءِ، وَغَايَةُ مَافِيْهِ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ يَدْعُوْ اِلَى اللّٰهِ بِالْقَدْرِ الَّذِىْ يَعْلَمُهُ سَوَاءً كَانَ مِنْ عَامَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ أَوْمِمَّنْ نَالَ حَظًّا كَبِيْرًا مِنَ الْعِلْمِ۔

فَأَمْرُ الدَّعْوَةِ عَامٌّ يَشْمَلُ جَمِيْعَ الْأُمَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالیٰ۔

﴿وَالْعَصْرِ ۙ﴿۱﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِىْ خُسْرٍ ۙ﴿۲﴾ إِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ۙ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿۳﴾﴾ [سورة العصر]

فَالتَّوَاصِي هُوَ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَقَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ

﴿ لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْۢ بَنِىْٓ اِسْرَآءِيْلَ عَلٰى لِسَانِ دَاوٗدَ وَعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؕ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ - كَانُوْا لَايَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُّنْكَرٍ فَعَلُوْهُ ؕ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ ﴾ [سورة المائده ٧٨-٩٧]

وَمَاقَصَّ اللّٰهُ تَعَالیٰ عَلَيْنَا شَيْئًا مِنْ اَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ اِلَّا لِنَعْتَبِرَ بِهَا

رَفْعُ الشُّبْهَةِ عَنِ الْاٰيَةِ الْكَرِيْمَةِ

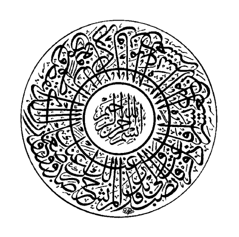
وَقَدْ يُبَرِّرُ بَعْضُهُمْ تَقَاعُسَهُ عَنْ وَاجِبِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ تَعَالیٰ بِقَوْلِهِ تَعَالیٰ: ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا عَلَيْكُمْ اَنْفُسَكُمْ ۚ لَا يَضُرُّكُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ؕ ﴾ [سورة المائده: ١٠٥]

فَإِنَّ الْاٰيَةَ لَاتَعْفِي الْإِنْسَانَ عَنْ مَسْئُوْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ مَادَامَ صَالِحًا فِي نَفْسِهِ مُطْلَقاً كَمَا يُتَوَهَّمُ لِأَنَّهَا مَحْمُوْلَةٌ عَلٰي أَنَّهُ إِذَا اَدّٰي وَاجِبَ الدَّعْوَةِ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ الْمَدْعُوُّ فَإِنَّ هٰذَا لَايَضُرُّهُ وَقَدْ سَقَطَ عَنْهُ وَاجِبُ الدَّعْوَةِ اِلَي اللّٰهِ بِأَدَائِهِ، أَمَّا الْاِسْتِجَابَةُ فَلَيْسَتْ إِلَيْهِ۔

فَالْمَعْنٰي إِذَا لَمْ يُقْبَلْ مِنْكُمْ وَلَمْ تَقْدِرُوْا عَلٰي تَغْيِيْرِ الْمُنْكَرِ فَإِنَّهُ لَايَضُرُّكُمْ شَيْئٌ، وَهٰذَا هُوَ مَافَسَّرَبِهِ سَيِّدُنَا أَبُوْبَكْرِنِ الصِّدِّيْقُ رضي الله عنه حِيْنَ خَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ

أَيُّهَاالنَّاسُ اِنَّكُمْ تَقْرَأُوْنَ هٰذِهِ الْاٰيَةَ وَتَضَعُوْنَهَا فِي غَيْرِمَوْضِعِهَا ﴿عَلَيْكُمْ اَنْفُسَكُمْ ۚ لَا يَضُرُّكُمْ مَّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ؕ﴾ وَاِنِّي سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوْا عَلٰى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللّٰهُ بِعِقَابِهِ(١)۔

وَأَضَافَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلٰى هٰذَا إِسْتِنْبَاطاً آخَرَ فِى أَحَدِ مُؤَلَّفَاتِهِ وَهُوَ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالیٰ قَالَ فِي الْاٰيَةِ (إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وَالْإِهْتِداءُ إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَدَاءِ الْوَاجِبِ فَإِذَا قَامَ الْمُسْلِمُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِبِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ كَمَا قَامَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لَمْ يَضُرَّهُ ضَلَالُ الضُّلَّالِ(٢)۔



(١) مسند امام احمد رقم الحديث : ٣٠ ؛ واخرجه ابن ماجه فى باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر برقم ٤٠٠٥؛ مسند ابى يعلى رقم ١٣١ وقال اسنادة صحيح

(٢) مفهوم اهل السنة لابن تيمية ص٣٣٨، ومجموع الفتاوى لابن تيمية الجزء ١٢٧/٢٨

اَلْبَابُ الثَّانِيْ فِى فَضَا ئِلِ الدَّعْوَةِ

فَضَائِلُ الدَّعْوَةِ

فَضَائِلُ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيْغِ اَلَّتِيْ وَرَدَتْ فِى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَكْثَرُمِنْ أَنْ تُعَدُّوَتُحصٰي قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى **﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوْا بَقِيَّةٍ يَّنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِفِى الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيْلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا مَآ أُتْرِفُوْا فِيْهِ وَكَانُوْا مُجْرِمِيْنَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ وَّأَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَ﴾**[سورة الهود:١١٦-١١٧]

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها إِنَّهَا تَقُوْلُ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ اَنْ قَدْ حَضَرَهُ شَيْئٌ فَتَوَضَّأَ وَمَا كَلَّمَ أَحداً فَلَصِقْتُ بِالْحُجْرَةِ أَسْتَمِعُ مَايَقُوْلُ فَقَعَدَ عَلَي الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ ا للّٰهَ وَأَثْنٰي عَلَيْهِ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰي يَقُوْلُ لَكُمْ مُرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَانْهَوْاعَنِ الْمُنْكَرِقَبْلَ اَنْ تَدْعُوْا فَلَا أُجِيْبَ لَكُمْ وَتَسْأَلُوْنِّي فَلَا أُعْطِيَكُمْ وَتَسْتَنْصِرُوْنِي فَلَا أَنْصُرَكُمْ فَمَا زَادَعَلَيْهِنَّ حَتّٰي نَزَلَ(١)۔

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيْبًا وَسَيَعُوْدُ كَمَا بَدَأَ فَطُوْبي لِلْغُرَبَاءِ الَّذِيْنَ يُصْلِحُوْنَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِى مِنْ سُنَّتِي(٢)۔

وَعَنْ اَبِي عَبَّاس رضي الله عنه يَقُوْلُ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَ مَاهُ

(١) صحيح ابن حبان رقم الحديث ٢٩٠ ، باب الصدق والا مربالمعروف والنهى عن المنكر
(٢) سنن الترمذى برقم الحديث: ٢٦٣٠، باب ان الاسلام بدأ غريباً؛ سنن ابن ماجه برقم٣٩٨٨، باب بدأ الاسلام

فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ حَرَّمَهُ اللّٰهُ عَلَي النَّارِ(١)۔

وَعَنْ اَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لَاتَجْتَمِعُ غُبَارٌفِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍا أَبَدًا وَلَايَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيْمَانُ فِى قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا(٢)۔

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ (يَوْمٌ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ خَيْرٌمِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيْمَا سِوَاهُ)(٣)۔

وَعَنْ اَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (غَدْوَةٌ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌمِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيْهَا(٤)۔

عَنْ اِبْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ اِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أذْنَابَ الْبَقَرِوَ رَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَايَنْزِعُهُ حَتّٰى تَرْجِعُوْا إِلٰى دِيْنِكُمْ(٥)۔

اَلدَّعْوَةُ مِفْتَاحُ خَزَائِنِ الْخَيْرِ

قَدْوَرَدَ فِى الْحَدِيْثِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ (إِنَّ هٰذَا الْخَيْرَخَزَائِنُ وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيْحُ فَطُوْبٰى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللّٰهُ مِفْتَاحاً لِلْخَيْرِ وَمِغْلَاقًا

(١) رواهُ البخارى باب المشى الى الجمعة رقم الحديث :٨٦٥؛ مسند احمد رقم الحديث:١٥٩٣٥
(٢) رواهُ النسائى باب فضل من عمل فى سبيل الله برقم :٣١١٠؛ مسند احمد رقم الحديث٣٦٩٣
(٣) رواهُ النسائى باب فضل الرباط برقم الحديث :٣١٧٠، قال الشيخ الالبانى حسن؛ رواهُ البيهقى فى شعب الايمان رقم الحديث :٤٢٣٣
(٤) رواهُ البخارى باب صفة الجنة برقم الحديث :٦١٩٩؛ سنن الترمذى باب فضل الغدووالرواح فى سبيل الله برقم :١٦٤٩
(٥) رواهُ ابوداؤدباب فى النهى عن العينة برقم الحديث :٣٤٦٤؛ السنن الكبرى للبيقهى باب ماورد فى كراهية التبابع برقم الحديث ١١٠١٧

لِلشَّرِ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعْلَهُ اللّٰهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِ وَمِغْلَاقاً لِلْخَيْرِ(١)۔

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ(مَثَلُ الْقَائِمِ عَلٰي حُدُوْدِ اللّٰهِ وَالْوَاقِعِ فِيْهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ إِسْتَهَمُوْا عَلٰى سَفِيْنَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ اَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِيْنَ فِى أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوْا عَلٰي مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوْا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِى نَصِيْبِنَا خَرْقًا ولَمْ نُوْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوْهُمْ وَمَا أَرَادُوْا هَلَكُوْا جَمِيْعًا وَإِنْ أَخَذُوْا عَلٰي أَيْدِيْهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيْعًا(٢)۔

فَفِي الْحَدِيْثِ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ اَلدُّنْيَا كُلَّهَا بِسَفِيْنَةٍ ، وَالنَّاسُ فِيْهَا مَثَلُ قَوْمٍ وَاحِدٍ ، كُلُّهُمْ رَاكِبُوْنَ فِى سَفِيْنَةِ الدُّنْيَا فِيْهَا الْمُطِيْعُوْنَ وَالْعَاصُوْنَ فَإِنْ فَشَتِ الْمَعْصِيَّةُ فِيْهِمْ فَيَتَأَثَّرُبِهَا الْقَوْمُ كُلُّهُ لَافَقَطَ الَّذِيْنَ يَعْصُوْنَ فَإِنْ أَرَادَالَّذِيْنَ يُطِيْعُوْنَ أَنْ يَنْجَوْا وَيُنْجُوَالَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ بِإِرْتِكَابِ الْمَعَاصِى فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَأْخُذُوْا عَلٰى أَيْدِى الَّذِيْنَ يَعْصُوْنَ وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي وَإِلَّا هَلَكُوْا جَمِيْعاً۔

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ اَوْلَيُوْشِكَنَّ اللّٰهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلَا يَسْتَجِيْبُ لَكُمْ(٣)۔

(١) رواهٗ ابن ماجه عن سهل بن سعد رض باب من كان مفتاحاً للخير وابونعيم فى الحلية ٣٢٩/٨، برقم الحديث: ٢٣٨؛ كنزل العمال برقم الحديث : ٤٣٠١٨

(٢) رواهٗ البخارى باب هل يقرع فى القسمة والاستهام فيه برقم الحديث :٢٤٩٣؛ مسند احمد بن حنبل برقم:١٨٣٧٩؛ السنن الكبرى للبيهقى باب اثبات استعمال القرعة برقم:٢١٩٣٤

(٣) رواه الترمذى باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر برقم الحديث : ٢١٦٩ وقال هذا حديث حسن، مسند احمد برقم الحديث : ٢٣٣٠١

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (أَوْحي اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ إِلٰى جِبْرِيْلَ أَنِ اقْلِبْ مَدِيْنَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا قَالَ يَارَبِّ إِنَّ فِيْهِمْ عَبْدَكَ فَلَانًالَمْ يَعْصِك طَرْفَةَ عَيْنٍ، قَالَ ، فَقَالَ اقْلِبْهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ فَإِنْ وَجْهَهٗ لَمْ يَتَمَعَّرْ فِيَّ سَاعَةً قَطُّ(١)۔

اَهَمِّيَّةُ الدَّعْوَةِ وَضَرُوْرَتُهَا

إِنَّمَافَضَائِلُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ بِسَبَبِ مَسْئُوْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ الْمُهِمَّةِ الَّتِى انْتَقَلَتْ إِلَيْهَا بَعْدَ نَبِيِّهَا الْخَاتَمِ الْمُصْطَفٰى ﷺ ۔

فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ هِىَ مُهِمَّةُ الرُّسُلِ وَالْاَنْبِيَاءِ الَّذِيْنَ هُمْ خِيَرَةُ اللّٰهِ مِنْ عِبَادِهٖ وَسُفَرَاءُهٗ إِلٰى خَلْقِهٖ وَهِىَ مُهِمَّةُ خُلَفَاءِ الرُّسُلِ وَاَتْبَاعِهِمْ مِنْ لَدُنْ أَنْ بَزَغَ فَجَرُالْاِسْلَامِ وَبَدَأَ التَّكْلِيْفُ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ إِلٰي أَنْ يَرِثَ اللّٰهُ الْاَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَخَيْرُ الْوَارِثِيْنَ— وَوَرِثَتُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِيْنَ وَالرَّبَانِيِّيْنَ وَالصَّادِقِيْنَ ۔

وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ بِاللّٰهِ تَعَالىٰ لِأَنَّ ثَمْرَتَهَا هِدَايَةُ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ وَتَحْبِيْبُهِمْ فِى الْخَيْرِ وَتَنْفِيْرُ هُمْ مِنَ الْبَاطِلِ وَالشَّرِّ وَإِخْرَاجُهُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ۔

فَهٰذِهِ الدَّعْوَةُ الْعَظِيْمَةُ حَسْبَ تَعْبِيْرِ إِمَامِ الْغَزَالِي هِىَ **"الْقُطْبُ الْأَعْظَمُ فِي الدِّيْنِ"**

يَقُوْلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عُمَرُ اَلْبَالَنْبُوْرِي رَحِمَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ—أَلدَّعْوَةُ هِيَ

(١) المعجم الاوسط للطبرانى برقم الحديث : ٧٦٦١، عن جابر رض؛ ورواهٗ البيهقى فى شعب الايمان باب فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر برقم الحديث : ٧٥٩٥ ؛ مشكوة المصابيح باب السلام الفصل الاول

جَـوْهَـرَةُ الْقَرْنِ الْاَوَّلِ وَأَصْلُ الدِّيْنِ أَلْدَّعْوَةُ، فَقَدْ جَاءَ بِهَا كُلُّ نَبِيٍّ وَأَصْلُ الْإِسْلَامِ أَلْـدَّعْوَةُ اِلَـى الـلّٰهِ عَـلٰي أَيَّةِ حَـالَةٍ وَبِـالـدَّعْـوَةِ إِلَى اللّٰـهِ وَبِنِيَّةِ نَشْرِالْإِسْلَامِ إِمْتَلَكَ الصَّحَابَةُ اَلْعَالَمَ وَفَتَحُوا الْبُلْدَانَ ۔

وَالْاٰنَ لَوِاهْتَمَّ الْمُسْلِمُوْنَ بِهٰذَا الْعَمَلِ وَجَعَلُوْهُ أَصْلَ الدِّيْنِ وَاجْتَهَدُوْا فِيْهِ وَجَعَلُوْهُ مَقْصَدًا فَإِنَّ اللّٰهَ يَنْصُرُهُمْ كَمَا نَصَرَالصَّحَابَةَ الْاَجِلَّاءَ، وَيَفْتَحُ أَمَامَهُمُ الْعَالَمَ فَإِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ حَيْثُ يَقُوْلُ۔

﴿اَلَّذِيْنَ إِنْ مَّكَّنّٰهُمْ فِي الْاَرْضِ أَقَامُوا الصَّلٰوةَوَأٰتَوُا الزَّكٰوةَ وَأَمَرُوْابِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْاعَنِ الْمُنْكَرِ ۗ﴾[سورة الحج :٤١]إِنْتَهٰى كَلَامُهُ

وَلَـمَّا تَـرَكَتِ الْأُمَّةُ الدَّعْوَةَ وَتَوَانَتْ وَتَكَاسَلَتْ تَقَالَبَ عَلَيْهَا الْاُمَمُ فَسَقَطَتْ فِى حُفْرَةِ الذِّلَّةِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي قِمَّةِ الْعِزَّةِ وَصَارُوْا أَحَطَّ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ كَانُوْا أَشْرَفَ النَّاسِ وَصَارُوْا عَبِيْدًا بَعْدَ أَنْ كَانُوْا أَسْيَادًا وَصَارُوْا تَابِعِيْنَ بَعْدَ أَنْ كَانُوْا ائِمَّةً۔

وَإِذَا نُرَاجِعُ فِى التَّارِيْخِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَجِدُ هُنَاكَ الْانْقِلَابَ بِسَبَبِ تَرْكِ الدَّعْوَةِ نَرٰي فِيْهِ تَغَيُّرَ الْأَحْوَالِ مِثْلَ زَوَالِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أُنْدَلُسْ، وَتَسَلُّطِ الْأَفْرَنْجِ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ ، وسُقُوْطِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِي تُرْكِيَا، وَاقْتِسَامِ دُوَلِ أُوْرُبَّا لِبِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ وَتَسَلُّطِهِمْ عَلَيْهَا وَغَيْرِهَا فَنَجِدُ أَكْبَرَ السَّبَبِ لِهٰذِهِ الْمُدَاوَلَةِ مَعَ أَسْبَابِهَا الْأُخْرٰي أَلتَّوَانِي وَالتَّقَاعُسَ فِى الدَّعْوَةِ وَعَدَمَ التَّمَسُّكِ بِالدِّيْنِ۔

فَـخُلَاصَةُ الْأَمْـرِأَنَّ الـدَّعْوَةَ هِي مُهِمَّةٌ جِدًّاوَتَتَعَلَّقُ بِهَا مَصَالِحُ الْأُمَّهِ الدِّيْنِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ ۔

أَلدَّعْوَةُ هِيَ وَظِيْفَةُ الْأُمَّةِ وَمِيْزَتُهَا

وَلَقَدِ اخْتَارَ اللّٰهُ تَعَالٰي أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لِلْقِيَامِ بِحَمْلِ دَعْوَتِهٖ وَاصْطَفٰهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ بِمِثْلِ قَوْلِهٖ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَجَاهِدُوْافِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهٖ ؕهُوَاجْتَبٰكُمْ وَمَاجَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّيْنِ مِنْ حَرَجٍ ؕمِلَّةَ أَبِيْكُمْ إِبْرٰهِيْمَ ؕهُوَسَمّٰكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ ۙ مِنْ قَبْلُ وَفِيْ هٰذَا لِيَكُوْنَ الرَّسُوْلُ شَهِيْدًاعَلَيْكُمْ وَتَكُوْنُوْا شُهَدَآءَ عَلَي النَّاسِ ۚ﴾[سورة الحج :٧٨]

وَبِمِثْلِ قَوْلِهٖ تَعَالٰي ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ أُمَّةً وَّسَطًالِّتَكُوْنُوْاشُهَدَآءَ عَلَي النَّاسِ﴾[سورة البقره: ١٤٣]

فَاخْتَارَهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ لِلْقِيَامِ بِهٰذِهِ الْمُهِمَّةِ الْكُبْرٰي اَلْعَظِيْمَةِ وَوَصَفَهُمْ بِأَرْقٰى وَأَعْظَمَ وَأَجَلَّ وَصْفٍ يُؤَهِّلُ بِالْقِيَامِ بِمِثْلِ هٰذَا الْعَمَلِ الْمُهِمّ بِالْقِيَامِ بِحَمْلِ أَعْظَمَ دِينٍ وَأَكْمَلَ دِيْنٍ وَاَيْسَرَدِينٍ وَاَجْمَعَ دِيْنٍ اَنْزَلَهُ اللّٰهُ تَعَالٰي عَلَي الْاَرْضِ عَلٰي نَبِيِّهٖ مُحَمَّد ﷺ لِيُدِيْنَ بِهِ الْعِبَادَ جَمِيْعاً اِلٰي أَنْ يَرِثَ اللّٰهُ الْاَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، قَالَ تَعَالٰي

﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَاالنَّاسُ إِنِّى رَسُوْلُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعًا﴾ [سورة الاعراف :١٥٨]

وَوَصَفَهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰي بِأَوْصَافٍ رَاقِيَةٍ يَتَلَاءَمُ مَعَ الْمُهِمَّةِ الْعَظِيْمَةِ الْكُبْرٰي و تَتَنَاسَبُ مَعَهَا، يَقُوْلُ تَعَالٰي ﴿كُنْتُمْ خَيْرَأُمَّةٍأُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِوَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ﴾ [سورة ال عمران:١١٠]

وَيَقُوْلُ تَعَالٰي ﴿وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُوْنَ

بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبه :٧١]

وَإِنَّ اللّٰهَ الَّذِىْ وَصَفَهُمْ بِهٰذِهِ الْأَوْصَافِ أَمَرَهُمْ أَمْرَ إِيُجَابٍ أَمَرَهُمْ بِتَأْصِيْلِ هٰذِهِ الْأُمُوْرِ وَتَوْسِيْخِهَا وَتَقْوِيَتِهَا فِي النُّفُوْسِ وَبِالْعَمَلِ عَلٰي اِسْتِمْرَارِيَتِهَا۔

وَفِي الْحَدِيْثِ الَّذِىْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷛ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لَاتَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُوْنَ عَلٰى أَمْرِاللّٰهِ قَاهِرِيْنَ لِعَدُوِّهِمْ لَايَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلٰى ذٰلِكَ(١)۔

رَضِي اللّٰهُ عَنْ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ الْقَائِلِ(٢)۔

دَعَا الْمُصْطَفٰي دَهْرًا بِمَكَّةَ لَمْ يُجَبْ ... وَقَدْ لَانَ مِنْهُ جَانِبُ وَخِطَابُ

فَلَمَّا دَعَا وَالسَّيْفُ سُلَّتْ بِكَفِّهٖ ... لَهُ أَسْلَمُوْا وَاسْتَسْلَمُوْ وَأَنَابُوْا

فَخَيْرِيَّةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ مَرْتَبِطَةٌ بِمُحَافَظَتِهَا عَلٰى مَا وُصِفَتْ بِهٖ وَبِقِيَامِهَا بِمَا كُلِّفَتْ بِهٖ مِنَ اللّٰهِ، لَا اَنْ تَدَّعِي تِلْكُمُ الْاَوْصَافَ دَعَاوِي وَتَقُوْلُهَا نَظَرِيَّاتٌ– مَعَ الْاَسَفِ–لَا وَاقِعَ لَهَا فِي كَثِيْرٍ مِنْ اَعْمَالِهَا يَقُوْلُ الشَّاعِرُ(٣)۔

لَادَرًّا درُّ امرءٍ يُطْرِي اَوَائِلَهُ فَخْرًا ... وَيُطْرِقُ اِنْ سَأَلْتَهُ مَا هُوَ؟

أَلدَّعْوَةُ مَسْئُوْلِيَّةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى﴿قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْٓ أَدْعُوْٓا إِلَى اللّٰهِ قف عَلٰى بَصِيْرَةٍ أَنَاوَمَنِ

(١) رواه مسلم باب قوله لاتزال طائفة من امتى برقم الحديث :٥٠٦٦؛ صحيح ابن حبان برقم الحديث : ٦٨٣٦

(٢) صهيل الجياد فى شرح كتاب الجهاد من بلوغ المرام للحافظ ابن حجرؒ الجزء ٢٠/١

(٣) موسوعة الشعرالاسلامى الجزء ٧٥٤/١

اتَّبَعَنِيْ ط﴾ [سورة يوسف:١٠٨]

فَهٰذِهِ الْأٰيَةُ وَاضِحَةٌ صَرِيْحَةٌ فِيْ أَنَّ الدَّعْوَةَ مَسْئُوْلِيَّةُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ لَيْسَتْ هِيَ مَسْئُوْلِيَّةُ الْعُلَمَاءِ فَقَطْ۔

يَقُوْلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عُمَرَالْبَالَنْبُوْرِىؒ فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ فِى قَلْبِهٖ مَحَبَّةً لِلّٰهِ وَلِرَسُوْلِهٖ عَلَيْهِ أَنْ يَفْهَمَ أَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِحَمْلِ أَمَانَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ جَلَّ وَعَلَا، وَلِلدَّعْوَةِ جَنَاحَانِ، دُعَاءٌ فِي اللَّيْلِ وَدَعْوَةٌ فِي النَّهَارِ–وَلٰكِنْ تَغَيَّرَتْ عَلَيْنَا اَحْوَالُ الدُّنْيَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا مَاسَيَكُوْنُ حَالُنَا، فَيَقُوْلُ ﷺ إِنَّكُمْ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِكُمْ مَالَمْ تَظْهَرْ فِيْكُمْ سَكْرَتَانِ، سَكْرَةُ الْجَهْلِ وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ وَأَنْتُمْ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُجَاهِدُوْنَ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ فَإِذَا ظَهَرَفِيْكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا فَلَاتَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَاتُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ أَلْقَائِلُوْنَ يَوْمَئِذٍ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَالسَّابِقِيْنَ الْاَوَّلِيْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالْأَنْصَارِ(١) ۔

وَقَالَ ﷺ يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعِي عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعِي الْأَكِلَةُ إِلٰى قَصْعَتِهَا فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟

قَالَ لَابَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيْرٌوَلٰكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللّٰهُ مِنْ صُدُوْرِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللّٰهُ فِي قُلُوْبِكُمُ الْوَهْنَ ، فَقَالَ قَائِلٌ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ وَمَا الْوَهْنُ قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ(٢)۔

فَإِذَا كَانَتِ اللَّيَالِي عَلٰي تَرْتِيْبِ لَيَالِي النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّهَارُ

(١) مسند البزار رقم الحديث :٢٦٣١،عن معاذ بن جبل ص ؛ مجمع الزوائد رقم الحديث:١٢١٥٩؛ حياة الصحابة الجزء ١٨/٤ قال الهيثمى :وفيه الحسن بن بشر وثقه ابوحاتم وغيرهٗ

(٢) رواه ابى داؤد باب فى تداعى الامم برقم الحديث : ٤٢٩٩، الغثاء ـ مايحمله السيل من زبدووسخ؛ مسند احمد بن حنبل برقم الحديث: ٢٢٤٥٠

كَنَهَارِ النَّبِي ﷺ فَهٰكَذَا تَنْزِلُ نُصْرَةُ اللّٰهِ، وَلٰكِنْ إِذَا صَارَتِ الْغَفْلَةُ فِي لَيَالِي الْمُسْلِمِيْنَ فَهُنَا تُرْفَعُ النُّصْرَةُ وَلٰكِنْ نُضَحِّي حَتّٰى نُحِبَّ لِقَاءَ اللّٰهِ فَهٰكَذَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ۔

كَانَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيْدِ قَبْلَ أَنْ يَسِيْرَ إِلَى الْعِرَاقِ كَتَبَ إِلٰى هُرْمُزْ صَاحِبِ ثِغْرِ الْاَبُلَةِ كِتَابَ إِنْذَارٍ يَقُوْلُ فِيْهِ،أَمَّا بَعْدُ فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ أَوِاعْتَقِدْ لِنَفْسِكَ وَقَوْمِكَ الذِّمَّةَ وَأَقْدِرْ بِالْجِزْيَةِ وَإِلَّا فَلَا تَلُوْمَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ فَقَدْ جِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ يُحِبُّوْنَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّوْنَ الْحَيٰوةَ(١)۔

هَلْ تَشْمَلُ الدَّعْوَةُ الْأٰيَاتِ وَالْأَحَادِيْثَ الْوَارِدَةَ فِي الْجِهَادِ؟

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ أَلْآنَ اِنْتَشَرَتِ الدَّعْوَةُ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ وَسَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ إِلٰي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَمَلَأَتْ بَرَكَتُهَا الْآفَاقَ – وَلَارَيْبَ أَنَّ فِي هٰذِهِ الدَّعْوَةِ وَبَذْلِ النَّفْسِ وَالْمَالِ لَهَا أَجْرٌ عَظِيْمٌ –فَلَمَّا يُحَدِّثُ الدُّعَاةُ الْفَضَائِلَ وَالْأُجُوْرَ الَّتِى وَرَدَتْ فِي الْقُرْاٰنِ وَالْحَدِيْثِ لِلْخَارِجِيْنَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَبَعْضُ النَّاسِ يَعْتَرِضُوْنَ عَلٰي أَصْحَابِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيْغِ أَنَّهُمْ يُنْكِرُوْنَ الْجِهَادَ وَيَصْرِفُوْنَ الْاٰيَاتِ وَأَحَادِيْثَ الْجِهَادِ إِلٰي الدَّعْوَةِ۔

فَاللّٰهُ تَعَالٰي يَجْزِي أَحْسَنَ الْجَزَاءِ فَضِيْلَةَ الشَّيْخِ رَفِيْقَ اَمْجَدْ الْقَاسِمِي اَلَّذِى أَجَابَ لَهُمْ بِجَوَابٍ حَسَنٍ وَأَزَالَ شُبُهَاتِهِمْ بِتَالِيْفٍ لَطِيْفٍ اَلْمُسَمّٰي "**أَوَلَيْسَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ إِلَّامَنْ قُتِلَ؟**" أَنَا اُلَخِّصُ مِنْ هٰذَا الْكِتَابِ وَأُجِيْزُهُ كَيْ لَايَكُوْنَ طُوْلٌ مُمِلٌّ، فَيَقُوْلُ الْمُؤَلِّفُ اَلْجِهَادُ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ

(١) ابوبكر الصديق رضي الله عنه شخصية وعصرة ؛ للدكتور على محمد الصلابى الجزء ٥/١٠

عَمَلٌ شَرِيْفٌ مُقَدَّسٌ وَلَهُ طُرُقٌ وَأَنْوَاعٌ سَأُحَدِّثُ عَنْ ذٰلِكَ۔

اَلْمَعْنَي الْحَقِيْقِي لِلْجِهَادِ

أَلْجِهَادُ مَعْنَاهُ بَذْلُ الطَّاقَةِ وَالْجُهْدِ لِنَقْلِ الْإِنْسَانِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ إِلٰى نُوْرِ الْهِدَايَةِ وَالْعِرْفَانِ وَإِنْقَاذُهُ مِنَ الْغَرْقِ فِي مُسْتَنْقَعِ الرَّذِيْلَةِ وَالْفُجُوْرِ۔

قَالَ الرَّاغِبُ رضي الله عنه أَلْجِهَادُ وَالْمُجَاهَدَةُ إِسْتِفْرَاغُ الْوُسْعِ فِي مُدَافَعَةِ الْعَدُوِّ، وَهُوَ ثَلٰثَةُ اَضْرُبٍ، مُجَاهَدَةُ الْعَدُوِّالظَّاهِرِ،وَالشَّيْطَانِ، وَالنَّفْسِ وَتَدْخُلُ الثَّلٰثَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰي﴿**وَجَاهِدُوْا فِي اللّٰهِ حَقَّ جِهَادِهٖ**﴾

[سورة الحج : ٧٨]

وَقَالَ الْإِمَامُ الرَّازِيّ الْجِهَادُ ثَلٰثَةٌ، أَلْأَوَّلُ جِهَادٌ فِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَهُوَ قَهْرُ النَّفْسِ وَمَنْعُهَا مِنَ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالثَّانِي جِهَادٌ فِيْمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ وَهُوَ أَنْ يَدَعَ الطَّمْعَ مِنْهُمْ وَيُشْفِقَ عَلَيْهِمْ وَيَرْحَمَهُمْ، وَالثَّالِثُ جِهَادُ أَعْدَاءِ اللّٰهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ نُصْرَةً لِدِيْنِ اللّٰهِ۔

وَقَالَ الْحَافِظُ فِي فَتْحِ الْبَارِىْ الْجِهَادُ شَرْعاً بَذْلُ الْجُهْدِ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ وَيُطْلَقُ اَيْضاً عَلٰي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْفُسَّاقِ۔

فَأَمَّا مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ فَعَلٰي تَعَلُّمِ اُمُوْرِ الدِّيْنِ ثُمَّ عَلٰى الْعَمَلِ بِهَا ثُمَّ عَلٰى تَعْلِيْمِهَا۔

وَأَمَّا مُجَاهَدَةُ الشَّيْطَانِ فَعَلٰى دَفْعِ مَايَأْتِى مِنَ الشُّبُهَاتِ وَمَايُزَيِّنُهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ۔

وَأَمَّا مُجَاهَدَةُ الْكُفَّارِ فَتَقَعُ بِالْيَدِ وَالْمَالِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ۔

وَأَمَّامُجَاهَدَةُ الْفُسَّاقِ فَبِالْيَدِ ثُمَّ اللِّسَانِ ثُمَّ الْقَلْبِ۔

فَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُلَخِّصَ هٰذِهِ التَّعْبِيْرَاتِ وَسِعَنَا أَنْ نَقُوْلَ أَنَّ الْجِهَادَ لَايَخْتَصُّ بِمُبَاشِرَةِ الْقَتْلِ، وَإِنَّمَا هُوَ كلُّ جُهْدٍ يُبْذَلُ فِى سَبِيْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللّٰهِ وَكَسْرِشَوْكَةِ الْكُفْرِ وَالْكُفَّارِ سَوَاءً كَانَ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ أَوْبِالْمَالِ أَوْبِالْعَمَلِ أَوْبِالْقَلَمِ۔

وَكَذٰلِكَ تُطْلَقُ هٰذِهِ الْكَلِمَةُ عَلٰي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ كَمَا وَرَدَفِى الْحَدِيْثِ۔

اَلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللّٰهِ (١)۔ كَمَا أَنَّهَا تُطْلَقُ عَلَى الْجِهَادِ بِاللِّسَانِ وَالْقَوْلِ قَالَ تَعَالٰى **﴿يٰٓأَيُّهَاالنَّبِيُّ جَاهِدِالْكُفَّارَ وَالْمُنٰفِقِيْنَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾** [سورة التوبة: ٧٣]

فَهٰذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلٰي وُجُوْبِ مُجَاهَدَةِ الْمُنَافِقِيْنَ وَذٰلِكَ غَيْرُجَائِزٍ فَإِنَّ الْمُنَافِقَ هُوَ الَّذِيْ يَسْتُرُكُفْرَهُ وَيُنْكِرُهُ بِلِسَانِهِ، وَمَتٰي كَانَ الْأَمْرُكَذٰلِكَ لَمْ يَجُزْ مَحَارَبَتُه وَمُجَاهَدَتُهُ ۔

وَمِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ ذَكَرَالْعُلَمَاءُ أَقْوَالًا شَتّٰي فِي تَفْسِيْرِهٰذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيْمَةِ۔

وَالْقَوْلُ الصَّحِيْحُ مِنْهَا أَنَّ الْجِهَادَ عِبَارَةٌ عَنْ بَذْلِ الْجُهْدِ، وَلَيْسَ فِي اَللَّفظِ مَا يَدُلُّ عَلٰى أَنَّ ذٰلِكَ الْجِهَادَ بِالسَّيْفِ أَوْ بِاللِّسَانِ أَوْبِطَرِيْقٍ آخَرَ۔

وَإِنَّ الْآيَةَ تَدُلُّ عَلٰي وُجُوْبِ الْجِهَادِ مَعَ الْفَرِيْقَيْنِ– أَيِ الْكُفَّارِ

(١) رواهُ الحاكم فى المستدرك ، كتاب الايمان برقم :٢٤؛ والترمذى فى سننه ، باب فضل من مات مرابطا برقم :١٦٢١، وقال حديث حسن صحيح والبيهقى فى شعب الايمان برقم :١١٢٣، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه

وَالْمُنَافِقِيْنَ–فَأَمَّا كَيْفِيَّةُ تِلْكَ الْمُجَاهِدَةِ فَلَفْظُ الْآيَةِلَايَدُلُّ عَلَيْهَا بَلْ إِنَّمَا يُعْرَفُ مِنْ دَلِيْلٍ آخَرَ۔

فَقَدْ رُوِىَ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالٰي (جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِيْنَ) قَالَ فَأَمَرَهُ بِجِهَادِ الْمُنَافِقِيْنَ بِاللِّسَانِ، وَقَالَ الضَّحَاكُ فِي هٰذِهِ الْآيَةِ جَاهِدِ الْمُنَافِقِيْنَ بِالْقَوْلِ، وَرُوِيَ عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ وَالرَّبِيْعِ بْنِ اَنَسٍ مِثْلَهُ، هٰذَا مُلَخَّصُ مَافِي التَّفْسِيْرِ الْكَبِيْرِ(١)۔

وَقَدْ ظَهَرَبِذٰلِكَ أَنَّ الْمَفْهُوْمَ الصَّحِيْحَ لِلْجِهَادِ أَنْ تَبْذُلَ قُصَارٰي جُهْدِكَ لِإِنْقَاذِ الْعَالَمِ مِمَّا وَقَعُوْا فِيْهِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَالْمَفَاسِدِ الْخُلُقِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ۔

غَرْقُ الْبَشَرِيَّةِ فِي مُسْتَنْقَعِ الرَّذِيْلَةِ

وَإِنَّ مِنَ الْجَرِيْمَةِ أَنْ يَتْرُكَ الْمُسْلِمُوْنَ النَّاسَ يَغْرَقُوْنَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْكُفْرِوَالشَّهَوَاتِ وَلَا يُنْقِذُوْنَهُمْ مِنْ هٰذَا الرِّجْسِ وَالدَّنَسِ وَإِنْ كُنْتَ سَبَّاحًامَاهِرًا تَتَّقِنُ السَّبَاحَةَ وَرَئَيْتَ إِنْسَاناً يَغْرُقُ فِي النَّهْرِ وَيَسْتَغِيْثُ بِمَنْ يُنْقِذُهُ وتَرَكْتَهُ دُون إِنْقَاذٍ إِلَّاتَكُوْنُ قَدِ ارْتَكَبْتَ جِنَايَةً يُؤَاخِذُكَ عَلَيْهَا اَلضَّمِيْرُ وَالدِّيْنُ۔

وَهٰكَذَا شَأْنُ الْمُسْلِمِيْنَ مَعَ الْأُمَمِ، إِبْتَعَثَهُمُ اللّٰهُ تَعَالٰي وَاخْتَارَهُمْ لِإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ فَإِذَا تَرَكُوْا وَاجِبَهُمْ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ فَقَدْ خَانُوا الْأَمَانَةَ وَتَرَكُوْا وِسَامَ الْعِزِّوَ الْفِخَارِالَّذِيْ إِمْتَازُوْا بِهِ عَلي سَائِرِ الْأُمَمِ، أَنَّهُمْ حَمَلَةُ رِسَالَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ سَامِيَةٍ هِيَ هِدَايَةُ النَّاسِ وَإِخْرَاجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ

(١) تفسير الرازى ؛سورة التوبة الجزء ١٦/١٠٧

وَالشِّقَاءِ كَمَا وَضَّحَ تَعَالي ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿كِتٰبٌ أَنْزَلْنٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّوْرِ ۙ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلٰى صِرَاطِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ﴾ [سورة الابراهيم:١]

طُرُقُ الْجِهَادِ وَأَنْوَاعُهُ السَّامِيَةُ

هٰذَا الْجِهَادُ الْمُبَارَكُ الْمُقَدَّسُ إِحْدٰى وَسَائِلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيَخْتَلِفُ عَنِ الْحُرُوْبِ الْبَرْبَرِيَّةِ الَّتِي تَشُنُّهَا الدُّوَلُ الطَّاغِيَةُ لِإِظْهَارِ عَظْمَتِهَا وجَبُرُوْتِهَا واسْتِنْزَافِ خَيْرَاتِ الْبِلَادِ۔

اَمَّا الْجِهَادُ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ عَمَلٌ شَرِيْفٌ مُقَدَّسٌ وَلَهُ طُرُقٌ وَأَنْوَاعٌ تَسْمُوْبِهِ إِلٰى اُفُقٍ مَشْرِقٍ مَضٰى لِخَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَإِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ۔

هُنَاكَ جِهَادُ الدَّعْوَةِ وَجِهَادُ الْمَالِ، وَجِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ السَّيْفِ وَالسَّلَاحِ وَجِهَادُ الْقَلَمِ، وَسَيُحَدَّثُ عَنْ أَهَمِّ الْأَنْوَاعِ مِنْهَا بِشَيءٍ مِنَ الْإِيجَازِ۔

وَهُوَ الْجِهَادُ بِالدَّعْوَةِ وَالْجِهَادُ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ

أَلْجِهَادُ بِالدَّعْوَةِ

فَهُوَ الْأَسَاسُ فِي الْجِهَادِ الْإِسْلَامِي وَالْأَصْلُ فِيهِ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ إِلٰى جَمِيْعِ الْخَلْقِ۔ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا﴾ [سورة السبا:٢٨]

وَلَيْسَ بَعْدَهٗ رَسُوْلٌ
فَمَنْ يُوْصِلُ دَعْوَتَهُ إِلَى الْخَلْقِ؟
وَمَنْ يَقُوْمُ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ عَنْهُ؟

إِنَّهُمْ أُمَّتُهُ ﷺ كَلَّفَهُمُ اللّٰهُ بِهٰذِهِ الْمُهِمَّةِ السَّامِيَةِ بِقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاءُهٗ۔

﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؕ وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ [سورة ال عمران:١٠٤]

وَقَدْ وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ اَتْبَاعَهُ إِلَى الْقِيَامِ بِهٰذِهِ الْمُهِمَّةِ الْعَظِيْمَةِ۔

فَقَالَ ﷺ (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْاٰيَةً)(١)

وَالْجِهَادُ بِالدَّعْوَةِ لَيْسَ لَهُ هَدَفٌ إِلَّاهِدَايَةُ النَّاسِ وَاِنْقَاذُهُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الشَّقَاءِ وَالضَّلَالَةِ(٢)۔

وَالدَّعْوَةُ يَجِبُ أَنْ تَكُوْنَ بِالْأُسْلُوْبِ الرَّقِيْقِ اللَّطِيْفِ الَّذِيْ يَنْفُذُ إِلى الْقَلْبِ وتَتَقَبَّلُهُ النَّفْسُ بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ ﴿أُدْعُ إِلٰى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ ؕ﴾ سورة النحل:١٢٥

وَقَالَ ﷺ لِأَصْحَابِهِ ذَاتَ مَرَّةٍ دَاعِيًا لَهُمْ إِلَى الرِّفْقِ واللِّيْنِ (إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِيْنَ وَلَمْ تُبْعَثُوْا مُعَسِّرِيْنَ وَفِي حَدِيْثِ اَبِيْ مُوْسٰى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ اِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيْ بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ لَهُمْ، بَشِّرُوْا وَلَاتُنَفِّرُوْا وَيَسِّرُوْا وَلَاتُعَسِّرُوْا(٣)۔

وَقَالَ النَّوَوِي فِي هٰذَا الْحَدِيْثِ الْأَمْرُبِالتَّبْشِيْرِ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَعَظِيْمِ ثَوَابِهِ وَجَزِيْلِ عَطَاءِهِ وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَالنَّهْىُ عَنِ التَّنْفِيْرِ بِذِكْرِ التَّخْوِيْفِ

(١) رواهٗ البخارى فى الجامع الصحيح ، باب ماذكر عن بنى اسرائيل برقم :٣٢٧٤؛ والترمذى باب الحديث عن بنى اسرائيل برقم :٢٦٦٩؛ وقال هذا حديث صحيح من حديث عبدالله بن عمروؓ

(٢) اخرجه البخارى باب صب الماء على البول برقم ٢٢٠ ؛ والترمذى باب البول يصيب الارض برقم:١٤٧؛ والنسائى فى سننه باب التوقيت فى الماء برقم :٢٣٠؛ من حديث ابى هريرةؓ

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب العلم باب ماكان النبى ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم برقم:٦٩؛ومسلم فى الجهاد والسير باب فى الامر بالتيسير وترك التنفير برقم :٤٢٢٦، من حديث انس رضي الله عنه

وَأَنْوَاعِ الْوَعِيْدِ مَحْضَةً مِنْ غَيْرِ ضَمِّهَا إِلَى التَّبْشِيْرِ فَدِيْنُنَا دِيْنُ يُسْرٍ وَسُهُوْلَةٍ، دِيْنُ دَعْوَةٍ وَرِسَالَةٍ دِيْنُ رَحْمَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَلِذٰلِكَ دَخَلَ إِلَى الْقُلُوْبِ وَتَعْشَقُهُ الْأَرْوَاحُ وَافْتَدَتْهُ الْمُهَجُ وَالنُّفُوْسُ۔

اَلْجِهَادُ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ

وَأَخِيْراً إِذَا لَمْ تَنْفَعِ الدَّعْوَةُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَلَمْ يُثْمِرِ الْجِهَادُ، بِالْقَلَمِ وَالْمُنَاظَرَةِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ فَلَا بُدَّمِنْ اِسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ لِقَهْرِ الْبَاطِلِ وَافْتِلَاعِ جُذُوْرِهِ وَذٰلِكَ بِاسْتِعْمَالِ السَّيْفِ وَالسِّلَاحِ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ

﴿فَإِذَاانسَلَخَ الْاَشْهُرُالْحُرُمُ فَاقْتُلُواالْمُشْرِكِيْنَ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوْهُمْ وَخُذُوْهُمْ وَاحْصُرُوْهُمْ وَاقْعُدُوْالَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ج فَاِنْ تَابُوْاوَأَقَامُواالصَّلٰوةَ وَاٰتَوُاالزَّكٰوةَ فَخَلُّوْاسَبِيْلَهُمْ ط اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌرَّحِيْمٌ﴾[سورة التوبة :٥]

وَهٰذَا النَّوْعُ مِنَ الْجِهَادِ لَمْ يُشْرَعْ لِإِكْرَاهِ النَّاسِ عَلٰى قَبُوْلِ الإِسْلَامِ وَلٰكِنَّهُ إِنَّمَا شُرِعَ لِفَتْحِ طَرِيْقِ الْهِدَايَةِ لِلنَّاسِ وَلِإِقَامَةِ حُكْمِ اللّٰهِ فِي الْأَرْضِ وَلِكَسْرِ شَوْكَةِ الْكُفْرِوَالْكُفَّارِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِى التَّارِيْخِ أَقْوٰى سَبَبٍ لِشُيُوْعِ الظُّلْمِ وَالْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ، وَأَكْثَرُمَانِعٍ عَنْ قَبُوْلِ الْحَقِّ وَالْإِصْغَاءِ إِلَى الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ۔

صَفْوَةُ الْكَلَامِ

وَقَدْ ظَهَرَبِذٰلِكَ أَنَّ الْجِهَادُ لَايَخْتَصُّ بِمُبَاشَرَةِ الْقَتْلِ وَإِنَّمَا هُوَ كُلُّ جُهْدٍ يُبْذَلُ فِي سَبِيْلِ إِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللّٰهِ سَوَاءً كَانَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ أَوْبِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ أَوْبِالْمَالِ أَوْبِالْعَمَلِ أَوْبِالْقَلَمِ–كَمَا زَالَتْ بِذٰلِكَ الشُّبُهَاتُ الَّتِي عُلِّقَتْ بِمَفْهُوْمِ" الْجِهَادِ الْإِسْلَامِي" فَإِذَا ثَبَتَ هٰذَا فَنَقُوْلُ

أَنَّ الْفَضَائِلَ وَالْأُجُوْرَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فِي النُّصُوْصِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيْثِ النَّبُوِيَّةِ هِيَ عَامَّةٌ تَشْمَلُ الْمُجَاهَدَةَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى دِيْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَطَاعَتِهِ–كَمَا أَنَّهَا تَشْمَلُ مُجَاهَدَةَ الْكُفَّارِ بِالْيَدِ وَالْمَالِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ۔

أَلْمَعْنَى الْحَقِيْقِي لِ"سَبِيْلِ اللّٰهِ"

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُوْنَ عَلٰى أَصْحَابِ الدَّعْوَةِ–الَّذِيْنَ قَيَّدُوْا الْجِهَادَ بِلَامُقَيِّدٍ وخَصَّصُوْهُ بلا مُخَصِّصٍ– أَنَّ "سَبِيْلَ اللّٰهِ" أَيْضاً مُخْتَصٌّ بِالْقِتَالِ فِي عُرْفِ الْقُرْاٰنِ وَالسُّنَّةِ ۔

وَهٰذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ مِنهُمْ قَوْلٌ مُبْتَدَعٌ لَا اَصْلَ لَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلَا عَهْدَ بِهِ فِي التَّارِيْخِ وَلَا سَنَدَلَهُ فِي الْفِقْهِ الْإِسْلَامِي طِوَالَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا۔

لِأَنَّ "سَبِيْلَ اللّٰهِ" مَعْنَاهُ فِي الْحَقِيْقَةِ كُلُّ سَبِيْلٍ يُطْلَبُ فِيْهِ رَضَا اللّٰهِ، لِأَنَّ السَّبِيْلَ اِسْمُ جِنْسٍ مُضَافٍ فَيُفِيْدُ الْعُمُوْمَ–فَيَتَنَاوَلُ الْقِتَالَ، وَالدَّعْوَةَ وَطَلَبَ الْعِلْمِ وَحُضُوْرَ الْجَمَاعَةِ وَالْحَجَّ وَغَيْرَذٰلِكَ۔

وَقَدْ بَيَّنَ كَثِيْرٌمِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ قَصْرَ"سَبِيْلِ اللّٰهِ" عَلٰى غَزْوِالْكُفَّارِ الْمُعْتَدِيْنَ مِنْ بَابِ قَصْرِ الْعَامَ عَلٰى اَهَمِّ اَفْرَادِهِ فَسَبِيْلُ اللّٰهِ يَعُمُّ سَائِرَ الطُّرُقِ لِإِحْيَاءِ الدِّيْنِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الْأَحَادِيْثُ الصَّحِيْحَةُ الصَّرِيْحَةُ، وَاٰثَارُ الصَّحَابَةِ وَأَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ الْقُدَمَاءِ مِنَ الْمُحَدِّثِيْنَ وَالْمُفَسِّرِيْنَ وَالْفُقَهَاءِ۔

وَقَدْ رَدَّ الشَّيْخُ الْمُؤَلِّفُ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ فِي صَفْحَاتٍ مُفَصَّلاً فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَنْ يُرِدُ أَنْ يَسْتَفِيْدَ فَلْيُرَاجِعْ–اِلٰى مُؤَلَّفِهِ "اَوَلَيْسَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ إِلَّامَنْ قُتِلَ؟ "(١)

---

(١) مقتبس من الكتاب "اوليس فى سبيل الله الامن قتل للشيخ رفيق امجد الهندى ص٤٣

لِمَاذَااقْتَصَرَ الْمُحَدِّثُوْنَ أَحَادِيْثَ فَضَائِلِ الْجِهَادِ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ فَقَطْ

فَإِنْ قِيلَ إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ إِنْ كَانَ عامًّا فَلِمَاذَا اَخْرَجَ الْمُحَدِّثُوْنَ الْأَحَادِيْثَ الَّتِى وَرَدَتْ فِي فَضَائِلِ الْجِهادِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ فَحَسْبُ؟

اَلْجَوَابُ أَنَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةَ لَمْ تَسْتَوْفِ لِشُرُوْطِ الْقَبُوْلِ وَعَنَاصِرِ الْاِسْتِمَاعِ لِأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي الْحَدِيْثِ الْإِمَامَ الْبُخَارِيَّ أَخْرَجَ فِي صَحِيْحِهِ فِي كِتَابِ الْجُمُعَةِ بَابُ " فَضْلِ الْمَشْيِ إِلَى الْجُمُعَة " وَالْإِمَامُ الْبُيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرٰى فِي كِتَابِ الْجُمُعَةِ " بَابُ فَضْلِ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلٰوةِ" وَالْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ فِي كِتَابِ الْجُمُعَةِ "التَّرْغِيْبُ فِي صَلٰوةِ الْجُمُعَةِ وَالسَّعْيُ إِلَيْهَا" قَوْلَهُ ﷺ (مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ حَرَّمَهُ اللّٰهُ عَلَى النَّارِ) (١)

صَرِيْحٌ عَلٰى أَنَّ هٰذَ اللَّفْظَ كَانَ عَامًّا عِنْدَ الْإِمَامِ الْبُخَارِي وَالْبُيْهَقِي وَالْمُنْذِرِي وَلِذَا حَمَلُوهُ عَلٰى فَضْلِ الْمَشْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ أَوِالصَّلٰوةِ۔

وَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ اَلشَّيْخُ رَشِيْدَ اَحمَدَ اَلْكَنْكُوهِي وَإِمَامُ الْعَصْرِ اَلْكَشْمِيْرِي مَا مُلَخَّصُهُ أَنَّ الْمُحَدِّثِيْنَ قَدْ أَخْرَجُوْا نَحْوَ هٰذِهِ الْأَحَادِيْثِ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ لِشُيُوْعِ هٰذَا اللَّفْظِ فِي الْجِهَادِ اَوْ لِكَوْنِهِ سَبِيْلًا مِنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَفَرْدًا مِنْ أَفْرَادِهِ اِنْتَهٰى كَلَامُهُ (٢)۔

(١) وقد سبق التخريج من قبل ص٣٤، حاشية /٤

(٢) مقتبس من الكتاب "اوليس فى سبيل الله الامن قتل ص٤٤

أَلْبَابُ الثَّالِثُ :نُبْذَةٌ مِنْ سِيْرَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ

اَوَّلُ وَحِيْ نَزَلَ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللّٰهُ عَنهَا أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَابُدِئَ بِهِ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ اَلرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَايَرٰى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَ تْ بِهِ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُوُ بِغَارِ حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِي(اَيْ يَتَعَبَّدُ) ذَوَاتَ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلٰى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذٰلِكَ ثُمَّ يَرْجِعَ إِلٰى خَدِيْجَةَ رَضِي اللّٰهُ عَنهَا فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتّٰى جَاءَ هُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَ هُ الْمَلَكُ، فَقَالَ اِقْرَأْ، فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي ثُمَّ أَرْسَلَنِي ثَلٰثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۚ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۚ﴾** [كَانَ نُزُوْلُ الْآيَاتِ إِلٰى قَوْلِهِ تَعَالٰى "عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ"] فَرَجَعَ بِهَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلٰى خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ فَقَالَ زَمِّلُوْنِي، زَمِّلُوْنِي، فَزَمَّلُوْهُ حَتّٰى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيْجَةَ رَضِي اللّٰهُ عَنهَا مَالِي، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، لَقَدْ خَشِيْتُ عَلٰى نَفْسِيْ، فَقَالَتَ خَدِيْجَةُ ، كَلَّا وَاللّٰهِ مَا يُخْزِيْكَ اللّٰهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُوْمَ، وَتُقْرِئُ الضَّيْفَ، وَتُعِيْنُ عَلٰى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيْجَةُ حَتّٰى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بْنِ اَسَدٍ ابْنِ عَمِّ خَدِيْجَةَ —وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ— وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبَرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيْلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَاشَاءَ اللّٰهُ

أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ – فَقَالَتْ لَهُ خَدِيْجَةُ، يَا ابْنَ عَمٍّ، اِسْمَعْ مِنْ اِبْنِ أَخِيْكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ، يَاابْنَ أَخِيْ مَاذَاتَرٰى؟ فَاَخْبَرَهٗ رسولُ اللّٰهِ ﷺ خَبَرَمَارَأٰى فَقَالَ له وَرَقَةُ هٰذَا النَّامُوْسُ الَّذِىْ نَزَّلَهُ اللّٰهُ عَلٰى مُوْسٰى يَالَيْتَنِي فِيْهَا جَزِعًا، لَيْتَنِي اَكُوْنَ حَيًّا إِذْيُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ نَعَمْ، وَلَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَاجِئْتَ بِهِ اِلَّا عُوْدِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِى يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَالْوَحْيُ(١)۔

بَعْدَ الْفَتْرَةِ نَزَلَ الْوَحْىُ مَرَّةً ثَانِيَةً

بَعْدَ الْوَحْيِ الْأَوَّلِ فَتَرَالْوَحْيُ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ أَيَّامًا وَكَمْ مُدَّةَ فَتَرَالْوَحْيُ؟ فَفِيْهِ الرِّوَايَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالرَّاجِحُ مِنْهَا مَارَوٰى اِبْنُ سَعْدٍ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَيَّامًا وَلَيْسَتِ الْفَتْرَةُ ثَلٰثَ سِنِيْنَ اَوْسَنَتَيْنِ كَمَا اشْتُهِرَ۔

وَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَحْزُنُ حُزْنًا شَدِيْدًا حَتّٰى يَكَادُ اَنْ يَتَرَدّٰى مِنْ رُؤُوْسِ شَوَاحِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفٰى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَىْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ يُبْدِي لَهُ جِبْرِيْلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُوْلُ اللّٰهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذٰلِكَ جَأْشُهٗ وَتَقِرُّنَفْسُهُ(٢)۔

(١) اخرجه البخارى ، باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله ﷺ برقم :٣، من حديث عائشة رضى الله عنها۔ راجع للتفصيل الرحيق المختوم مطبوع دارالمنار القاهره ص ٥٠، والسيرة النبوية لابن هشام

(٢) اخرجه البخارى فى كتاب التعبير ، باب اول مابدئ به رسول الله ﷺ برقم : ٦٩٨٢، من حديث عائشةرضى الله عنها

وَقَالَ اِبْنُ حَجَرٍ وَكَانَ ذٰلِكَ أي اِنْقِطَاعُ الْوَحْيِ أَيَّامًا لِيَذْهَبَ مَاكَانَ ﷺ وَجَدَهٗ مِنَ الرَّوْعِ وَلِيَحْصُلَ لَهُ التَّشَوُّقُ إِلَى الْعَوْدِ(١)

فَلَمَّا تَقَلَّصَتْ ظِلَالُ الْحَيْرَةِ وَثَبَتَتْ أَعْلَامُ الْحَقِيْقَةِ، وَعَرَفَ ﷺ مَعْرِفَةَ الْيَقِيْنِ أَنَّهُ أَضْحٰى نَبِيًّا لِلّٰهِ الْكَبِيْرِ الْمُتَعَال وَأَنَّ مَا جَاءَهٗ سَفِيْرُالْوَحْيِ يَنْقُلُ اِلَيْهِ خَبَرَالسَّمَاءِ، وَصَارَ تَشَوُّقُهٗ وَارْتِقَابُهٗ لِمَجِئِ الْوَحْيِ سَبَبًا فِى ثَبَاتِهِ وَاِحْتِمَالِهِ عِنْدَ مَايَعُوْدُ، وَجَاءَهٗ جِبْرِيْلُ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ۔

رَوٰى الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِبْنِ عَبْدِ اللّٰهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِى سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِيْ قِبَلَ السَّمَاءِ فَاِذَا الْمَلَكُ الَّذِيْ جَاءَنِيْ بِحِرَاءَ قَاعِدٌ عَلٰى كُرْسِيّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْض، فَجَثَثْتُ مِنْهُ حَتّٰى هَوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ اَهْلِى فَقُلْتُ زَمِّلُوْنِي، زَمِّلُوْنِي، فَزَمَّلُوْنِي فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالٰى۔

﴿يٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ثُمَّ حَمِى الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ(٢)

أَمْرُ الْقِيَامِ بِالدَّعْوَةِ إِلٰى اللّٰهِ

كُلِّفَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَوَامِرَ عَدِيْدَةٍ فِى قَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿يٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنْذِرُ الى آخره﴾ خَاطَبَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى حَبِيْبَهٗ بِهَيْئَتِهِ الَّتِي كَانَ فِيْهَا، وَهُوَ مُغَطِّيًا رِدَاءَهٗ فَقَالَ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ– خِطَابَ الْمَحَبَّةِ، كَأَنَّهُ قَالَ، يَاحَبِيْبِىْ ! مَالَكَ وَالْفِرَاشِ الدَّافِئَ! وَالْعَيْشِ الْهَادِئَ! إِنَّ الَّذِىْ يَعِيْشُ لِنَفْسِهِ قَدْ يَعِيْشُ مُسْتَرِيْحًا– أَمَّا أَنْتَ الَّذِى تَحْمِلُ هٰذِهِ الْعَبَأَ الْكَبِيْرَ

(١) فتح البارى لابن حجر الجزء ٤/١، باب بدأ الوحى

(٢) ا خرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم :٣٢٣٨، من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه

فَمَالَكَ وَالنَّوْمِ! فَمَالَكَ وَالرَّاحَةِ! فَمَالَكَ وَالْمَتَاعِ الْمُرِيحِ! قُمْ لِلْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِىْ يَنْتَظِرُكَ وَالْعَبْأِ الثَّقِيلُ اَلْمُهَيَّأُ لَكَ قُمْ لِلْجُهْدِ وَالنَّصَبِ ، وَالْكَدِّ وَالتَّعَبِ! قُمْ قَدْ مَضٰى وَقْتُ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ قُمْ فَتَهَيَّأْ لِهٰذَا الْأَمْرِ وَاسْتَعِدَّ۔

مَازَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ قَائِمًا مُنْذُ الْيَوْمِ وَلَمْ يَسْتَرِحْ

قَالَ تَعَالٰى "قُمْ" يَاحَبِيْبِىْ! إِنَّ هٰذِهِ لَكَلِمَةٌ عَظِيْمَةٌ رَهِيْبَةٌ تَنْزِعُهُ ﷺ مِنْ دَفْءِ الْفِرَاشِ فِي الْبَيْتِ الْهَادِئِ وَالْحِضْنِ الدَّافِئِ۔

قَامَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ بِأَمْرِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى وَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا بَعْدَ هَا أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِيْنَ سَنَةً وَلَمْ يَسْتَرِحْ وَلَمْ يَسْكُنْ وَلَمْ يَعِشْ لِنَفْسِهِ وَلَا لِأَهْلِهِ، قَامَ وَظَلَّ قَائِمًا عَلٰى دَعْوَةِ اللّٰهِ، يَحْمِلُ عَلٰى عَاتِقِهِ اَلْعَبْأَ الثَّقِيْلَ الْبَاهِظَ وَلَايَنُوْءُ بِهِ عَبْأَ الْأَمَانَةِ الْكُبْرٰى فِي هٰذِهِ الْاَرْضِ عَبْأَ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا، لَايُلْهِيْهِ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ فِى خِلَالِ هٰذَا الْأَمَدِ مُنْذُ أَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ الْعَلَوِىَّ الْجَلِيْلَ وَتَلَقّٰى مِنْهُ التَّكْلِيْفَ الرَّهِيْبَ، جَزَاهُ اللّٰهُ عَنَّا وَعَنِ الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا خَيْرَالْجَزَاءِ(١)۔

بِدَايَةُ دَعْوَتِهِ ﷺ

وَلَمَّا دَعَا ﷺ إِلَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ اِسْتَجَابَ لَهُ عِبَادُاللّٰهِ مِنْ كُلِّ قَبِيْلَةٍ، فَكَانَ حَائِزُ قَصَبِ سَبْقِهِمْ صِدِّيْقُ الْأُمَّةِ وَأَسْبَقُهَا إِلَى الْإِسْلَامِ أَبُوبَكْرٍ— ﵁ — فَأَزَرَهُ فِي دِيْنِ اللّٰهِ وَدَعَا مَعَهُ إِلَى اللّٰهِ عَلٰى بَصِيْرَةٍ فَاسْتَجَابَ لِأَبِي بَكْرٍ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدُ اللّٰهِ وَسَعْدُبْنُ أَبِي وَقَاصٍ۔

(١) فى ظلال القران تفسير سورتى المزمل والمدثر الجزء ٣٧٦/٧

وَبَادَرَ إِلَى الْاِسْتِجَابَةِ لَهُ ﷺ صِدِّيْقَةُ النِّسَاءِ خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍوَقَامَتْ بِأَعْبَاءِ الصِّدِّيْقِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: "لَقَدْ خَشِيْتُ عَلٰى نَفْسِي" فَقَالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ فَوَاللّٰهِ لَا يُخْزِيْكَ اللّٰهُ أَبَدًا ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ عَلٰى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَا يُخْزِي أَبَدًا فَعَلِمَتْ بِكَمَالِ عَقْلِهَا وَفِطْرَتِهَا أَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ وَالشِّيَمَ الشَّرِيْفَةَ تُنَاسِبُ أَشْكَالَهَا مِنْ كَرَامَةِ اللّٰهِ وَتَأْيِيْدِهِ وَإِحْسَانِهِ وَلَا تُنَاسِبُ الْخِزْيَ وَالْخِذْلَانَ وَإِنَّمَا يُنَاسِبُهُ أَضْدَادُهَا، فَمَنْ رَكَّبَهُ اللّٰهُ عَلٰى أَحْسَنِ الصِّفَاتِ وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيْقُ بِهِ كَرَامَتُهُ وَإِتْمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَمَنْ رَكَّبَهُ عَلٰى أَقْبَحِ الصِّفَاتِ وَأَسْوَاءِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيْقُ بِهِ مَا يُنَاسِبُهَا، وَبِهٰذَا الْعَقْلِ وَالصِّدِّيْقِيَّةِ اسْتَحَقَّتْ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهَا رَبُّهَا بِالسَّلَامِ مِنْهُ مَعَ رَسُوْلَيْهِ جِبْرِيْلَ وَمُحَمَّدٍﷺ (١)۔

اَلَّذِيْنَ سَبَقُوْالِاسْتِجَابَتِهِ ﷺ

وَبَادَرَ إِلَى الْإِسْلَامِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ— ﵁ —وَكَانَ اِبْنُ ثَمَانِ سِنِيْنَ—وَقِيْلَ مِنْ أَكْثَرَ ذٰلِكَ، وَكَانَ فِي كَفَالَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ أَخَذَهُ مِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِعَانَةً لَهُ فِي سَنَةِ مَحَلٍّ۔

وَبَادَرَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حِبُّ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ؛ وَكَانَ غُلَامًا لِخَدِيْجَةَ فَوَهَبَتْهُ لِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ لَمَّا تَزَوَّجَهَا وَقَدِمَ أَبُوْهُ وَعَمُّهُ فِي فِدَائِهِ، فَسَأَلَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقِيْلَ : هُوَ فِى الْمَسْجِدِ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَقَالَا: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بْنَ هَاشِمٍ يَا بْنَ سَيِّدِ قَوْمِهِ أَنْتُمْ أَهْلُ حَرَمِ اللّٰهِ وَجِيْرَانُهُ

(١) أخرجه البخاري (٣٨١٧/٧)، عن عائشة ﵂

تَفُكُّونَ الْعَانِي وَتُطعِمُونَ الْأَسِيرَ جِئْنَاكَ فِي ابْنِنا عِندَكَ، فَامْنُنْ عَلَيْنَا وَأَحسِنْ إِلَيْنَا فِي فِدَائِهِ قَالَ:" وَمَنْ هُوَ" قَالُوا: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ:"فهلا غيرذلك" قالوا:ماهو ؟ قال: "أَدْعُوهُ فَأُخَيِّرُهُ فَإِنْ اخْتَارَكُمْ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِنْ اخْتَارَنِي فَوَاللّٰهِ مَاأَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلٰى مَنْ اخْتَارَنِي أَحداً" قَالَا: قَدْ رَدَدْتَنَا عَلَى النِّصفِ وَأَحْسَنْتَ فَدَعَاهُ فَقَالَ:"هَلْ تَعرِفُ هٰؤُلَاءِ" قَالَ: نَعَمْ قَالَ:" مَنْ هٰذَا " قَالَ: هٰذَا أَبِي وَهٰذَا عَمِّي قَالَ:" فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمتَ وَرَأَيتَ وَعَرَفْتَ صُحْبَتِي لَكَ فَاخْتَرْنِي أَوِاخْتَرْهُمَا " قَالَ: مَاأَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيْكَ أَحَدًا أَنتَ مِنِّي مَكَانَ الْأَبِ وَالْعَمِّ فَقَالَا: وَيْحَكَ يَازَيْدُ أَتَختَارُالْعُبُودِيَّةَ عَلَى الْحُرِّيَّةِ وَعَلٰى أَبِيكَ وَعَمِّكَ وَعَلٰى أَهلِ بَيْتِكَ؟! قَالَ: نَعَمْ قَدْ رَأَيْتُ مِنْ هٰذَا الرَّجُلِ شَيْئًا مَا أَنَا بِالَّذِي أَخْتَارُ عَلَيهِ أَحَدًا أَبَدًا فَلَمَّارَأٰى رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيهِ ذٰلِكَ أَخْرَجَهُ إِلَى الْحَجرِ فَقَالَ:" أُشهِدُكُمْ أَنَّ زَيْدًا ابْنِي يَرِثُنِي وَأَرِثُهُ" فَلَمَّا رَأٰى ذٰلِكَ أَبُوهُ وَعَمُّهُ طَابَتْ نُفُوسُهُمَا فَانصَرَفَا، وَدُعِيَ زَيْدُابْنُ مُحَمَّدٍ حَتّٰى جَاءَ اللّٰه بِالْإِسْلَامِ فَنَزَلَتْ:"ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) الأحزاب ٥) فَدُعِيَ مِنْ يَوْمَئِذٍ زَيْدُ بْنِ حَارِثَةَ(١)۔

اوَامِرُ عَدِيْدَةٌ فِي سُوْرَةِ الْمُدَثِّرِ

كُلِّفَ النَّبِيُّ ﷺ بِاَوَامِرَ عَدِيدَةٍ فِي سُورَةِ الْمُدَثِّرِ فَهٰذِهِ الْاَوَامِرُ بَسِيطَةٌ سَاذِجَةٌ فِي الظَّاهِرِ، وَلٰكِنَّهَا بَعِيدَةُ الْمَدٰى وَالْغَايَةِ، قَوِيَّةُ الْأَثَرِ وَالْفِعْلِ فِي الْحَقِيقَةِ وَنَفْسِ الْاَمْرِ وَهِيَ شَدِيدَةٌ وَفَخِيمَةٌ فِى الْعَمَلِ۔

اَلْاَوَّلُ الْقِيَامُ بِالدَّعْوَةِ

اَلْاَمْرُالْاَوَّلُ فِي سُورَةِ الْمُدَثِّرِ "قُمْ " أُمِرَبِالْقِيَامِ ،قُمْ، وَتَحَرَّكْ لَاتَقْعُدْ

(١) أخرجه أحمد فى مسنده (٧٧/٢) والبخارى(٤٧٨٢/٨) ومسلم(٢٤٢٥/٤

وَلَاتَسْكُنْ وَلَاتَسْتَرِحْ بَلْ قُمْ لِلْجُهْدِ ، وَالتَّعَبِ، وَالْكَدِّوَالنَّصَبِ، فَقَامَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَمَازَالَ قَائِمًا مُنْذُالْيَوْمِ إِلٰى أَنْ لَحِقَ بِالرَّفِيْقِ الْأَعْلٰى وَلَمْ يَسْتَرِحْ وَلَمْ يَسْكُنْ وَهُوَ يَقُولُ لَارَاحَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ وَجَاءَ فِي صِفَاتِهِ اَنَّهُ ﷺ كَانَ مُتَوَاصِلَ الْاَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ(١)۔

اَلثَّانِى الْإِنْذَارُ وَغَايَتُهُ

أُمِرَالنَّبِيُّ ﷺ بِالْإِنْذَارِ فَقَالَ "فَأَنْذِرْ" أيْ خَوِّف وَأَنْذِرِالنَّاسَ بِعَوَاقِبِهِ وَبِمَا يَظْهَرُلَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ وَفِي دَارِالْاٰخِرَةِ مِنَ الْاَهْوَالِ الشَّدِيْدَةِ وَغَايَةُ الْإِنْذَارِأَنْ لَاتَتْرُكَ اَحَدًا وَتُنْذِرَهُ بِعَوَاقِبِهِ الْوَخِيمَةِ حَتّٰى تَقَعَ رَجْفَةٌ وَزِلْزَالٌ فِي قَلْبِهِ وَرَوْعِهِ(٢)۔

أَلثَّالِثُ تَكْبِيْرُالرَّبِّ وَغَايَتُهُ

أُمِرَالنَّبِيُّ ﷺ بِتَكْبِيرِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى حَيْثُ قَالَ "وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ" بَيِّنْ أَمَامَ النَّاسِ كِبْرِيَاءَ اللّٰهِ وَعَظْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ حَتّٰى يَدْخُلَ كِبْرِيَاءُهُ وَعَظْمَتُهُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَيَخْرُجُ مَاسِوَاهُ وَغَايَةُ تَكْبِيرِالرَّبِّ أَنْ لَاتَتْرُكَ يَاحَبِيبِي ! لِأَحَدٍ كِبْرِيَاءً فِي الْأَرْضِ إِلَّا وَ تُكْسَرَ شَوْكَتُهَا، وَتُقْلَبُ ظَهْرُالْبَطْنِ حَتّٰى لَايَبْقٰى فِي الْاَرْضِ اِلَّاكِبْرِيَاءُ اللّٰهِ تَعَالٰى(٣)۔

أَلرَّابِعُ تَطْهِيْرُ الثِّيَابِ وَهِجْرَانُ الرُّجْزِ وَغَايَتُهُ

أُمِرَالنَّبِيُّ ﷺ بِتَطْهِيرِ الثِّيَابِ وَهِجْرَانِ الرُّجْزِ حَيْثُ قَالَ" وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ"وَغَايَتُهُ أَنْ تَبْلُغَ فِي تَطْهِيرِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَفِي

(١) الرحيق المختوم ص٥٤ مطبوع دارالمنار القاهره
(٢) المصدر السابق
(٣) مقتبس من الرحيق المختوم ص ٥٥ ، مطبوع دارالمنار القاهره

تَزْكِيَةِ النَّفْسِ مِنْ جَمِيْعِ الشَّوَائِبِ وَ الْأَلْوَاثِ إِلٰى أَقْصَى حَدٍّ وَكَمَالٍ يُمْكِنُ لِنَفْسٍ بَشَرِيَّةٍ تَحْتَ ظِلَالِ رَحْمَةِ اللّٰهِ الْوَارِفَةِ وَحِفْظِهٖ وَكَلَئِهٖ وَهِدَايَتِهٖ وَنُوْرِهٖ، حَتّٰى يَكُوْنَ أَعْلٰى مَثَلٍ فِى الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِي تَجْتَذِبُ إِلَيْهِ الْقُلُوْبُ السَّلِيْمَةُ وَتَحُسُّ بِهَيْبَتِهٖ وَفَخَامَتِهِ الْقُلُوْبُ الزَّائِغَةُ حَتّٰى تَرْتَكِزَ إِلَيْهِ الدُّنْيَا بِأَسَرِهَا وِفَاقًا وَخِلَافًا(١)۔

أَلْخَامِسُ عَدْمُ الْإِسْتِكْثَارِ بِالْمَنَّةِ وَغَايَتُهٗ

وَأُمِرَالنَّبِيي ﷺ بِعَدَمِ الْإِسْتِكْثَارِ بِالْمَنَّةِ حَيْثُ قَالَ "وَلَاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ" وَغَايَتُهٗ يَاحَبِيْبِي! أَنْ لَاتَعُدَّفِعَالَاتِكَ وَجُهُوْدَكَ فَخِيْمَةً عَظِيْمَةً بَلْ لَاتَزَالُ تَجْتَهِدُ فِي عَمَلٍ بَعْدَ عمل وَتَبْذُلَ الْكَثِيْرَ مِنَ الْجُهْدِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالْفَنَاءِ ثُمَّ تَنْسٰى كُلَّ ذٰلِكَ بَلْ تَفْنِي فِي الشُّعُوْرِ بِاللّٰهِ بِحَيْثُ لَاتُحِسُّ وَلَاتَشْعُرُ بِمَا بُذِلَ وَقُدِّمَ(٢)۔

أَلسَّادِسُ اَلتَّلْقِيْنُ بِالصَّبْرِ لِلّٰهِ

لَقَّنَ اللّٰهُ سُبْحَانَهٗ وَتَعَالٰى حَبِيْبَهٗ بِالصَّبْرِفِي الْأٰيَةِ الْأَخِيْرَةِ حَيْثُ قَالَ" وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ" كَأَنَّهٗ أَشَارَ إِلٰى مَاسَيَلْقَاهُ فِي طَرِيْقِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ مِنْ أَذَى الْمُعَانِدِيْنَ مِنْ الْمُخَالَفَةِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ إِلَى الْجِدِّ وَالْاِجْتِهَادِ فِي قَتْلِهٖ وَقَتْلِ أَصْحَابِهٖ وَإِبَارَةِ كُلٍّ مَنِ الْتَفَتَ حَوْلَهٗ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، يَأْمُرُهُ اللّٰهُ تَعَالٰى أَنْ يَصْبِرَ عَلٰى كُلٍّ مِنْ ذٰلِكَ بِقُوَّةٍ وَجَلَادَةٍ لَايَنَالَ حَظًّا مِنْ حُظُوْظِ نَفْسِهٖ بَلْ لِمُجَرَّدِ مَرْضَاتِ رَبِّهٖ(٣)۔

(١) المصدر السابق
(٢) المصدر السابق
(٣) المصدر السابق

خُلَاصَةُ آيَاتِ سُوْرَةِ الْمُدَثِّرِ

سَائِرُالْاٰيَاتِ الْمَذْكُوْرَةِ مِنْ سُوْرَةِ الْمُدَثِّرِ تَطْلُبُ مِنَ الْعِبَادِ التَّوْحِيْدَ الصَّرِيْحَ وَتَفْوِيْضَ الْأُمُوْرِ كُلِّهَا إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى وَتَرَكَ مَرْضَاةِ النَّفْسِ وَمَرْضَاةِ الْعِبَادِ إِلٰى مَرْضَاةِ اللّٰهِ تَعَالٰى، فَإِذًا تَتَخَلَّصُ هٰذِهِ الْمُرَادُ فِى۔

(الف) أَلتَّوْحِيْدُ

(ب)اَلْإِيْمَانُ بِيَوْمِ الْاٰخِرَةِ

(ج) اَلْقِيَامُ بِتَزْكِيَةِ النَّفْسِ بِأَنْ تَتَنَاهٰى عَنِ الْمُنْكِرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ الَّتِي تُفْضِيْ إِلٰى سُوْءِ الْعَاقِبَةِ وَبِأَنْ تَقُوْمَ بِاكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ۔

(د) تَفْوِيْضُ الْأُمُوْرِ كُلِّهَا إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى۔

(ه) وَكُلُّ ذٰلِكَ بَعْدَ الْإِيْمَانِ بِرَسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَتَحْتَ قِيَادَتِهِ النبيلةِ وَتَوْجِيْهَاتِهِ الرَّشِيْدَةِ(١)۔

أَدْوَارُ الدَّعْوَةِ وَمَرَاحِلُهَا

وَلَمَّا تَكَامَلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اَرْبَعُوْنَ سَنَةً— وَهِيَ رَأْسُ الْكَمَالِ، وَقِيْلَ وَلَهَا تُبْعَثُ الرُّسُلُ بُعِثَ إِلٰى كَافَّةٍ لِّلنَّاسِ بَشِيْرًاوَّنَذِيْرًا وَمُدَّةُ نُبُوَّتِهٖ ثَلَاثٌ وَعِشْرُوْنَ سَنَةً، وَهٰذِهٖ كُلُّهَا عَهْدُ الدَّعْوَةِ، وَيُقْسَمُ عَهْدُ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ—عَلٰى صَاحِبِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ—إِلٰى دَوْرَيْنِ يَمْتَازُأَحَدُهُمَا عَنِ الْاٰخَرِ تَمَامَ الْإِمْتِيَازِ وَهُمَا

(١)اَلدَّوْرُ الْمَكِّي ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً تَقْرِيْبًا

(٢)اَلدَّوْرُ الْمَدَنِي، عَشَرُ سَنَوَاتٍ كَامِلَةً

(١) المصدر السابق

ثُمَّ يَشْتَمِلُ كُلٌّ مِنَ الدَّوْرَيْنِ عَلٰى مَرَاحِلَ لِكُلٍّ مِنهَا خَصَائِصُ تَمْتَازُ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا وَ يَظْهَرُ ذٰلِكَ جَلِيًّا بَعْدَ النَّظْرِ الدَّقِيْقِ فِى الظُّرُوْفِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا الدَّعْوَةُ خِلَالَ الدَّوْرَيْنِ

وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ الدَّوْرِ الْمَكِّي إِلٰى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ

(١)مَرْحَلَةُ الدَّعْوَةِالسِّرِّيَّةِ،ثَلٰثُ سِنِيْنَ۔

(٢)مَرْحَلَةُ إِعْلَانِ الدَّعْوَةِ فِى أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ بِدَايَةِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلٰى أَوَاخِرِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ۔

(٣)مَرْحَلَةُ الدَّعْوَةِخَارِجَ مَكَّةَ وَفَشُوُّهَا فِيهِمْ مِنْ اَوَاخِرِالسَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَى هِجْرَتِهِﷺ إِلَى الْمَدِيْنَةِ۔

وَهٰكَذَا يُقْسَمُ الْعَهْدُ الْمَدَنِي إِلٰى ثَلٰثِ مَرَاحِلَ۔

(١)مَرْحَلَةٌ أُثِيْرَتْ فِيهَا الْقَلَاقِلُ وَالْفِتَنُ، وَاُقِيمَتْ فِيهَا الْعَرَاقِيْلُ مِنَ الدَّاخِلِ، وَزَحَفَ فِيهَا الْأَعْدَاءُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ لِاسْتِيْصَالِ خَضْرَائِهَا مِنَ الْخَارِجِ وَهٰذِهِ الْمَرْحَلَةُ تَنْتَهِي إِلٰى صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سنة سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ۔

(٢) مَرْحَلَةُ الْهُدْنَةِ مَعَ الزَّعَامَةِ الْوَثَنِيَّةِ، وَتَنْتَهِي بِفَتْحِ مَكَّةَ في رَمَضَانَ سنةَ ثمانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَهِيَ مَرْحَلةُ دَعْوَةِ الْمُلُوْكِ إلى الْإِسْلَامِ۔

(٣)مَرْحَلَةُ دُخُوْلِ النَّاسِ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْوَاجًا وَهِيَ مَرْحَلَةٌ تُوَافِدُ الْقَبَائِلُ وَالْأَقْوَامُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ وَهٰذِهِ الْمَرْحَلَةُ تَمْتَدُّ إلى اِنْتِهَاءِ حَيَاةِ الرَّسُوْلِ ﷺ فى رَبِيْعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدٰى عَشَرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ(١)۔

(١) المصدر السابق

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْمًا فَأٰوٰى

تَفَكَّرُوْا! كَيْفَ كَانَتْ حَيَاةُ الرَّسُوْلِ ﷺ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ وُلِدَ يَتِيْماً لَمْ يَكُنْ عَلٰى رَأْسِهِ ظِلُّ الْاَبِ ، جَاءَ فِى الرِّوَايَاتِ قِصَّةُ وَفَات عَبْد اللّٰهِ أَنَّهُ خَرَجَ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ فَأَقْبَلَ فِي عِيْرِقُرَيْشٍ فَنَزَلَ فِي الْمَدِيْنَةِ وَهُوَ مَرِيْضٌ فَتُوُفِّيَ بِهَا، وَدُفِنَ في دارِالنَّابِغَةِ الْجَعْدِي، وَلَهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَّعِشْرُوْنَ سَنَةً، وَلَمَّا بَلَغَ نَعْيُهُ إِلٰى مَكَّةَ رَثَّتْهُ آمِنَةُ بِأَرْوَعِ الْمَرَاثِي، قَالَتْ

عَفَا جَانِبُ الْبَطْحَاء مِنْ اِبْنِ هَاشِمٍ وَجَاوَرَ لَحْدًا وَخَارِجًا فى الْغَمَا غِمِ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا دَعْوَةً فَأَجَابَهَا وَمَاتَرَكَ فِي النَّاسِ مِثْلَ ابْنِ هَاشِمٍ
عَشِيَّةً رَاحُوْا يَحْمِلُوْنَ سَرِيْرَهٗ تُعَاوِرُهُ اَصْحَابُهُ فِي التَّزَاحُمِ
فَاِنْ تَكُ غَالَتْهُ الْمَنَايَا وَرَيْبُهَا فَقَدْ كَانَ مِعْطَاءٌ كَثِيْرُالتَّرَاحُمِ

وَجَمِيْعُ مَا خَلَفَهُ عَبْدُ اللّٰهِ خَمْسَةَ أَجْمَالٍ، وَقِطْعَةَ غَنَمٍ، وجَارِيَةً حَبْشِيَّةً اِسْمُهَا بَرْكَةٌ، وَكُنِّيَتُهَا أُمُّ الْأَيْمَنِ وَهِي حَاضِنَةُ رَسُوْلِ اللّٰهِﷺ۔

وَلَمَّا بَلَغَ سِتَّ سِنِيْنَ مَاتَتْ أُمُّهُ وَهِيَ رَاجِعَةٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ إِلٰى مَكَّةَ اِذْيُلَاحِقُهَا الْمَرَضُ وَيَلِحُّ عَلَيْهَا فِى أَوَائِلِ الطَّرِيْقِ فَمَاتَتْ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِيْنَةِ– وَلَمَّا بَلَغَ عُمْرُهُ ثَمَانَ سِنِيْنَ مَاتَ جَدُّهُ الْعَطُوْفُ، فَنَهَضَ عَمُّهُ أَبُوْطَالِبٍ بِحَقّ اِبْنِ اَخِيْهِ عَلٰى اَكْمَلِ وَجْهٍ وَضَمَّهُ إِلٰى وَلَدِهِ وَقَدَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَاخْتَصَّهُ بِفَضْلِ اِحْتِرَامٍ وَتَقْدِيْرٍ، وَظَلَّ فَوْقَ أَرْبَعين سَنَةً يَعُزُّجَانِبَهُ وَيَبْسُطُ عَلَيْهِ حِمَايَتَهُ وَيُصَادِقُ وَيُخَاصِمُ مِنْ أَجْلِهِ(١)۔

(١) راجع للتفصيل الرحيق المختوم ج١/٣٤ ، سبل الهدى والرشاد ج١/٣٣٢ الباب الثالث فى وفاة عبدالله بن عبدالمطلب

يَسْتَسْقِي الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

أَخْرَجَ اِبْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جَلْهَمَةَ بْنَ عَرْقَطَةَ، قَالَ قَدِمْتُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي قَحْطٍ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ يَا اَبَا طَالِبٍ! اَقْحَطَ الْوَادِي وَأَجْدَبَ الْعِيَالُ فَهَلُمَّ،فَاسْتَسْقِ فَخَرَجَ أَبُوْطَالِبٍ وَمَعَهُ غُلَامٌ كَأَنَّهُ شَمْسُ دجن تَجَلَّت عنه سَحَابَةٌ قَتْمَاءُ حَوْلَهُ اغليمة فَاَخَذَهُ ابوطالبٍ فَالْتَصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ وَلَاذَبِإِصْبَعِهِ الْغُلَامِ، وَمَافِي السَّمَاءِ قَزْعَةٌ فَأَقْبَلَ السَّحَابُ مِنْ هٰهُنَا وهٰهُنَا وَأَغْدَقَ واغْدَوْدَقَ وَانْفَجَرَ الْوَادِى وَأَخْصَبَ النَّادِي وَالْبَادِي وَإِلٰى هٰذَا أَشَارَأَبُوطَالِبٍ حِيْنَ قَالَ

وَأَبْيَضُ يَسْتَسْقِى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالَ الْيتا مٰى عِصْمَةً لِلْأَرَامِلِ (١)

كَيْفَ كَانَ عَمُّهُ الشَّفِيْقُ؟

لَمَّا بَدَأَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ الدَّعْوَةَ شَقَّ على قُرَيْشٍ فَجَاؤُ امرارًا إِلٰى اَبِي طَالِبٍ ، ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ تْ سَادَاتُ قُرَيْشٍ، وَقَالُوْالَهُ، ياأَبَاطَالِبٍ ! إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِيْنَا، وَإِنَّا اِسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ اِبْنِ أَخِيْكَ فَلَمْ تَنْهَهُ وَإِنَّا وَاللّٰهِ لَانَصْبِرُعَلٰى هٰذَا مِنْ شَتْمِ آبَاءِ نَا وَتَسْفِيَةِ أَحْلَامِنَا وَعَيْبِ اٰلِهَتِنَا حَتّٰى تَكُفَّهُ عَنَّا، أَوْنُنَازِلُهُ وَإِيَّاكَ فِى ذٰلِكَ حَتّٰى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيْقَيْنِ۔

عَظُمَ عَلٰى أَبِى طَالِبٍ هٰذَا الْوَعْدُ وَالتَّهْدِيْدُ الشَّدِيْدُ، فَبَعَثَ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ أَخِى! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُ وْنِي، فَقَالُوْا لِي كَذَا وكَذَا فَابْقِ عَلَيْهِ وَعَلٰى نَفْسِكَ وَلَاتُحَمِّلْنِىْ مِنَ الْأَمْرِ مَالَاأُطِيْقُ،

(١) راجع للتفصيل الى الجوهرة فى نسب النبى ﷺ واصحابه العشرة ج ١ /٢٠٣ وانساب الاشراف باب نسب بنى تيم بن مرة ج ٣/٣١٨

فَظَنَّ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنَّ عَمَّهُ خَاذِلُهُ، وَأَنَّهُ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ فَقَالَ يَا عَمِّ! وَاللّٰهِ لَوْ وَضَعُواالشَّمْسَ فِي يَمِيْنِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلٰى أَنْ أَتْرُكَ هٰذَا الْأَمْرَ—حَتّٰى يُظْهِرَهُ اللّٰهُ أَوْاَهْلِكَ فِيْهِ—مَاتَرَكْتُهُ ثُمَّ اسْتَعْبَرَوَ بَكٰى وَقَامَ فَلَمَّا وَلّٰى نَادَاهُ أَبُوطَالِبٍ، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَهُ اِذْهَبْ يَاابْنَ أَخِى! فَقُلْ مَاأَحْبَبْتَ فَوَاللّٰهِ لَا أُسْلِمُكَ لِشَيءٍ اَبَدًا،وَاَنْشَدَ۔

وَاللّٰهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتّٰى أُوَسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِيْنًا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَأَبْشِرْوَقَرَّبِذَاكَ مِنْكَ عُيُوْنًا (١)

وَفَاةُ أَبِى طَالِبٍ

أَلَحَّ الْمَرَضُ بِأَبِى طَالِبٍ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ في رَجَبَ سَنَةَ عَشَرٍمِنَ النُّبُوَّةِ، بَعْدَ الْخُرُوْجِ مِنَ الشِّعَبِ بِستَّةِ أَشْهُرٍ۔

وَفِي الصَّحِيْحِ عَنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ أَبَاطَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وعِنْدهُ أَبُوجَهْلٍ، فقال أَيْ عَمِّ،قُلْ لَااِلٰهَ اِلَّااللّٰهُ ، كَلِمَةٌ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللّٰهِ، فَقَالَ أَبُوجَهْلٍ وَعَبْدُ اللّٰهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، يَاأَبَاطَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَاهُ حَتّٰى قَالَ آخِرُشَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ " عَلٰى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَالَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فَنَزَلَتْ ﴿**مَاكَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا أَنْ يَّسْتَغْفِرُوْا لِلْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ كَانُوْٓا أُولِىْ قُرْبٰى مِنْ بَعْدِمَاتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ**﴾ [سورة التوبه : ١١٣] ونزلت (إِنَّكَ لَاتَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ)(٢)

(١) الرحيق المختوم باب قريش يهدون ابا طالب ج ٦٩/١ سبل الهدى والرشاد الباب السابع فى مشى قريش الى ابى طالب ج ٢ ص٣٢٧، سيرة ابن اسحاق ج ٢ ص١٣٦

(٢) اخرجه البخارى فى صحيحه ، باب قصة ابى طالب برقم ٣٦٧١، والنسائى فى السنن الكبرى ، باب النهى عن الاستغفار برقم ٢١٦٢، من حديث سعيد ابن المسيب عن ابيه

فَفِی الصَّحِیۡحِ عَنِ الۡعَبَّاسِ بۡنِ عَبۡدِ الۡمُطَّلِبِ أَنَّهٗ قَالَ لِلنَّبِیِ ﷺ مَاأَغۡنَیۡتَ عَن عَمِّكَ؟فَاِنَّهٗ کَانَ یَحُوۡطُكَ وَیَغۡضِبُ لَكَ؟ قَالَ هُوَفِی ضَحۡضَاحٍ مِنۡ نَارٍ، وَلَوۡلَا أَنَالَکَانَ فِي الدَّرۡكِ الۡأَسۡفَلِ مِنَ النَّارِ۔

وَفَاةُ خَدِیۡجَةَ الۡکُبۡرٰی رَضِيَ اللّٰهُ عَنۡهَا

وَبَعۡدَ وَفَاةِ أَبِی طَالِبٍ بِنَحۡوِ شَهۡرَیۡنِ اَوۡبِثَلٰثَةٍ—عَلٰی إِخۡتِلَافِ الۡقَوۡلَیۡنِ— تُوُفِّیَتۡ أُمُّ الۡمُؤۡمِنِیۡنَ خَدِیۡجَةُ الۡکُبۡرٰی رَضِيَ اللّٰهُ عَنۡهَا وَلَهَا خَمۡسٌ وَسِتُّوۡنَ سَنَةً وَرَسُوۡلُ اللّٰهِ ﷺ إِذۡ ذَاكَ فِي الۡخَمۡسِیۡنَ مِنۡ عُمۡرِهٖ، وَسَمّٰی رَسُوۡلُ اللّٰهِ ﷺ هٰذَا الۡعَامَ عَامَ الۡحُزۡنِ۔

إِنَّ خَدِیۡجَةَ کَانَتۡ مِنۡ نِعَمِ اللّٰهِ الۡجَلِیۡلَةِ عَلٰی رَسُوۡلِ اللّٰهِ ﷺ بَقِیَتۡ مَعَهٗ رُبۡعَ قَرۡنٍ تَحُنُّ عَلَیۡهِ سَاعَةَ قَلۡقِهٖ وَتُؤَازِرُهٗ فِی اَحۡرَجِ أَوۡقَاتِهٖ، وَتُعِیۡنُهٗ عَلٰی إِبۡلَاغِ رِسَالَتِهٖ وَتُشَارِکُهٗ فِي مَغَارِمِ الۡجِهَادِ الۡمُرِّ، وَتُوَاسِیۡهِ بِنَفۡسِهَا وَمَالِهَا۔

یَقُوۡلُ رَسُوۡلُ اللّٰهِ ﷺ اٰمَنَتۡ بِي حِیۡنَ کَفَرَبِيَ النَّاسُ وَصَدَّقَتۡنِيۡ حِیۡنَ کَذَّ بَنِيَ النَّاسُ وَأَشۡرَکَتۡنِي فِي مَالِهَا حِیۡنَ حَرَمَنِيَ النَّاسُ، وَرَزَقَنِيَ اللّٰهُ وُلۡدَهَا وَحَرَمَ وُلۡدَ غَیۡرِهَا(۱)۔

وَفِی الصَّحِیۡحِ عَنۡ أَبِي هُرَیۡرَةَ رضی الله عنه قَالَ أَتٰی جِبۡرِیۡلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ یَارَسُوۡلَ اللّٰهِ ! هٰذِهٖ خَدِیۡجَةُ قَدۡ أَتَتۡ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِیۡهِ إِدَامٌ أَوۡطَعَامٌ أَوۡشَرَابٌ، فَإِذَا هِیَ أَتَتۡكَ فَاقۡرَأۡ عَلَیۡهَا السَّلَامَ مِنۡ رَبِّهَا، وَبَشِّرۡهَا بِبَیۡتٍ فِي الۡجَنَّةِ مِنۡ قَصَبٍ لَاصَخَبٌ فِیۡهِ وَلَانَصَبٌ(۲)۔

(۱) رواهٗ احمد فی المسند برقم :٢٤٨٦٤، من حدیث عائشة رضی الله عنها ، السیرة النبویه لابن کثیر ج٢ص١٣٥، الرحیق المختوم ، خدیجة الی رحمة الله ج ١ ص ٩٣

(۲) اخرجه البخاری فی کتاب التوحید ، باب قول الله یریدون ان یبدلوا کلام الله برقم :٧٠٥٨، والبیهقی فی دلائل النبوة ، باب وفاة خدیجة بنت خویلد ج ٢ ص٣٥١، مسند ابی یعلی ، برقم ٦٠٨٩، من حدیث ابی هریرة رضی الله عنه

اَلۡهِجۡرَةُ إِلَی الۡمَدِیۡنَةِ

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الۡمَدِیۡنَةِ بَعۡدَ الۡجُمُعَةِ وَکَانَتۡ بَنَاتُ الۡاَنۡصَارِ تَتَغَنّٰی بِهٰذِهِ الۡاَبۡیَاتِ فَرَحًا وَسُرُوۡرًا

اَشۡرَقَ الۡبَدۡرُ عَلَیۡنَا مِنۡ ثَنِیَّاتِ الۡوَدَاعِ
وَجَبَ الشُّکۡرُ عَلَیۡنَا مَادَعَا لِلّٰهِ دَاعٍ
أَیُّهَا الۡمَبۡعُوۡثُ فِیۡنَا جِئۡتَ بِالۡأَمۡرِ الۡمُطَاعِ (۱)

قَالَتۡ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنۡهَا لَمَّا قَدِمَ رَسُوۡلُ اللّٰهِ ﷺ اَلۡمَدِیۡنَةَ وَعَكَ أَبُوۡبَکۡرٍ وَبِلَالٌ فَدَخَلۡتُ عَلَیۡهِمَا فَقُلۡتُ یَا أَبَهۡ کَیۡفَ تَجِدُكَ؟ وَیَابِلَالُ کَیۡفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتۡ فَکَانَ أَبُوۡبَکۡرٍ إِذَا أَخَذَتۡهُ الۡحُمّٰی یَقُوۡلُ ؎

کُلُّ امۡرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهۡلِهٖ وَالۡمَوۡتُ أَدۡنٰی مِنۡ شِرَاكِ نَعۡلِهٖ

وَکَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقۡلَع عَنۡه یَرۡفَعُ عَقِیۡرَتَهٗ وَیَقُوۡلُ

أَلَالَیۡتَ شِعۡرِیۡ هَلۡ أَبِیۡتَنَّ لَیۡلَةً بِوَادٍ وَحَوۡلِي إِذۡخِرٌ وَجَلِیۡلُ
وَهَلۡ أَرِدَنۡ یَوۡمًا مِیَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلۡ یَبۡدُوَنۡ لِي شَامَةٌ وَطَفِیۡلُ(۲)

بِنَاءُ الۡمَسۡجِدِ النَّبَوِيِّ

وَأَوَّلُ خُطۡوَةٍ خَطَاهَا رَسُوۡلُ اللّٰهِ ﷺ بَعۡدَ مَانَزَلَ الۡمَدِیۡنَةَ هُوَإِقَامَةُ الۡمَسۡجِدِ فَفِي الۡمَکَانِ الَّذِیۡ بَرَکَتۡ فِیۡهَا نَاقَتُهٗ أَمَرَبِبِنَاءِ هٰذَا الۡمَسۡجِدِ

(۱) جامع الاصول فی احادیث الرسول لابن الاثیر برقم :٦٤٤٥، الرحیق المختوم ، الدخول فی المدینة ج١، ص١٣٦، سبل الهدی والرشاد ، الباب السادس فی قدومه ﷺ ، باطن المدینة ج٣، ص ٢٧١

(۲) اخرجه البخاری ، فی ابواب فضائل المدینة باب کراهیة النبی ﷺ ان تعری المدینة برقم :١٧٩٠، الادب المفرد باب یقول المریض برقم :٥٢٥، وروٰة النسائی فی السنن الکبریٰ باب عیادة النساء للرجال برقم:٧٤٩٥، من حدیث عائشة رضی الله عنها

وَاشْتَـرَاهُ مِنْ غُلَامَيْنِ يَتِيْمَيْنِ كَانَا يَمْلِكَانِهِ وَسَاهَمَ فِي بِنَاءِ هِ بِنَفْسِهِ فَكَانَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ وَالْحِجَارَةَ ، وَيَقُوْلُ

أَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّاعَيْشُ الْاٰخِرَهْ ۔۔۔ فَاغْفِرْ لِلْاَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

وَكَانَ يَقُوْلُ

هٰذَا الْحِمَالُ لَاحِمَالَ خَيْبَرَ ۔۔۔ هٰذَا أَبَـرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ(٢)

وَكَانَ ذٰلِكَ مِمَّا يَزِيْدُ نَشَاطَ الصَّحَابَةِ فِي الْبِنَاءِ حَتّٰى أَنَّ أَحَدُهُمْ لَيَقُوْلُ

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ ۔۔۔ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ

وَأُقِيْمَتْ حِيْطَانُهُ مِنَ اللَّبِنِ وَالطِّيْنِ وَجَعَلَ سَقْفَه مِنْ جَرِيْدِ النَّخْلِ وَعُمُدَهُ اَلْجُزُوْعَ وَفُرِشَتْ أَرْضُهُ مِنَ الرِّمَالِ وَالْحَصْبَاءِ وَجُعِلَتْ لَهُ ثَلٰثَةُ أَبْوَابٍ ، طُوْلُهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى مُؤَخَّرِهِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَالْجَانِبَانِ مِثْل ذٰلِكَ أَوْدُوْنَهُ، وَكَانَ أَسَاسُهُ قَرِيْبًا مِنْ ثَلٰثَةِ أَذْرُعٍ۔

وَبَنٰى بُيُوْتًا إِلٰى جَانِبِهِ، بُيُوْتَ الْحَجَرِ بِاللَّبِنِ، وَسَقُفُهَا بِالْجَرِيْدِ وَالْجَزُوْعِ، وَهِيَ حُجُرَاتُ أَزْوَاجِهِ ﷺ وَبَعْدَ تَكَامُلِ الْحُجُرَاتِ (اِنْتَقَلَ) إِلَيْهَا مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيُّوْبَ(٢)۔

مُنَاشَدَتُهُ ﷺ رَبَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ

اَلْبَدْرُ كَانَ أَولَ مَعْرِكَةٍ فِي الْإِسْلَامِ وَكَانَ صَعْبًا عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ لِأَنَّهُمْ كَانُوْاأَقَلَّ عَدَدًا وعُدَدًا، فَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مُنْذُ رُجُوْعِهِ بَعْدَ

(١) اخرجه البخارى فى الصحيح باب هجرة النبى ﷺ برقم : ٣٦٩٤، السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ص٢٥١، الرحيق المختوم ، بناء المسجد النبوى ج١ ص١٤٣، حياة الصحابه ج ١ ص ٣٦٤

(٢) المصدر السابق، الروض الانف حول بنيان المسجد ج ٢ص٣٣٦، سبل الهدى والرشاد الباب الثانى فى بناء مسجد ه الاعظم :ج٣ص٢٣٦، سيرة ابن هشام ، بناء مسجد المدينة ج١ ص٤٩٥، زاد المعاد فصل فى بناء المسجد ج٣ص٥٥

تَعْدِيْلِ الصُّفُوْفِ يُنَاشِدُ رَبَّهُ مَاوَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ، وَيَقُوْلُ أَللّٰهُمَّ أَنْجِزْلِي مَاوَعَدْتَّنِي، أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ حَتّٰى إِذَا حَمَى الْوَطِيْسُ اِسْتَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ بِشِدَّةٍ وَاحْتَدَمَ الْقِتَالُ، وَبَلَغَتِ الْمَعْرِكَةُ قِمَّتَهَا، قَالَ أَللّٰهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هٰذِهِ الْعِصَابَةَ الْيَوْمَ لَاتُعْبَدْ أَللّٰهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا وَبَالَغَ فِي الْإِبْتِهَالِ حَتّٰى سَقَطَ رِدَاءُهُ عَنْ مَنْكَبَيْهِ فَرَدَّدَهُ عَلَيْهِ الصِّدِّيْقُ وَقَالَ حَسْبُكَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ أَلْحَحْتَ عَلٰى رَبِّكَ۔

وَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَى مَلٰئِكَتِهِ **﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ط سَأُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾** وَأَوْحٰى إِلٰى رَسُوْلِهِ **﴿أَنِّيْ مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُرْدِفِيْنَ﴾** أَيْ يُرْدِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَايَأْتُوْنَ دَفْعَةً وَاحِدَةً۔

وَاَغْفٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ اغْفَاءَةً وَاحِدَةً ثُم رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ أَبْشِرْ يَاأَبَابَكْرٍ هٰذَا جِبْرِيْلُ عَلٰى ثَنَايَاهُ النَّقْعِ أَيِ الْغُبَارِ،وَفِي رِوَايَةِ اِسْحٰقَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَبْشِرْ يَاأَبَابَكْرٍ أَتَاكَ نَصْرُاللّٰهِ هَاجِبْرِيْلُ أَخَذَبِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُوْدُهُ عَلٰى ثَنَايَاهُ النَّقْعِ۔

ثُمَّ خَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مِنْ بَابِ الْعَرِيْشِ وَهُوَيَثِبُ فِى الدِّرْعِ، وَيَقُوْلُ (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّوْنَ الدُّبُرَ)(١)

إِنَّهَا حَيٰوةٌ طَوِيْلَةٌ

قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ قُوْمُوْا إِلٰى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَّامِ الْاَنْصَارِيُّ رضي الله عنه يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ أَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ قَالَ نَعَمْ، قَالَ بَخٍّ بَخٍ فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَايَحْمِلُكَ عَلٰى قَوْلِ بَخٍّ بَخٍّ، قَالَ لَاوَاللّٰهِ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُوْنَ مِنْ أَهْلِهَا قَالَ فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ ثُمَّ قَالَ

(١) اخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير باب الامداد بالملئكة فى غزوة بدر برقم:٤٦٨٧، واحمد فى مسنده برقم:٢٢١، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه راجع للتفصيل الرحيق المختوم ج١ص١٧٩، والخصائص الكبرى ج١ص٣٣٩

لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتّٰى آكُلَ تَمَرَاتِي هٰذِهِ إِنَّهَا حَيٰوةٌ طَوِيْلَةٌ فَرَمٰى مَاكَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتّٰى قُتِلَ(١)،

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ عُمَيْرًا قَاتَلَ وَهُوَ يَقُوْلُ

رَكْضًا إِلَى اللّٰهِ بِغَيْرِ زَادٍ ... إِلَّا التُّقٰى وَعَمَلُ الْمَعَادِ

وَالصَّبْرُ فِي اللّٰهِ عَلَى الْجِهَادِ ... وَكُلُّ زَادٍ عَرْضُهُ النَّفَادُ

غَيْرَ التُّقٰى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

مَالَقِيَ الرَّسُوْلُ ﷺ اَلْأَذٰى مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ يَوْمَ اُحُدٍ

رَوٰى مُسْلِمٌ عَنْ اَنَسِ بْنِ مالكٍ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوْهُ قَالَ مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّاوَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْهُوَ رَفِيْقِي فِي الْجَنَّةِ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتّٰى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوْهُ أَيْضًا فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ حَتّٰى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لِصَاحِبَيْهِ مَا أَنْصَفنَا اَصْحَابُنَا(٢)۔

وَكَانَ آخِرُهٰؤُلَاءِ السَّبْعَةِ هُوَعُمَارَةُ بْنُ يَزِيْدِ بْنِ السَّكَنِ قَاتَلَ حَتّٰى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَسَقَطَ وَبَعْدَ لَحْظَةٍ فَاءَتْ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فِئَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ فَأَجْهَدُوْا الْكُفَّارَ عَنْ عُمَارَةَ وَأَدْنَوْهُ مِنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَوَسَدَهُ قَدَمَهُ فَمَاتَ وَخَدُّهُ عَلٰى قَدَمِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ(٣)۔

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ لَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي يُقَاتِلُ فِيْهِنَّ غَيْرُ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللّٰهِ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَكَانَتْ أَحْرَجَ السَّاعَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلٰى حَيَاةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَفُرْصَةً ذَهَبِيَّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُشْرِكِيْنَ وَلَمْ يَتَوَانِ الْمُشْرِكُوْنَ فِي انْتِهَازِتِلْكَ الْفُرْصَةِ فَقَدْ رَكَّزُوْا حَمَلَتَهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَطَمِعُوْا فِي الْقَضَاءِ عَلَيْهِ،

(١) اخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الامارة باب ثبوت الجنة للشهيد برقم :٥٠٢٤، والبيهقى فى السنن الكبرى فى كتاب السير برقم :١٨٦٦١، من حديث انس بن مالك رضی اللہ عنہ

(٢) البداية والنهاية ج٣ ص٢٧٧، سبل الهدى والرشاد الباب السابع فى بيان غزوة الكبرى ج٤ ص٤٥، استيعاب فى معرفة الصحابه ، عمير بن سعد ج ١ ص ٣٧٦

(٣) سيرة ابن هشام ج٢ ص٨٠، الروض الانف ج٣ ص٢٦٨، سبل الهدى والرشاد ، الباب الثالث عشر فى غزوة احد ج٤ ص٢٠٣

رَمَاهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ بِالْحِجَارَةِ فَوَقَعَ لِشِقِّهِ، وَأُصِيْبَتْ رُبَاعِيَّتُهُ الْيُمْنٰى اَلسُّفْلٰى وَكُلِمَتْ شَفَتُهُ السُّفْلٰى وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ عبدُ اللّٰهِ بْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِي فَشَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ، وَجَاءَ فَارِسٌ عَنِيْدٌ هُوَعَبْدُ اللّٰهِ بْنُ قَمِئَةَ فَضَرَبَ عَلٰى عَاتِقِهِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً عَنِيْفَةً، شَكَالْأَجلِهَا أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ، إِلَّاأَنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ هَتْكِ الدِّرْعَيْنِ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلٰى وَجْنَتِهِ ضَرْبَةً أُخْرٰى عَنِيْفَةً كَالْأُوْلٰى حَتّٰى دَخَلَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرَةِ فِي وَجْنَتِهِ وَقَالَ خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِئَةَ فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لَهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ أَقْمَأَكَ اللّٰهُ(١)۔

وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ أَنَّهُ ﷺ كُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُوْلُ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوْاوَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَكَسَرُوْا رُبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَيَدْعُوْهُمْ إِلَى اللّٰهِ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْيَتُوْبَ عَلَيْهِمْ أَوْيُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظٰلِمُوْنَ﴾**[ال عمران:١٢٨] (٢)

وَفِي رِوَايَةِ الطِّبْرَانِي أَنَّهُ قَالَ يَوْمَئِذٍ اِشْتَدَّ غَضَبُ اللّٰهِ عَلٰى قَوْمٍ دَمَوْا وَجْهَ رَسُوْلِهِ ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ أَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِقَوْمِىْ فَإِنَّهُمْ لَايَعْلَمُوْنَ(٣)،

وَفِي الشِّفَالِلْقَاضِي عِيَاضٍ أَنَّهُ قَالَ أَللّٰهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَايَعْلَمُوْنَ(٤)۔

مَنْ يَأْخُذُ هٰذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟

نَادٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَصْحَابَهُ مَنْ يَأْخُذُ هٰذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟ فَقَامَ

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم :٧٥٩٦ مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى المجلد السادس برقم: ١٠٠٩٦، سبل الهدى والرشاد الباب الثالث عشر فى غزوة احد ج٤ ص١٩٩

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجهاد والسير باب غزوة احد برقم :٤٧٤٦، اقرأ للتفصيل حياة الصحابة ج١ ص٢٩٤ والرحيق المختوم ج١ ص٢٣٨

(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم :٥٨٦٢، من حديث سهل بن سعد الساعدى رضی اللہ عنہ وابونعيم فى الحلية ج ٦ ص٢٦٤

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٠٥ ، عيون الاثر ج٢ ص٤٢١

إِلَيْهِ رِجَالٌ لِيَأْخُذُوْهُ-مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ-حَتّٰى قَامَ إِلَيْهِ أَبُوْدُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرْشَةَ، فَقَالَ وَمَاحَقُّهُ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ؟ قَالَ أَنْ تَضْرِبَ بِهٖ وُجُوْهَ الْعَدُوِّحَتّٰى يَنْحَنِيَ، قَالَ أَنَا اٰخُذُبِحَقِّهٖ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ۔

وَكَانَ أَبُوْدُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ وَكَانَتْ لَهٗ عِصَابَةٌ حَمْرَاءُ إِذَا اعْتَصَبَ بِهَا عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهٗ سَيُقَاتِلُ حَتَّى الْمَوْتِ فَلَمَّا أَخَذَ السَّيْفَ عَصَبَ رَأْسَهٗ بِتِلْكَ الْعِصَابَةِ، وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُبَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَحِيْنَئِذٍ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ اِنَّهَا لَمَشْيَةٌ يُبْغِضُهَااللّٰهُ إِلَّا فِى مِثْلِ هٰذَا الْمَوْطِنِ(١)۔

قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَجَدْتُّ فِي نَفْسِي حِيْنَ سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ السَّيْفَ فَمَنَعَنِيْهِ وَأَعْطَاهُ أَبَادُجَانَةَ، فَقُلْتُ أَیْ فِي نَفْسِيْ أَنَاابْنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهٖ، وَمِنْ قُرَيْشٍ وَقَدْ قُمْتُ إِلَيْهِ فَسَأَلْتُهٗ إِيَّاهُ قَبْلَهٗ فَأَتَاهُ إِيَّاهُ وَتَرَكَنِیْ وَاللّٰهِ لَأَنْظُرَنَّ مَا يَصْنَعُ؟

فَاتَّبَعْتُهٗ فَأَخْرَجَ عِصَابَةً لَهٗ حَمْرَاءَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهٗ، فقالتِ اَلْاَنْصَارُ، أَخْرَجَ اَبُوْدُجَانَةَ عِصَابَةَ الْمَوْتِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُوْلُ ۔

أَنَا الَّذِيْ عَاهَدَنِيْ خَلِيْلِي	وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيْلِ
أَنْ لَا أَقُوْمَ الدَّهْرَ فِى الْكَيُوْلِ	أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ

فَجَعَلَ لَايَلْقَى أَحَدًا اِلَّاقَتَلَهٗ(٢)

مُحَادَثَةُ أَبِي سُفْيَانَ مَعَ عُمَرَبَعْدَ نِهَايَةِ الْمَعْرَكَةِ

وَلَمَّا تَكَامَلَ تَهَيُّؤُ الْمُشْرِكِيْنَ لِلْاِنْصِرَافِ، أَشْرَفَ أَبُوْسُفْيَانِ عَلَى

(١) الروض الانف للسهيلى ج٣ ص٢٤٧ ، سيرة ابن اسحق ج٣ ص ٣٠٥، سيرة ابن هشام ج٢ ص٦٦

(٢) الروض الانف للسهيلى ؛ ج٣ ص٢٤٧ ، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢ ؛ البداية والنهاية ج٤ ص١٦

الْجَبَلِ فَنَادٰى

أَفِيْكُمْ مُحَمَّدٌ؟ فَلَمْ يُجِيْبُوْهُ ،فَقَالَ

أَفِيْكُمُ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ فَلَمْ يُجِيْبُوْهُ، فَقَالَ

أَفِيْكُمْ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ؟ فَلَمْ يُجِيْبُوْهُ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَنَعَهُمْ مِنَ الْإِجَابَةِ وَلَمْ يَسْأَلْ إِلَّاعَنْ هٰؤُلَاءِ الثَّلٰثَةِ، لِعِلْمِهٖ وَعِلْمِ قَوْمِهٖ أَنَّ قِيَامَ الْاِسْلَامِ بِهِمْ،

فَقَالَ أَمَّا هٰؤُلَاءِ فَقَدْ كَفَيْتُمُوْهُمْ، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُنَفْسَهٗ أَنْ قَالَ، يَا عَدُوَّاللّٰهِ! إِنَّ الَّذِيْنَ ذَكَرْتَهُمْ أَحْيَاءٌ وَقَدْ أَبْقَى اللّٰهُ مَايَسُوْءُكَ فَقَالَ قَدْ كَانَ فِيْكُمْ مُثْلَةٌ لَمْ اٰمُرْبِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي۔

ثُمَّ قَالَ أُعْلُ هُبُلُ!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَا تُجِيْبُوْنَهٗ؟ فَقَالُوْا، فَمَا نَقُوْلُ؟

قَالَ، قُوْلُوْا اللّٰهُ أَعْلٰى وَأَجَلُّ۔

ثُمَّ قَالَ لَنَا الْعُزّٰى وَلَا عُزّٰى لَكُمْ،

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَاتُجِيْبُوْنَهٗ قَالُوْا مَانَقُوْلُ

قَالَ قُوْلُوا اَللّٰهُ مَوْلَانَا وَلَامَوْلٰى لَكُمْ۔

ثُمَّ قَالَ أَبُوْسُفْيَانَ، اَنْعَمَتْ فَعَالٌ" يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ

فَأَجَابَ عُمَرُ رضي الله عنه وَقَالَ لَاسَوَاءٌ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ۔

ثُمَّ قَالَ أَبُوْسُفْيَانَ هَلُمَّ إِلَيَّ يَا عُمَرُ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ اِئْتِهٖ فَانْظُرْمَاشَأْنُهٗ؟ فَجَاءَهٗ فَقَالَ لَهٗ أَبُوْسُفْيَانَ، أَنْشُدُكَ اللّٰهَ عُمَرُ أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا؟ قَالَ عُمَرُ اَللّٰهُمَّ لَا ،وَإِنَّهٗ لَيَسْتَمِعُ كَلَامَكَ الْاٰنَ ، قَالَ أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنِ ابْنِ قَمِئَةَ وَأَبَرُّ(١)۔

وَلَسْتُ اُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا

لَمَّا أَجْمَعَ الْأَعْدَاءُ عَلٰى صُلْبِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه وَخَرَجُوا به مِنَ الْحَرَمِ

(١) اخرجه البخارى فى كتاب المغازى باب غزوة احد برقم :٣٨١٧، واحمد فى المسند برقم :١٨٦١٦، من حديث البراء بن عازبؓ اقرأللتفصيل الرحيق المختوم ج١ ص ٢٥٠ ، البداية والنهايه ج٤ ص٢٥

إِلَى التَّنْعِيمِ، قَالَ دَعُوْنِى حَتّٰى أَرْكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَتَرَكُوْهُ فَصَلَّاهُمَا فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ وَاللّٰهِ لَوْلَا أَنْ تَقُوْلُوْا! إِنَّ مَابِى جَزْعٌ لَزِدْتُ ثُمَّ قَالَ اَللّٰهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا ثم قال حين رَفَعُوْهُ إِلَى الخَشَبَةِ۔

لَقَدْ أَجْمَعَ الْاَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلَّبُوْا — قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوْا كُلَّ مَجْمَعٍ

وَقَدْ قَرَّبُوْا أَبْنَاءَ هُمْ وَنِسَاءَ هُمْ — وَقَرَبَتُ مِنْ جَذْعٍ طَوِيْلٍ ممنع

إِلَى اللّٰهِ أَشْكُوْ غُرْبَتِي بَعْدَ كُرْبَتِي — وَمَاجَمَعَ الْاَحْزَابُ لِى عِنْدَ مَضْجَعِيْ

فَذُوالْعَرْشِ صَبَّرَنِي عَلٰى مَايُرَادُبِيْ — قَدْ بَضَعُوْا لَحْمِى وَقَدْ بُؤْسَ مَطْمَعِيْ

وَقَدْ خَيَّرُوْنِي الْكُفْرَوَالْمَوْتُ دُوْنَهُ — فَقَدْ ذَرَفَتْ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مُدْمَعٍ

وَلَسْتُ أُبَالِى حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا — عَلٰى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللّٰهِ مَضْجَعِيْ

وَذَاكَ فِي ذَاتِ الْإِلٰهِ وَإِنْ يَشَأْ — يُبَارِكُ عَلٰى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ(١)

فَقَالَ لَهُ أبوسُفْيَانَ أَيَسُرُّكَ أَنَّ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا نَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ لَا وَاللّٰهِ مَايَسُرُّنِي أَنِّي فِي أَهْلِيْ وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَفِيْهِ تُصِيْبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيْهِ ۔

ثُمَّ صَلَبُوْهُ وَوَكَّلُوْا بِهِ مَنْ يَحْرِسُ جُثَّتَهُ فَجَاءَ عَمْرُوبْنُ أُمَيَّةَ الضَّمَرِي فَاحْتَمَلَهُ بِخَدْعَةٍ لَيْلًا فَذَهَبَ به فَدَفَنَهُ، وَكَان الَّذِي تَوَلّٰى قَتْلَ خُبَيْبٍ رضي الله عنه هُوَ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ وكَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ أَبَاهُ حَارِثًا يَوْمَ بَدْرٍ(٢)۔

وَفِي الصَّحِيْحِ أَنَّ خُبَيْباً أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ، وَأَنَّهُ رُئِيَ وَهُوَ أَسِيْرٌيَأْكُلُ قِطَفًا مِنَ الْعِنَبِ وَمَا بِمَكَّةَ ثَمَرَةٌ(٣)۔

(١) اخرجه البخارى فى كتاب المغازى باب غزوة الرجيع برقم :٣٨٥٨، وابونعيم فى الحلية ج١ ص١١٢

(٢) انظر الرحيق المختوم :ج١ ص ٢٦٧، وقد ذكرهذه القصة مفصلا النسائى فى السنن الكبرى برقم:٨٨٣٩، والبخارى فى صحيح برقم :٣٩٨٩ من حديث ابى هريرةؓ

(٣) انظر الرحيق المختوم :ج١ ص ٢٦٧

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ وَمَنْظَرُ حَفْرِهِ

لَمَّا شَاوَرَ الرَّسُوْلُ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ فَقَالَ سَلْمانُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! إِنَّا كُنَّا بِأَرْضِ فَارِسٍ إِذَا حُوصِرْنَا خَنْدَقْنَا عَلَيْنَا– وَكَانَتْ خِطَّةٌ حَكِيْمَةٌ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهَا الْعَرَبُ قَبْلَ ذٰلِكَ، فَاتَّفَقَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ عَلٰى رَأْيِ سَلْمَانَ وَأَسْرَعَ إِلَى تَنْفِيْذِ هٰذِهِ الْخِطَّةِ، فَوَكَّلَ إِلَى كُلِّ عَشَرَةِ رِجَالٍ أَنْ يَحْفِرُوْا مِنَ الْخَنْدَقِ أَرْبَعِيْنَ ذِرَاعًا۔

وَقَامَ الْمُسْلِمُوْنَ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ يَحْفِرُوْنَ الْخَنْدَقَ ورَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَحُثُّهُمْ وَيُسَاهِمُهُمْ فِي عَمَلِهِمْ هذا(١)۔

فَفِي الْبُخَارِي عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُوْلِ اللّٰه ﷺ فِي الْخَنْدَقِ وَهُمْ يَحْفِرُوْنَ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ عَلٰى أَكْتَادِنَا فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ۔

اَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ اِلَّا عَيْشُ الْاٰخِرَهْ — فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ(٢)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه خَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُوْنَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُوْنَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيْدٌ يَعْمَلُوْنَ ذٰلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأى مَابِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالْجُوْعِ قال۔

اَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ اِلَّا عَيْشُ الْاٰخِرَهْ — فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

فَقَالُوْا مُجِيْبِيْنَ لَهُ۔

نَحْنُ الَّذِيْنَ بَايَعُوْا مُحَمَّدًا — عَلَى الْجِهَادِ مَابَقِيْنَا أَبَدًا(٣)

(١) انظر الرحيق المختوم :ج١ ص ٢٦٧

(٢) اخرجه البخارى فى الصحيح فى كتاب المغازى باب غزوة الخندق برقم : ٣٨٧٢، من حديث سهل بن سعدؓ ، البدايه والنهاية لابن كثير ج٤ ص٩٦

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب التحريض على القتال برقم:٢٦٧٩، ومسلم فى كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة الاحزاب برقم :١٨٠٥، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم : ١٣٠٧١من حديث انسؓ.

وَفِيهِ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنه قال رَئَيْتُهُ ﷺ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتّى وَارٰى عَنِّى الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيْرَ الشَّعْرِ فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَيَقُوْلُ

اَللّٰهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأُوْلٰى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوْا فِتْنَةً أَبَيْنَا(١)

قَالَ ثم يَمُدُّبِهَا صَوْتَهَا بِآخِرِها

وَكَانَ الْمُسْلِمُوْنَ يَعْمَلُوْنَ بِهٰذَا النَّشَاطِ وَهُمْ يُقَاسُوْنَ مِنْ شِدَّةِ الْجُوْعِ مَا يُفَتِّتُ الْأَكْبَادَ ـ

قَالَ أَنَسٌ (وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَنْدَقِ) يُؤْتُوْنَ بِمَلْأِ كَفَّىْ مِنَ الشَّعِيْرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ باهَالَةٍ (٢) سَنِخَةٍ تُوْضَعُ بَيْنَ يَدَيِّ الْقَوْمِ وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ وَهِيَ بِشْعَةٌ فِيْ الْحَلَقِ وَلَهَا رِيْحٌ مُنْتِنٌ ـ

وَقَالَ أَبُوْطَلْحَةَ شَكَوْنَا إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ اَلْجُوْعَ فَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ فَرَفَعَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ(٣)ـ

مُشَاوَرَةُ الرَّسُوْلِ ﷺ أَمَّ سَلَمَةَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ

لَمَّا فَرَغَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ قَالَ قُوْمُوْا، فَانْحَرُوْا فَوَاللّٰهِ مَاقَامَ أَحَدٌحَتّٰى قَالَ ثَلٰثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ منهم أَحَدٌ،

(١) اخرجه البخارى فى المغازى ، باب غزوة الخندق برقم :٣٨٨٠، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم:١٣٦٧٣، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه
(٢) والاهالة : الدهن الذى يؤتدم به سواء كان زيتا او سمنا او شحما ، سنخة : اى تغير طعمها ولونها من قدمها
(٣) رواهٗ الترمذى فى ابواب الزهد ، باب معيشة اصحاب النبى ﷺ برقم :٢٣٧١،الترغيب والترهيب للمنذرى برقم :٤٩٦٤، من حديث ابى طلحة رضي الله عنه

قَامَ فَدَخَلَ عَلٰى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَالَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! أَتُحِبُّ ذلكَ؟ أُخْرُجْ ثُمَّ لَاتُكَلِّمْ أَحَدًا كَلِمَةً حَتّٰى تَنْحَرَبُدْنَكَ وَتَدْعُوْ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَقَامَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتّٰى فَعَلَ ذٰلِكَ، نَحَرَبُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهٗ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ ذٰلِكَ قَامُوْا فَنَحَرُوْا وجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حتى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، وَكَانُوْا نَحَرُوْا الْبُدْنَةَ عن سَبْعَةٍ، وَالْبَقْرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَنَحَرَ رسولُ الله ﷺ جَمَلاً لِأَبِي جَهْلٍ، وَكَانَ فِي أَنْفِهِ بَرَّةٌ مِنْ فِضَّةٍ لِيَغِيْظَ بِهِ الْمُشْرِكِيْنَ، وَدَعَا رسولُ اللّٰهِ ﷺ لِلْمُحَلِّقِيْنَ ثلاثًا بِالْمَغْفِرَةِ وَلِلْمُقَصِّرِيْنَ مَرَّةً(١)ـ

لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا (قِصَّةُ خَيْبَرَ)

قَالَ رَسُوْلُ اللّٰه ﷺ فِي خَيْبَرَ لَأُعْطِيْنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ وَيُحِبُّهُ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُوا أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ:أَيْنَ علىُّ بْنُ أَبى طَالِبٍ؟ فَقَالُوْا يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَالَهُ فَبَرِئَ كَانَ لَمْ يَكُنْ بِه وَجْعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! أُقَاتِلُهُمْ حَتّٰى يَكُوْنُوْا مِثْلَنَا، قَالَ اُنْفُذْ عَلٰى رِسْلِكَ حَتّٰى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّٰهِ فِيْهِ، فَوَاللّٰهِ لَأَنْ يَّهْدِيَ اللّٰهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌلَكَ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ لَكَ حُمُرُالنَّعَمِ(٢)ـ

(١) اخرجه البخارى فى كتاب الشروط، باب الشروط فى الجهاد برقم : ٢٥٨١، والبيهقى فى السنن الكبريبرقم: ٩٨٥٦، من حديث المسوربن مخرمه ومروان بن الحكم
(٢) اخرجه البخارى ، باب فضل من اسلم على يديه رجل برقم :٣٠٠٩، ومسلم باب من فضائل على بن ابى طالب برقم : ٦٣٧٦، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه

يَرْتَجِزُ اِبْنُ رَوَاحَةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَا

وَدَخَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَكَّةَ رَاكِبًا عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ وَالْمُسْلِمُوْنَ مُتَوَشِّحُوا السُّيُوْفِ مُحْدَقُوْنَ بِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ يُلَبُّوْنَ وَخَرَجَ الْمُشْرِكُوْنَ إِلٰى جَبَلِ قَيْقَعَانَ— اَلْجَبَلِ الَّذِيْ فِيْ شِمَالِ الْكَعْبَةِ—لِيَرَوُاالْمُسْلِمِيْنَ وَقَدْ قَالُوْا فِيْمَا بَيْنَهُمْ أَنَّهُ يَقْدُمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَتْهُمْ حُمّٰى يَثْرِبَ فَأَمَرَالنَّبِيُّ ﷺ اَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمَلُوْا الْأَشْوَاطَ الثَّلٰثَةَ ، عَبْدُاللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَرْتَجِزُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ مُتَوَشًّا بِالسَّيْفِ۔

خَلُّوْا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيْلِهِ   خَلُّوْا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُوْلِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمٰنُ فِي تَنْزِيْلِهِ   فِي صُحُفٍ تُتْلٰى عَلٰى رَسُوْلِهِ
يَارَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيْلِهِ   إِنِّي رَئَيْتُ الْحَقَّ فِي قُبُوْلِهِ
بِأَنَّ خَيْرَالْقَتْلِ فِى سَبِيْلِهِ   اَلْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلٰى تَنْزِيْلِهِ
ضَرْبًا يُزِيْلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيْلِهِ   وَيُذْهِلُ الْخَلِيْلَ عَنْ خَلِيْلِهِ(١)

فَقَالَ عمرُ رضي الله عنه يَاابْنَ رَوَاحَةَ! بَيْنَ يَدَيْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللّٰهِ تَقُوْلُ الشِّعْرَ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَلِّ عَنْهُ ياعُمَرُ! فَلَهُوَ اَسْرَعُ فِيْهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ۔

فَلَمَّا رَاٰهُمُ الْمُشْرِكُوْنَ قَالُوْا هٰؤُلَاءِ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمّٰى قَدْ وَهَنَتْهُمْ ، هٰؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا(٢)۔

غَزْوَةُ مُوْتَةَ وَشُهَدَاءُ الْإِسْلَامِ

أَخْرَجَ إِسْحٰقُ عَنْ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه قَالَ بَعَثَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ بَعْثَةً إِلٰى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُوْلٰى مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ

(١) رواه الترمذى ، باب انشاد الشعر برقم :٢٨٤٧، والنسائى فى سننه ، باب انشاد الشعر فى الحرم برقم ٢٨٧٣، والطبرانى فى المعجم الكبير ، برقم :١٨١، باختلاف الاشعار من حديث انس رض

(٢) نفس المصدر السابق

زَيْدَبْنَ حَارِثَةَ وقال، إِنْ أُصِيْبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُبْنُ أَبِي طالبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيْبَ جَعْفَرٌفَعَبْدُ اللّٰهِ ابْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه عَلَى النَّاسِ، فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ثُمَّ تَهَيَّأُوْا لِلْخُرُوْجِ وَهُمْ ثَلٰثَةُ الافٍ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوْجُهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَسَلَّمُوْا عَلَيْهِمْ، فلما وُدِّعَ عَبْدُ اللّٰهِ ابْنِ رَوَاحَةَ مَعَ مَنْ وُدِّعَ بَكٰى فقالوا مَا يُبْكِيْكَ يَاابْن رَوَاحَةَ؟ فقال أَمَّا واللّٰهِ مَابِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ وَلٰكِنِّي سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقْرَأُ ايةً مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ يَذْكُرُفِيْهَا النَّارَ**﴿وَ إِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلٰى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾** فَلَسْتُ أَدْرِيْ كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُوْدِ فَقَالَ الْمُسْلِمُوْنَ "صَحِبَكُمُ اللّٰهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِيْنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ(١)۔

وَلٰكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمٰنَ مَغْفِرَةً   وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْعٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوطَعْنَةً بِيَدَى حَرَّانَ مُجْهِزَةً   بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
حَتّٰى يُقَالَ إِذَا مَرُّوْا عَلٰى جَدَثِيْ   أَرْشَدَهُ اللّٰهُ مِنْ غَازٍوَقَدْ رَشَدَا

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَهَيَّأُوْا لِلْخُرُوْجِ،فَأَتٰى عَبْدُ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ فَوَدَّعَهُ ثُمَّ قَالَ

فَثَبَّتَ اللّٰهُ مَاأَتَاكَ مِنْ حَسَنٍ   تَثْبِيْتَ مُوْسٰى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوْا

(١) بعثه : جيشه][صبابة : عشق ورقة الشوق وحرارته][بالصدر :الانحراف والرجوع] [ذات فرع : ضربة فريغة اى واسعة] [تقذف : ترمى] [حران : الشديد العطش] [مجهزة : سريعة القتل تقول اجهز على الجريح اذا اسرع فى قتله][الاحشاء :تخرقها وتصل اليها، والاحشاء جمع الحشا:ماانضمت عليه الضلوع والخواصر] [والكبد:عضو فى الجانب الايمن من البطن تحت الحجاب الحاجز] [جدثى:قبرى] [فثبت الله : قواه وايده وجعل له الغلبة] [من حسن : يريد الدين المتين ، حاشيه سيرة بن هشام][تفرست : تبينت اى رئيت فى مخايل الخير][نافلة:هبة من الله وعطية منه

إِنِّـي تَـفَـرَّسْـتُ فِيْكَ الْخَيْرَ نَافِلَةً اَللّٰـه يَـعْـلَـمُ أَنِّـي ثَـابِتُ الْبَصَرِ
أَنْتَ الرَّسُوْلُ فَمَنْ يُحْرَمْ نَوَافِلُهُ (١) وَالْـوَجْـهُ مِـنْهُ فَقَدْ أَزْرَى بِهِ الْقَدَر

ثـم خـرج الـقومُ، وَخَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يُشَيِّعُهُمْ حتى إِذَا وَدَّعَهُمْ وَانْصَرَفَ، قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه

خَـلَفَ السَّلَامُ عَلَى امْرِئٍ وَدَّعْتُهُ فِـي الـنَّـخْـلِ خَيْـرَمُشَيِّعٍ وَخَلِيْلِ

ثُـمَّ مَضَوْا حَتّٰى نَزَلُوْا مِعَانًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَبَلَغَ النَّاسَ أَنَّ هِرَقْلَ قَدْ نَـزَلَ مَـاٰبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّوْمِ، وَانْضَمَّ اِلَيْهِ مِنْ لَخْمٍ وَجُـذَامٍ وَالْـقَيْـنِ وَبَهْـرَاءِ وَبَـلِـيّ مِائَةُ اَلْفٍ مِنْهُمْ فَلَمَّا بَلَغَ ذٰلِكَ الْمُسْلِمِيْنَ أَقَامُوْا عَلٰى مِعَانٍ (٢) لَيْـلَتَيْنِ يَنْظُرُوْنَ فِي أَمْرِهِمْ، وَقَالُوْا نَكْتُبُ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ نُـخْبِرُهٗ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهٖ، فَنَمْضِي لَهُ۔

مَقْتَلُ زَيْدِبْنِ حَارِثَةَ

فَمَضَى النَّاسُ حَتّٰى إِذَا كَانُوْا بِتَخُوْمِ الْبَلْقَاءِ لَقِيَتْهُمْ جُمُوْعُ هِرَقْلَ مِنَ الـرُّوْمِ وَالْـعَـرَبِ بِقَرْيَةٍ من قُرَى الْبَلْقَاءِ يقال لها "مَشَارِف" ثُمَّ دَنَاالعَدُوُّ، وَانْحَازَ (٣) الْـمُسْـلِـمُـوْنَ إِلٰى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا"مُؤْتة" فَالْتَقَى النَّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبَّى(٤)لَهَا الْمُسْلِمُوْنَ، فَجَعَلُوْا على مَيْمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُذْرَةَ يُقَالُ لَـهُ قُـطْبَةُ ابْنُ قَتَادَةَ،وعلى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلاً مِنَ الْاَنْصَارِ يُـقَالُ لَهُ عُبَادَةُ بْنُ مَـالِكٍ ثُـمَّ الْتَـقَى النَّاسُ، فَاقْتَتَلُوْا فَقَاتَلَ زَيْدُبْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ

(١) نوافله : العطايا والمواهب
(٢) معان : وهى مدينة فى شرقى الاردن على الطريق بين المدينة وعمان
(٣) انحاز:تركوامراكز الى آخر وتحركوا
(٤) فتعبى : رتب لهم المسلمون وتهيأوا

حتى شَاطَ(١)فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ(٢)۔

فَشَجَّعَ (٣) النَّاسَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه وَقَـالَ يَاقَوْمِ! وَاللّٰهِ إِنَّ الَّتِي تَـكْـرَهُـوْنَ لِـلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُوْنَ الشَّهَادَةَ، وَمَانُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ ولاقُوَّةٍ ولاكَثْرَةٍ، وَمَا نُقَاتِلُهُم إِلَّا بِهٰذَا الدِّيْنِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللّٰهُ بِهٖ، فَانْطَلِقُوْا فَإِنَّمَا هِـيَ إِحْـدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا ظُهُوْرٌوَإِمَّا شَهَادَةٌ، فَقَالَ النَّاسُ قَدْ– وَاللّٰهِ– صَدَقَ اِبْنُ رَوَاحَةَ(٤)

مَقْتَلُ جَعْفَرِبْنِ أَبِي طَالِبٍ

ثُـمَّ أَخَذَهَا جعفرُ رضي الله عنه فَـقَاتَلَ بِهَا حَتّٰى إِذَا أَلْحَمَهُ (٥) الْقِتَالُ اِقْتَحَمَ (٦) عَـنْ فَـرَسٍ لَـهُ "شَـقْـرَاءَ" فَعَقَرَهَا فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتّٰى قُتِلَ، فَكَانَ جَعْفَرُ اَوَّلَ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ عَقَرَ(٧) فِي الْإِسْلَامِ۔

وَفِـي رِوَايَةٍ إِنَّ جَعْفَرَبْنَ أَبِيْ طَالِبٍ أَخَذَاللِّوَاءَ بِيَمِيْنِه فَقُطِعَتْ فَأَخَذَهٗ بِشِمَالِه فَقُطِعَتْ فَاحْتَضَنَهُ(٨) بِعَضُدَيْهِ حَتّٰى قُتِلَ رضي الله عنه وَهُوَابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلٰثِيْنَ سـنةً فَـأَثَابَهُ اللّٰهُ بِذٰلِكَ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيْرُبِهِمَا حَيْثُ شَاءَ وَيُقَالُ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الرُّوْمِ ضَرَبَهُ يَوْمئذٍ ضَرْبةً فَقَطَعَهُ بِنِصْفَيْنِ۔(ابن هشام)

وَفِـي رِوَايَةٍ عَـنْ يَـحْيَى بْنِ عَبَّادِبْنِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيْهِ عَبَّادٍ قَـالَ حَـدَّثَنِي أَبِي الَّذِيْ أَرْضَعَنِيْ وَكَانَ أَحَدُبَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ وكَانَ فِي

(١) شاط : اى هلك يقال شاط الرجل اذا سال دمه فهلك
(٢) المصدر السابق ج٢ص٣٧٦
(٣) فشجع : حملهم على الشجاعة وقوى قلوبهم
(٤) سيرة ابن هشام ج٢ص٣٧٣، وقد اخرج هذه القصة النسائى فى السنن الكبرىٰ برقم :٨٦٠٤، من حديث عبدالله بن جعفر رض
(٥) الحمه : اى اشد الحرب
(٦) اقتحم : رمى بنفسه عنها يريد انه كان فارسا فترجل
(٧) عقر:اى قطع قوائم الفرس وهو قائم
(٨) فاحتضنه : اخذهٗ وجعل فى حضنه

تِلْكَ الْغَزْوَةِ قَالَ، وَاللّٰهِ لَكَأَنِّى أَنْظُرُإِلَى جَعْفَرَ حِيْنَ اِقْتَحَمَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ(١) ثم عَقَرَهَا ثم قَاتَلَ حتى قُتِلَ وَهُوَيقول ـ

يَا حَبَّذَا الْجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا — طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا
وَالرُّوْمُ رُوْمٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا — كَافِرَةٌ بَعِيْدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِنْ لَا قَيْتُهَا ضِرَابُهَا(٢)

مَقْتَلُ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه

فَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرُ رضي الله عنه أَخَذَ عبدُ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ ثم تَقَدَّمَ بِهَا وَهُوَعَلٰى فَرَسِهِ فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ(٣) نَفْسَهُ وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ وَيَقُوْلُ

أَقْسَمْتُ يَانَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهْ — لَتَنْزِلَنَّ اَوْلَتُكْرَهَنَّهْ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرَّنَّهْ — مَالِى أَرَاكِ تَكْرَهِيْنَ الْجَنَّهْ
قَدْ طَالَ مَاقَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّه — هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّهْ

وَقَالَ أَيْضاً

يَانَفْسُ إِنْ لَاتُقْتَلِي تَمُوْتِي — هٰذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْصَلِيْتِ
وَمَا تَمَنَّيْتِ قَدْ أُعْطِيْتِ — إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيْتِ (٤)

يُرِيْدُ صَاحِبَيْهِ زَيْدًا وَجَعْفَراً ثُمَّ نَزَلَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ إِبْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرْقٍ(٥) مِنْ لَحْمٍ، فَقَالَ شُدَّ بِهٰذَاصُلْبَكَ فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيْتَ فِى أَيَّامِكَ هٰذِهِ مَالَقِيْتَ فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ فَانْتَهَسَ (٦) مِنْهُ نَهْسَةً، ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ (٧) فِي

(١) شقراء: الفرس الذى اشرف فى بياضه الحمرة
(٢) سيرة ابن هشام ج٢، ص٣٧٦، حياة الصحابه ج٢ ، ص٦٤، سنن النسائى الكبرىٰ برقم حديث:٨٦٠٤
(٣) يستنزل :يطلب نزولها
(٤) يانفس: فى المجمع عن الطبرانى يا نفسى، اجلب الناس: صاحوا واجتمعوا، الرنه: صوت فيه توجيع يشبه البكاء، الشنه: القربة القديمه ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده، حمام: اى قضاء ، من حم كذا اى قدر، صليت:قاسيت شدته و دخلت فيه
(٥) بعرق: عرق بالسكون العظم
(٦) فانتهس : اخذمنه بغمه يسيرا
(٧) الحطمة : الازدحام

نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ اَخَذَ سَيْفَهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حتى قُتِلَ۔

ثم أَخَذَ الرَّايَةَ ثَابِتُ ابْنُ أَقْرَمَ أَخُوبَنِى الْعَجَلَانَ، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِيْنَ! اِصْطَلِحُوْا عَلٰى رَجُلٍ مِنْكُمْ، فَقَالُوْا "أَنْتَ" قَالَ مَا اَنَا بِفَاعِلٍ، فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلٰى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيْدِ، فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ دَافَعَ الْقَوْمَ وَحَاشٰى بِهِمْ ثُمَّ انْحَازَوَ أُنْحِيْزَ عَنْهُ حَتّٰى انْصَرَفَ بِالنَّاسِ(١)۔

اَلرَّسُوْلُ ﷺ يَتَنَبَّأُ بِمَا حَدَثَ

قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ وَلَمَّا أُصِيْبَ الْقَوْمُ قَالَ رسولُ اللّٰه ﷺ فِيْمَا بَلَغَنِي:

أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقَاتَلَ بِهَا حَتّٰى قُتِلَ شَهِيْدًا ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرُ فَقَاتَلَ بِهَاحَتّٰى قُتِلَ شَهِيدًا قَالَ ثُمَّ صَمَتَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ حَتّٰى تَغَيَّرَتْ وُجُوْهُ الْأَنْصَارِ وَظَنُّوْا أَنَّهُ قَدْ كَان فِي عَبْدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ بَعْضُ مَايَكْرَهُوْنَ، ثُم قَالَ، أَخَذَهَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ بِهَا حَتّٰى قُتِلَ شَهِيْدًا،ثُمَّ قَالَ، لَقَدْ رُفِعُوْا إِلَيَّ فِي الْجَنَّةِ فِيْمَا يَرَى النَّائِمُ عَلٰى سُرُرٍمِنْ ذَهَبٍ، فَرَأَيْتُ فِي سَرِيْرِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ رَوَاحَةَ إِزْوِرَاراً(٢) عَنْ سَرِيْرَيْ صَاحِبَيْهِ، فَقُلْتُ عَمَّ هٰذَا؟ فَقِيْلَ لِىْ مَضَيَا وَتَرَدَّدَ عبدُ اللّٰهِ بَعْضَ التَّرَدُّدَ ثُمَّ مَضٰى(٣)۔

حُزْنُ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ عَلَى جَعْفَرَ رضي الله عنه

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللّٰهِ بْنِ أَبِى بَكْرٍ عَنْ أُمِّ عِيْسٰى اَلْخُزَاعِيَّةِ، عَنْ أُمِّ جَعْفَرَبِنْتِ مُحَمَّدِبْنِ جَعْفَرَابْنِ أَبِى طَالِبٍ ،عَنْ

(١) نفس المصدر السابق
(٢) ازوارا : انحرافا ، عدولا اى عدل عنه وانحرف
(٣) نفس المصدرالسابق، والروض الانف للسهيلى ج٤ص١١٩

جَدَّتِهَاأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ ، قَالَتْ لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرُوَأَصْحَابُهُ دَخَل عَلَيَّ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ وَقَدْ دبغت اربعين منا—قال ابن هشام ويروى أَرْبَعِيْنَ مَنِيْئَةً—وَعَجِنْتُ عَجِيْنِي وَغَسَّلْتُ بَنِيّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ، قَالَتْ فَقَالَ لِي رَسُوْل الله ﷺ إِئْتِيْنِي بِبَنِي جَعْفَرَ، قَالَتْ فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَتَشَمَّمَهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَقُلْتُ يَارَسُوْلَ اللّهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَايُبْكِيْكَ؟ أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرَ وَأَصْحَابِهِ شَيْئٌ قَالَ نَعَمْ أُصِيْبُوْا هٰذَا الْيَوْمَ،قَالَتْ فَقُمْتُ أَصِيْحُ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَخَرَجَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ إِلى أَهْلِهِ ،فَقَالَ لَاتَغْفُلُوْا اٰلَ جَعْفَرَ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوْا لَهُمْ طَعَامًا فَإِنَّهُمْ قَدْ شَغَلُوْا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ(١)۔

يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ

لَمَّا فَتَحَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ مَكَّةَ دَخَلَ الْبَيْتَ ثُمَّ اَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَاب وَعَلٰى أُسَامَةَ وَبِلَالٍ، فَاسْتَقْبَلَ الْجِدَارَ الَّذِي يُقَابِلُ الْبَابَ حَتّٰى إِذَاكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ثَلٰثَةُ اَذْرُعٍ وَقَفَ وَجَعَلَ عَمُوْدَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ وَعَمُوْدًا عَنْ يَمِيْنِهِ وَثَلٰثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ—وَكَانَ الْبَيْتُ يَوْمَئِذٍ عَلٰى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ—ثُمَّ صَلّٰى هُنَاكَ ثُمَّ دَارَفِى الْبَيْتِ، وَكَبَّرَفِي نَوَاحِيْهِ، وَحَّدَاللّٰهَ ثُمَّ فَتَحَ، وَقُرَيْشٌ قَدْ مَلَئَتِ الْمَسْجِدَ صُفُوْفًا يَنْتَظِرُوْنَ مَاذَا يَصْنَعُ؟ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَى الْبَابِ وَهُمْ تَحْتَهُ—فَقَالَ

لَاالٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهٗ لَاشَرِيْكَ لَهٗ صَدَقَ وَعْدَهٗ وَنَصَرَعَبْدَهٗ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهٗ أَلَاكُلُّ مَأْثُرَةٍ أَوْمَالٍ اَوْدَمٍ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ،

(١) رواهُ احمد فى المسند ، برقم : ٢٧٠٨٦، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم : ٣٨٠، من حديث اسماء بن عميس رضى الله عنها، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٤، الروض الانف للسهيلى باب فضل ابن رواحة ج٤ ص١٢٦

إِلَّاسُدَانَةَ الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ۔

يَامَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ اللّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نُخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَهَا بِالْآبَاءِ اَلنَّاسُ مِنْ اٰدَمَ وَاٰدَمُ مِنْ تُرَابٍ ، ثُمَّ تَلَاهٰذِهِ الْاٰيَةَ **﴿يٰٓأَيُّهَاالنَّاسُ إِنَّاخَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍوَّأُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًاوَّقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا ط إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللّٰهِ أَتْقٰكُمْ ط إِنَّ للّٰهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ﴾**

ثُمَّ قَالَ يَامَعْشَرَقُرَيْشٍ ! مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوْا، خَيْرًا، أَخٌ كَرِيْمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيْمٍ وَقَدْ قَدَرْتَ فَقَالَ فَإِنِّي أَقُوْلُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوْسُفُ لِإِخْوَتِهِ(لَاتَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، إِذْهَبُوْا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ)(١)۔

مِفْتَاحُ الْبَيْتِ إِلٰى أَهْلِهٖ

ثُمَّ جَلَسَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ رضي الله عنه وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَالَ يَارَسُوْلَ اللّهِ! إِجْمَعْ لنا الْحِجَابَةَ مَعَ السِّقَايَةِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ، وَفِي رِوَايَةٍ إِنَّ الَّذِي قَالَ ذٰلِكَ هُوَ الْعَبَّاسُ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ اَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ؟ فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَاعُثْمَانُ! اَلْيَوْمُ يَوْمُ بِرٍّوَوَفَاءٍ، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ فِي الطَّبْقَاتِ أَنَّهُ قَالَ لَهُ حِيْنَ دَفَعَ الْمِفْتَاحَ إِلَيْهِ، خُذُوْهَا خَالِدَةً تَالِدَةً، لَايَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّاظَالِمٌ يَاعُثْمَانُ، إِنَّ اللّٰهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلٰى بَيْتِهِ، فَكُلُوْا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هٰذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوْفِ (٢)۔

وَعَلَى الثَّلٰثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوْا

لَمَّا رَجَعَ رَسُوْلُ اللّهِ ﷺ مِنْ تَبُوْكَ وَدَخَلَ الْمَدِيْنَةَ بَدَأَبِالْمَسْجِدِ، فَصَلّٰى فِيْهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَأَمَّا الْمُنَافِقُوْنَ – وَهُمْ بِضْعَةٌ

(١) انظر:الرحيق المختوم ج١ ص٣٨٤، وقد ذكر البيهقى هذه القصة مفصلا فى السنن الكبرى برقم الحديث: ١٨٧٣٩

(٢) الروض الانف للسهيلى ج٤ ص١٧١، زادالمعاد لابن القيم :ج٣ص٣٥٦، السيرة النبوية لابن كثير ج٣ص٥٧٠

وَثَمَانُوْنَ رَجُلاً– ذَكَرَ الْوَاقِدِي أَنَّ هٰذَا الْعَدَدَ كَانَ مِنْ مُنَافِقِي الْأَنْصَارِ، وَإِنَّ الْمُعَذِّرِيْنَ مِنَ الْاَعْرَابِ كَانُوْا أَيْضًا إِثْنَيْنِ وَثَمَانِيْنَ رَجُلاً مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّ عَبْدَ اللّٰهِ بْنِ أُبَيٍّ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قَوْمِهِ كَانُوْا مِنْ غَيْرِ هٰؤُلَاءِ وَكَانُوْا عَدَدًا كَبِيْرًا(١)۔

فَجَاءُ وَايَعْتَذِرُوْنَ بِأَنْوَاعٍ شَتّٰى مِنَ الْأَعْذَارِ، وَطَفِقُوْا يَحْلِفُوْنَ لَهُ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَلَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَ هُمْ إِلَى اللّٰهِ۔

وَأَمَّا النَّفَرُالثَّلٰثَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ–وَهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ومُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيْعِ وَهِلَالُ بْنُ اُمَيَّةَ–فَاخْتَارُوا الصِّدْقَ، فَأَمَرَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ الصَّحَابَةَ أَنْ لَايُكَلِّمُوْا هٰؤُلَاءِ الثَّلٰثَةَ، وَجَرَتْ ضِدَّ هٰؤُلَاءِ الثَّلٰثَةِ مُقَاطَعَةٌ شَدِيْدَةٌ، وتَغَيَّرَلَهُمُ النَّاسُ حَتّٰى تَنَكَّرَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ وضَاقَتْ عَلَيْهِمْ بِمَا رَحُبَتْ وضَاقَتْ عليهم أَنْفُسُهُمْ، وَبَلَغَتْ بِهِمُ الشِّدَّةُ أَنَّهُمْ بَعْدَ أَنْ قَضَوْا أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً مِنْ بِدَايَةِ الْمُقَاطَعَةِ أُمِرُوْ أَنْ يَعْتَزِلُوا نِسَاءَ هُمْ حَتّٰى تَمَّتْ عَلٰى مُقَاطَعَتِهِمْ خَمْسُوْنَ لَيْلَةً ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ تَوْبَتَهُمْ

﴿وَّ عَلَى الثَّلٰثَةِالَّذِيْنَ خُلِّفُوْا ط حَتّٰى إِذَاضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوْآ أَنْ لَّامَلْجَامِنَ اللّٰهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ط ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوْبُوْا ط إِنَّ اللّٰهَ هُوَالتَّوَّابُ الرَّحِيْمُ﴾ [سورة التوبة :١١٨]

وَفَرِحَ الْمُسْلِمُوْنَ وَفَرِحَ الثَّلٰثَةُ لَايُقَاسَ مَدَاهُ وَغَايَتُهُ فَبَشَّرُوْا وَأَبْشَرُوْا وَاسْتَبْشَرُوْا وَاَجَازُوْا وَتَصَدَّقُوْا وَكَانَ أَسْعَدَيَوْمٍ مِن أَيَّامِ حَيَاتِهِمْ۔

وَاَمَّا الَّذِيْنَ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ فَقَدْ قَالَ تَعَالىٰ فِيْهِمْ **﴿ لَيْسَ عَلَى**

(١) انظر : فتح البارى لابن حجر ، حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ج١٢ص٢٣٨

الضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضٰى وَلَا عَلَى الَّذِيْنَ لَايَجِدُوْنَ مَايُنْفِقُوْنَ حَرَجٌ إِذَانَصَحُوْالِلّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ﴾[سورة التوبة :٩١]

وَقَالَ فِيْهِمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ احِيْنَ دَنَامِنَ المدينة (إِنَّ بِالْمَدِيْنَةِ رِجَالاً مَاسِرْتُمْ مَسِيْرًاوَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوْا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ) قَالُوايَارَسُوْلَ اللّٰهِ وَهُمْ بِالْمَدِيْنَةِ، قَالَ وَهُمْ بِالْمَدِيْنَةِ(١)۔

اَلْإِبْتِلَاءُ فِيْ زَمَنِ الْمُقَاطَعَةِ

يَقُوْلُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه وَبَيْنَا أَنَا أَمْشِيْ بِسُوْقِ الْمَدِيْنَةِ إِذَا نَبْطِيٌّ مِن أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِطَعَامٍ يَبِيْعُهُ بِالْمَدِيْنَةِ يَقُوْلُ– مَنْ يَدُلُّنِي عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيْرُوْنَ لَهُ حَتّٰى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانٍ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيْرٍ، فَإِذَا فِيْهِ (سَرَقَةٌ هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَرِيْرِ الْجَيِّدِ)۔

أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّٰهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيْعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِيْكَ۔

فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهٰذَا أَيْضاً مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّوْرَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا أَيْ أَشْعَلْتُهُ بِهَا(٢)۔

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

لَمَّا اكْتَمَلَتِ الدَّعْوَةُ وَإِبْلَاغُ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ وَبِنَاءُ مُجْتَمَعٍ جَدِيْدٍ عَلٰى أَسَاسِ إِثْبَاتِ الْأُلُوْهِيَّةِ لِلّٰهِ وَنَفْيِهَا عَنْ غَيْرِهِ وَعَلٰى أَسَاسِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَأَنَّ هَاتِفًا خَفِيًّا اِنْبَعَثَ فِى قَلْبِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ

(١) اخرجه البخارى فى كتاب المغازى ، باب نزول النبى ﷺ الحجر برقم :٤١٦١، والامام احمد فى المسند برقم :١٢٨٧٤، مصنف ابن ابى شيبه برقم :٣٧٠١٠، من حديث انس رضي الله عنه

(٢) اخرجه البخارى فى الصحيح برقم : ٤٤١٧ ، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم : ١٨٣٢٨، والامام احمد فى المسند برقم : ١٥٨٢٧، من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه

يُشْعِرُهُ أَنَّ مَقَامَهُ فِي الدُّنْيَا قَدْ أَوْشَكَ عَلَى النِّهَايَةِ، حَتّٰى أَنَّهُ حِيْنَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ سَنَةَ الْعَاشِرَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ قَالَ لَهُ فِيْمَا قَالَ يَا مُعَاذُ! إِنَّكَ عَسٰى أَنْ لَاتَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هٰذَا وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هٰذَاوَقَبْرِي فَبَكٰى مُعَاذٌ جَشَعًا [جَشَعًا اى جزعا و فزعا] لِفِرَاقِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ(١)۔

وَشَاءَ اللّٰهُ أَنْ يَرٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ ثِمَارَدَعْوَته الَّتِي عَانٰى فِي سَبِيْلِهَا أَلْوَاناً مِنَ الْمَتَاعِبِ بِضْعًا وَّعِشْرِيْنَ سَنَةً،فَيَجْتَمِعُ فِي أَطْرَافِ مَكَّةَ بِأَفْرَادِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ومُمَثِّلِيهَا فَيَأْخُذُوْ مِنْهُ شَرَائِعَ الدِّيْنِ وأَحكَامَهُ وَيَأْخُذَ مِنْهُمُ الشَّهَادَةَ عَلٰى أَنَّه أَدَّى الْأَمَانَةَ وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ۔

أَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَصْدِهِ لِهٰذِهِ الْحَجَّةِ الْمَبْرُوْرَةِ الْمَشْهُوْرَةِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلٰى دُرُوْسٍ بَلِيغَةٍ وَنَصَائِحَ غَالِيَةٍ وَفَوَائِدَ الْجَلِيّةِ الْمُهِمَّةِ السَّامِيةِ لَمَّا اشْتَهَرَ الْخَبَرُ فَقَدِمَ الْمَدِيْنَةَ بَشَرٌ كَثِيْرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ(٢) وَبَدَأَ النَّاسُ يَلْحَقُوْنَ مَعَهُ مِنْ بِلادٍ شَتّٰى وَاَمَاكِنَ بَعِيْدَةٍ حَتّٰى اجْتَمَعَ مَعَهُ عَدَدٌ كَثِيْرٌ حَوَالَىْ مِائَةٍ واَرْبَعَ وَعِشْرِيْنَ اَلْفٍ أَوْمِائَةٍ وَأَرْبَعَ وَاَرْبعين أَلْفًا،كَانَتْ هٰذِهِ ثَمَرَةُ دَعْوَتِهِ وَجُهْدِهِ بِضْعًا وَعِشْرِيْنَ سَنَةً ۔

تَحْمِيْلُ الْمَسْئُوْلِيَّةِ عَلَى الْأُمَّةِ

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ جُهْدُهُ وَتَعَبُهُ وَكَدُّهُ لِأَجْلِ الدِّيْنِ وَكَيْفَ اجْتَهَدَ وَكَمْ تَحَمَّلَ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ لِأَجْلِ الدِّيْنِ— كَانَ فِي بِدَايَةِ الْوَحْيِ هُوَ وَحْدَهُ ﷺ فَلَحِقَتْ مَعَهُ خَدِيجَةُ الْكُبْرٰى رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا وَصَلّٰى إِثْنَانِ فَقَطْ وَلَمْ يَكُنْ اَحَدٌ يُصَلِّى تَحْتَ أَدِيْمِ السَّمَاءِ سِوَاهُمَا—هٰذَا

(١) رواهُ البيهقى فى السنن الكبرى برقم : ٢٠٦٤٦، وابن حبان فى صحيحه برقم : ٦٤٧، والامام احمد فى المسند برقم ٢٢٠٥٢ من حديث انسؓ

(٢) روى مسلم قصة حجة الوداع مفصلا ، عن جابرؓ ، باب حجة النبى ﷺ برقم :٣٠٠٩

أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ بَعْدَهُ أَبُوْبَكْرٍ وَعَلِيٌّ، وزَيدُ بْنُ الْحَارِثَةِ، وَبِدَعْوَةِ أَبِيْ بَكْرٍ أَسْلَمَ بَعْضُ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَبَعْدَ زَمَنٍ أَسْلَمَ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ وَقَدْ أَسْلَمَ قَبْلَهُ أَرْبَعُوْنَ— وَكَانَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍالْمُسْلِمُوْنَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلٰثِ مِائَةٍ وَثَلٰثَةَ عَشَرَ—وَفِي أُحُدٍ أَكْثَرَمِنَ الْفٍ—وَفِي الْحُدَيْبِيَّةِ حَوَالَىْ أَلْفٍ وَخَمْسِ مِائَةٍ—وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ عَشَرَةَ الَافٍ—وَفِي تَبُوْك ثَلٰثِيْنَ أَلْفًا— وَفِي حَجَّةِ الْوِدَاعِ حَوَالَىْ مِائَةٍ وَأَرْبَعَ وَعِشْرِيْنَ أَلْفًا—فَحَمَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْأَمَانَةَ وَالْمَسْئُوْلِيَّةَ عَلَيْهِم فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْحَجِّ فِي الْخُطَبِ الَّتِى خَطَبَهَا فِى أَيَّامِ الْحَجِّ، فَقَالَ۔

أَيُّهَا النَّاسُ اِسْمَعُوْا قَوْلِي فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هٰذَا بِهٰذَا الْمَوْقَفِ اَبَداً(١)۔

أَيُّهَاالنَّاسُ ! إِنَّهُ لَانَبِيَّ بَعْدِي وَلَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ، أَلَا فَاعْبُدُوْارَبَّكُمْ وَصَلُّوْا خَمْسَكُمْ وَصُوْمُوْا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوْازَكٰوةَ أَمْوَالِكُمْ، طِيْبَةً بِهَا اَنْفُسُكُمْ وَتَحُجُّوْنَ بَيْتَ رَبِّكُمْ وَأَطِيْعُوا أَمْرَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ(٢)۔

وَأَنْتُمْ تُسْئَلُوْنَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُوْنَ؟ قَالُوْا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ فَقَالَ النَّبِي ﷺ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ(اَللّٰهُمَّ اشْهَدْ) ثَلٰثَ مَرَّاتٍ(٣)۔

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِي أَنَّهُ قَالَ:أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوْا نَعَمْ قَالَ اَللّٰهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعٰى مِنْ سَامِعٍ(٤)۔

وَبَعْدَ أَنْ فَرَغَ النبيُّ ﷺ مِنْ إِلْقَاءِ الْخُطْبَةِ نَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالىٰ ﴿أَلْيَوْمَ

(١) راجع: الروض الانف للسهيلى : ج٤ ص٣٨٣، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٠٣

(٢) رواهُ الطبرانى فى المعجم الكبير برقم : ٧٥٠٠، كنزل العمال برقم :١٢٩٢٢، واحمد فى المسند برقم : ٢٢٢٦٠، من حديث ابى امامة الباهلىؓ

(٣) رواهُ ابن ماجه باب حجة رسول الله ﷺ برقم : ٣٠٧٤، وابوداؤد ، باب صفة حجة النبى ﷺ برقم:١٩٠٧، من حديث جابر بن عبداللهؓ

(٤) اخرجه البخارى فى الصحيح برقم : ١٧٤١، من حديث ابى بكرةؓ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾ وَعِنْدَمَا سَمِعَهَا عُمَرُبَكَى فَقِيْلَ لَهُ مَايُبْكِيْكَ؟ قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا النُّقْصَانُ(١)۔

خُطْبَتُهُ ﷺ يَوْمَ النَّحَرِ

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ؓ قَالَ خَطَبَنَا النبيُّ ﷺ قَالَ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَكَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ ، اَلسَّنَةُ إِثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلٰثٌ مُتَوَالِيَاتٌ، ذُوالْقَعْدَةِ وَذُوالْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَالَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ۔

وَقَالَ، اَيُّ شَهْرٍ هٰذَا ؟ قُلْنَا اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ اَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتّٰى ظَنَنَّاأَنَّهُ سَيُسَمِّيْهِ بِغَيْرِ اِسْمِهِ،قَالَ، أَلَيْسَ ذَالْحِجَّةِ؟ قُلْنَا بَلٰى۔

قَالَ فَأَيُّ يَوْمٍ هٰذَا؟ قُلْنَا اَللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتّٰى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيْهِ بِغَيْرِ إِسْمِهِ قَالَ اَلَيْسَ يَوْمَ النَّحَرِ؟ قُلْنَا بَلٰى ! قَالَ

فَاِنَّ دِمَاءَ كُمْ وَاَمْوَالَكُمْ وَاَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا،فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا۔

وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ اَعْمَالِكُمْ، أَلَافَلَا تَرْجِعُوْا بَعْدِى ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ(٢)۔

أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا نَعَمْ قال اَللّٰهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ

(١) السيرة النبوية لابن كثير الجزء ٤ ص٤٢٧، مشاهير الصحابه الجزء ١ ص ١٩٣

(٢) اخرجه البخارى ، باب حجة الوداع برقم :٤١٤٤، ومسلم فى كتاب القسامة باب تحريم الدماء والاعراض برقم : ٤٤٧٧، عن ابى بكرةؓ

فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعٰى مِنْ سَامِعٍ(١)۔

وَفِى رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ فِي تِلْكَ الْخُطْبَةِ أَلَالَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلٰى نَفْسِهِ أَلَا لَايَجْنِي جَانٍ عَلٰى وَلَدِهِ وَلَامَوْلُوْدٍ عَلى وَالِدِهِ۔

اَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَديَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِى بَلَدِكُمْ هٰذَا أَبَدًا وَلٰكِنْ سَتَكُوْنُ لَهُ طَاعَةٌ فِيْمَا تَحْتَقِرُوْنَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضٰى بِهِ(٢)۔

اٰخِرُ الْبُعُوْثِ جَيْشُ أُسَامَةَ

وَقَدْ جَهَّزَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ جَيْشًا كَبِيْراً فِي صَفَرَ سَنَةَ إِحْدٰى عَشَرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ اٰخِرُ الْبُعُوْثِ فِي حَيٰوتِهِ ﷺ، وَاهْتَمَّ بِهِ وَاَمَّرَعَلَيْهِ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَاهُ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ الْاَوَّلِيْنَ إِلَّا اُنْتُدِبَ فِىْ تِلْكَ الْغَزْوَةِ، عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ ،أَبُوْعُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ ،سَعْدُ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأَبُوالْأَعْوَرِ سَعِيْدُ بْنُ زَيْدِبْنِ عَمْرٍ وبْنِ نُفَيْلٍ فِى رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ ، وَالْأَنْصَارُ عِدَةٌ، قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ حَرِيْشٍ۔

فَقَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمَهَاجِرِيْنَ وَكَانَ اَشَدُّهُمْ فِي ذٰلِكَ قَوْلًا—عَيَّاشُ بْنُ أَبِي رَبِيْعَةَ—يُسْتَعْمَلُ هٰذَا الْغُلَامُ عَلَى الْمَهَاجِرِيْنَ الْاَوَّلِيْنَ فَكَثُرَتِ الْقَالَةُ فِي ذٰلِكَ، فَسَمِعَ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ بَعْضَ ذٰلِكَ الْقَوْلِ فَرَدَّهُ عَلٰى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَجَاءَ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ، فَغَضِبَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ غَضَبًاشَدِيْدًا وَقَدْ عَصَبَ عَلٰى رَأْسِهِ بِعِصَابَةٍ وَعَلَيْهِ قَطِيْفَةٌ، ثُمَّ صَعِدَالْمِنبَرَ، فَحَمِدَاللّٰهَ وَأَثْنٰى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ۔

(١) اخرجه البخارى فى الصحيح فى حديث طويل برقم : ١٧٤١، من حديث ابى بكرةؓ

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الفتن برقم :٢١٥٩، وابن ماجه فى سننه باختلاف يسير برقم :٣٠٥٥

أَمَّا بَعْدُ! أَيُّهَا النَّاسُ فَمَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَامِيْرِي أُسَامَةَ، فَوَاللّٰهِ لَإِنْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَتِي أُسَامَةَ، لَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيْهِ مِنْ قَبْلُ، وَأَيْمُ اللّٰهِ إِنْ كَانَ لِلْإِمَارَةِ لَخَلِيْقٌ وَإِنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَخَلِيْقٌ بِالْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَا حَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنَّ هٰذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنَّهُمَا لَمُخَيِّلَانِ (وَعِنْدَ ابْنِ عَسَاكِرَ لَمُحِبَّانِ) لِكُلِّ خَيْرٍ فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا فَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِكُمْ، ثُمَّ نَزَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ ودَخَلَ بَيْتَهُ وَذٰلِكَ يَوْمُ السَّبْتِ لِعَشْرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيْعِ الْاَوَّلِ، وَجَاءَ الْمُسْلِمُوْنَ الَّذِيْنَ سَيَخْرُجُوْنَ مَعَ أُسَامَةَ رضي الله عنه يُوَدِّعُوْنَ رَسُوْلَ اللّٰه ﷺ فِيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ أَنْفِذُوْا جَيْشَ أُسَامَةَ(١)۔

فَخَرَجَ النَّاسُ وَنَزَلُوْا الجُرُفَ إِلَّا أَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُقَلْقَةَ عَنْ مَرَضِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ اَكْرَهَتْهُمْ عَلَى التَّرَيُّثِ حَتّٰى يَعْرِفُوْا مَا يَقْضِي اللّٰهُ بِهِ وَقَدْ قَضَى اللّٰهُ أَنْ يَكُوْنَ هٰذَا اَوَّلُ بَعْثٍ يَنْفُذُ فى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيْقِ رضي الله عنه۔

إِلَى الرَّفِيْقِ الْأَعْلٰى

لَمَّا تَكَامَلَتِ الدَّعْوَةُ وَسَيْطَرَ الْإِسْلَامُ عَلَى الْمَوْقِفِ أَخَذَت طَلَائِعُ التَّوْدِيْعِ لِلْحَيَاةِ وَالْأَحْيَاء تَطْلُعُ مِنْ مَشَاعِرِهِ ﷺ وَتَنَضَّحَ بِعِبَارَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ۔

إِنَّهُ اِعْتَكَفَ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ عِشْرِيْنَ يَوْماً ، بَيْنَمَا كَانَ لَا يَعْتَكِفُ إِلَّا عَشَرَةَ أَيَّامٍ فَحَسْبُ، وَتَدَارَسَهُ جِبْرِيْلُ الْقُرْاٰنَ مَرَّتَيْنِ۔

وَقَالَ فِي حَجَّةِ الْوِدَاعِ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هٰذَا بِهٰذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا ، وَقَالَ وَهُوَ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، خُذُوْا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ

(١) اخرج الواقدى هذه القصة بطولها فى المغازى ج١ ص١١١٧، جامع الاحاديث للسيوطى برقم:٢٧٤١٧، عن اسامة بن زيد رضي الله عنه

فَلَعَلِّي لَا أَحُجَّ بَعْدَ عَامِي هٰذَا وأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُوْرَةُ النَّصْرِ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ فعُرِفَ أَنَّهُ الْوِدَاعُ وَأَنَّهُ نُعِيَتْ اِلَيْهِ نَفْسُهُ۔

وَفِي أَوَائِلِ صَفَرَ سَنَةَ إحدى عشرة من الهجرة ١١ھ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى اُحُدٍ، فَصَلّٰى عَلَى الشُّهَدَاءِ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَإِنِّي شَهِيْدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللّٰهِ لَأَنْظُرُ إِلٰى حَوْضِي اْلآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيْتُ مَفَاتِيْحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْمَفَاتِيْحَ الْأَرْضِ وَإِنِّى وَاللّٰهِ مَا أَخَافُ أَنْ تُشْرِكُوْا بَعْدِي، وَلٰكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَن تَنَافَسُوْا فِيْهَا(١)۔

وَخَرَجَ لَيْلَةً—فِى مُنْتَصَفِهَا—إِلَى الْبَقِيْعِ فَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَقَابِرِ لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيْهِ بِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيْهِ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ اٰخِرُهَا أَوَّلَهَا، اَلْاٰخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُوْلٰى وَبَشَّرَهُمْ قَائلاً إِنَّا بِكُمْ لَلَاحِقُوْنَ (٢)۔

بِدَايَةُ الْمَرَضِ

وَفِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ صَفَرَ سَنَةَ ١١ھ وَكَانَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ—شَهِدَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ جَنَازَةً فِي الْبَقِيْعِ فَلَمَّا رَجَعَ —وَهُوَ فِي الطَّرِيْقِ—أَخَذَهُ صُدَاعٌ فِي رَأْسِهِ، وَاتَّقَدَتِ الحَرَارَةُ۔

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا رَجَعَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مِنَ الْبَقِيْعِ فَوَجَدَنِى وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعاً فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُوْلُ وَرَأْسَاهُ، فَقَالَ بَلْ أَنَا وَاللّٰهِ يَا عَائِشَةُ وَارَأْسَاهُ، ثُمَّ قَالَ وَمَا ضَرَّكِ لَوْمُتِّ قَبْلِي ، فَقُمْتُ عَلَيْكِ

(١) اخرجه البخارى فى الصحيح برقم: ٦٤٢٦، ومسلم برقم:٦١١٧، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم:١٤١٨٦؛ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه

(٢) انظر الرحيق المختوم ج١ص٤٥٧ مشاهير الصحابة ج١ ص١٩٣

وَكَفَنْتُكِ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ، قَالَتْ، قُلْتُ وَاللّٰهِ لَكَأَنِّي بِكَ، لَوْقَدْفَعَلْتَ ذٰلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلٰى بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ فِيْهِ بِبَعْضِ نِسَاءِكَ، قَالَتْ فَتَبَسَّمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَتَتَامَ بِهِ وَجْعُهُ، وَهُوَيَدُوْرُعَلٰى نِسَائِهِ(١)

وَقَدْ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّاسِ وَهُوَمَرِيْضٌ ١١/يَوْمًا وَجَمِيْعُ أَيَّامِ الْمَرَضِ كَانَ ١٣أَوْ١٤ يَوْمًا۔

أَلْأُسْبُوْعُ الْأَخِيْرُ

وَثَقُلَ بِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ أَلْمَرَضُ فَجَعَلَ يَسْأَلُ أَزْوَاجَهُ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا؟ فَفَهِمْنَ مُرَادَهُ فَأَذِنَّ لَهُ يَكُوْنُ حَيْثُ شَاءَ فَانْتَقَلَ إِلٰى عَائِشَةَ يَمْشِي بَيْنَ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَاصِبًا رَأْسَهُ تَخُطُّ قَدَمَاهُ حَتّٰى دَخَلَ بَيْتَهَا فَقَضٰى عِنْدَهَا آخِرَ أُسْبُوْعٍ مِنْ حَيَاتِهِ۔

وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقْرَأُ بِالْمُعَوَّذَاتِ وَالْأَدْعِيَةِ الَّتِي حَفِظَتْهَا مِنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَكَانَتْ تَنْفُثُ عَلٰى نَفْسِهِ وَتَمْسَحُهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ الْبَرَكَةِ(٢)۔

قَبْلَ الْوَفَاةِ بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ

وَيَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ قَبْلَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْوَفَاةِ اِتَّقَدَتْ حَرَارَةُ الْعِلَّةِ فِي بَدَنِهِ فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَجْعُ وَغُمِيَ، فَقَالَ هَرِيْقُوْا عَلَيَّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنْ آبَارٍ شَتّٰى، حَتّٰى أَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدُ إِلَيْهِمْ، فَاقْعَدُوْهُ فِي مِخْضَبٍ، وَصَبُّوا عَلَيْهِ الْمَاءَ، حَتّٰى طَفِقَ يَقُوْلُ حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ ۔

وَعِنْدَ ذٰلِكَ أَحَسَّ بِخِفَّةٍ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ—وَهُوَ مَعْصُوْبُ الرَّأْسِ—

(١) رواهٗ ابن ماجه برقم الحديث:١٤٦٥، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم: ٦٩٠٤، مسند ابى يعلى برقم:٤٥٧٩٤، من حديث عائشة رضى الله عنها ، الروض الانف للسهيلى ، باب ابتداء شكوى رسول الله ﷺ ج٤ ص٤٢٤

(٢) انظر : مشاهير الصحابة الجزء ١ ص ١٩٣، والرحيق المختوم الجزء ١ ص٤٥٩

حَتّٰى جَلَس عَلَى الْمِنْبَرِ، وَخَطَبَ النَّاسَ—وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُوْنَ حَوْلَهُ—فَقَالَ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْيَهُوْدِ وَالنَّصَارٰى اِتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، (١) وَفِي رِوَايَةٍ قَاتَلَ اللّٰهُ الْيَهُوْدَ وَالنَّصَارٰى اِتَّخَذُوْا قُبُوْرَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، (٢) وَقَالَ، لَاتَتَّخِذُوْا قَبْرِي وَثَنًايُعْبَدُ (٣)۔وَعَرَضَ نَفْسَه لِلْقِصَاصِ قائلاً مَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظهرًا فَهٰذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْمِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهٰذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ رَجَعَ فَجَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ،وَعَادَ لِمَقَالَتِهِ الْأُوْلٰى فِي الشَّحْنَاءِ(٤) وَغَيْرِهَا، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ لِي عِنْدَكَ ثَلٰثَةُ دَرَاهِمَ، فَقَالَ أَعْطِهِ يَافَضْلُ۔

ثُمَّ أَوْصٰى بِالْأَنْصَارِقَائِلاً أُوْصِيْكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِشِيٌ وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِيْ عَلَيْهِمْ،وَبَقِيَ الَّذِيْ لَهُمْ فَاقْبَلُوْا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوْا عَنْ مُسِيْئِهِمْ، (٥) وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُوْنَ وَتَقِلُّ الْأَنْصَارُ، حَتّٰى يَكُوْنُوْا كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِّى مِنْكُمْ أَمْراً يَضُرُّفِيْهِ أَحداً أَوْيَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيْئِهِمْ(٦)۔

ثُمَّ قَالَ (إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللّٰهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَاشَاءَ وَبَيْنَ مَاعِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ) قَالَ أَبُوْسَعِيْدِ الْخُدْرِيُ رضي الله عنه فَبَكٰى أَبُوْبَكْرٍ، قَالَ فَدَيْنَاكَ بِاٰبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَالَهُ، فَقَالَ النَّاسُ، أُنْظُرُوْا إِلٰى هٰذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللّٰهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَيَقُوْلُ فَدَيْنَاكَ بَآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ هُوَ

(١) رواهٗ البخارى فى الصحيح برقم :٣٢٦٧، ومسلم برقم :١٢١٥، والنسائى فى سننه برقم :٧٠٣

(٢) اخرجه البخارى برقم :٤٣٧، ومسلم برقم :١٢١٣، والامام احمد فى المسند برقم :٧٨٣١

(٣) رواه الامام مالك فى الموطا برقم :٥٩٤، مشكوة المصابيح ، الفصل الثالث برقم ٧٥٠

(٤) الشحناء : الحقد ، والعداوة والبغضاء ومنه الشحن ، العدو الشديد

(٥) اخرجه البخارى فى الصحيح برقم:٣٧٩٩، راجع للتفصيل مشاهير الصحابة ج١ص١٩٣، والرحيق المختوم ج١ص٤٦٠

(٦) صحيح البخارى برقم الحديث : ٣٨٠٠، كنزالعمال باختلاف اللفظ برقم :٣٣٧٣٧

الْمُخَيّرُ وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ أَعْلَمُنَا(١)۔

ثُمَّ قَالَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ إِنَّ مِنْ أَمَنَّ النَّاسِ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُوبَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيْلًا غَيْرَرَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَابَكْرٍ خَلِيْلًا وَلٰكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يُبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّاسُدَّ إِلَّابَابُ أَبِي بَكْرٍ(٢)۔

قَبْلَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

وَيَوْمَ الْخَمِيسِ قَبْلَ الْوَفَاةِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ قَالَ—وَقَدِ اشْتَدَّبِهِ الْوَجْعُ— هَلُمُّوا اَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهٗ—وَفِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ—فَقَالَ عُمَرُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْعُ وَعِنْدَكُمْ الْقُرْاٰنُ فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللّٰهِ فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوْا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ قَرِّبُوْا يَكْتُبُ لَكُمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ مَاقَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوْا اللَّغَطَ وَالْإِخْتِلَافَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ قُوْمُوْا عَنِّي(٣)۔

وَأَوْصٰى ذٰلِكَ الْيَوْمَ بِثَلَاثٍ ، أَوْصٰى بِإِخْرَاجِ الْيَهُوْدِ وَالنَّصَارٰى وَالْمُشْرِكِيْنَ مِنْ جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ وَاَوْصٰى بِإِجَازَةِ الْوُفُوْدِ بِنَحْوِ مَاكَانَ يُجِيْزُهُمْ أَمَّا الثَّالِثُ فَنَسِيَهُ الرَّاوِیْ، وَلَعَلَّهُ الْوَصِيَّةُ بِالْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْتَنْفِيْذُ جَيْشِ أُسَامَةَ، أَوْهِيَ "اَلصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَ مَاكَانَ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ كَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ جَمِيْعَ صَلَوَاتِهِ حَتّٰى ذٰلِكَ الْيَوْمِ—يَوْمَ الْخَمِيسِ قَبْلَ الْوَفَاةِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ— وَقَدْ صَلّٰى بِالنَّاسِ ذٰلِكَ الْيَوْمَ صَلٰوةَ الْمَغْرِبِ فَقَرَأَ فِيْهَا

(١) اخرجه البخارى فى الصحيح برقم:٣٦٥٤،ومسلم فى فضائل الصحابة باب من فضائل ابى بكر الصديق برقم:٦٣٢٠، من حديث ابى سعيد الخدريؓ

(٢) نفس المصدر السابق ، صحيح البخارى ومسلم باختلاف يسير

(٣) رواه البخارى فى الصحيح برقم :٦٩٣٢، والامام احمد فى المسند برقم :٢٩٩٢، والنسائى فى السنن الكبرى برقم:٧٥١٦، من حديث ابن عباس رضى الله عنهما

بِالْمُرْسَلٰتِ عُرْفاً(١) وَكَانَ هٰذِهِ آخِرُ صَلٰوةٍ صَلّٰى بِالنَّاسِ۔

وَعِنْدَ الْعِشَاءِ زَادَ ثِقْلُ الْمَرَضِ بِحَيْثُ لم يَسْتَطِعِ الْخُرُوْجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا لَا يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! وَهُمْ يَنْتَظِرُوْنَكَ قَالَ ضَعُوا لِي مَاءً ا فِي الْمِخْضَبِ (٢) فَفَعَلْنَافَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوْءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ ، فَقَالَ أَصَلَّى النَّاسُ ؟ وَوَقَعَ ثَانِيًا وَ ثَالِثًا مَا وَقَعَ فِيْ الْمَرَّةِ الْأُوْلٰى مِنَ الْإِغْتِسَالِ ثُمَّ الْإِغْمَاءِ حِيْنَمَا أَرَادَ أَنْ يَنُوْءَ— فَأَرْسَلَ إِلٰى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَصَلّٰى أَبُوْبَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ(٣) صَلٰوةً فِي حَيَاتِهِ ﷺ۔

وَرَاجَعَتْ عَائِشَةُ النَّبِيَّ ﷺ ثَلٰثَ أَوْأَرْبَعَ مَرَّاتٍ لِيُصْرَفَ الْإِمَامَةُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ حَتّٰى لَايَتَشَاءَمَ بِهِ النَّاسُ، فَأَبٰى وَقَالَ "إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوْسُفَ عليه السلام" مُرُوْا أَبَابَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ۔

قَبْلَ يَوْمٍ أَوْيَوْمَيْنِ

وَيَوْمَ السَّبْتِ أَوِالْأَحَدِ وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ لِصَلٰوةِ الظُّهْرِ، وَأَبُوْبَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فَلَمَّا رَأٰهُ أَبُوْبَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ،قَالَ أَجْلِسَانِي إِلٰى جَنْبِهِ فَأَجْلَسَاهُ إِلٰى يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُوْبَكْرٍ يَقْتَدِي بِصَلَاةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَيُسْمِعُ

(١) رواه البخارى ، باب مرض النبى ﷺ برقم :٤١٦٦، سنن ابن ماجه برقم :٨٣١، من حديث ام الفضل رضى الله عنها

(٢) المخضب بالكسر :شبه المركن وهى اجانة تغسل فيها الثياب (النهايه)

(٣) اخرجه البخارى فى كتاب الجماعة والامامة ، باب انما جعل الامام ليوتم به برقم :٦٥٥،شرح معانى الاثار برقم : ٢١٨٦، راجع : الرحيق المختوم ج١ ص٤٦٣، الروض الانف للسهيلى ج٤ ص٤٣٩

النَّاسَ التَّكْبِيْرَ(١)۔

قَبْلَ يَوْمٍ

وَقَبْلَ يَوْمٍ مِنَ الْوَفَاةِ–يَوْمَ الْاَحَدِ–أَعْتَقَ النَّبِيُّ ﷺ غِلْمَانَهُ وَتَصَدَّقَ بِسَبْعَةِ دَنَانِيْرَ كَانَتْ عِنْدَهُ وَوَهَبَ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَسْلِحَتَهُ وَفِى اللَّيْلِ إِسْتَعَارَتْ عَائِشَةُ اَلزَّيْتَ لِلْمِصْبَاحِ مِنْ جَارَتِهَا، وَكَانَتْ دِرْعُهُ ﷺ مَرْهُوْنَةً عِنْدَ يَهُوْدِيٍّ بِثَلَاثِيْنَ صَاعًا مِنَ الشَّعِيْرِ(٢)۔

آخِرُيَوْمٍ فِي الْحَيَاةِ

رَوى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ الْمُسْلِمِيْنَ بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلٰوةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ –وَأَبُوْبَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ– لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ كَشَفَ سِتْرَحُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي صُفُوْفِ الصَّلٰوةِ فَكَادَ الْمُسْلِمُوْنَ يُفْتَتَنُوْنَ فِي صَلَاتِهِمْ حِيْنَ رَأَوْهُ ﷺ فَرَحًابِهِ وَتَفَرَّجُوْا فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنِ اثْبُتُوْا عَلٰى صَلَاتِكُمْ، قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه فَتَبَسَّمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ سُرُوْرًا لِمَا رَأى مِنْ هَيْئَتِهِمْ فِي صَلٰوتِهِمْ وَمَارَئَيْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ أَحْسَنَ هَيْئَةً مِنْهُ تِلْكَ السَّاعَةِ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ، (٣) وَانْصَرَفَ النَّاسُ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَدْ أَفْرَقَ مِنْ وَجْعِهِ وَرَجَعَ أَبُوْبَكْرٍ إِلٰى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ، وَكَانَ هٰذَا آخِرُ رُؤْيَتِهِ إِلٰى الْأُمَّةِ ثُمَّ لَمْ يَأْتِ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَقْتُ صَلٰوةٍ أُخْرٰى۔

وَلَمَّا ارْتَفَعَ الضُّحٰى دَعَا النبيُّ ﷺ فاطمةَ فَسَارَّهَا بِشَيْئٍ فَبَكَتْ ثُمَّ

(١) نفس المصدر السابق ، صحيح البخارى ، وشرح معانى الآثار
(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم ١١٦٩٧، وابونعيم فى الحلية ج٨ ص١١٣
(٣) رواهُ البخارى فى الصحيح باب مرض النبى ﷺ برقم :٤١٨٣، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم :١٦٣٦١، والامام احمد فى المسند برقم :١٦٨٨، من حديث انس بن مالكؓ

دَعَاهَا فَسَارَّهَا بِشَيْئٍ فَضَحِكَتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْنَا عَنْ ذٰلِكَ–أَيْ فِيْمَا بَعْدُ، فَقَالَتْ سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجْعِهِ الَّذِيْ تُوُفِّيَ فِيْهِ، فَبَكَيْتُ ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ(١)۔

وَبَشَّر النَّبِيُّ ﷺ فاطِمَةَ بِأَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِيْنَ۔

وَرَأَتْ فَاطِمَةُ مَابِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ مِنَ الْكَرْبِ الشَّدِيْدِ الَّذِىْ يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ، وَاكَرْبَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا لَيْسَ عَلٰى أَبِيْكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ(٢)۔

وَدَعَا الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَبَّلَهُمَا وَأَوْصٰى بِهِمَا خَيْرًا وَدَعَا أَزْوَاجَهُ فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ۔

وَطَفِقَ الْوَجْعُ يَشْتَدُّوَيَزِيْدُ وَقَدْ ظَهَرَ أَثَرُالسَّمِّ الَّذِي أَكَلَهُ بِخَيْبَرَ حَتّٰى كَانَ يَقُوْلُ يَا عَائِشَةُ ، مَا أَزَالُ أَجِدُأَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ فَهٰذَا أَوَانُ وَجَدْتُّ اِنْقِطَاعِ أَبْهَرِي مِنْ ذٰلِكَ السَّمِّ۔

وَأَوْصٰى النَّاسَ، فَقَالَ"اَلصَّلٰوةَ الصَّلٰوةَ وَمَامَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" كَرَّرَ ذٰلِكَ مِرَاراً(٣)۔

كَيْفَ كَانَ فِكْرُهُ وَهَمُّهُ ﷺ لِلْأُمَّةِ

وَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ دَائِمًا يَكُوْنُ مَغْمُوْمًا وَمَهْمُوْماً حَتّٰى أَنْزَلَ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى اَلْاٰيَاتِ مِرَاراً فِي كَلَامِهِ الْمَجِيْدِ كَيْ يَتَسَلّٰى بِهَا فَقَالَ فِي مَقَامٍ–لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُوْنُ مُؤْمِنِيْنَ وَقَالَ " وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

(١) رواهُ البخارى فى الصحيح برقم: ٣٦٢٦، وابن حبان فى صحيحه برقم : ٦٩٥٤، من حديث عائشة رضى الله عنها،انظر:مشاهير الصحابه ج١ ص١٩٤، والرحيق المختوم ج١ ص٤٦٥
(٢) صحيح البخارى ، باب مرض النبيﷺبرقم : ٤١٩٣
(٣) صحيح البخارى برقم : ٢٩٣٣، والبيهقى فى شعب الايمان برقم :٨٥٥٢، من حديث انسؓ ، راجع : مشاهير لصحابة ج١ ص١٩٤

وَلَاتَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ " وَكَانَ ﷺ يَبْخَعُ نَفْسَهُ وَيَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَغْتَمُّ بِإِعْرَاضِ الْمُشْرِكِينَ وَإِنْكَارِهِمْ دَعْوَةَ الْحَقِّ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السّٰجِدِينَ۔

وَقَالَ فِي مَقَامٍ ﴿**وَلَوْشَاءَ رَبُّكَ لَاٰمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ وَأَيْضًا قَالَ لَاتُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ، وَقَالَ ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾ فَيُفْهَمُ مِنْ هٰذِهِ الْاٰيَاتِ أَنَّهُ كَمْ كَانَ وَكَيْفَ كَانَ هَمُّهُ وَغَمُّهُ وَقَدْرُهُ لِلْأُمَّةِ۔

وَقَدْوَرَدَ فِي صِفَاتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِمَ الْفِكْرَةِ۔

وَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَمْرِوبْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - تَلَاقَوْلَ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ فِي إِبْرٰهِيمَ عليه السلام (**رَبِّ اِنَّهُنَّ اَضْلَلْنَ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِىْ فَاِنَّهُ مِنِّىْ**)(ابراهيم٣٦)

وَقَالَ عِيسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ(**اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ**) فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ(اَللّٰهُمَّ أُمَّتِى أُمَّتِى) وَبَكٰى فَقَالَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ يَاجَبْرِيلُ! اِذْهَبْ إِلٰى مُحَمَّدٍ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَايُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ (١)

وَعَنْ جَعْفَرِبْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوا عَلٰى أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَقَالَ أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ قَالُوابَلٰى فَحَدَّثَنَا عَنْ أَبِى الْقَاسِمِ قَالَ لَمَّا أَنْ مَرِضَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ، فَقَالَ يَا

(١) رواه مسلم باب دعاء النبي ﷺ برقم : ٥٢٠

مُحَمَّدُ إِنَّ اللّٰهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ تَكْرِيماً لَكَ وَتَشْرِيفًالَكَ وَخَاصَّةً لَكَ، أَسْأَلُكَ عَمَّا هُوَأَ عْلَمُ بِهِ مِنْكَ يَقُولُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ أَجِدُنِي يَاجِبْرِيلُ مَغْمُوماً وَأَجِدُنِي يَاجِبْرِيلُ مَكْرُوباً، ثُمَّ جَاءَهُ الْيَوْمَ الثَّانِي، فَقَالَ لَهُ ذٰلِكَ فَرَدَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا رَدَّ أَوَّلَ يَوْمٍ، ثُمَّ جَاءَ الْيَوْمَ الثَّالِثَ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ يَوْمٍ وَرَدَّ عَلَيْهِ كَمَا رَدَّ وَجَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ إِسْمَاعِيلُ عَلٰى مِائَةِ أَلْفِ مَلَكٍ، كُلُّ مَلَكٍ عَلٰى مِأَةِ أَلْفِ مَلَكٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَسَأَلَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ مَا اسْتَأْذَنَ عَلٰى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ وَلَا يَسْتَأْذِنُ عَلٰى آدَمِي بَعْدَكَ،فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ائْذَنْ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَامُحَمَّدُ إِنَّ اللّٰهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ قَبَضْتُ وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَهُ تَرَكْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَوَتَفْعَلُ يَامَلَكَ الْمَوْتِ؟ قَالَ نَعَمْ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأُمِرْتُ أَنْ أُطِيعَكَ قَالَ فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلٰى جِبْرِيلَ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ إِنَّ اللّٰهَ قَدِ اشْتَاقَ إِلٰى لِقَاءِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِمَلَكِ الْمَوْتِ اِمْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَبَضَ رُوحَهُ۔(١)

اَلْإِحْتِضَارُ

وَبَدَأَ الْإِحْتِضَارُ فَأَسْنَدَتْهُ عَائِشَةُ إِلَيْهَا، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللّٰهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَإِنَّ اللّٰهَ جَمَعَ رِيقِىْ وَرِيقَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عبدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ فَرَئَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ،

(١) البداية والنهاية الجزء ٢٤٦/٥

فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ، اُلَيِّنُهُ لَكَ؟فَأَشَارَبِرَأْسِهِ أَنْ نَعَم فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ،—وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ إِسْتَنَّ بِهَا كَأَحْسَنِ مَاكَانَ مُسْتَنًّا—وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فِيْهَامَاءٌ فَجَعَل يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهَا وَجهَهُ وَيَقُوْلُ لَااِلٰهَ اِلَّااللّٰهُ اِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ(١)۔

وَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ مِنَ السِّوَاكِ حَتّٰى رَفَعَ يَدَهُ أَوْإِصْبَعَهُ وَشَخَص بَصَرَهُ نَحُوَالسَّقْفِ وتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ فَأَصْغَتْ اليه عَائِشَةُ وهويَقُوْلُ(مَعَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهْدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ) أَللّٰهُمَّ اغْفِرْلِي وَارْحَمْنِي وَالْحِقْنِي بِالرَّفِيْقِ الْأَعْلَى اَللّٰهُمَّ الرَّفِيْقَ الْأَعْلٰى(٢)۔

كَرَّرَ الْكَلِمَةَ الْأَخِيْرَةَ ثَلَثًا وَمَالَتْ يدُهُ ولَحِق بِالرَّفِيْقِ الْأَعْلىٰ إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ ۔

وَقَعَ هٰذَا الْحَادِثُ حِيْنَ اشْتَدَّتِ الضُّحٰى مِنْ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ ١٢/ربيع الاول سَنَةَ ١١هـ وَقَدْتَمَّ لَهُ ﷺ ثَلٰثٌ وَسِتُّوْنَ سَنَةً وَزَادَتْ أَرْبَعَةُ اَيَّامٍ۔

تَفَاقُمُ الْاَحْزَانِ عَلَى الصَّحَابَةِ

وَتَسَرَّبَ النَّبَأُ الْفَادِحُ وَأَظْلَمَتْ عَلَى الْمَدِيْنَةِ أَرْجَائُهَا وآفَاقُهَا قَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : مَارَئَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ اَحسَنَ وَاَضوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيْهِ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَمَارَئَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَاأَظْلَمَ مِنْ يوم مَاتَ فِيْهِ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (٣)۔

وَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ فَاطِمَةُ يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ، يَاأَبَتَاهُ إِلٰى جِبْرِيْلَ نَنْعَاهُ(٤)۔

(١) رواهُ البخارى ، باب مرض النبى ﷺ برقم :٤١٨٤، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم :١٨٦٠٨، من حديث عائشة رضى الله عنها

(٢) رواه البخارى ، باب سكرات الموت برقم :٦١٤٥، من حديث عائشة رضى الله عنها ،انظر :مشاهير الصحابة ج١ص ١٩٤، والرحيق المختوم ج١ ص٤٦٦

(٣) مشكوة المصابيح برقم :٥٩٦٢

(٤) رواه البخارى ، باب مرض النبى ﷺ برقم : ٤١٩٣، مسند البزار برقم : ٦٨٥٨، من حديث انس رض

وَأَيْضًا قَالَتْ

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبُ لَوْأَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الْأَيَّامِ صِرْنَ لَيالِياً

مَاذَا عَلٰى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدِ ... أَنْ لَّايَشُمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا

إذا اشْتَدَّ شَوْقِي زُرْتُ قَبْرَكَ بَاكِيًا ... أَنُوحُ وَأَشْكُومَاأَرَاكَ مُجَابِيًا

فَيَاسَاكِنَ الصَّحْرَاءِ عَلَّمْتَنِي الْبُكَا ... ذِكْرُكَ أَنْسَانِي جَمِيْعَ الْمَصَائِبَا

فَإِنْ كُنْتَ عَنِّي فِي التُّرَابِ مُغَابِيًا ... فَمَا كُنْتَ مِنْ قَلْبِي الْحَزِيْنِ بِغَائِباً(١)

مَوْقِفُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ

قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ قَالَ الزُّهْرِيُ وَحَدَّثَنِي سَعِيْدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا تُوُفِّى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ قَامَ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ يَزْعُمُوْنَ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ، وَإِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ مَامَاتَ وَلٰكِنَّهُ ذَهَبَ إِلٰى رَبِّهٖ كَمَا ذَهَبَ مُوْسٰى بْنُ عِمْرَانَ فَقَدْغَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيْلَ قَدْمَاتَ، وَوَاللّٰهِ لَيَرْجِعَنَّ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ كَمَا رَجَعَ مُوْسىٰ، فَلَيُقَطِّعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوْا أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ مَاتَ۔(٢)

مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ

وَأَقْبَلَ أَبُوْبَكْرٍ حَتّٰى نَزَلَ عَلٰى بَابِ الْمَسْجِدِ حِيْنَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ وَعُمَرُيُكَلِّمُ النَّاسَ فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلٰى شَيْئٍ حَتّٰى دَخَلَ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ وَرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مُسَجًّى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ بُرْدٌ حِبَرَةٌ، فَأَقْبَلَ حَتّٰى كَشَفَ عَنْ وَجهِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ

(١) سبل الهدى والرشاد الجزء ١٢ ص ٢٩٠

(٢) سيرة ابن هشام الجزء ٤/ ٢١٥

ثُمَّ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي امَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ عَلَيْكَ فَقَدْذُقْتَهَا ثُمَّ لَنْ تُصِيْبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَداً ـ

ثُمَّ رَدَّ الْبُرُدَ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ ثُمَّ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسُ فَقَالَ عَلٰى رِسْلِكَ يَاعُمَرُ أَنْصِتُ، فَأَبٰى إِلَّاأَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا رَاٰهُ أَبُوْبَكْرٍ لَايُنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ۔

فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوْا عَلَيْهِ وَتَرَكُوْا عُمَرَ، فَحَمِدَ اللّٰهَ وَأَثْنٰى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ۔

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْمَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّٰهَ فَإِنَّ اللّٰهَ حَيٌّ لَايَمُوْتُ ثُمَّ تَلَاهٰذِهِ الْاٰيَةَ) **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُوْلٌ قَدْخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلٰى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلٰى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَّضُرَّاللّٰهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللّٰهُ الشَّاكِرِيْنَ)** (آل عمران ١٤٤)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَوَاللّٰهِ لَكَانَ النَّاسُ لَمْ يَعْلَمُوْا أَنَّ هٰذِهِ الْاٰيَةَ نَزَلَتْ حَتّٰى تَلَاهَا أَبُوْبَكْرٍ يَوْمَئِذٍ، وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِى بَكْرٍ۔

وَقَالَ أَبُوْهُرَيْرَةُ قَالَ عُمَرُ وَاللّٰهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَابَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقَرْتُ (أَىْ دَهِشْتُ وَتَحَيَّرْتُ) حَتّٰى وَقَعْتُ إِلَى الْاَرْضِ مَا تَحَمَّلَنِي رِجْلَايَ وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَدْمَاتَ۔(١)

ذِكْرُجُمْلَةِ الْغَزْوَاتِ

وَكَانَ جَمِيْعُ مَا غَزَارسولُ اللّٰهِ ﷺ بِنَفْسِهِ سَبْعًا وَعِشْرِيْنَ غَزْوَةً مِنْهَا غَزْوَةُ وَدَّانَ وَهِىَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ– ثُمَّ غَزْوَةُ بُوَاطَ مِنْ نَاحِيَةِ رَضْوٰى– ثُمَّ

احرجه البخاري فى صحيحه برقم: ٤٠٩٦

غَزْوَةُ الْعَشِيْرَةِ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ–ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِالْأُوْلٰى يَطْلُبُ كُرُزَبْنَ جَابِرٍ– ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِالْكُبْرٰى الَّتِى قَتَلَ اللّٰه فيها صَنَادِ يْدَقُرَيْشٍ– ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِى سُلَيْمٍ حَتٰى بَلَغ الْكُدْرَ ثم غَزْوَةُ السَّوِيْقِ يَطْلُبُ أَبَاسُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ–ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ وَهِيَ غَزْوَةُ ذِى اَمِرٍ ثُمَّ غَزْوَةُ بَحْرَان مَعْدَنٍ بِالْحِجَازِ–ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ–ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِىْ النَّضِيْرِ–ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ–ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْاٰخِرَةُ ثُمَّ غَزْوَةُ دُوْمَةِ الْجَنْدَلِ–ثُمَّ غَزْوَةُ الخَنْدَقِ–ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِى قُرَيْظَةَ– ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِىْ لِحَيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ–ثُمَّ غَزْوَةُ ذِى قِرَد–ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِى الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ ثُمَّ غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَّةِ لَايُرِيْدُ قِتَالًا فَصَدَّهُ الْمُشْرِكُوْنَ–ثُمَّ غَزْوَةُ خَيْبَر–ثُمَّ غَزْوَةُ الْقَضَا–ثُمَّ غَزْوَةُ الْفَتْحِ– ثُمَّ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ–ثُمَّ غَزْوَةُ الطَّائِفِ–ثُمَّ غَزْوَةُ تَبُوْكَ۔

قَاتَلَ مِنْهَا فِي تِسْعِ غَزْوَاتٍ ، بَدْرٍوَ أُحُدَ، وَالْخَنْدَقِ وقُرَيْظَةَ وَالْمُصْطَلِقِ ، وخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ وَحُنَيْنٍ، والطَّائِف(١)۔

ذِكْرُ جُمْلَةِ السَّرَايَا وَالْبُعُوْثِ

وكَانَتْ بُعُوْثُهُ ﷺ وَسَرَايَاهُ ثَمانيًا وَثَلٰثِيْنَ، مِنْ بَيْنِ بَعْثٍ وَسَرِيَّةٍ: غَزْوَةُ عُبَيْدَةَ بنِ الْحَارِثِ أَسْفَلَ مِنْ ثَنِيَّةِ ذِى الْمَرْوَةِ، ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَاحِلَ الْبَحْرِ، مِنْ نَاحِيَةِ الْعِيْصِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يُقَدِّمُ غَزْوَةَ حَمْزَةَ قَبْلَ غَزْوَةِ عُبَيْدَةَ وغَزْوَةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ اَلْخَرَّارِ، وغَزْوَةُ عبدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ نَخْلَةَ وَغَزْوَةُ زيدِ بْنِ حَارِثَةَ الْقَرَدَةِ، وَغَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ كَعْبَ بْنَ اَشْرَفَ– وَغَزْوَةُ مَرْثَدِ بْنِ أَبِى مُرْثَدَاَلْغَنَوِى

(١) الروض الانف للسهيلى الجزء ٤ ص٣٩٤ ، سيرة ابن هشام ج٢ ص٦٠٨

الـرَّجِيْحِ، وَغَـزْوَةُ الْـمُـنْـذِرِبْـنِ عَـمْـرٍوبِـئْرِ مُعُوْنَةَ، وَغَزْوَةُ أَبى عُبَيْدَةَ بْنِ الْـجَـرَّاحِ ذَاالْـقَـصَّةِ مِنْ طَرِيْقِ الْعِرَاقِ، وَغَزْوَةُ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ تُرْبَةً مِنْ أَرْضِ بَنِى عَامِرٍ، وَغَزْوَةُ عَلِيّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ الْيَمَنَ، وَغَزْوَةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ الْكَلْبِي كَلْبِ لَيْثِ الْكَدِيْدِ، فَأَصَابَ بَنِى الْمُلَوَّحِ(١)۔

☆☆☆☆☆

☆☆☆☆

☆☆☆

☆☆

☆

(١) نفس المصدر السابق

اَلْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْمُذاكَرَاتِ مَعَ الدُّعَاةِ

مِثَالُ الدَّعْوَةِ وَالدَّاعِي

مِثَـالُ الـدَّعْوَةِ أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْحَمَّامَ وَبَالَ ثُمَّ جَاءَ يُصَلِّى فَقَالَ لَهُ الْإِمَامُ اِذْهَبْ وَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ الصَّلٰوةَ فَقَالَ الرَّجُلُ هٰذَا الإِمَامُ يَمْنَعُنِي مِنَ الصَّلٰوةِ وَالْـحَـقِيْـقَةُ أَنَّ الْإِمَـامَ لَـمْ يَـمْـنَـعْـهُ وَلٰـكِـنْ بَيَّـنَ لَـهُ أَنَّ الْـوُضُـوْءَ قَبْلَ الـصَّلٰوةِ–فَكَذٰلِكَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُوْلُوْنَ أَنَّ اَهْلَ الدَّعْوَةِ يَمْنَعُوْنَ الْجِهَادَ وَالْـحَـقِيْـقَةُ عَـكْسُ ذٰلِكَ وَنَـحْنُ نَقُوْلُ خُذِ الدَّعْوَةَ مَعَكَ ثُمَّ جَاهِدْ لِأَنَّ الْجِهَادَ بِدُوْنِ الدَّعْوَةِ كَالصَّلٰوةِ بِدُوْنِ الْوُضُوْءِ هَلْ تُقْبَلُ؟ كَذٰلِكَ الْجِهَادُ۔

وَكَـذٰلِكَ الـدَّعْـوَةُ مِثْلَ الْمَاءِ فِي أُصُوْلِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ فَالْمَاءُ لَمَّا يَـصِلُ مُسْتَمِرًّا إِلٰى أُصُوْلِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ فَتَخْضَرُّبِهِ الْفُرُوْعُ وَالْأَوْرَاقُ وَالْغُصُوْنُ وَتُثْمِرُ، هٰكَذَا الدَّعْوَةُ تَحْيٰى بِهَا جَمِيْعُ الشُّعَبِ الدِّيْنِيَّةِ۔

اَلدَّاعِي مِثْلُ الشَّمْسِ

وَمِثَـالُ الـدَّاعِـي مِثَالُ الشَّمْسِ فَهِيَ تَتَحَرَّكُ دَائِمًا وَإِذَا وَقَفَتْ قَامَتِ الْـقِيَـامَةُ، هٰـكَـذَا الْـمُؤْمِنُ لَابُدَّ عَلَيْهِ دَائِمًا الْحَرَكَةُ لِدِيْنِ اللّٰهِ وَلَايَجْلِسُ وَلَايَتَـوَقَّفُ وَإِلَّايَـأْتِـي الْـفَسَـادُ –وَهٰـكَذَا الْمَاءُ الرَّاكِدُ يَفْسُدُ وَلٰكِنَّ الْمَاءَ الْـجَارِيَ طَاهِرٌ وَمُطَهِّرٌفَإِذَا نَحْنُ نَقِفُ وَلَوْ نُصَلِّى وَنَصُوْمُ فَنَتَأَثَّرُ مِنَ الْبِيْئَةِ الْـفَـاسِـدَةِ حَتّٰـى تَضْعَفُ اَعْمَالُنَا وَيَضْعُفُ فِيْنَا الْيَقِيْنُ وَيَدْخُلُ فِي قُلُوْبِنَا حُـبَّ الـدُّنْيَا وَشَهْوَاتُهَا فَتَخْرُجُ مِنْ قُلُوْبِنَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ وَنَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ اللّٰهِ وَنَحْرُمُ مِنْ فَهْمِ الْقُرْاٰنِ وَالْحَدِيْثِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ۔

(اِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نُزِعَتْ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ وَإِذَا تَرَكَتِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الْوَحْيِ وَإِذَا تَسَابَّتْ أُمَّتِي سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِ اللّٰهِ(١)۔

وَكَذٰلِكَ دَمُ الْإِنْسَانِ فِي عُرُوْقِهٖ وَشَرَيَانِهٖ فَإِذَا تَوَقَّفَ يَمُوْتُ الْإِنْسَانُ هٰكَذَا إِذَا وَقَفَ الْإِنْسَانُ مِنْ جُهْدِ الدِّيْنِ وَيَتْرُكُ حَرَكَةَ الدِّيْنِ يَخْرُجُ الدِّيْنُ مِنْ حَيَاتِهٖ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمَا نَرٰى فِي زَمَنِنَا هٰذَا۔

تَحَرَّكَ الصَّحَابَةُ فِي الْعَالَمِ وَنَحْنُ مُتَثَاقِلُوْنَ

يَقُوْلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُعُمَرُ الْبَالَنْبُوْرِي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى

تَحَرَّكَ الصَّحَابَةُ فِي الْعَالَمِ وَحَرَكَتُهُمْ حَطَمَتْ أَعْتٰى قُوَى الْبَاطِلِ فِي وَقْتِهِمْ،لِأَنَّهُمْ صَارُوْا كَمَا يَنْبَغِي وَضَحَّوْا اَلتَّضْحِيَةَ الْمَطْلُوْبَةَ مِنْهُمْ فَكَانَتْ حَرَكَتُهُمْ مِثْلَ الصَّارُوْخِ الَّذِي ضُرِبَ فِي صَخْرَةٍ فَفَتَّتَهَا، لٰكِن فِي زَمَانِنَا هٰذَا تَرَكْنَا الْحَرَكَةَ لِلدِّيْنِ، وَتَرَكْنَا الْجُهْدَ وَالتَّضْحِيَةَ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْوَقْتِ وَأَصْبَحْنَامُتَثَاقِلِيْنَ ، وَدَخَلَ حُبُّ الدُّنْيَا فِي قُلُوْبِنَا وَكَرِهْنَا الْمَوْتَ فَتَقَاعَصْنَا عَنِ الْمُكَرَّمَاتِ ، وَأَصْبَحْنَا نَحْنُ الَّذِيْنَ نَتَحَطَّمُ أَمَامَ قُوَى الْبَاطِلِ وَتَنْتَقِصُ أَرْضُ الْاِسْلَامِ وَتَنْهَبُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِتَرْكِنَا التَّضْحِيَّةَ لِدِيْنِ اللّٰهِ۔

وَلٰكِنْ لَوْتَحَرَّكْنَا وَخَرَجْنَا لِجُهْدِ الدِّيْنِ فَإِنَّ حَرَكَةَ الْمُؤْمِنِيْنَ مِثْلَ حَرَكَةِ الْمَاءِ الْجَارِي الْمُتَدَفِّقِ مِنَ الْجَبَلِ يَحْطِمُ الصُّخُوْرَ وَيُسَاوِي الْأَرْضَ وَيَسْتَفِيْدُ مِنْهُ الزَّرْعُ وَالشَّجَرُ وَتَظْهُرُ بِسَبَبِهِ الْبَسَاتِيْنُ وَالثِّمَارُ، وَلٰكِنْ لَوْوَقَفَ هٰذَا الْمَاءُ وَحُبِسَ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ لَأَصْبَحَ مَاءًا رَاكِدًا

(١) كنزالعمال برقم الحديث: ٦٠٧٠، عن ابى هريرةؓ

أَبْيَاتٌ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِي فِي هٰذَا الْمَقَامِ أَبْيَاتًا شَعْرِيَّةً طَيِّبَةً فِي دِيْوَانِهٖ فَيَقُوْلُ رَحِمَهُ اللّٰهُ

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ ... مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاغْتَرِبِ

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضاً عَمَّنْ تُفَارِقُهُ ... وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيْذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

إِنِّي رَئَيْتُ وُقُوْفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ

وَالْأُسْدُ لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ ... وَالسَّهْمُ لَوْلَافِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ

وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبٍ

وَالتِّبْرُ كَا لتُّرَابِ مَلْقِيٌّ فِي أَمَاكِنِهٖ ... وَالْعُوْدُ فِي أَرْضِهٖ نَوْعٌ مِنَ الْحُطَبِ

فَإِنْ تَغَرَّبَ هٰذَ اعَزَّ مَطْلَبُهٗ ... وَإِنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَا لذَّهَبِ

مَقَاصِدُ الدَّعْوَةِ

اَلْأَوَّلُ تَحْقِيْقُ الْعُبُوْدِيَّةِ الْكَامِلَةِ لِلّٰهِ تَعَالٰى

فِي كُلِّ الْاَرْضِ وَفِي كُلِّ الْخَلْقِ وَإِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ حَتّٰى لَايَبْقٰى وَاحِدٌ فِي الْاَرْضِ لَايُوَحِّدُ اللّٰهَ، لِذٰلِكَ يَقُوْلُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى ﴿وَمَآ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا نُوْحِيْ اِلَيْهِ اَنَّهٗ لَآ اِلٰهَ اِلَّآ اَنَا فَاعْبُدُوْنِ ٢٥﴾۔[سورة الانبياء: ٢٥]

مَظَاهِرُ الْعُبُوْدِيَّةِ ثَلٰثَةٌ۔

اَلْأَوَّلُ تَقْدِيْمُ أَمْرِاللّٰهِ عَلٰى كُلِّ أَمْرٍ

اَلثَّانِي تَقْدِيْمُ طَاعَةِ اللّٰهِ عَلٰى كُلِّ طَاعَةٍ۔

اَلثَّالِثُ تَقْدِيْمُ مَحَبَّةِ اللّٰهِ عَلٰى كُلِّ مَحَبَّةٍ

وَهٰذَا كُلُّهُ يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْبُدَاللّٰهَ وَيُعَبِّدَ النَّاسَ لِلّٰهِ حَتّٰى يَتَّصِفَ الْجَمِيْعُ بِصِفَةِ الْعُبُوْدِيَّةِ كَمَافِي قَوْلِهٖ تَعَالٰى فِي سُوْرَةِ الْفَاتِحَةِ **﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** بِصِيْغَةِ الْجَمْعِ، وَلِهٰذَا يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُسْلِمِ كَذٰلِكَ الْحَرَكَةَ عَلٰى كُلِّ النَّاسِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلَابُدَّأَنْ تَكُوْنَ هٰذِهٖ نِيَّتُهٗ وَيَبْذُلُ لِذَلِكَ جُهْدَهٗ عَلَى قَدْرِطَاقَتِهٖ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْجَزِيْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلٰكِنْ نِيَّتُهٗ شَمَلَتِ الْعَالَمِيْنَ۔

اَلثَّانِي تَحْقِيْقُ الْاِتِّبَاعِ الْكَامِلِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

حَتّٰى لَايَبْقٰى وَاحِدٌتَارِكًالِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ لِذٰلِكَ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى **﴿وَمَآأَرْسَلْنَامِنْ رَّسُوْلٍ إِلَّالِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾** [سورة النساء: ٢٢]

وَقَدْ ضَرَبَ الصَّحَابَةُ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي طَاعَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَمِنْ ذٰلِكَ قِصَّةُ طَلْحَةَ بْنِ الْبَرَاءِ عِنْدَ مَاجَاءَ—وَهُوَ غُلَامٌ— لِيُبَايِعَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَائِلًا، تُحِبُّنِي يَاطَلْحَةُ؟ قَالَ نَعَمْ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! قَالَ اِذْهَبْ فَاقْتُلْ أَبَاكَ فَخَرَجَ مُسْرِعًا لِيَفْعَلَ فَنَادَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ(إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِقَطِيْعَةِ الرَّحِمِ وَلٰكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ لَايَكُوْنَ فِي إِيْمَانِكَ رِيْبَةٌ)(١)

وَاِتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ مَقْرُوْنًا بِمَحَبَّتِهٖ فَالْاِتِّبَاعُ دَلِيْلُ الْمَحَبَّةِ فَمَنِ ادَّعٰى مَحَبَّةَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ كَانَ فِعْلُهٗ مِثْلَ فِعْلِ أَبِي طَالِبٍ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تُنْقِذْهُ وَلَمْ تَنْفَعْهُ مَحَبَّةُ النَّبِيِّ ﷺ دُوْنَ اِتِّبَاعِهٖ مِنَ النَّارِ، وَمَنِ ادَّعٰى اِتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ دُوْنَ حُبِّهٖ كَانَ فِعْلُهٗ فِعْلَ الْمُنَافِقِيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوْا يُصَلُّوْنَ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَحْضُرُوْنَ الْغَزَوَاتِ۔

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم :٣٥٥٤، كنزالعمال برقم :٣٧١٦٠، مجمع الزوائد برقم:١٥٩٦٩،

وَعَلٰى هٰذَا لَابُدَّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِيْهِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ وَالْاِتِّبَاعُ الْكَامِلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي سِيْرَتِهٖ وَصُوْرَتِهٖ، وَيَتَحَقَّقُ اِتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ بِأَرْبَعَةِ أُمُوْرٍ، أَوَّلُهَا تَعَلُّمُ السُّنَّةِ، وَثَانِيْهَا تَطْبِيْقُهَا فِي جَمِيْعِ نَوَاحِي الْحَيٰوةِ، وَثَالِثُهَا دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَيْهَا، وَرَابِعُهَا الدُّعَاءُ مِنَ اللّٰهِ—مَعَ الْإِلْحَاحِ—أَنْ يَرْزُقَنَا حُسْنَ اِتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ۔

اَلثَّالِثُ اَلتَّذْكِيْرُ بِالْمَوْتِ وَالْاٰخِرَةِ

فَنَسْتَعِدُّ لِلْمَوْتِ وَمَابَعْدَهٗ وَالْقَبْرِوَمَافِيْهِ لِذَلِكَ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى مُخَاطِبًا نَبِيَّهٗ مُوْسٰى عليه السلام **﴿إِنَّنِيْٓ أَنَا اللّٰهُ لَآ إِلٰهَ إِلَّآ أَنَافَاعْبُدْنِيْ وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ لِذِكْرِيْ إِنَّ السَّاعَةَاٰتِيَةٌأَكَادُأُخْفِيْهَالِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعٰى فَلَايَصُدَّنَّكَ عَنْهَامَنْ لَّايُؤْمِنُ بِهَاوَاتَّبَعَ هَوٰهُ فَتَرْدٰى﴾** [سورة طٰه: ١٤-١٦]

وَالْمَوْتُ لَيْسَ نِهَايَةٌ، وَلٰكِنَّهٗ بِدَايَةُ الْحَيٰوةِ الْحَقِيْقِيَّةِ قَالَ تَعَالٰى (**وَاِنَّ الدَّارَ الْاٰخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**) اى الْحَيٰوةُ الْحَقِيْقِيَّةُ (**لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ**) (عنكبوت٦٤) وَلِذٰلِكَ ذَكَرَالنَّبِيُّ ﷺ فِي مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ بِالْمَوْتِ وَالْقَبْرِ وَمَافِيْهِ۔

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ اِلَّا عَجَبَ الذَّنَبِ ،مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ(١) وَقَالَ عَذَابُ الْقَبْرِحَقٌّ۔(٢)

اَلرَّابِعُ تَحَمُّلُ وَتَحْمِيْلُ مَسْئُوْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ

لِكُلِّ الْخَلْقِ فِي كُلِّ الْأَرْضِ وَإِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ إِذْقَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى **﴿قُلْ هٰذِهٖ سَبِيْلِيْٓ أَدْعُوْٓا إِلَى اللّٰهِ عَلٰى بَصِيْرَةٍ أَنَاوَمَنِ اتَّبَعَنِيْ وَسُبْحٰنَ اللّٰهِ**

(١) رواهُ النسائى فى سننه برقم :٢٠٧٧، ومسلم فى كتاب الفتن واشراط الساعة ، برقم :٧٦٠٤، صحيح ابن حبان برقم: ٣١٣٨، من حديث ابى هريرةؓ

(٢) رواهُ البخارى ، فى كتاب الجنائز ، باب ماجاء فى عذاب القبر برقم : ١٣٠٦، والامام احمد فى مسنده برقم : ٢٥٤١٩

وَمَآأَنَامِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ١٠٨ ﴾[سورة يوسف :١٠٨]

(وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ) هُوَ كُلُّ مَنْ رَضِيَ بِاللّٰهِ رَبًّاوَبِالْإِسْلَامِ دِيْنًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًا رَسُوْلًا سواءً كَانَ رَجُلًا أَوْامْرَأَةً غَنِيًا أَوْفَقِيْرًا حَاكِمًا أَوْمَحْكُوْمًا قارِياً أَوْأُمِّيًا مُثَقَّفًا أَوْغَيْرَ مُثَقَّفٍ۔

وَاللّٰهُ لَمْ يَشْتَرِطْ لِلدَّعْوَةِ إِلَيْهِ إِلَّا الْبَصِيْرَةَ حَتّٰى لَايَقُوْلَ أَحَدٌ لَابُدَّ مِنَ الْمَالِ وَالسُّلْطٰنِ حَتّٰى أَقُوْمَ بِالدِّيْنِ فَقِيَامُ الدِّيْنِ لَايَحْتَاجُ إِلَى الْمَالِ وَالسُّلْطَانِ، إِنَّمَا الْمَالُ وَالسُّلْطَانُ يَحْتَاجَانِ إِلَى الدِّيْنِ، وَالْمَقْصُوْدُ بِالْبَصِيْرَةِ الْمَطْلُوْبَةِ لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ الْعِلْمُ وَالْيَقِيْنُ بِمَا يَدْعُوْإِلَيْهِ، وَبَصِيْرَةُ كُلِّ دَاعٍ إِلَى اللّٰهِ تَتَخَلَّصُ فِي أَرْبَعَةِ أُمُوْرٍ عَلَى الْأَقَلِّ

(١) أَنْ يَعْلَمَ يَقِيْنًا أَنَّ لَهُ رَبًّا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ۔

(٢) أَنْ يَعْلَمَ يَقِيْنًاأَنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ رَسُوْلًايَسْتَحِقُّ أَنْ يُطَاعَ۔

(٣) أَنْ يَعْلَمَ يَقِيْنًا أَنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ حَيَاةٌ يَجِبُ أَنْ يُسْتَعَدَّ لَهَا۔

(٤) أَنْ يَعْلَمَ يَقِيْنًا أَنَّ لَهُ دِيْنًا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُبَلَّغَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ إِلٰى كُلِّ الْخَلْقِ وَإِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ(١)۔

اَلْحَيٰوةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَقُوْمُ عَلٰى خَمْسَةِ أُصُوْلٍ

يَقُوْلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُإِنْعَامُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللّٰهُ أَنَّ الْحَيٰوةَ الْإِسْلَامِيَّةَ تَقُوْمُ عَلٰى خَمْسَةِ أُصُوْلٍ وَهِيَ

اَلْأَوَّلُ تَصْحِيْحُ الْاِعْتِقَادِ(اَلْإِيْمَانِيَّاتُ)

وَهٰذَا الْاِعْتِقَادُ لَايَصْلَحُ وَلَايَتِمُّ إِلَّا بِتَصْحِيْحِ الْإِيْمَانِ بِمَا أَمَرَنَا اللّٰهُ بِهٖ

(١) من افادات الشيخ فريد العراقى ، ماخوذ من لسان الدعوة والتبليغ

فِي قَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿ **يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَالْكِتٰبِ الَّذِيْ نَزَّلَ عَلٰى رَسُوْلِهٖ وَالْكِتٰبِ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۭ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰۗىِٕكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًۢا بَعِيْدًا** ﴾۔[سورةالنساء :١٣٦]

فَنَتَيَقَّنُ عَلَى اللّٰهِ أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِمَا يُرِيْدُ، وَأَنَّهُ النَّافِعُ وَالضَّارُّ، يَفْعَلُ مَايَشَاءُ بِقُدْرَتِهٖ وَلَايَحْتَاجُ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهٖ، وَهُوَ الصَّمَدُ، وَنُحَقِّقُ الْاِتِّبَاعَ الْكَامِلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي حَيٰوتِنَا وَنَتَيَقَّنُ عَلٰى كِتَابِ رَبِّنَا، فَنُخْرِجُ الْيَقِيْنَ عَلٰى سَائِرِ الْعُلُوْمِ اِذَاخَالَفَتْ مَافِي كِتَابِ اللّٰهِ وَنُؤْمِنُ بِوُجُوْدِ الْمَلٰئِكَةِ وَأَنَّهُمْ لَايَعْصُوْنَ اللّٰهَ بِمَا أَمَرَهُمْ، وَمُوَكَّلُوْنَ بِخِدْمَةِ الْعَالَمِ الْغَيْبِيِّ وَنَتَيَقَّنُ عَلَى الْاٰخِرَةِ وَأَنَّهَا نَعِيْمٌ دَائِمٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَجَحِيْمٌ عَلَى الْكَافِرِيْنَ۔

اَلثَّانِي تَصْحِيْحُ الْعِبَادَاتِ

وَهُوَ تَعَلُّمُ الْعِبَادَاتِ حَتّٰى نَعْبُدَ اللّٰهَ عَلٰى بَصِيْرَةٍ وَهِيَ إِقَامَةُ الصَّلٰوةِ وَإِيْتَاءُ الزَّكٰوةِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَهُنَا الْعِبَادَاتُ نَوْعَانِ۔

مَالِيَّةٌ ،زَكٰوةٌ وَحَجٌّ وَنَبْذُلُ فِيْهِمَا الْمَالَ لِيَخْرُجَ حُبُّ الْمَالِ مِنَ النَّفْسِ۔

وَنَفْسِيَّةٌ،صَلٰوةٌ وَصَوْمٌ، وَنَبْذُلُ فِيْهِمَا النَّفْسَ لِيَخْرُجَ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النَّفْسِ، وَهٰذَا هُوَ الْبِرُّكَمَا فِي قَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰۗىِٕكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ ۚ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰي حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ ۙ وَالسَّاۗىِٕلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ ۚ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ ۚ** ﴾ [سورة البقره: ١٧٧]

اَلثَّالِثُ تَصْحِيْحُ الْمُعَامَلَاتِ

وَهِيَ تَصْحِيْحُ الصِّلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمُعَامَلَاتِ هِيَ وَجْهُ الْعُمْلَةِ الآخَرُ مَعَ الْعِبَادَاتِ لِأَنَّ الْعِبَادَاتِ إِصْلَاحٌ لِلدَّاخِلِ وَالْمُعَامَلَاتُ إِصْلَاحُ

الْخَارِجِ، وَتَصْحِيحُ الْمُعَامَلَاتِ بِإِعْطَاءِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَنَسْأَلُ نَحْنُ حَقَّنَا مِنَ اللّٰهِ ، لِذٰلِكَ يَقُوْلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدْيُوْسُفُ رَحِمَهُ اللّٰهُ يَدْخُلُ الدِّيْنُ فِي حَيٰوةِ النَّاسِ عَنْ طَرِيْقِ الْعِبَادَاتِ وَيَخْرُجُ عَنْ طَرِيْقِ الْمُعَامَلَاتِ، فَيَامَنْ يَتَّقِي اللّٰهَ فِي الْعِبَادَاتِ اِتَّقِ اللّٰهَ فَي الْمُعَامَلَاتِ، لِذٰلِكَ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ﴾[سورة البقره :١٧٧]

اَلرَّابِعُ تَصْحِيْحُ الْمُعَاشَرَاتِ

وَهُنَا حَيٰوةُ الْأُسْرَةِ أَيْ اَلْكَفُّ عَنْ أَذَى النَّاسِ كَأَنَّهُمْ أُسْرَتُهُ فَيَكُوْنُ سَهْلَ الْعِشْرَةِ، لِذٰلِكَ عَلٰى مُعَاشَرَاتِ الصَّحَابَةِ قَامَ الدِّيْنُ فَالْأَنْصَارُ كَانُوْا أَعْدَاءً فَأَصْبَحُوْا بِفَضْلِ اللّٰهِ إِخْوَانًا، وَكَانَ فِي مُعَاشَرَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحَابَتِهِ اَلْبَسَاطَةُ، وَالْحَيَاءُ دُوْنَ تَكَبُّرٍ وَتَكَلُّفٍ وَكَانَتْ مُعَاشَرَاتُهُمْ تَقُوْمُ عَلَى الْعَدْلِ وَالْاِحْسَانِ وَالْإِيْثَارِ۔

اَلْعَدْلُ– إِعْطَاءُ الْحَقِّ لِصَاحِبِهِ كَمَا هُوَ وَهٰذَا أَقَلُّ الْقَلِيْلِ۔

وَالْإِحْسَانُ –إِعْطَاءُ الْحَقِّ لِصَاحِبِهِ مَعَ زِيَادَتِهِ بِالْمَحَبَّةِ۔

وَالْإِيْثَارُ– إِعْطَاءُ الْحَقِّ لِصَاحِبِهِ مع حَقِّيْ وَاَكُوْنُ فَرِحًا(وَهُنَا تَقْدِيْمُ الْغَيْرِ عَلَى النَّفْسِ) وَفِيْهَا قَوْلُهُ تَعَالٰى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران١٣٤) فَالْأُخُوَّةُ هُنَا وَالطَّاعَةُ عَالَمِيَّةٌ وَلِذٰلِكَ لَابُدَّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكُوْنَ سَهْلًا لَيِّنًا ذَلُوْلًا حَسَنَ الْخُلُقِ۔

لِذٰلِكَ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (اعراف١٩٩) فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْاٰيَةُ قَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ مَاهٰذَا يَا جِبْرِيْلُ! قَالَ إِنَّ اللّٰهَ أَمَرَكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ(١)۔

(١) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص١٧، معرفة الصحابه لابی نعیم ج٤ ص٢٣١٠

اَلْخَامِسُ تَصْحِيْحُ الْأَخْلَاقِيَّاتِ

هُنَا نَفْعُ النَّاسِ تَكُوْنُ غَايَةً وَيَكُوْنُ هٰذَا بِالْإِكْرَامِ وَالرَّحْمَةِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى النَّاسِ لِتُصْبِحَ نَفْسِي سَمْحَةً وَلَا تَخْذُلَنِي نَفْسِي قَالَ تَعَالٰى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥﴾[سورة فصلت :٣٤–٣٥]

ثَمَرَاتُ الدَّعْوَةِ

إِذَا تَمْشِى فِي طَرِيْقِ الدَّعْوَةِ بِالْإِخْلَاصِ وَبِالْمَنْهَجِ الصَّحِيْحِ وَبِالْأُصُوْلِ الصَّحِيْحَةِ وَلَا نَقْصِدُ فِيْهَا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجِهِ اللّٰهِ فَتَظْهَرُ بِهَا الثَّمَرَاتُ الْاٰتِيَةُ

اَلتَّائِيْدُ وَالنُّصْرَةُ

اَلنُّصْرَةُ هِيَ غَلَبَةُ مَنْهَجِ الْحَقِ عَلَى مَنْهَجِ الْبَاطِلِ فَيَدْخُلُ النَّاسُ فِى دِيْنِ اللّٰهِ أَفْوَاجًا كَتَائِيْدِ اللّٰهِ تَعَالٰى صُدَى بْنِ عَجْلَانَ رضي الله عنه عِنْدَ مَاجَاءَ قَوْمُهُ لِيَدْعُوَهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَوَجَدُوهُمْ يَأْكُلُوْنَ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ فَدَعَوْهُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُمْ فَأَبٰى وَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ مَنْ يُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ هٰذَا فَاتَّبِعُوْهُ وَاٰمِنُوْا بِهِ، فَلَمْ يُجِيْبُوْهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَعِنْدَ مَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ وَعَطِشَ سَأَلَهُمْ كَأْسًا مِنْ مَاءٍ فَأَبَوْا أَنْ يُسْقَوْهُ، فَغَطّٰى رَأْسَهُ بِعَمَامَتِهِ، وَنَامَ تَحْتَ شَجَرَةٍ فِي حَرٍّ شَدِيْدٍ يَنْتَظِرُ الْمَوْتَ فَجَاءَهُ فِي نَوْمِهِ رَجُلٌ بِقَدَحٍ فِيْهِ شَرَابٌ وَأَمْكَنَهُ مِنْهُ فَشَرِبَهُ حَتّٰى رَوِيَ قَالَ فَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ أَتَانِي قَوْمِي بِمَاءٍ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِالشَّرَابِ وَأَرَيْتُهُمْ بَطْنِي فَأَسْلَمُوْا جَمِيْعًا فَوَاللّٰهِ مَاعَطِشْتُ بَعْدَهَا أَبَدًا۔

اَلدُّعَاءُ الْمُسْتَجَابُ

كَمَا فِي قِصَّةِ طُفَيْلِ بْنِ عَمْرٍوالدَّوْسِى رضي الله عنه عِنْدَ مَادَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ

رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ كَرَامَةً، فَجَعَلَ اللّٰهُ نُوْرًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَالْمِصْبَاحِ فَقَالَ الطُّفَيْلُ دَاعِيًا رَبَّهُ، اَللّٰهُمَّ اجْعَلْهُ فِيْ غَيْرِوَجْهِي فَإِنِّي أَخْشٰى أَنْ يَظُنَّ قَوْمِيْ أَنَّهَا مُثْلَةٌ لِأَنِّي تَرَكْتُ دِيْنَهُمْ فَتَحَوَّلَ النُّوْرُ إِلٰى طَرْفِ سَوْطِهِ فَأَصْبَحَ كَالْقِنْدِيْلِ الْمُعَلَّقِ، فَهٰهُنَا اِسْتَجَابَ اللّٰهُ لِدُعَائِهِ عِنْدَ مَاشَرَعَ بِالْفِعْلِ فِي الدَّعْوَةِ اِلَيْهِ۔

اَلْحِفَاظَةُ مِنَ الشَّيَاطِيْنِ

قَالَ تَعَالٰى ﴿**وَقَالَ الشَّيْطٰنُ لَمَّاقُضِيَ الْأَمْرُإِنَّ اللّٰهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَالْحَقِّ وَوَعَدْتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ط وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ إِلَّآ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِيْ ج**﴾ [سورة ابراهيم:٢٢] وَقَالَ أَيْضاً ﴿**إِنَّمَا يَدْعُوْاحِزْبَهٗ لِيَكُوْنُوْامِنْ أَصْحٰبِ السَّعِيْرِ**﴾ [سورة الفاطر:٦]

فَالدَّعْوَةُ مِنْ أَسْلِحَةِ الشَّيْطٰنِ وَلَا يَفِلُّ الدَّعْوَةَ إِلَّا الدَّعْوَةُ، فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللّٰهِ تَفُلُّ دَعْوَةَ الشَّيْطٰنِ، وَلِذٰلِكَ قِيْلَ إِنَّ الْإِنْسَانَ إِمَّا دَاعِيًاوَإِمَّا مَدْعُوًّا، إِمَّا دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَإِمَّا مَدْعُوًّا إِلَى الْبَاطِلِ، وَالشَّيْطَانُ يَفِرُّمِنَ الدَّعْوَةِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ (١) عِنْدَ مَايُنَادِي الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلٰوةِ يَفِرُّالشَّيْطٰنُ وَلَهُ ضُرَاطٌ فَإِذَا انْتَهٰى التَّاذِيْنُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلٰوةِ(اَيْ أُقِيْمَ الصَّلٰوةُ) أَدْبَرَ، فَإِذَا انْتَهَى التَّثْوِيْبُ أَقْبَلَ حَتّٰى يَخْطُرُبَيْنَ الْمَرْأِ وَنَفْسِهٖ يَقُوْلُ اُذْكُرْ كَذَا، اُذْكُرْكَذَا، مَالَمْ يَكُنْ يَذْكُرُمِنْ قَبْلُ حَتّٰى لَايَدْرِي أَحَدُكُمْ كَمْ صَلّٰى؟ وَالْاَّذَانُ كَمَا وُصِفَ فِي الْحَدِيْثِ اَلدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، فَمِنْهَا يَفِرُّالشَّيْطٰنُ۔

اَلْحِفَاظَةُ مِنَ الْفِتْنَةِ

اَلْفِتْنَةُ هِيَ الضَّلَالُ وَالْغَوَايَةُ قَالَ تَعَالٰى

(١) رواهٗ البيهقى فى السنن الكبرى برقم : ٣٦٤٨، سنن ابى داؤد برقم :٥١٦ واخرجه البخارى باب فضل التاذين رقم : ٦٠٨

﴿**وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ ائْذَنْ لِّيْ وَلَاتَفْتِنِّيْ ط أَلَافِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوْا ط وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكٰفِرِيْنَ ٤٩**﴾ [سورة التوبه:٤٩]

وَقَدْ نَزَلَتْ فِي ابْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ الْمُنَافِقِيْنَ—عِنْدَ مَادَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْخُرُوْجِ إِلٰى تَبُوْكَ، قَالَ إِنِّي أَخْشٰى عَلٰى نَفْسِيْ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ — أَيِ الرُّوْمِ—فَأْذَنْ لِيْ (أَيْ بِالْقُعُوْدِ) وَلَاتَفْتِنِّي(١) فَكَانَتِ الْفِتْنَةُ الْحَقِيْقِيَّةُ هِيَ تَرْكُ الْجُهْدِ وَالتَّضْحِيَّةِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ۔

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (إِذَاعَظَّمَتْ أُمَّتِي الدُّنْيَا نُزِعَتْ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ، وَإِذَا تَرَكَتِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمَتْ بَرَكَةَ الْوَحْيِ، وَإِذَا تَسَابَّتْ أُمَّتِي سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِ اللّٰهِ(٢)۔

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ(وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهٖ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْلَيُوْشِكَنَّ اللّٰهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهٗ فَلَا يَسْتَجِيْبُ لَكُمْ)(٣)۔

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لَمَّا وَقَعَتْ بَنُوْاِسْرَائِيْلَ فِي الْمَعَاصِيْ نَهَتْهُمْ عُلَمَاءُ هُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوْا فَجَالَسُوْهُمْ فِيْ مَجَالِسِهِمْ وَوَاكَلُوْهُمْ وَشَارَبُوْهُمْ فَضَرَبَ اللّٰهُ قُلُوْبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ وَلَعَنَهُمْ عَلٰى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْاوَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ فَجَلَسَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِأً وَقَالَ لَا وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهٖ حَتّٰى تَأْطِرُوْهُمْ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا(٤)۔

(١) الروض الانف للسهيلى ج٤ ص ٢٩١ ، سيرة ابن هشام ج٢ص٥١٦، مغازى الواقدى ج١ ص ٩٩٣

(٢) كنزالعمال برقم :٦٠٧٠، فى كتاب الزهد

(٣) رواهٗ الترمذى ، باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر برقم :٢١٦٩، وقال هذا حديث حسن ، والامام احمد فى المسند برقم :٢٣٣٤٩، من حديث حذيفة بن اليمان رض

(٤) رواهٗ الترمذى فى تفسير سورة المائده برقم :٣٠٤٧، الترغيب والترهيب للمنذرى برقم :٣٤٨٢، المعجم الكبير للطبرانى برقم : ١٠٢٦٤، من حديث عبدالله بن مسعود رض

اَلْعِزَّةُ وَالرِّفْعَةُ

قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِيْنَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِوَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ سَلَّطَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّالَايَرْفَعُهُ عَنْكُمْ حَتّٰى تَرْجِعُوْا إِلٰى دِيْنِكُمْ-(أَيْ جِهَادِكُمْ فِى الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ(١)-

وَقَدْ كَانَ التَّوَانِى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ سَبَبًا فِى ذَهَابِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي فَتْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَتَسْلِيْطِ التَّتَارِعَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفِي سُقُوْطِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأُنْدُلُسِ وَتَسَلُّطِ الْاَفْرَنْجِ عَلَى الْمُسْلِمِيْنَ، وَفِي سُقُوْطِ الْخِلَافَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ فِي تُرْكِيَاوَاقْتِسَامِ دُوَلِ أُوْرُبَّالِبِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ وَتَسَلُّطِهِمْ وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ-

اَلرُّعْبُ فِي قُلُوْبِ الْأَعْدَاءِ

قَالَ ﷺ (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيْرَةَ شَهْرٍ (٢) وَقَالَ أَيْضاً تُوْشِكُ أَنْ تَدَاعٰى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعٰى الْاٰكِلَةُ إِلٰى قَصْعَتِهَا، قَالُوْا وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! قَالَ لَاأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيْرٌ وَلٰكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزِعَنَّ اللّٰهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوْبِ أَعْدَائِكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوْبِكُمُ الْوَهْنَ، قِيْلَ وَمَا الْوَهْنُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ ! قَالَ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ(٣)-

---

(١) رواهٗ ابوداؤد ، باب فى النهى عن العينة برقم :٣٤٦٤، فى الحلية ج٥ص٢٠٩، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم :١٣٤٠٩، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم : ١١٠١٧

(٢) رواهٗ البخارى فى الصحيح برقم :٤٣٨، والنسائى باب التيمم بالصعيد برقم :٤٣٢، من حديث جابر بن عبدالله ص

(٣) رواهٗ ابوداؤد باب فى تداعى الامم برقم :٤٢٩٩، من افادات الشيخ فريد العراقى ، مقتبس من لسان الدعوة والتبليغ

اَللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى يُعْطِي الدَّاعِيَ بَعْضَ الْمِنَحِ وَالْجَوَائِزِ مِثْلَ الْمَحَبَّةِ فِي قُلُوْبِ الْبَرَرَةِ— وَالْمَهَابَةِ فِي قُلُوْبِ الْفَجَرَةِ كَمَامَرَّ — وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ وَالثِّقَةِ فِي الدِّيْنِ—— وَقَضَاءِ حَوَائِجِه —— وَرَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْهُ وَكِفَايَةِ هَمِّهِ — وَشِفَاءِ هِ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوْبِ —— تَأْمِيْنِ حَالِهِ الدُّنْيَوِيِّ ، وَالْأُخْرَوِيِّ ،يُؤَمِّنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ — يَنْمِى لَهُ عَمَلُهُ بَعْدَوَفَاتِهِ ، يَرْفَعُ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ-

يَرْضَى اللّٰهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ وَيُحِبُّهُ وَيَخْتَارُهٗ لِأَشْرَفِ وَظِيْفَةٍ يَقُوْمُ بِهَا الْعَبْدُ وَهِيَ وَظِيْفَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ وَهِدَايَةِ النَّاسِ إِلَى اللّٰهِ اَجْمَعِيْنَ-

قِصَّةُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِيْنَ

يُرْوٰى أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَجَّ قُبَيْلَ وِلَايَتِهِ الْخِلَافَةَ فَكَانَ إِذَا أَرَادَ اِسْتِلَامَ الْحَجَرِ زُوْحِمَ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَنَا عَلِيُّ ابْنُ الْحُسَيْنِ مِنَ الْحَجَرِ تَفَرَّقُوْا عَنْهُ إِجْلَالاً لَهُ فَوَجَمَ لَهَا هِشَامٌ وَقَالَ مَنْ هٰذَا ؟ فَمَا أَعْرِفُهُ؟ فَأَنْشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُوْلُ

هٰذَا الَّذِى تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ   وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ
هٰذَا ابْنُ خَيْرِعِبَادِ اللّٰهِ كُلِّهِمِ   هٰذَا النَّقِيُّ التَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا   إِلٰى مَكَارِمِ هٰذَا يَنْتَهِى الْكَرَمُ
يَكَادُ يُمْسِكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ   رُكْنُ الْحَطِيْمِ إِذَا مَاجَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضِى حَيَاءً وَيُغْضٰى مِنْ مَهَابَتِهِ   فَمَايُكَلِّمُ إِلَّاحِيْنَ يَبْتَسِمُ
مَاقَالَ لَاقَطُّ إِلَّافِي تَشَهُّدِهِ   لَوْلَا التَّشَهُّدُ لَكَانَ لَاءُهٗ نَعَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ نَبْعَتُهُ   طَابَتْ عَنَاصِرُهٗ وَالْخِيَمُ وَالشِّيَمُ

هٰـذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنتَ جَاهِلَهُ — بِـجَـدِّهِ أَنْبِيَــاءُ الـلّٰـهِ قَـدْ خُتِـمُوْا

فَـأَمَـرَ هِشَـامٌ بِـحَبْـسِ الْفَرَزْدَقِ فَحُبِسَ بِعُسْفَانَ وَبَعَثَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِاِثْنَى عَشَرَأَلْف دِرْهَمٍ وَقَالَ إِعْذَرْ أَبَافِرَاسٍ۔

فَرَدَّهَا وَقَالَ مَاقُلْتُ ذٰلِكَ اِلَّاغَضَبًا لِلّٰهِ وَلِرَسُوْلِهٖ۔

فَـرَدَّهَـا إِلَيْـهِ وَقَالَ بِحَقّی عَلَيْكَ لما قَبِلْتَهَا فَقَدْ عَلِمَ اللّٰهُ نِيَّتَكَ وَرَاٰی مَكَانَكَ فَقَبِلَهَا وَقَالَ فِي هِشَامٍ۔

اَيَـحْبِسُـنِـى بَيْـنَ الْـمَـدِيْنَةِ وَالَّتِى — إِلَيْهَـا قُلُوْبُ النَّاسِ يَهْوِى مُنِيْبُهَا

يَـقْـلِّـبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسُ سَيِّدٍ — وَعَيْـنَيْـنِ حَـوْلَا وِينِ بَـادٍعُيُوْبُهَـا

أَسَاس الدَّعْوَةِ

أَسَاسُ الدَّعْوَةِ ثَلٰثَةٌ اَلْاَوَّلُ مِنْهَا

اِجْتِمَاعُ الْقُلُوْبِ وَاتِّحَادُهَا

لِأَنَّ الْـقَلْبَ إِذَا صَلُحَ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهٗ وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهٗ فَلَا بُـدَّ عَـلَيْـنَـا أَنْ يَـكُـوْنَ فِيْـمَـا بَيْنَنَا الْمَحَبَّةُ وَالْاُ لْفَةُ وَلَا نَتَرَقّٰى بِدُوْنِهَا، وَالْاُلْـفَةُ هِـيَ مِـنْ صِـفَاتِ الْاِيْمَانِ، كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ

(اَلْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ وَلَاخَيْرَ فِي مَنْ لَايَأْلَفُ وَلَايُؤْلَفُ وَخَيْرُالنَّاسِ اَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ۔(رواهُ الدارقطنى)(١)

وَلَـمَّـا كَـانَتِ الْاُلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ مِنْ صِفَةِ الْمُؤْمِنِ فَمِنْ بَابِ الْأَوْلٰى أَنْ يَـكُـوْنَ الـدَّاعِـي مُتَـحَـلِّيًـا وَمُتَّصِفًا بِهَا فِي دَعْوَتِهٖ، وَبِهَا تَجْتَمِعُ الْقُلُوْبُ

(١) سيراعلام النبلاء ج٧ ص٤٤٩، مجمع الزوائد برقم:١٥١٨٥، وروى الطبرانى هذه القصة فى المعجم الكبير برقم:٢٧٣٣

وَتَتَّحِدُ، وَإِذَا خَرَجَتِ الْأُلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ فَتَفَرَّقَتْ قُلُوْبُنَا وَتَشَقَّقَتْ وَتَنَاكَرَتْ وَيَبْدَأُ فِيْنَا النِّفَاقُ اَلَّذِى يُؤَدِّىْ إِلَى الْفَشَلِ فَلْنَتَدَرَّبْ وَلْنَتَمَرَّنْ عَلٰى تَحْصِيْلِ هٰذِهِ الصِّفَةِ۔

وَالصَّحَابَةُ ﵃ تَعَلَّمُوْا هٰذَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَحَلَّوْا بِهَا فَكَانَتْ قُلُوْبُهُمْ مُجْتَمِعَةً مُتَحِدَةً، فَأَبُوْبَكْرٍوَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ،وَعَلِيّ كَانُوْا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، وَصُهَيْبُ كَانَ مِنَ الرُّوْمِ وَسَلْمَانُ كَانَ مِنْ فَارِسٍ وَبِلَالُ كَانَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَمَعَ هٰذَا كَانُوْا فِي الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَاجْتِمَاعِ الْقُلُوْبِ كَأَبْنَاءِ رَجُلٍ وَاحِدٍ۔

أَسْبَابُ الشِّقَاقِ وَالتَّفْرِقَةِ

وَمِنْ أَسْبَابِ الشِّقَاقِ وَالتَّفْرِقَةِ اَلْحَمِيَّةُ وَالْعَصَبِيَّةُ، اَلَّتِى تُشَقِّقُ الْقُلُوْبَ وَتُمَزِّقُهَا، فَهِيَ صَفَةُ الْجَاهِلِيَّةِ لَاحَظَّ لَهَا لِلْاِسْلَامِ وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخْرَجَ هٰذِهِ الصِّفَةَ مِنْ قُلُوْبِ الصَّحَابَةِ وَتَكَوَّنَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وَاحِدٌ يَتَحَمَّسُ لِأُ سْرَتِهٖ أَوْحِزْبِهٖ أَوْلِقَوْمِهٖ أَوْلِقَبِيْلَتِهٖ أَوْلِوَطَنِهٖ أَوْلِلِسَانِهٖ، وَمَعَ اِخْتِلَافِ الْقَوْمِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّةِ كَانُوْا مُجْتَمِعِيْنَ قُلُوْبًا وَكَانَ فِي قُلُوْبِهِمُ اَلْاِحْتِرَامُ وَالْاِكْرَامُ حَتّٰى أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرُ ﵁ يُكْرِمُ بِلَالًا وَيَقُوْلُ لَهٗ اَلسَّيِّدُ فَيَقُوْلُ أَعْتَقَ سَيِّدُنَا(أَيْ أَبُوبَكْرٍ) سَيِّدَنَا (أَيْ بِلَالًا) فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ۔

يَـامَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نُخُوَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَهَا بِالْأَ بَاءِ اَلنَّاسُ مِنْ اٰدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تَلَا هٰذِهِ الْاٰيَةَ (١) **﴿يٰٓاَيُّهَاالنَّاسُ إِنَّاخَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍوَّأُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًاوَّقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ**

(١) الروض الانف الجزء ١٧٠/٤، السيرة النبوية لابن كثير الجزء ٥٧٠/٣، سبل الهدى والرشاد الجزء ٣٤٢/٥، سيرة ابن هشام الجزء ٤١١/٢

عِنْدَاللّٰهِ اَتْقٰكُمْ ؕ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ﴾(الحجرات ۱۳)

اِتِّحَادُ الْفِكْرِ

وَهٰذَا لَا يَتَأَتّٰى إِلَّا بِطَاعَةِ الْأَمِيْرِ فِي كُلِّ حَالٍ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَمْشِي تَحْتَ الْمَشْوَرَةِ وَنُسَلِّمَ اَمْرَ الْمَشْوَرَةِ وَإِنْ كَانَ مُخَالِفًا لِلنَّفْسِ كَمَا كَانَ صِفَةُ الصَّحَابَةِ ، هُمْ كَانُوْا يَسْمَعُوْنَ وَيُطِيْعُوْنَ فِي جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ، وَهُمْ يَقُوْلُوْنَ(بَايَعْنَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلٰى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لَّانُنَازِعَ الْأَمْرَأَهْلَهُ(۱)۔

وَإِطَاعَةُ الْاَمِيْرِيَكُوْنُ سَبَبًا لِلتَّرَقِّي، وَهِيَ تَجْلِبُ النُّصْرَةَ وَالْبَرَكَةَ كَمَا نَحْنُ نَرٰى فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا أَطَاعُوا النَّبِيَّ ﷺ فَكَانَتْ مَعَهُمْ نُصْرَةُ اللّٰهِ وَمَعِيَّتُهُ فَهُمْ لَايَخَافُوْنَ إِلَّا اللّٰهَ، وَيَخَافُ مِنْهُمْ كُلُّ شَيْءٍ وَيُطِيْعُهُمْ حَتّٰى قَالَ يَزْدَجُرْدَ ——— وَهُوَ مَلِكُ فَارِسَ فِي عَهْدِ عُمَرِبْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَوْفًا مِنْهُ ——— أَكَلَ كَبِدِي عُمَرُ رضي الله عنه۔(۲)

اِتِّحَادُ مَنْهَجِ الْعَمَلِ

نَمْشِي عَلَى نَهْجِ الدَّعْوَةِ وَأُصُوْلِهَا وَإِلَّا يَأْتِي الْاِخْتِلَافُ فِي أَهْلِ الدَّعْوَةِ فَلَا بُدَّ أَنْ نَتَعَلَّمَ وَنَعْرِفَ أُصُوْلَ الدَّعْوَةِ وَالْأَعْمَالَ الْإِجْتِمَاعِيَّةَ وَالْإِنْفِرَادِيَّةَ نَسْأَلُ مِنَ الْقُدَمَاءِ وَنَعْرِفُ مِنَ الْمَشَائِخِ، وَالْاُصُوْلُ لَاتَأْتِي فَقَطْ مِنَ الْعِلْمِ بَلْ تَأْتِي مِنَ الْمَشْيِ مَعَ الْقُدَمَاءِ وَالتَّعْلِيْمِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ وهذه الْاُمُوْرُ الثَّلَاثَةُ مُهِمَّةٌ لِجَمِيْعِ أَهْلِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيْغِ(۳)۔

(۱) رواهٗ مسلم فى كتاب الاماره برقم ۴۸۷۴، وابن حبان فى صحيحه برقم : ۶۲۷۴، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم ۱۶۹۹۲، وابن ماجه ، باب البيعة برقم :۲۸۶۶، والنسائى برقم :۴۱۵۲، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه

(۲) عثمان بن عفان ، شخصيته الجزء ۱/ ۵۱۷۸

(۳) مقتبس من كلام الشيخ سعيد احمد نورالله مرقدهٗ

أَسْبَابُ الْاِسْتِفَادَةِ مِنَ الْخُرُوْجِ

هٰذِهِ الدُّنْيَا مَحَلُّ الْاِسْتِفَادَةِ وَالْاٰخِرَةُ وَالْجَنَّةُ مَحَلُّ الرَّاحَةِ، وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَسْتَفِيْدَ مِنَ الْخُرُوْجِ لَابُدَّمِنْ تَحَرّٰى أَسْبَابِ الْاِسْتِفَادَةِ لِأَنَّ الدُّنْيَا مَرْبُوْطَةٌ بِالْأَسْبَابِ فَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اِجْتَهَدُوْا عَلٰى أَقْوَامِهِمْ فَالَّذِيْنَ مَشَوْا عَلٰى طَرِيْقِهِمْ فَازُوْا وَاَفْلَحُوْا وَلٰكِنَّ الَّذِيْنَ خَالَفُوْا هَلَكُوْا وَعُذِّبُوْا۔

اَلطَّلَبُ الصَّادِقُ

اَلْاَوَّلُ اَلطَّلَبُ الصَّادِقُ، اَلطَّلَبُ الصَّادِقُ يَزِيْدُ الْاِيْمَانَ وَالْيَقِيْنَ فِي الدَّاعِي فَلَا بُدَّ مِنْ هٰذَا الشَّرْطِ لِلْاِسْتِفَادَةِ وَالتَّرَقِّي، فَمَنْ يَمْشِي بِدُوْنِ الطَّلَبِ سَوَاءٌ كَانَ عَالِمًا أَوْقَدِيْمًا فِي الدَّعْوَةِ أَوْجَدِيْدًا لَايَسْتَفِيْدُ، قَالَ الشَّيْخُ إِلْيَاسُ رحمه الله نَحْنُ نَمْشِي فِي هٰذَا الطَّرِيْقِ طَالِبِيْنَ۔

اَلشُّوْرٰى

اَلثَّانِي اَلشُّوْرٰى وَإِنَّمَا نَمْشِي تَحْتَ الشُّوْرٰى، وَبِمُتَابَعَةِ الشُّوْرٰى تَأْتِي فِيْنَا صِفَةُ الطَّاعَةِوَفِيْهَا تَكُوْنُ لَنَا التَّرْبِيَةُ، وَنَخْرُجُ بِهِ مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَمَكَائِدِ الشَّيْطٰنِ، وَيَتَّضِحُ لَنَا بِهِ الطَّرِيْقُ الصَّحِيْحُ، وَصِفَةُ الطَّاعَةِ صِفَةٌ عَظِيْمَةٌ سَامِيَةٌ تَجْلِبُ فِيْنَا صِفَاتٍ أُخْرٰى، وَكَانَتْ مَوْجُوْدَةً فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ عَلٰى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ، فَهُمْ يَقُوْلُوْنَ كَمَارُوِيَ فِي الصَّحِيْحَيْنِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ بَايَعْنَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ عَلٰى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَعَلٰى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لَانُنَازِعَ الْأَمْرَأَهْلَهٗ ۔(۱)

(۱) رواه البخارى برقم :

اَلْمُرَاعَاةُ لِأُصُوْلِ الدَّعْوَةِ

اَلثَّالِثُ اَلْمُرَاعَاةُ لِأُصُوْلِ الدَّعْوَةِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَسِيْرَ حَسْبَ الْأُصُوْلِ حَتّٰى يَتِمَّ لَنَا الْوُصُوْلُ إِلٰى رِضَى اللّٰهِ تَعَالٰى، فَمِثَالُ الْأُصُوْلِ كَإِشَارَاتِ الْمُرُوْرِ عَلَى الطَّرِيْقِ فَالَّذِىْ يَمْشِيْ حَسْبَ هٰذِهِ الْإِشَارَاتِ يَصِلُ إِلٰى مُرَادِهٖ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ وَلَا تَاخِيْرٍ، وَالَّذِىْ لَايَمْشِى حَسْبَهَا أَوْ يُخَالِفُهَا لِكَىْ يَصِلَ بِالسُّرْعَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَفْقُدَ حَيَاتَهٗ اَوْعَرَبَتَهٗ، فَهٰكَذَا الْأُصُوْلُ۔

طَاعَةُ الْاَمِيْرِ

اَلرَّابِعُ طَاعَةُ الْاَمِيْرِ، اَلَّذِىْ يَمْشِى عَلٰى رَأْيِهٖ وَفِكْرِهٖ وَهُوَاهُ وَتَحْتَ عَقْلِهٖ لَا يَسْتَفِيْدُ مِنَ الْخُرُوْجِ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ قَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ (مَنْ اَطَاعَ اَمِيْرِى فَقَدْ اَطَاعَنِى) فَنَحْنُ نَمْشِى فِي الْخُرُوْجِ نُفَوِّضُ أَمْرَنَا لِلْاَمِيْرِ، فَالَّذِىْ يَمْشِى عَلٰى حَالِهٖ، وَلَا يَمْشِى تَحْتَ طَاعَةِ الْاَمِيْرِ لَايَسْتَفِيْدُ، وَإِذَا مَشٰى تَحْتَ طَاعَةِ الْاَمِيْرِ فَبِهٰذَا تَصْلُحُ نَفْسُهٗ۔

اَلْاِهْتِمَامُ بِالْاَعْمَالِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِنْفِرَادِيَّةِ

لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْاِهْتِمَامِ بِالْأَعْمَالِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِنْفِرَادِيَّةِ فِي زَمَنِ الْخُرُوْجِ ، بِالْأَعْمَالِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ تَكُوْنُ التَّرْبِيَّةُ وَبِالْاَعْمَالِ الْاِنْفِرَادِيَّةِ تَكُوْنُ الْاِسْتِقَامَةُ فَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِهَا فَهُوَلَا يَسْتَفِيْدُ مِنَ الْخُرُوْجِ۔

اَلْاَعْمَالُ الْاِجْتِمَاعِيَّةُ ثَمَانِيَةٌ

نُشَارِكُ فِيْهَا بِالْاِهْتِمَامِ وَبِالشَّوْقِ وَالرَّغْبَةِ وَهِيَ (١)اَلشُّوْرٰى (٢)حَلْقَةُ التَّعْلِيْمُ (٣) صَلٰوةُ الْجَمَاعَةِ بِالتَّكْبِيْرَةِ الْأُوْلٰى (٤)اَلْجَوْلَةُ

(٥)اَلْبَيَانُ(٦)اَلسَّفَرُ(٧)اَلطَّعَامُ (٨)اَلْمَنَامُ۔

اَلْاَعْمَالُ الْاِنْفِرَادِيَّةُ ثَمَانِيَةٌ

(١)قِرَاءَةُ الْقُرْاٰنِ بِالْفَهْمِ وَالتَّدَبُّرِ وَالْبُكَاءِ(٢)نَذْكُرُ اللّٰهَ كَثِيْرًا (٣)نُصَلِّى النَّوَافِلَ بِالْخُشُوْعِ وَالْخُضُوْعِ (٤) نَتَعَلَّمُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْأً جَدِيْدًا مِنْ أُصُوْلِ الدَّعْوَةِ وَالْقُرْاٰنِ وَالْحَدِيْثِ وَمُطَالَعَةِ الْكُتُبِ الْمُفِيْدَةِ فِى الْفَرَاغِ بِالتَّدَبُّرِ (٥) نَدْعُو اللّٰهَ بِالتَّضَرُّعِ وَالْبُكَاءِ (٦)نَقْضِىْ حَاجَاتِ النَّاسِ الَّتِى يَحْتَاجُوْنَ إِلَيْهَا وَنَخْدِمُهُمْ (٧) اَلصَّبْرُوَالتَّحَمُّلُ عَلَى الْأَذٰى وَالْمَكَارِهِ وَالْأَحْوَالِ الشَّدِيْدَةِ (٨) اَلْاِبْتِعَادُ عَنِ الْمَعَاصِىْ وَالْاِهْتِمَامُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ هٰذِهٖ نُرَاقِبُ أَنْفُسَنَا عِنْدَ كُلِّ عَمَلٍ وَنُخْلِصُ النِّيَّةَ۔

تَرْتِيْبُ الْعَمَلِ

قَالَ الشَّيْخُ إِلْيَاس رَحِمَهُ اللّٰهُ تَرْتِيْبُ الْعَمَلِ

أَوَّلًا– اَلْجُهْدُ عَلَى الْقَلْبِ أَىْ كَيْفَ يَأْتِى الْيَقِيْنُ عَلَى اللّٰهِ وَيَخْرُجُ الْيَقِيْنُ عَلٰى مَاسِوَى اللّٰهِ وَكَيْفَ يَأْتِى الشَّوْقُ وَالرَّغْبَةُ لِلْاٰخِرَةِ وَكَيْفَ يَخْرُجُ حُبُّ الدُّنْيَا وَيَدْخُلُ حُبُّ اللّٰهِ وَحُبُّ رَسُوْلِهٖ، فَالْجُهْدُ عَلٰى أَنْفُسِنَا اَوَّلًا وَلَيْسَ عَلَى النَّاسِ۔

ثَانِياً– اَلْجُهْدُ بِالْجَوَارِحِ مِثْلَ الْجَوْلَاتِ وَالزِّيَارَاتِ۔

ثَالِثًا–جُهْدُ اللِّسَانِ كَالْبَيَانِ وَغَيْرِهٖ، هٰكَذَا يَكُوْنُ التَّرْتِيْبُ لَا بِالْعَكْسِ(١)

اَسْبَابُ الثَّبَاتِ وَالتَّرَقِّىْ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿ **إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا** ﴾(حم السجدة ٣٠)

(١) من افادات الشيخ سعيد احمد بحذف و ترميم يسير

اَلْاِسْتِقَامَةُ وَالسَّدَادُ عَلَى الْعَمَلِ يَكُوْنُ بِقَدْرِ الْإِيْمَانِ وَمَعَ هٰذَا تَكُوْنُ أَسْبَابٌ أُخَرُ الَّتِىْ تُثَبِّتُ الرَّجُلَ فِى الْعَمَلِ وَبِهَا يَتَرَقَّى الرَّجُلُ وَمِنْ أَسْبَابِ الثَّبَاتِ وَالتَّرَقِى۔

تَرْكُ حُبِّ الْجَاهِ وَالْمَالِ

اَلَّذِىْ يَخْرُجُ وَيَجْتَهِدُ لِمَرْضَاةِ اللّٰهِ وَلِشُعُوْرِ مَسْئُوْلِيَّتِهٖ وَإِصْلَاحِ نَفْسِهٖ وَلَايَقْتَضِيْ مِنْهُ الْجَاهَ وَالْمَالَ وَلَا يَقْصِدُ مِنْهُ الْاَغْرَاضَ الْفَاسِدَةَ يُثَبِّتُهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ وَيَرْزُقُهُ الْاِسْتِقَامَةَ فَلَا يَخْرُجُ لِاَجْلِ الْعَادَةِ أَوْلِأَجْلِ الْجَاهِ وَالدُّنْيَا۔

وَحُبُّ الْجَاهِ مَرَضٌ خَفِيٌّ يَدْخُلُ مِنْ غَيْرِ شُعُوْرٍ فِى الْقُدَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَاَهْلِ الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ فَلَا بُدَّأَنْ يُخْرِجَ هٰذِهِ الْاَشْيَاءَ مِنْ قُلُوْبِنَا وَنُرَاقِبُ أَنْفُسَنَا۔

فَالدَّعْوَةُ دَرَجَاتٌ بَعْضُنَا يَخْرُجُ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ حَتّٰى يَقْضِيَ حَاجَاتِهٖ وَبَعْضُنَا يَخْرُجُ فِي التَّبْلِيْغِ لِلنُّزْهَةِ وَالسِّيَاحَةِ وَالنَّظْرِ إِلٰى جَمَالِ الْاَرْضِ وَأَهْلِهَا، وَبَعْضُنَا يَخْرُجُ حَتّٰى لِلْجَاهِ اَىْ عِنْدَ مَانَرْجِعُ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا قَدِيْمٌ مُجَاهِدٌ خَرَجَ كَثِيْرًا وَبَعْضُهُمْ يَخْرُجُ لِلتَّبْلِيْغِ وَلَيْسَ يَقْصُدُ مِنْهُ الْاِصْلَاحَ لِنَفْسِهٖ فَهٰذِهِ الدَّرَجَاتُ لَا تَصْلُحُ بِهَا حَيَاتُهٗ۔

وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَا بَابٌ فَسِيْحٌ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِى يَلِجُ الشَّيْطَانُ مِنْهَا إِلٰى قَلْبِ الْاِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لِلدَّاعِي الَّذِي يُرِيْدُ اللّٰهَ وَالدَّارَالْاٰخِرَةَ أَنْ يُمَحِّصَ فِي قَلْبِهٖ وَأَنْ يُفَتِّشَ فِي أَعْمَالِهٖ فَإِنْ وَجَدَ فِيْهَا شُبْهَةً مِنْ رِيَاءٍ طَهَّرَهَا، لِأَنَّهُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ اَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ الْأَصْغَرُ "قَالُوْا وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ؟ قَالَ «اَلرِّيَا۔(١)

اَلْاِحْتِيَاجُ وَالْاِفْتِقَارُ لِلدَّعْوَةِ

مَنْ يَمْشِي فِي هٰذَا الطَّرِيْقِ مَعَ الْحَوْجَةِ وَالْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ فَهُوَ يَثْبُتُ

وَمَنْ يَمْشِي بِالْقَنَاعَةِ وَالْاِسْتِغْنَاءِ فَهُوَ يَسْقُطُ وَلَايَثْبُتُ۔

وَالنَّاسُ ثَلٰثَةٌ ، طَالِبٌ، قَانِعٌ، نَاقِدٌ، فَالطَّالِبُ دَائِمًا يَتَرَقّٰى لِأَجْلِ طَلَبِهٖ وَظَنِّهٖ أَنَّهٗ مُحْتَاجٌ إِلَى هٰذَا الْعَمَلِ، مِثْلَ الْاَرْضِ الْمُنْخَفِضَةِ الْمَاءُ يَكُوْنُ فِيْهَا أَكْثَرُ، وَالْقَانِعُ لَايَتَرَقّٰى مِثْلَ الْاَرْضِ الْمُرْتَفِعَةِ، لَايَمْكُثُ فِيْهَا الْمَاءُ، وَالنَّاقِدُ دَائِماً يَكُوْنُ فِى نَصِيْبِهِ الْحِرْمَانُ وَالْخَسَارَةُ۔

اَلْيَقِيْنُ عَلَى الدَّعْوَةِ

نَتَيَقَّنُ أَنَّهٗ بِهٰذِهِ الدَّعْوَةِ يَحْيَى الدِّيْنُ كُلُّهٗ فِيْنَاوَفِى النَّاسِ جَمِيْعًا فَإِذَا لَانَتَيَقَّنُ نَتَزَلْزَلُ وَلَا نَثْبُتُ، قَالَ الشَّيْخُ إِلْيَاسْ بِهٰذِهِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ يَحْيَى الدِّيْنُ كُلُّهُ فِى كُلِّ الشُّعُوْبِ الدِّيْنِيَّةِ سَوَاءً كَانَتْ مَرْبُوْطَةً بِالْحُكُوْمَةِ أَوِالْحَيَاةِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ وَفِى الْمَسْجِدِ، فَكَمْ كَثُرَ الْعُلَمَاءُ وَالْاَئِمَّةُ وَالْحُفَّاظُ۔بَعْدَ الدَّعْوَةِ وَجُهْدِهَا۔

اَلْاِسْتِقَامَةُ عَلَى الدَّعْوَةِ

اَلْاِسْتِقَامَةُ :وَهِيَ أَصْلُ الشَّيْءِ وَالْاِسْتِقَامَةُ فَوْقَ الْكَرَامَةِ وَمِنْ أَسْبَابِهَا أَنْ لَايَعْتَمِدَ عَلىٰ عَقْلِهٖ وَرَأْيِهٖ وَمَنْهَجِهٖ بَلْ يَمْشِي تَحْتَ الْمَشْوَرَةِ عِنْدَ الْمَشَائِخِ وَيُرْسِلُ أَحْوَالَهٗ إِلَيْهِمْ لِأَنَّ أُصُوْلَ الدَّعْوَةِ مَعْرُوْفَةٌ فَإِذَا يَمْشِى عَلٰى رَأْيِهٖ وَفَهْمِهٖ فَهٰذَا مِنْ هَوَى النَّفْسِ وَيَأْتِى الْاِخْتِلَافُ وَالشِّقَاقُ۔

اَلنَّظْرُ إِلٰى عُيُوْبِنَا وَاعْتِرَافُ التَّقْصِيْرِ

لَانَنْظُرُ إِلٰى تَقْصِيْرِ النَّاسِ وَعُيُوْبِهِمْ بَلْ نَنْظُرُإِلٰى عُيُوْبِنَا وَتَقْصِيْرِنَا وَنَنْظُرُإِلٰى مَحَاسِنِ النَّاسِ وَإِلَّاتَأْتِى الْأَنَانِيَّةُ وَهِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ قَالَ تَعَالٰى

﴿قَالَ أَنَاخَيْرٌمِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِىْ مِنْ نَّارٍوَّخَلَقْتَهٗ مِنْ طِيْنٍ﴾ [سورة الاعراف :١٢]

وَجَاءَ فِى الْحَدِيْثِ، عَنْ أَبِى بَرْزَةَ الْأَسْلَمِى ﷺ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (يَامَعْشَرَ مَنْ اٰمَنَ بِلِسَانِهٖ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِى قَلْبِهٖ لَاتَغْتَابُوا الْمُسْلِمِيْنَ وَلَاتَتَّبِعُوْاعَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهٗ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللّٰهُ عَوْرَتَهٗ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللّٰهُ عَوْرَتَهٗ يُفْضِحْهُ فِى بَيْتِهٖ(١)۔

فَلِـذَا لَانَتَّبِعُ عَوْرَاتِ النَّاسِ وَتَقْصِيْرَ هُمْ بَلْ نَنْظُرُإِلٰى عُيُوْبِنَا فَتَأْتِى بِهِ الذِّلَّةُ وَالْاِنْكِسَارُ وَالْاِسْتِغْفَارُ بِالنَّدَامَةِ فِيْنَا وَبِذٰلِكَ نَتَرَقّٰى وَنَثْبُتُ بِاِذْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى۔

اَلتَّخَلُّقُ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيْدَةِ

وَنَتَّصِفُ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيْدَةِ مِثْلُ الصَّبْرِ وَالتَّقْوٰى وَالزُّهْدِ وَالْوَرْعِ وَفِكْرِ الْاٰخِرَةِ وَحُبِّ اللّٰهِ وَحُبِّ رَسُوْلِهٖ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْبُكَاءِ وَالْخَشْيَةِ وَالْكَرَمِ وَالْجُوْدِ وَمِنْ هٰذِهِ الصِّفَاتِ تَأْتِى الْاِسْتِقَامَةُ۔

اَلتَّوَاضُعُ وَالْاِكْثَارُمِنْ اِتِّهَامِ النَّفْسِ

نَمْشِي فِي هٰذَا الطَّرِيْقِ بِالتَّوَاضُعِ وَنُكْثِرُمِنْ اِتِّهَامِ النَّفْسِ لَانَطْمَئِنُّ عَلَيْهَا بَلْ دَائِمًا نَخَافُ وَنَعْتَرِفُ التَّقْصِيْرَ وَالْخَطَا، بِالتَّوَاضُعِ يَتَرَقّٰى الرَّجُلُ لِأَنَّ الْكِبَرَ يَدُلُّ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْهَلَاكِ وَبِهٖ يَحْرُمُ الرَّجُلُ وَيَهْلِكُ وَيَضِلُّ۔

أَوَّلًا يَأْتِى فِى الرَّجُلِ الْعُجُبُ، وَالْعُجُبُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْكِبْرِ، فَالْكِبْرُ لَهٗ ثَلٰثَةُ أَرْكَانٍ، مُتَكَبِّرٌ، مُتَكَبَّرٌبِهٖ وَمُتَكَبَّرٌ عَلَيْهِ وَالْعُجُبُ لَيْسَ لَهٗ

(١) رواہٗ ابوداؤد، باب فى الغيبة برقم :٤٨٨٢، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم : ٢١٦٩٦، من حديث ابى برزة الاسلمىؓ

إِلَّارُكْنَانِ، مُعْجِبٌ وَمُعْجَبٌ بِهٖ فَقَطْ— وَلٰكِنَّ الْعُجُبَ هُوَ الدَّرَجَةُ الْأُوْلٰى فِى سِلَّمِ الْكِبْرِفَنَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْهُمَا۔

اَلْعُجُبُ هُوَاِسْتِعْظَامُ النِّعْمَةِ وَالرُّكُوْنُ إِلَيْهَا مَعَ نِسْيَانِ إِضَافَتِهَا إِلَى الْمُنْعِمِ، فَلَا نَنْسٰى مُنْعِمَنَا الْحَقِيْقِيَّ بَلْ نُضِيْفُ إِلَيْهِ مَاعِنْدَنَا مِنَ النِّعَمِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَلَانَحْتَقِرُاَحَدًا لِأَنَّ الْاِحْتِقَارَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوْبِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالٰى لِذٰلِكَ يَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّأَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ) حَتّٰى وَاِنْ وَقَعَ مِنَ الْمُسْلِمِ شَيْئٌ خَارِجٌ عَنِ الْاٰدَابِ الْاِجْتِمَاعِيَّةِ يَجِبُ أَنْ يَلْتَمِسَ لَهُ الْعُذْرَ۔

اَلْاِلْتِزَامُ بِالْاَعْمَالِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ

نَلْتَزِمُ بِالْاَعْمَالِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَمِنَ الْاَعْمَالِ الظَّاهِرِيَّةِ اَلصَّلٰوةُ، وَالدُّعَاءُ وَالسُّنَّةُ، وَالْجَوْلَاتُ، وَمِنَ الْاَعْمَالِ الْبَاطِنِيَّةِ اَلْيَقِيْنُ عَلٰى ذَاتِ اللّٰهِ وَصِفَاتِهٖ وَقُدْرَتِهٖ وَخَزَائِنِهٖ وَالتَّقْوٰى، وَالْحِلْمُ وَالْاَنَاةُ وَقُوَّةُ الدُّعَاءِ وَالْخَشْيَةُ وَالْخَوْفُ۔

اَلْاِلْتِزَامُ بِالدُّعَاءِ

نَعْمَلُ كُلَّ عَمَلٍ بِالْفِكْرِ وَالْجُهْدِ التَّامِّ وَنُفَوِّضُ أَمْرَنَا إِلَى اللّٰهِ وَنَعْتَرِفُ بِالتَّقْصِيْرِ بِالدُّعَاءِ وَنَطْلُبُ النُّصْرَةَ مِنَ اللّٰهِ مُسْتَغْفِرِيْنَ وَتَائِبِيْنَ مِنْ ذُنُوْبِنَا وَمَعَاصِيْنَا، وَأَكْبَرُ الذُّنُوْبِ فِي وَقْتِنَا هٰذَا هُوَتَرْكُ جُهْدِ الرَّسُوْلِ ﷺ حَتّٰى وَقَعَ النَّاسُ فِى الذُّنُوْبِ وَالْمَعَاصِي وَالْهَلَاكِ وَالضَّلَالِ ۔

فَالَّذِي يَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللّٰهِ يُفْتَحُ لَهٗ أَبْوَابُ النُّصْرَةِ مِثْلَ الطِّفْلِ الصَّغِيْرِ عِنْدَ مَا يَبْكِي فَأُمُّهٗ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ وَتَأْتِي الْحَلِيْبُ فِي ثَدْيِهَا، فَاِذَا

هُوَلَايَبْكِي وَلَا يَتَحَرَّكُ فَأُمُّهُ لَاتَتَوَجَّهُ وَلَاتَتَفَكَّرُ بِرَضَاعَتِهِ هٰكَذَا الدَّاعِى لَمَّا يَسْأَلُ اللّٰهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فَاللّٰهُ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ حَتّٰى يَفْتَحَ لَهُ الطَّرِيْقَ فَالدَّاعِي الْحَقِيْقِي يَمْشِى بِدُوْنِ الْأَسْبَابِ وَأَهْلُ الدُّنْيَا يَمْشُوْنَ بِالْاَسْبَابِ فَاِذَا بَكٰى أَمَامَ اللّٰهِ تَعَالٰى يَجْعَلُ لَهُ سَبَبًا۔

اَلْاِجْتِنَابُ عَنِ الذُّنُوْبِ وَالْمَعَاصِىْ

اَلَّذِى يَرْتَكِبُ الذُّنُوْبَ وَالْمَعَاصِي فَهُوَ يَحْرُمُ مِنَ الدَّعْوَةِ وَلَا يَثْبُتُ مَعَ أَنَّهُ يَخْرُجُ وَيُضَحِّى وَيَسْمَعُ الْبَيَانَ وَلٰكِنْ لَايَأْتِى فِيْهِ الثَّبَاتُ كَمَا تَشْهَدُ التَّجْرِبَةُ فَلَا بُدَّ مِنَ الْاِجْتِنَابِ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْاِلْتِزَامِ بِسُنَّةِ الْحَبِيْبِ ﷺ فِي الظَّاهِرِوَالْبَاطِنِ، قَالَ اِبْنُ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه لَوْتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ) فَالْاٰنَ النَّاسُ يَقُوْلُوْنَ هٰذَا لَيْسَ فَرْضٌ بَلْ سُنَّةٌ أَىْ لَيْسَتْ لَهَا اَهَمِيَّةٌ فَلْنَجْتَنِبْ مِنْ تَرْكِ السُّنَّةِ وَمِنْ كُلِّ الْمَعَاصِي لِأَنَّ الْمَعْصِيَةَ سَبَبٌ لِلْحِرْمَانِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْوَكِيْعُ حِيْنَمَا اشْتَكٰى إِلَيْهِ الْإِمَامُ الشَّافَعِى رَحِمَهُ اللّٰهُ۔

شَكَوْتُ إِلٰى وَكِيْعٍ سُوْءَ حِفْظِي　　فَأَرْشَدَنِي إِلٰى تَرْكِ الْمَعَاصِي

فَإِنَّ الْعِلْمَ نُوْرٌمِنْ إِلٰهِي　　وَنُوْرُاللّٰهِ لَايُعْطٰى لِعَاصِي (١)

عَظْمَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ فِى الْقَلْبِ

لَا بُدَّ لِلدَّاعِي أَنْ يَكُوْنَ فِى قَلْبِهِ عَظْمَةُ الدَّعْوَةِ وَأَهَمِّيَّتُهِ ، لِأَنَّ الدَّعوة أَمْرٌعظيم قَالَ تَعَالٰى ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَجَاهَدَ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ ط لَايَسْتَوٗنَ عِنْدَاللّٰهِ ط وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ** ١٩﴾[سورة التوبه : ١٩]

جَاءَ فِى الْحَدِيْثِ فِى سَبَبِ نُزُوْلِهَا عَنْ نُعْمَانِ بْنِ بَشِيْرِالْأَنْصَارِىِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فِى نَفَرٍمِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَاأُبَالِى أَنْ لَا أَعْمَلَ لِلّٰهِ عَمَلاً بَعْدَ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ أَسْقِى الْحَاجَّ، وَقَالَ آخَرُبَلْ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَقَالَ آخَرُبَلِ الْجِهَادُ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ خَيْرٌمَاقُلْتُمْ، فَزَجَرَهُمْ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ وَقَالَ لَاتَرْفَعُوْا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَمِنْبَرِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ —وَذٰلِكَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ—وَلٰكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِى مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيْهِ قَالَ فَفَعَلَ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ الى آخرالاية(١)۔

اَلتَّضْحِيَّةُ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

لَابُدَّلَنَا مِنَ التَّضْحِيَّةِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ فِي هٰذَا الطَّرِيْقِ وَبِهَا نَتَرَقّٰى وَيَأْتِي فِيْنَا الثَّبَاتُ فَلْنَتَقَدَّمْ وَلَانَتَخَلَّفْ عَنِ الْجُهْدِ مِثْلَ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ كَانُوْا يَمْشُوْنَ فِى كُلِّ وَقْتٍ وَعَلٰى كُلِّ حَالٍ وَكَذٰلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ ،لَايَحْبِسُهُمُ الْعُذْرُ عَنِ الْخُرُوْجِ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ أَبَدًا وَلَاهُمْ يَعْتَذِرُوْنَ بَلْ هُمْ يَكُوْنُوْنَ مُسْتَعِدِّيْنَ دَائِمًا ، بَخٍّ بَخٍّ لِعَوَاطِفِهِمْ حِيْنَمَا قَالَ الْأَبُ لِإِبْنِهِ يَابُنَيَّ أَنَا أَخْرُجُ وَأَنْتَ أَقِمْ فِى الْبَيْتِ لِأَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ فَصَلَ فِيْنَا أَنَّ اَحَدَنَا يَخْرُجُ فَقَالَ الْإِبْنُ (يَاأَبَتِ لَوْكَانَ غَيْرَالْجَنَّةِ لَاٰثَرْتُكَ بِهَا إِنِّى أُرِيْدُ الشَّهَادَةَ فِى وَجْهِى) فَخَرَجَ سَعْدُبْنُ خَيْثَمَةَ وَقَاتَلَ حَتّٰى قُتِلَ وَأَبُوْهُ خَيْثَمَةُ أَقَامَ فِي الْبَيْتِ هٰكَذَا كَانَتْ عَوَاطِفُ الصَّحَابَةِ وَهُمْ يَقُوْلُوْنَ

نَحْنُ الَّذِيْنَ بَايَعُوْا مُحَمَّدًا　　عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِيْنَا أَبَدًا

(١)　سورة التوبه:١٩ رواهٗ مسلم فى صحيحه وابوداؤد وابن جرير وهذا لفظه وابن مردويه وابن ابى خاتم فى تفاسيرهم وابن حبان فى صحيحه

قِصَّةُ سَعْدِ السُّلْمِيْ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِ ﷺ فَقَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! أَيَمْنَعُنِي سَوَادِي وَدَمَامَةُ وَجْهِي مِنْ دُخُوْلِ الْجَنَّةِ؟

قَالَ لَا، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَيْقَنْتَ بِرَبِّكَ وَآمَنْتَ بِمَا جَاءَ رَسُوْلُهُ، قَالَ فَوَالَّذِيْ أَكْرَمَكَ بِالنُّبُوَّةِ لَقَدْ شَهِدْتُ أَنْ لَااِلٰهَ اِلَّا اللّٰه وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهٗ وَرَسُوْلُهٗ مِنْ قَبْلِ أَنْ اَجْلِسَ هٰذَا الْمَجْلِسَ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ وَلَقَدْ خَطَبْتُ إِلٰى عَامَّةِ مَنْ بِحَضْرَتِكَ وَمَنْ لَيْسَ مَعَكَ فَرَدُّوْنِي لِسَوَادِي وَدَمَامَةِ وَجْهِي وَإِنِّى لَفِى حَسَبٍ مِنْ قَوْمِي مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وَلٰكِنْ غَلَبَ عَلَيَّ سَوَادُ أَخْوَالِى۔

فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ هَل شَهِدَ الْيَوْمَ عَمْرُوبْنُ وَهَبٍ؟ وَكَانَ رَجُلاً مِنْ ثَقِيْفٍ قَرِيْبٍ مِنَ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ، قَالُوْا لَا، قَالَ لَهُ أَتَعْرِفُ مَنْزِلَهُ؟ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَاذْهَبْ وَاقْرَعِ الْبَابَ قَرْعًا دَقِيْقاً ثُمَّ سَلِّمْ، فَإِذَا دَخَلْتَ فَقُلْ زَوَّجَنِىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فَتَاتَكُمْ، وَكَانَ لَهُ اِبْنَةٌ عَاتِقٌ وَكَانَ لَهَا حَظٌّ مِنَ الْجَمَالِ وَالْعَقْلِ۔

فَلَمَّا أَتَى الْبَابَ وَقَرَعَ وَسَلَّمَ، فَرَحَّبُوْابِهِ حَيْثُ سَمِعُوْا لُغَةً عَرَبِيَّةً، فَفَتَحُوا الْبَابَ، فَلَمَّا رَأَوْا سَوَادَهُ وَدَمَامَةَ وَجْهِهِ اِنْقَبَضُوْا عَنْهُ، فَقَالَ إِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَدْ زَوَّجَنِى فَتَاتَكُمْ، فَرَدُّوْا عَلَيْهِ رَدّاً قَبِيْحًا فَخَرَجَ الرَّجُلُ وَمَضٰى حَتّٰى أَتٰى رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ۔

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ لِأَبِيْهَا، يَا أَبَتَاه اَلنَّجَاالنَّجَاقَبْلَ أَنْ يَفْضَحَكَ الْوَحْيُ، فَإِنْ يَكُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ قَدْ زَوَّجَنِيْ مِنْهُ فَقَدْ رَضِيْتُ بِمَا رَضِيَ اللّٰهُ لِىْ

وَرَسُوْلُهُ۔

فَخَرَجَ الشَّيْخُ حَتّٰى أَتٰى رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ وَجَلَسَ فِي أَدْنَى الْمَجْلِسِ فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْتَ الَّذِىْ رَدَدْتَّ عَلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ مَارَدَدْتَّ؟ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ وَاَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فَقَدْ زَوَّجْنَاهُ فَنَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْ سَخَطِ اللّٰهِ وَسَخَطِ رَسُوْلِهِ، فَزَوَّجَهَا مِنْهُ بَاَرْبَعمِائَةِ دِرْهَمٍ۔

فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لِلزَّوْجِ وَهُوَ سَعْدُ نِ السُّلَمِى اِذْهَبْ إِلٰى صَاحِبَتِكَ فَادْخُلْ بِهَا، فَقَالَ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًا مَا اَجِدُ شَيْأً حَتّٰى أَسْأَلَ إِخْوَانِي ۔

فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَهْرُامْرَأَتِكَ عَلٰى ثَلٰثَةِ نَفَرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ، اِذْهَبْ إِلٰى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ فَخُذْ مِنْهُ مِائَتَىْ دِرْهَمٍ فَأَعْطَاهٗ وَزَادَهٗ وَاذْهَبْ إِلٰى عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ وَخُذْمِنْهُ مِائَةَ دِرْهَمٍ، فَأَعْطَاهُ وَزَادَهٗ وَاذْهَبْ إِلٰى عَلِيٍّ وَخُذْمِنْهُ مِائَةَ دِرْهَمٍ، فَأَعْطَاهُ وَزَادَهٗ۔

فَبَيْنَمَا هُوَفِي السُّوْقِ وَمَعَهُ مَايَشْتَرِى لِزَوْجَتِهِ فَرَحًا قَرِيْرَالْعَيْنِ، إِذْ سَمِعَ صَوْتَ النَّفِيْرِ يُنَادُى، يَاخَيْلَ اللّٰهِ إِرْكَبِي! فَنَظَرَنَظْرَةً إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ اَللّٰهُمَّ إِلٰهَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَإِلٰهَ مُحَمَّدٍ لَا جْعَلَنَّ هٰذِهِ الدَّرَاهِمَ الْيَوْمَ فِيْمَا يُحِبُّ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ وَالْمُؤْمِنُوْنَ فَاشْتَرٰى فَرَسًا وَسَيْفًا وَرُمْحًا وَاشْتَرٰى مِجَنًّا، وَشَدَّ عَمَامَتَهُ عَلَى بَطْنِهِ وَاعْتَجَرَ فَلَمْ يُرَ اِلَّا حَمَالِيْقُ عَيْنِهِ حَتّٰى وَقَفَ عَلَى الْمُهَاجِرِيْنَ فَقَالُوْا مَنْ هٰذَا الْفَارِسُ اَلَّذِىْ لَانَعْرِفُهُ؟ فَقَالَ لَهُمْ عَلِيٌّ رَضِى اللّٰهُ عَنْهُ كُفُّوْاعَنِ الرَّجُلِ فَلَعَلَّهُ مِمَّنْ طَرَأَعَلَيْكُمْ مِنْ قِبَلِ الْبَحْرَيْنِ أَوْمِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَجَاءَ يَسْأَلُكُمْ عَنْ مَعَالِمِ دِيْنِكُمْ، فَأُحِبُّ أَنْ

يُـوَاسِيَـكُـمُ الْيَوْمَ بِنَفْسِهِ فَأَقْبَلَ يَطْعَنُ بِرُمُحِهٖ، وَيَضْرِبُ بِسَيْفِهٖ حَتّٰى نَامَ بِهٖ فَرَسُهُ فَنَزَلَ وَحَسَرَعَنْ ذِرَاعَيْهِ وَتَشَمَّرَ لِلْقِتَالِ۔

فَلَمَّا رَاٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ سَوَادَ ذِرَاعَيْهِ عَرَفَهٗ، فَقَالَ أَسَعْدٌ أَنْتَ؟ قَالَ نَـعَـمْ بِـأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ سَعْدٌ جدك، فَمَا زَالَ يَطْعَنُ بِرُمُحِهٖ وَيَضْرِبُ بِسَيْـفِهٖ كُلَّ ذٰلِكَ يَقْتُلُ اَعْدَاءَ اللّٰهِ إِذْ قَالُوْا صُرِعَ سَعْدٌ، فَخَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مُـقْبِلاًنَحْوَهُ فَأَتَاهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهٗ وَوَضَعَ عَلَى حِجْرِهٖ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ بِثَوْبِهٖ وَقَالَ مَا اَطْيَبُ رِيْحُكَ وَاَحَبُّكَ إِلَى اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ۔

قَالَ فَبَكٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَعْرَضَ بِوَجْهِهٖ ثُمَّ قَالَ وَرَدَ الْـحَـوْضَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ أَبُوْلُبَابَةَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَارَسُوْلَ اللّٰهِ ! وَمَا الْـحَـوْضُ؟ قَـالَ حَـوْضٌ أَعْـطَانِيْهِ رَبِّي عَرْضُهٗ مَابَيْنَ صَنْعَاءَ إِلٰى بُصْرٰى، حَـافَّتَـانِ مُـكَـلَّـلَتَانِ بِالدُّرِّوَالْيَاقُوْتِ مَاءُهٗ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلٰى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شُرْبَةً لَا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا۔

فَـقَـالَ يَـارَسُـوْلَ الـلّٰـهِ ! رَئَيْـنَـاكَ بَكَيْتَ ثُمَّ ضَحِكْتَ، ثُمَّ أَعْرَضْتَ بِوَجْهِكَ؟ ۔

قَالَ أَمَّا بُكَائِي فَبَكَيْتُ شَوْقًا إِلٰى سَعْدٍ

وَأَمَّا ضِحْكِي فَفَرِحْتُ بِمَنْزَلَتِهٖ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى وَكَرَامَتِهٖ عَلَى اللّٰهِ۔

وَاَمَّا اِعْرَاضِي فِإِنِي رَئَيْتُ أَزْوَاجَهٗ مِنَ الْحُوْرِالْعِيْنِ يَبْتَدِرْنَهٗ كَاشِفَاتٍ سُـوْقَهُنَّ، بَادِيَاتٍ خَلَاخِلَهُنَّ فَأَعْرَضْتُ عَنْهُنَّ حَيَاءً مِنْهُنَّ فَأَمَرَ بِسِلَاحِهٖ وَفَـرْسِهٖ وَمَاكَانَ لَهٗ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ اِذْهَبُوْا إِلٰى مَنْ زَوَّجَهٗ فَقُوْلُوْا إِنَّ اللّٰهَ قَدْ زَوَّجَهٗ خَيْرًا مِنْ فَتَاتِكُمْ(١)

(١) تنبيه الغافلين للفقيه السَّمرقندى ص: ٤٣٠ اسد الغابة ، ذكر سعد الاسود ج١ص٤٢٤

اَسْبَابُ الرَّبْطِ الْاِجْتِمَاعِي

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى(**وَاعْتَصِمُوْابِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعًاوَّلَاتَفَرَّقُوْا**)

جَـعَـلَ الـلّٰهُ تَعَالٰى فَلَا حَ الْإِنْسَانِ وَفَوْزَهٗ بِالرَّبْطِ، فَالنِّزَاعُ وَالْخِلَافُ وَالشِّقَاقُ يَرْفَعُ اللّٰهُ النُّصْرَةَ الْغَيْبِيَّةَ لَابُدَّ عَلَيْنَا اَنْ نَتَفَكَّرَ كَيْفَ تَأْتِي الْمَحَبَّةُ وَالْاُلْفَةُ حَتّٰى تَنْزِلَ نُصْرَةُ اللّٰهِ، اَهْلُ الدُّنْيَا اَلْمَقْصُوْدُ عِنْدَهُمْ اِجْتِمَاعُ الْأَبْدَانِ وَلٰـكِـنَّ الْـمَـقْـصُـوْدَ فِي هٰذَا الْجُهْدِ اِجْتِمَاعُ الْقُلُوْبِ وَبِاِجْتِمَاعِ الْأَبْدَانِ لَاتَجْتَمِعُ الْقُلُوْبُ مِثْلَ أَهْلِ السُّوْقِ وَالْبَاطِلِ مُجْتَمِعُوْنَ لٰكِنَّ قُلُوْبَهُمْ شَتّٰى وَالَّـذِيْ يُـرِيْدُ الرَّبْطَ وَالْاِرْتِبَاطَ وَالْاُلْفَةَ لَابُدَّ عَلَيْهِ أَنْ يُرَاعِي هٰذِهِ الْأُصُوْلَ وَهِيَ۔

تَرْكُ التَّجَسُّسِ

اَلتَّـجَـسُّـسُ من أَسْبَابِ الشِّقَاقِ وَالتَّفْرِيْقِ وَالْعَدَاوَةِ فَلَا نَتَجَسَّسُ لِأَنَّهٗ حَـرَامٌ، قَـالَ تَعَالٰى (وَلَاتَجَسَّسُوْا) وَقَالَ تَعَالٰى﴿**وَالَّـذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْـمُـؤْمِـنٰـتِ بِـغَيْـرِمَـااكْتَسَبُـوْافَـقَدِاحْتَمَلُوْا بُهْتَانًا وَّإِثْمًامُّبِيْنًا ٥٨**﴾ [سورة الاحزاب:٥٨] وَجَـاءَ فِي الْحَدِيْثِ وَلَاتَحَسَّسُوْا وَلَا تَجَسَّسُوْا وَلَا تَنَافَسُوْا وَلَا تَحَاسَدُوْا وَلَاتَبَاغَضُوْا وَلَا تَدَابَرُوْا وَكُوْنُوْا عِبَادَ اللّٰهِ اِخْوَانًا(١)

فَـالتَّـجَـسُّـسُ يُـكَسِّـرُ الْـقُـلُوْبَ وَيُشَقِّقُهَا وَيُلْقِي الْعَدَاوَةَ فِي الْقُلُوْبِ وَلٰـكِـنَّ التَّـفَقُّدَ هُوَ الْمَطْلُوْبُ فَلَا بُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْأَحْبَابِ وَإِلَّا يَـضِيْـعُـوْا وَلٰـكِـنَّ التَّـفَقُّدَ بِنِيَّةِ الْإِصْلَاحِ وَمَعَ الشَّفْقَةِ وَالرَّحْمَةِ لَا بِإِفْشَاءِ السِّتْرِ۔

(١) اخرجه البخارى برقم: ٦٠٦٤، ومسلم فى صحيحه برقم ٦٧٠١، فى كتاب البروالصلة ، والامام مالك فى الموطا برقم: ١٦١٦، من حديث ابى هريرةؓ

تَرْكُ الظَّنِّ

لَا بُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْتَنِبَ مِنْ سُوْءِ الظَّنِّ لِأَنَّ سُوْءَ الظَّنِّ مِنَ الْفِخَاخِ الَّتِي يَصْطَادُبِهَا الشَّيْطٰنُ قُلُوْبَ الْعِبَادِ، وَهُوَ مِنْ عَوَامِلِ تَفْكِيْكِ الْجَمَاعَاتِ وَإِفْسَادِ الْعَلَاقَاتِ وَتَقْطِيْعِ أَوَاصِرِ الْمَحَبَّةِ وَبِهِ يَجْتَهِدُ الشَّيْطٰنُ فِي التَّفْرِيْقِ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَلَمَّا كَانَ ظَنُّ السُّوْءِ مُفْسِدًا لِلْمُجْتَمِعِ فَقَدْ أَمَرَنَا اللّٰهُ بِاجْتِنَابِهِ فَقَالَ ﴿ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ ﴾ وَنَهَانَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيْثِ۔

يَقُوْلُ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لَا تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيْكَ الْمُؤْمِنِ إِلَّا خَيْرًا وَأَنْتَ تَجِدُلَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمِلًا(١)

اَلظَّنُّ خَوَاطِرٌ تَقَعُ فِي الْقَلْبِ رُبَمَا لَا يَسْتَطِيْعُ الْإِنْسَانُ دَفْعَهَا فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُضْعِفَهَا بِظَنِّ الْخَيْرِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَذَكَّرَ عُيُوْبَهُ وَخَفَايَا ذُنُوْبِهِ لِيَنْشَغِلَ بِهَا عَنْ عُيُوْبِ النَّاسِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَدْفَعَ الظَّنَّ السَّيِّءَ بِذٰلِكَ فَعَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِهِ أَوْيَبْحَثَ عَنْ تَحْقِيْقِهِ وَبِهٰذَا يَسْلَمُ مِنَ الْإِثْمِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ اللّٰهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهَا أَنْفُسُهَا مَالَمْ تَعْمَلْ أَوْتَتَكَلَّمْ(٢)

إِعْطَاءُ الْهَدِيَّةِ

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوْرِثُ الْمَحَبَّةَ وَالْمَوَدَّةَ فِي الْقُلُوْبِ إِعْطَاءُ الْهَدِيَّةِ لِهٰذَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ (تَهَادَوْا تَحَابُّوْا) وَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُعْطِي جَزَاءً (٣) وَأَيْضًا يُرْسِلُ الْهَدَايَا إِلٰى أَصْحَابِهِ فَلَا بُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نُرْسِلَ الْهَدِيَّةَ تَارَةً إِلٰى اَحْبَابِنَا كَيْ تُوْرِثَ الْأُلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ۔

(١) زهرة التفاسير ج١ص١٥٨٥، تفسير سورة النساء

(٢) رواهٗ البخارى فى الصحيح برقم :٥٢٦٩، والنسائى برقم :٣٤٣٣، وابونعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة رضـ

(٣) رواهٗ البخارى فى الصحيح برقم :٢٤٤٥، من حديث عائشة رضـ، كنزالعمال برقم :١٥٠٥٥

إِفْشَاءُ السَّلَامِ

إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنْ أَسْبَابِ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ فَنُسَلِّمُ عَلٰى كُلِّ مَنْ نَلْقَاهُ نَعْرِفُهُ أَوْلَمْ نَعْرِفْهُ وَنَبْدَأُ بِالسَّلَامِ وَلَا نَنْتَظِرُ السَّلَامَ مِنَ الْأَحْبَابِ، جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتّٰى تُؤْمِنُوْا وَلَا تُؤْمِنُوْا حَتّٰى تَحَابُّوْا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلٰى شَيْئٍ إِذَا فَعَلْتُمُوْهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُو السَّلَامَ بَيْنَكُمْ(١) وَعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يٰاَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ(٢) وَقَالَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللّٰهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ(٣) وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ لَمَّا خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالٰى آدَمَ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلٰى أُولٰئِكَ – النَّفَرِ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ جُلُوْسٌ – فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّوْنَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ فَزَادَهُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ(٤)۔

حِفْظُ اللِّسَانِ

وَأَمَّا أَكْبَرُ السَّبَبِ الَّذِىْ يُشَقِّقُ الْقُلُوْبَ وَيُفْسِدُ الْعَلَاقَاتِ وَيَقْطَعُ أَوَاصِرَ الْمَحَبَّةِ هُوَ اللِّسَانُ وَهُوَ أَوْسَعُ مَدْخَلِ الشَّيْطَانِ، وَجِرَاحُهُ لَا يُمَلُّ وَلَا يُسْأَمُ فَكَمْ مِنْ حَرْبٍ جَرَّتْهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلٰى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)(٥) فَلَا بُدَّ أَنْ نَحْفَظَ اللِّسَانَ الَّذِىْ جِنَايَتُهُ مُتَّسِعَةُ الْأَطْرَافِ، كَثِيْرَةُ الشِّعَبِ عَظِيْمَةُ الْآفَاتِ وَلَا نَتَكَلَّمُ إِلَّا لِمَصْلِحَةٍ دِيْنِيَّةٍ أَوْدُنْيَوِيَّةٍ وَلَا نُضِيْعُ سَاعَاتِ عُمْرِنَا فِي اللَّغْوِ وَاللَّهْوِ وَالْبَاطِلِ۔

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ إِنَّ أَكْثَرَ

(١) رواهٗ مسلم فى كتاب الايمان برقم :٢٠٣، والامام احمد فى المسند برقم :١٤١٢، وابن ماجه، باب افشاء السلام برقم :٣٦٩٢، وابوداؤد، باب افشاء السلام برقم :٥١٩٥، من حديث ابى هريرة رضـ

(٢) رواهٗ الترمذى برقم :٢٤٨٥، وابن ماجه برقم :٣٢٥١، باب اطعام الطعام من حديث عبدالله بن سلام رضـ

(٣) رواهٗ ابوداؤد، باب فى فضل من بدأ بالسلام برقم :٥١٩٩، كنزالعمال برقم :٢٥٢٥٧، من حديث ابى امامة رضـ

(٤) اخرجه البخارى، كتاب الاستئذان برقم : ٦٢٢٧، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم : ٧٣٤٢، من حديث ابى هريرة رضـ

(٥) رواهٗ الطبرانى فى المعجم الكبير برقم :١٣٧، وابن ماجه برقم :٣٩٧٣، والبيهقى فى شعب الايمان برقم ٤٩٥٨، من حديث معاذ بن جبل رضـ

خَطَايَا إِبْنِ آدَمَ فِی لِسَانِهِ(١)۔

وَجَاءَ فِی الرِّوَايَةِ "إِذَا أَصْبَحَ اِبْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ تَقُوْلُ اِتَّقِ اللّٰهَ فِيْنَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اِسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اِعْوَجَجْنَا ۔رَوَاهُ التِّرْمِذِی مَرْفُوْعاً وقال الْمَوْقُوْفُ اَصَحُّ(٢) وَلَنِعْمَ مَاقَالَ الْقَائِلُ۔

اَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَالسُّكُوْتُ سَلَامَةٌ فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَاتَكُنْ مِكْثَارًا

مَا إِن نَدِمْتُ عَلٰى سُكُوْتِي مَرَّةً فلقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْكَلْمِ فِيْمَا لَايَعْنِي

فَلَا نَتَكَلَّمُ فِيْمَا لَا يَعْنِيْهِ لِأَنَّ فِيْهِ تَضْيِيْعًا لِلْوَقْتِ الَّذِی هُوَ رَأْسُ مَالِ الْمُسْلِمِ فَالْكَلَامُ فِيْمَا لَايَعْنِي إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ ضَرَرٌ فَفِيْهِ الْخَسَارَةُ وَتَضْيِيْعُ الْأَجْرِ وَلِذٰلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَايَعْنِيْهِ(٣)

قَالَ مُجَاهِدٌ سَمِعْتُ اِبْنَ عَبَّاسٍ يَقُوْلُ "خَمْسٌ لَهُنَّ أَحَبُّ إِلَیَّ مِنَ الدُّهْمِ الْمَوْقُوْفَةِ ۔

(١) لَاتَتَكَلَّمْ فِيْمَا لَا يَعْنِيْكَ فَإِنَّهُ فَضْلٌ وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ الْوِزْرَ۔

(٢) لَا تَتَكَلَّمْ فِيْمَا يَعْنِيْكَ حَتّٰى تَجِدَلَهُ مَوْضِعاً فَإِنَّهُ رُبَّ مُتَكَلِّمٍ فِی أَمْرٍ يَعْنِيْهِ قَدْ وَضَعَهُ فِی غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَعَنَتَ۔

(٣) وَلَاتُمَارِ حَلِيْمًا وَلَاسَفِيْهًا فَإِنَّ الْحَلِيْمَ يُقْلِيْكَ وَالسَّفِيْهُ يُؤْذِيْكَ۔

(٤) وَاذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ وَاعْفُهُ مِمَّا تُحِبُّ أَنْ يَعْفِيَكَ مِنْهُ وَعَامِلْ أَخَاكَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلَكَ بِهِ ۔

(٥) وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُجَازًى بِالْإِحْسَانِ مَأْخُوْذٌ بِالْاِجْتِرَامِ(٤)

(١) رواهُ البيهقی فی شعب الايمان برقم :٤٩٣٣، وكنزالعمال برقم :٧٨٨٨

(٢) رواهُ الترمذی برقم :٢٤٠٧، والامام احمد فی المسند برقم :١١٩٠٨، وابونعيم فی الحلية من حديث ابی سعيد الخدریؓ

(٣) رواهُ الترمذی مرفوعاً ، برقم :٢٣١٨، والطبرانی فی المعجم الكبير:١١٩٩، والامام مالك فی المؤطا برقم :١٦٠٤، وابونعيم فی الحلية من حديث علی بن حسينؓ

(٤) احياء علوم الدين ، بيان عظيم خطراللسان ، الجزء ٣ص١١٣

وَقِيْلَ لِلُقْمَانِ الْحَكِيْمِ مَاحِكْمَتُكَ ؟ قَالَ لَا اَسْأَلُ عَمَّاكُفِيْتُ وَلَا اَتَكَلَّفُ مَالَايَعْنِيْنِي(١)

وَقَدْ قِيْلَ ؎

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِئُ عُيُوْبَ ذَوِي الْعُيُوْبِ الْمَنْطِقُ

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ

قَالَ اِبْنُ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيمَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ رَوَاهُ الطَّبْرَانِی (٢)۔ فَلْنَحْفَظِ اللِّسَانَ عَنِ الْخَوْضِ فِی الْبَاطِلِ كَالْكَلَامِ فِی الْمَعَاصِي مِثْلَ حِكَايَةِ أَحْوَالِ النِّسَاءِ وَمَجَالِسِ الْخَمْرِ وَمَقَامَاتِ الْفُسَّاقِ وَتَنَعُّمِ الْأَغْنِيَاءِ وَتَجَبُّرِ الْمُلُوْكِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ۔

وَعَنْ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِي رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللّٰهِ تَعَالٰى مَاكَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَابَلَغَتْ يَكْتُبُ اللّٰهُ لَهُ رِضْوَانَهُ إِلٰى يَوْمِ يَلْقَاهُ وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَتكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللّٰهِ مَاكَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَابَلَغَتْ يَكْتُبُ اللّٰهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلٰى يَوْمِ يَلْقَاهُ۔رَوَاهُ مَالِكٌ وَالتِّرْمِذِی)(٣)

وَكَانَ عَلْقَمَةُ يَقُوْلُ كَمْ مِنْ كَلَامٍ مَنَعَنِيْهِ حَدِيْثُ بِلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِي رضي الله عنه۔

وَعَنْ اَبِی هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُوْلُ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ

(١) مصنف ابن ابی شيبة ، كلام لقمان عليه السلام برقم : ٣٤٢٩٥، بيهقی فی شعب الايمان برقم :١٠٨٠٩

(٢) رواهُ الطبرانی فی المعجم الكبير برقم:٨٤٦٩، والبيهقی فی شعب الايمان برقم : ١٨٠٧، كنزالعمال برقم :٧٩٣٢

(٣) رواهُ الترمذی ،باب فی قلة الكلام برقم :٢٣١٩ ، وابن ماجه برقم :٣٩٦٩، والامام مالك فی المؤطا برقم : ١٧٨١، من حديث بلال بن الحارث المزنیؓ

بِالْكَلِمَةِ مَايَتَبَيَّنُ فِيْهَا يَزِلُّ بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ(١)

قَالَ النَّوَوِى وَمَعْنٰى "يَتَبَيَّنُ" يُفَكِّرُ أَنَّهَا خَيْرٌاَمْ لَا۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ

لَا بُدَّ لِلدَّاعِي مِنْ تَرْكِ الْمِرَاءِ وَالْجَدَلِ لِأَنَّهُ يُوْرِثُ الْفِتْنَةَ، وَيُلْقِي الْعَدَاوَةَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُوْنَ لِسَانَهُ عَنِ الْجَدَلِ، قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنَا زَعِيْمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ۔ رَوَاهُ اَبُوْدَاؤُدَ(٢)۔

وَأَيْضاً قَالَ مَاضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوْا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُواالْجَدَلَ۔ رَوَاهُ التِّرْمِذِى(٣)۔

قَالَ اِبْنُ مَسْعُوْدٍ ﷺ ذَرُوْا الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ لَاتُفْهَمُ حِكْمَتُهُ وَلَاتُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ(٤)۔

وَقَالَ بِلَالُ بْنُ سَعْدٍ إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَجُوْجاً مُمَارِياً، مُعْجِباً بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ، اَلْمِرَاءُ يُقْسِى الْقُلُوْبَ وَيُوْرِثُ الضَّغَائِنَ۔

وَقَالَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ، إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ فَإِنَّهُ سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ وَعِنْدَهَا

(١) اخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم : ٦١١٢ ومسلم فى الزهد والرقائق برقم :٢٩٨٨، والامام احمد فى المسند برقم :٨٩٠٩

(٢) رواهٗ ابوداؤد باب فى حسن الخلق برقم: ٤٨٠٢، والبيهقى فى شعب الايمان برقم :٨٠١٧، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم : ٧٣٦١ من حديث ابى امامةؓ

(٣) رواهٗ الترمذى فى تفسير سورة الزخرف برقم : ٣٢٥٣، وابن ماجه برقم :٤٨، والحاكم فى المستدرك فى تفسير سورة الزخرف برقم: ٣٦٧٤، من حديث ابى امامةؓ

(٤) احياء علوم الدين الجزء ٣ ص١١٦

يَبْتَغِى الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ(١)۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْخُصُومَةِ

قَالَ الْغَزَالِيُّ اَلْخُصُوْمَةُ مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ وَكَذَا الْمِرَاءُ وَالْجَدَلُ فَيَنْبَغِي أَنْ لَّايُفْتَحَ بَابُهُ إِلَّا لِضَرُوْرَةٍ وَعِنْدَ الضَّرُوْرَةِ يَنْبَغِى أَنْ يَحْفَظَ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ عَنْ تَبْعَاتِ الْخُصُوْمَةِ وَذٰلِكَ مُتَعَذِّرٌ جِدًّا۔

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ(إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ عِنْدَ اللّٰهِ اَلْأَ لَدُّالْخَصِمُ (٢)وَقَالَ اَيْضاً يُوْجِبُ الْجَنَّةَ اِطْعَامُ الطَّعَامِ وَحُسْنُ الْكَلَامِ وَفِى رِوَايَةٍ إِفْشَاءُ السَّلَامِ(٣)

فَيَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلَامًا لَيِّنًا وَطَيِّباً وَلَايُخَاصِمُ أَحَدًا لِأَنَّهَايُوْرِثُ الْفِتْنَةَ۔

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْكَلَامُ اللَّيِّنُ يَغْسِلُ الضَّغَائِنَ الْمُسْتَكِنَّةَ فِي الْجَوَارِحِ۔

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ اَلْبِرُّشَيْئٌ هَيِّنٌ وَجْهٌ طَلِيْقٌ وَكَلَامٌ لَيِّنٌ(٤)

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ التَّقَعُّرِفِى الْكَلَامِ

لَقَدْ ذَمَّ النَّبِيُّ ﷺ اَلتَّشَدُّقَ وَالتَّقَعُّرَوَتَكَلُّفَ السَّجْعِ وَالْفَصَاحَةِ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى قَالُوْ بَلٰى يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ قَالَ أُحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا اَلْمَوْطَؤُوْنَ أَكْتَافَهُمْ اَلَّذِيْنَ يَأْلَفُوْنَ وَيُؤْلَفُوْنَ ، ثُمَّ قَالَ أَلَا

(١) المصدر السابق الجزء ٣ ص ١١٧

(٢) رواهٗ البخارى فى كتاب المظالم برقم:٢٣٢٥

(٣) مجمع الزوائد برقم :٧٨٧٢

(٤) كشف الخفا الجزء ١ ص ٢٨٣

أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي ، قَالُوْا بَلٰى يَارَسُوْلَ اللّٰهِ قَالَ اَلثَّرْثَارُوْنَ، وَالْمُتَشَدِّقُوْنَ وَالْمُتَفَيْهِقُوْنَ قَالُوْايَارَسُوْلَ اللّٰهِ! قَدْ عَرَفْنَا اَلثَّرْثَارِيْنَ وَالْمُتَشَدِّقِيْنَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُوْنَ؟ قَالَ اَلْمُتَكَبِّرُوْنَ (١)وَالثَّرْثَارُ هُوَكَثِيْرُ الْكَلَامِ تَكَلُّفًا وَالْمُتَشَدِّقُ هُوَ الْمُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ وَيَتَكَلَّمُ بِمَلْأِ فَمِهِ تَفَصُّحًا وَتَعْظِيْمًا لِكَلَامِهِ، وَالْمُتَفَيْهِقُ اَصْلُهُ مِنَ الْفَهَقِ وَهُوَ الْاِمْتِلَاءُ وَهُوَ الَّذِى يَمْلَأُ فَمَهٗ بِالْكَلَامِ وَيَتَوَسَّعُ فِيْهِ تَكَبُّرًا وَارْتِفَاعًا وَاِظْهَارًا لِلْفَضِيْلَةِ عَلٰى غَيْرِهٖ۔

وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه اِنَّ شَقَاشِقَ الْكَلَامِ مِنْ شَقَاشِقِ الشَّيْطَانِ(٢)۔

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ رحمه الله وَلَايَدْخُلُ فِي هٰذَا تَحْسِيْنُ كَلَامِ الْخِطَابَةِ وَلَاتَذْكِيْرٌ مِنْ غَيْرِاِفْرَاطٍ وَاِغْرَابٍ فَاِنَّ الْمَقْصُوْدَ مِنْهَا تَحْرِيْكُ الْقُلُوْبِ وَتَشْوِيْقُهَا وَقَبْضُهَا وَبَسْطُهَا ، فَلِرَشَاقَةِ اللَّفْظِ تَاثِيْرٌ فِيْهِ فَهُوَ لَائِقٌ بِهٖ – أَمَّا الْمُحَاوَرَاتُ الَّتِي تَجْرِى لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ فَلَا يَلِيْقُ بِهَا السَّجْعُ وَالتَّشَدُّقُ وَالْاِشْتِغَالُ بِهٖ مِنَ التَّكَلُّفِ الْمَذْمُوْمِ وَلَابَاعِثَ عَلَيْهِ اِلَّا الرِّيَاءُ وَاِظْهَارُ الْفَصَاحَةِ وَالتَّمَيُّزُ بِالْبَرَاعَةِ وَكُلُّ ذٰلِكَ مَكْرُوْهٌ يَكْرَهُهُ الشَّرْعُ وَيَزْجُرُعَنْهُ۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْفُحْشِ وَالتَّفَحُّشِ

عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَااللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيِّ(٣)

وَعَنْ اُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ(إِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ

(١) رواهٗ عبدالرزاق فی المصنف برقم :٢٠١٥٣، مصنف ابن ابی شیبه برقم :٢٥٣٢٠، والامام احمد فی المسند برقم :١٧٧٦٧

(٢) جامع الاحادیث ، مسند عمر بن الخطابؓ برقم : ٣٠٤٦٩

(٣) رواهٗ الترمذی ، باب ماجاء فی اللعنة برقم :١٩٧٧، والبیهقی فی شعب الایمان برقم :٥١٤٩، والطبرانی فی الکبیر برقم :١٠٣٣٢

الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ(١)

فَلَا بُدَّ لِلدَّاعِي أَنْ يَصُوْنَ لِسَانَهُ عَنِ الطَّعَنِ وَاللَّعَنِ وَالْفُحْشِ فِي الْكَلَامِ لِأَنَّهُ لَايَلِيْقُ لِشَانِ الْمُؤْمِنِ؟

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ السَّبِّ

يَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَصُوْنَ لِسَانَهُ عَنِ السَّبِّ فَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ(٢)۔

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ أَوْصِنِي فَقَالَ عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللّٰهِ وَإِنِ امْرُؤٌ عَيَّرَكَ بِشَيْئٍ يَعْلَمُهُ فِيْكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِشَيْئٍ تَعْلَمُهُ فِيْهِ يَكُنْ وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ وَلَا تَسُبَّنَّ شَيْأً قَالَ فَمَا سَبَبْتُ شَيْأً بَعْدَهٗ(٣)۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنْ كَثْرَةِ الْمِزَاحِ

قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه مَنْ كَثُرَضِحْكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مَزَحَ اِسْتَخَفَّ بِهٖ وَمَنْ أَكْثَرَمِنْ شَيْئٍ عَرَفَ بِهٖ ، وَمَنْ كَثُرَكَلَامُهٗ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَسَقَطُهُ قَلَّ حَيَاءُهٗ وَمَنْ قَلَّ حَيَاءُهٗ قَلَّ وَرَعُهٗ وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهٗ(٤)۔

وَقَالَ سَعِيْدُ بْنُ الْعَاصِ لِإِبْنِهٖ يَابُنَيَّ لَاتُمَازِحِ الشَّرِيْفَ فَيَحْقِدُ عَلَيْكَ وَلَاتُمَازِحِ الدَّنِيَّ فَيَجْتَرِئُ عَلَيْكَ(٥)۔

وَقِيْلَ لِكُلِّ شَيْئٍ بُذُوْرٌ وَبُذُوْرُ الْعَدَاوَةِ الْمِزَاحُ

(١) رواهٗ الطبرانی فی المعجم الکبیر برقم :٤٠٢، سنن ابی داؤد (باب فی حسن العشرة برقم : ٤٧٩٢، صحیح ابن حبان برقم : ٦٢٤٨

(٢) رواهٗ البخاری برقم :٦٠٤٤، ومسلم برقم : ٢٣٠، فی کتاب الایمان ، سنن النسائی باب قتال المسلم برقم :٤١٠٥، والترمذی برقم :٢٦٣٥، من حدیث عبدالله بن مسعودؓ

(٣) مساوئ الاخلاق للخرائطی برقم : ٢٥، الترغیب والترهیب برقم :٤٢٠٩، صحیح ابن حبان برقم :٥٢١

(٤) رواهٗ البیهقی فی شعب الایمان برقم :٤٩٩٤، والطبرانی فی المعجم الاوسط برقم :٢٢٥٩

(٥) احیاء علوم الدین الجزء ١ ص١٢٨، موضع اوهام الجمع والتفریق للخطیب البغدادی الجزء ١ ص٤٤٥

وَالْمِزَاحُ جَائِزٌ بِشَرْطَيْنِ(١)أَنْ لَايُدْخِلَهُ الْكِذْبَ (٢)وَأَلَّا يُكْثِرَ مِنْهُ وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُمَازِحُ وَلٰكِنْ لَايُكْثِرُ وَلَايُدْخِلُهُ الْكِذْبَ۔

وَقَالَ حَكِيْمٌ لِإِبْنِهِ اِقْتَصِدْ فِي مِزَاحِكَ فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِيْهِ يُذْهِبُ الْبَهَاءَ وَيُجَرِّئُ عَلَيْكَ السُّفَهَاءَ وَإِنَّ التَّقْصِيْرَ فِيْهِ نَقْصٌ بِالْمُوَانِسِيْنَ وَتَوَحُّشٌ بِالْمُخَاطَبِيْنَ(١)۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ السُّخْرِيَّةِ وَالْاِسْتِهْزَاءِ

اَلسُّخْرِيَّةُ هِيَ النَّظْرُ إِلٰى الْمَسْخُوْرِمِنْهُ بِعَيْنِ النَّقْصِ وَالْاِسْتِهَانَةِ وَالتَّحْقِيْرِوَالتَّنْبِيْهِ عَلٰى الْعُيُوْبِ وَالنَّقَائِصِ عَلٰى وَجْهٍ يُضْحَكُ مِنْهُ وَقَدْيَكُوْنُ ذٰلِكَ بِالْمُحَاكَاةِ فِى الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ وَقَدْ يَكُوْنُ بِالْإِشَارَةِ وَالْإِيْمَاءِ۔

وَقَدْ قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ﴿ **يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسٰٓى اَنْ يَّكُوْنُوْا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَانِسَآءٌ مِّنْ نِّسَآءٍ عَسٰٓى اَنْ يَّكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ۔** ﴾[سورة الحجرات:١١]

فَالسُّخْرِيَّةُ وَالْاِسْتِهْزَاءُ حَرَامٌ لِأَنَّ السُّخْرِيَّةَ فِيْهَا تَحْقِيْرُ الْغَيْرِوَالْبَاعِثُ عَلَى الْاِسْتِهْزَاءِ هُوَ الْكِبْرُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (اَلْكِبْرُ بَطَرُالْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ(٢)۔وَقَالَ (لَايَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ(٣)

(١) بريقه محموديه فى شرح طريقة محمدية ج٥ ص٢١٢

(٢) رواهٗ مسلم ، باب تحريم الكبر برقم :٢٧٥

(٣) المصدر السابق ، والترمذى ، باب ماجاء فى الكبر برقم :١٩٩٩

وَقَالَ أَيْضًا (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّأَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ(١)۔

فَلَا بُدَّ لِلدَّاعِي أَنْ يَجْتَنِبَ مِنْ هٰذِهِ النَّقَائِصِ وَيَصُوْنَ لِسَانَهُ وَقَلْبَهُ مِنْهَا۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنْ إِفْشَاءِ السِّرِّ

وَهُوَيَنْقَسِمُ إِلٰى قِسْمَيْنِ إِفْشَاءُ سِرِّالنَّفْسِ وَإِفْشَاءُ سِرِّالْغَيْرِ وَكَلَاهُمَا مَذْمُوْمٌ وَالْأَوَّلُ أَهْوَنُ مِنَ الثَّانِى۔

أَوَّلًا إِفْشَاءُ سِرِّالْإِنْسَانِ نَفْسَهُ سَبَبٌ مِنْ اَسْبَابِ فَشَلِهٖ وَرُبَمَا كَانَ سَبَبًا فِي ذُلِّهٖ لِمَنْ أَفْشٰى لَهُ سِرًّا۔

قَالَ عَلِيُّ بْنُ اَبِي طَالِبٍ سِرُّكَ أَسِيْرُكَ فَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِهٖ صِرْتَ أَسِيْرَهُ۔

وَقَالَ حَكِيْمٌ لِإِبْنِهٖ يَابُنَيَّ كُنْ جَوَّادًابِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ ضَنِيْنًا بِالْأَسْرَارِ عَنْ جَمِيْعِ الْخَلْقِ فَإِنَّ أَحْمَدَ جُوْدِ الْمَرْأِ اَلْإِنْفَاقُ فِى وَجْهِ الْبِرِّ وَالْبُخْلُ بِمَكْتُوْمِ السِّرِّ۔

قَالَ الْبَعْضُ ؎

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشٰى سِرَّهٗ بِلِسَانِهٖ وَلَامَ عَلَيْهِ غَيْرُهٗ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذْضَاقَ صَدْرُالْمَرْءِ مِنْ سِرِّنَفْسِهٖ فَصَدْرُالَّذِى يَسْتَوْدِعُ السِّرَّأَضْيَقُ

ثَانِياً–إِفْشَاءُ سِرِّالْمُسْلِمِ وَهٰذَا أَخْطَرُوَأَشَدُّ لِأَنَّهٗ أَمَانَةٌ وَإِفْشَاءُهٗ خِيَانَةٌ وَالْخِيَانَةُ مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ۔

وَقَالَ الْعَبَّاسُ ﷺ لِإِبْنِهٖ عَبْدِ اللّٰهِ ﷺ إِنِّى اَرٰى هٰذَا الرَّجُلَ–يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ يُقَدِّمُكَ عَلَى الْاَشْيَاخِ فَاحْفَظْ عَنِّي خَمْسًا

(١) رواهٗ مسلم ، باب تحريم ظلم المسلم برقم :٦٧٠٦، والبيهقى فى السنن الكبرى برقم:١٧٥٨٧، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم :١٧٦٤٤، من حديث ابى هريرة رضـ

لَاتُفْشِيَّنَ لَهُ سِرًّا، لَا تَغْتَبَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَاتَجْرِيَّنَّ عَلَيْهِ كِذْبًا، وَلَاتَعْصِيَنَّ لَهُ أَمْرًا وَلَايَطَّلِعَنَّ مِنْكَ عَلٰى خِيَانَةٍ۔

قَالَ الشَّعْبِي كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْ هٰذَا الْخَمْسِ خَيْرٌلِي مِنْ اَلْفٍ(١)۔

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْكِذْبِ

لَا يَنْبَغِي لِلدَّاعِي أَنْ يَكْذِبَ أَبَدًا لِاَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِيْ إِلَى الْبِرِّوَإِنَّ الْبِرَّيَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَايَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتّٰى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّٰهِ صِدِّيْقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكِذْبَ فَإِنَّ الْكِذْبَ يَهْدِيْ إِلَى الْفُجُوْرِ وَالْفُجُوْرُ يَهْدِيْ إِلَى النَّارِ وَمَايَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكِذْبَ حَتّٰى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّٰهِ كَذَّابًا(٢)

وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ حَفِظْتُ مِنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ دَعْ مَايُرِيْبُكَ إِلٰى مَالَايُرِيْبُكَ فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَانِيْنَةٌ وَالْكِذْبَ رِيْبَةٌ(٣)۔

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْذِبُ لِيَضْحَكَ النَّاسُ وَاِذَا نَهَيْتَهُ عَنْ ذٰلِكَ قَالَ لَكَ إِنِّي اَمْزَحُ فَهٰذَا وَأَمْثَالُهُ قَالَ فِيْهِمْ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (وَيْلٌ لِلَّذِيْ يُحَدِّثُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهٗ(٤)۔

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكْذِبُ فِي رُؤْيَاهُ أَوْيَقُوْلُ رَئَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَذَا وَكَذَا وَهُوَلَمْ يَرَشَيْأً فَهٰذَا إِثْمُهُ عَظِيْمٌ وَجُرْمُهُ كَبِيْرٌ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (إِنَّ مِنْ

---

(١) احياء علوم الدين الجزء ٢ ص ١٧٩

(٢) اخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والاداب برقم:٦٨٠٥، والبخارى فى كتاب الادب برقم:٥٧٤٣، من حديث عبدالله بن مسعودؓ

(٣) رواهٗ الترمذى برقم:٢٥١٨، وقال حديث حسن صحيح والحاكم فى المستدرك برقم:٧٠٤٦، من حديث حسن بن علیؓ

(٤) رواهٗ ابوداؤد، باب فى التشديد فى الكذب برقم:٤٩٩٢، سنن الدارمى برقم: ٢٧٠٢، والامام احمد فى المسند برقم:٢٠٠٥٥، من حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جدهؓ

أَفْرَى الْفِرٰى أَنْ يُرِىَ عَيْنَيْهِ مَالَمْ تَرَ(١)، وَقَالَ، مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلُمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيْرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ(٢)

حِفْظُ اللِّسَانِ عَنِ الْغِيْبَةِ

قَالَ تَعَالىٰ ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا ۗ أَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًافَكَرِهْتُمُوْهُ ۗ﴾[سورة الحجرات: ١٢]

قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا اللّٰهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللّٰهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ ، قَالَ اِبْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فَوَالَّذِيْ نَفْسِي بِيَدِهٖ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلٰى أُمَّتِهِ ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُالْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوْا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (٣)

عَنْ أَبِى بَرْزَةَ رضي الله عنه قَالَ خَطَبَنَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ حَتّٰى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ فِى بُيُوْتِهِنَّ قَالَ يَامَعْشَرَمَنْ اٰمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ لَاتَغْتَابُوا الْمُسْلِمِيْنَ وَلَاتَتَّبِعُوْا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيْهِ تَتَبَّعَ اللّٰهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللّٰهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ فِى جَوْفِ بَيْتِهِ(٤)۔

وَلَمَّا رَجَمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَا عِزًّافِى الزِّنَا قَالَ رَجُلٌ لِصَاحِبِهِ" هٰذَا رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ" فَمَرَّرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَهُمَامَعَهُ بِجِيْفَةِ حِمَارٍ فَقَالَ أَيْنَ

---

(١) اخرجه البخارى فى الصحيح برقم:٧٠٤٣، والبيهقى فى شعب الايمان برقم:٤٧٧١، والامام احمد فى المسند برقم: ٥٧١١، من حديث ابن عمرؓ

(٢) اخرجه البخارى ، باب من كذب فى حمله برقم:٦٦٣٥، والطبرانى فى المعجم الكبير برقم:١١٧٥٥، من حديث ابن عباسؓ

(٣) اخرجه البخارى برقم: ١٧٣٩، عن ابن عباس ص والنسائى فى السنن الكبرى برقم:٤٠٩٣، عن ابى بكرةؓ

(٤) رواهٗ البيهقى فى شعب الايمان برقم:٩٦٦٠، كنزالعمال برقم: ٤٤١٤٩، مسند ابى يعلى برقم:١٦٧٥، من حديث براء بن عازبؓ، وابوداؤد برقم: ٤٨٨٢، من حديث ابى برزة الاسلمیؓ

فَلَانٌ و فُلَانٌ ، فَانْزِ لَا فَكُلَا مِنْ جِيفَةِ هٰذَا الْحِمَارِ قَالَا غَفَرَاللّٰهُ لَكَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ وَهَلْ يُوْكَلُ مِثْلُ هٰذَا ؟ قَالَ فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيْكُمَا آنِفًا شَرٌّ مِنْ هٰذَا (١)۔

حِفْظُ اللِّسَانِ مِنَ النَّمِيْمَةِ

اَلنَّمِيْمَةُ هِيَ نَقْلُ الْكَلَامِ بَيْنَ النَّاسِ عَلٰى جِهَةِ الْإِفْسَادِ وَلَقَدْ حَذَّرَنَا اللّٰهُ تَعَالىٰ مِن النَّمَّامِ فَقَالَ ﴿ وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِيْنٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيْمٍ﴾[سورة القلم : ١٠-١١]

أَيِ الَّذِى يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيْمَةِ۔

وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (لَايَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ)(٢)

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ؒ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّمَّامَ مُفْشٍ لِلسِّرِّ، هَاتِكٌ لِلسَّتْرِ، مُفَرِّقٌ لِلْأَحِبَّةِ، وَلِذٰلِكَ إِذَا حَمَلَ إِلَيْكَ أَحَدٌ نَمِيْمَةً فَعَلَيْكَ بِسِتَّةِ أُمُوْرٍ۔

اَلْأَوَّلُ: أَنْ لَّاتُصَدِّقَ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ وَهُوَ مَرْدُوْدُ الشَّهَادَةِ قَالَ تَعَالىٰ ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْآ إِنْ جَآءَ كُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْآ أَنْ تُصِيْبُوْا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوْا عَلٰى مَافَعَلْتُمْ نٰدِمِيْنَ ﴾۔[سورة الحجرات :٦]

اَلثَّانِى : أَن تَنْهَاهُ عَنْ ذٰلِكَ و تَنْصَحَهُ و تُبَيِّنُ لَهُ قُبْحَ فِعْلِهِ قَالَ تَعَالىٰ ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[سورة لقمن : ١٧]

الثالث :أَن تُبْغِضَهُ فِي اللّٰهِ لِأَنَّ اللّٰهَ يُبْغِضُ النَّمَّامَ ۔

(١) رواهُ البيهقى فى السنن الكبرى برقم:١٧٤٥٤، وابوداؤد فى سننه برقم :٤٤٣٠، والنسائى فى السنن الكبرى برقم :٧١٦٤، من حديث ابى هريرةؓ

(٢) اخرجه مسلم فى كتاب الايمان برقم : ٣٠٣ ، واحمد فى المسند برقم :٢٣٣٢٥، ومسند البزار برقم :٢٨٩٨، من حديث حذيفةؓ

اَلرَّابِعُ : أَنْ لَّا تَظُنَّ بِأَخِيْكَ الْغَائِبِ سُوْئًا ، قَالَ تعالى ﴿اِجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[سورة الحجرات :١٢]

اَلْخَامِسُ:أَنْ لَّايَحْمِلَكَ مَاحَكٰى لَكَ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالتَّحْقِيْقِ مِنْ صِحَّةِ مَا يَقُوْلُ لِقَوْلِهِ تَعَالىٰ (وَلَاتَجَسَّسُوْا)

اَلسَّادِسُ: أَنْ لَّا تَنْقُلَ مَا قَالَهُ لَكَ إِلٰى غَيْرِكَ فَتَقُوْلُ مَثَلًا قَالَ لِي فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا لِأَنَّكَ بِذٰلِكَ تُصْبِحُ نَمَّاماً۔

وَرُوِيَ أَنَّ عُمَرَبْنَ عَبْدَ الْعَزِيْزِ ؒ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَذَكَرَلَهُ عَنْ رَجُلٍ شَيْأً فَقَالَ لَهُ عُمَرَ إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِى أَمْرِكَ، فَإِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْاٰيَةِ ﴿إِنْ جَآءَ كُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْا﴾ [سورة الحجرات:٦] وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْاٰيَةِ ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيْمٍ ﴾[سورة القلم:١١] وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ، فَقَالَ الْعَفُوَيَا اَمِيْرَالْمُؤْمِنِيْنَ لَا أَعُوْدُ إِلَيْهِ أَبَدًا(١)

حِفْظُ اللِّسَانِ مِنْ خَصْلَةِ ذِى اللِّسَانَيْنِ

وَهُوَ نَقْلُ الْحَدِيْثِ مِنْ جِهَتَيْنِ وَهُوَ أَشَرُّمِنَ النَّمِيْمَةِ لِأَنَّهَا نَقْلُ الْحَدِيْثِ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ۔

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُوالْوَجْهَيْنِ الَّذِىْ يَأْتِي هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ(٢)۔

وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنْ كَانَ ذَالِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ

(١) احياء علوم الدين ، بيان حد النميمة الجزء ٣ ص ١٥٦

(٢) اخرجه البخارى فى كتاب الاحكام برقم : ٦٧٥٧، ومسلم فى كتاب البروالصلة ، باب ذم ذى الوجهين برقم : ٦٧٩٦، وابن حبان فى صحيحه برقم : ٥٧٥٤، من حديث ابى هريرةؓ

يَجْعَلُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَّارٍ(١)۔

وَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍيَوْمَ الْقِيٰمَةِ(٢)۔

عَقَبَاتُ الدَّاعِي

عِنْدَمَا يَقُوْمُ الْاِنْسَانُ عَلٰى مَنْهَجِ الدَّعْوَةِ فَتَأْتِى عَلَيْهِ الْأَحْوَالُ وَهٰذِهِ الْأَحْوَالُ عَلٰى نَوْعَيْنِ، أَحْوَالُ مُوَافِقَةٍ وَاَحْوَالُ مُخَالِفَةٍ۔

مِثْلُ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كُلُّهُمْ كَانُوْا دُعَاةً إِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ فَجَاءَ تْ عَلَيْهِمُ الْأَحْوَالُ الشَّدِيْدَةُ مِثْلَ سَيِّدِنَا نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَيِّدِنَا عِيْسٰى وَإِبْرَاهِيْمَ وَأَيُّوْبَ عَلَيْهِمُ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ۔

الاول الاستدبار

عِنْدَمَا يَقُوْمُ الْاِنْسَانُ عَلَى الدَّعْوَةِ أَحْيَانًا يَنْقُصُ الرِّبْحُ فِى الدُّكَانِ أَوْتَذْهَبُ وَظِيْفَتُهُ أَوْيَمُوْتُ أَوْلَادُهُ أَوْزَوْجَتُهُ أَوْتَأْتِى عَلَيْهِ الْاَمْرَاضُ الشَّدِيْدَةُ وَالْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ فَكَيْفَ نَعْمَلُ حَتّٰى لَانَتَزَلْزَلَ وَنَتْرُكَ الدَّعْوَةَ؟

لَمَّا تَأْتِى هٰذِهِ الْأَحْوَالُ لَانَتْرُكُ الدَّعْوَةَ أَبَدًا وَإِلَّايَكُوْنُ خَطَرٌ عَظِيْمٌ وَلَانَجْلِسُ مَعَ الْاٰخَرِيْنَ كَثِيْرًا بَلْ نَجْلِسُ مَعَ اَهْلِ الدَّعْوَةِ وَنُرْسِلُ أَحْوَالَنَا لِلْمَشَائِخِ لِلدُّعَاءِ وَنَتَوَجَّهُ إِلَى اللّٰهِ كُلَّ يَوْمٍ بِالْحَاجَةِ أَقَلَّ الْقَلِيْلِ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَنَهْتَمُّ بِالدُّعَاءِ مَعَ الْبُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَنَتَيَقَّنُ عَلَى مَا قَدَّرَ اللّٰهُ تَعَالىٰ

(١) رواهُ الطبرانى فى المعجم الكبير برقم:١٦٧٦، عن جندب بن عبدالله ، الترغيب والترهيب برقم : ٤٤٧٥، مسند ابى يعلى برقم ٢٧٧١، من حديث انسؓ

(٢) رواهُ البيهقى فى شعب الايمان برقم :٤٨٨١، وابوداؤد برقم : ٤٨٧٥، ومصنف ابن ابى شيبه برقم: ٢٥٤٦٣، من حديث عمار بن ياسرؓ

لَنَا لِأَنَّ كُلَّ شَيْئٍى هُوَ بِقَدَرِاللّٰهِ تَعَالىٰ فَبِذٰلِكَ يُخَفَّفُ عَلَيْهِ حُزْنُهُ، وَيَثْبُتُ وَلَايَتَزَلْزَلُ لِأَنَّ اَلْأَحْوَالَ مُقَدَّرَةٌ عَلَيْنَا سَوَاءً خَرَجْنَا فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ أَوْلَمْ نَخْرُجْ هِيَ نَازِلَةٌ لَامُحَالَةَ وَلٰكِنْ هُنَا إِذَا جَاءَ تِ الْأَحْوَالُ وَنَحْنُ فِي الطَّاعَةِ وَعَلٰى هٰذَا السَّبِيْلِ فَنَحْنُ نَتَرَقّٰى عِنْدَ اللّٰهِ وَنَتَحَصَّلُ الدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ وَنَكُوْنُ مَحْبُوْبِيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالىٰ۔

الثاني الاستقبال

عِنْدَ مَايَقُوْمُ عَلَى الدَّعْوَةِ وَخَرَجَ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فَجَاءَ تِ الدُّنْيَا أَمَامَهُ وَزَادَرِبْحُهُ وَوَظِيْفَتُهُ حَتّٰى تَبْسُطَ الدُّنْيَا لَهُ وَتَحَسَّنَتْ اَحْوَالُ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَلٰكِنْ هٰذَا كَذٰلِكَ لِلْابْتِلَاءِ وَالْاِمْتِحَانِ فَكَيْفَ نَعْمَلُ فِى هٰذَا الْوَقْتِ؟ فِى هٰذِهِ الْاَحْوَالِ لَابُدَّ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ عَلٰى أَهْلِهِ بِقَدْرِالضَّرُوْرَةِ فَقَطْ وَيُنْفِقُ الْبَاقِى فِى أَوْجُهِ الْخَيْرِوَلِخِدْمَةِ الدِّيْنِ وَلَايَنْقُصُ جُهْدُهُ بَلْ يَزِيْدُ تَضْحِيَّاتِهِ وَلَايَظُنُّ أَنَّ هٰذَا مِنْ نَفْسِهِ وَفِكْرِهِ وَجُهْدِهِ بَلْ يَعْرِفُ أَنَّ هٰذَا مِنَ اللّٰهِ بِفَضْلِ الْخُرُوْجِ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ فَيَزْدَادُ بِذٰلِكَ شُكْرُهُ عَلٰى هٰذِهِ النِّعْمَةِ۔

اَلثَّالِثُ اَلْمَنَاصِبُ

عِنْدَ مَاخَرَجَ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ اِعْتَمَدَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَالنَّاسُ يَعْرِضُوْنَ عَلَيْهِ الْمَنْصَبَ وَهٰذَا هُوَالْاِبْتِلَاءُ وَالْمَنَاصِبُ عَلٰى نَوْعَيْنِ مَنْصَبٌ ظُلْمَانِيٌّ وَمَنْصَبٌ نُوْرَانِيٌّ۔

اَلْمَنَاصِبُ النُّوْرَانِيَّةُ :مِثْلَ التَّعْلِيْمِ وَالتَّعَلُّمِ وَالْإِمَامَةِ وَالْخِطَابَةِ وَمَسْئُوْلِيَّةِ الْمَسَاجِدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَنَاصِبِ الَّتِي تُخْدَمُ بِهَاالدِّيْنُ فَكَثِيْرٌمِنَ

النَّاسِ يَتَزَلْزَلُ عِنْدَ مَايَقْبَلُوا هٰذِهِ الْمَنَاصِبَ فَلَا بُدَّ فِي هٰذِهِ الْأَحْوَالِ طَلَبُ الشُّوْرٰى مِنَ الْمَشَائِخِ۔

اَلْمَنَاصِبُ الظُّلْمَانِيَّةُ: هِيَ مَنَاصِبُ الْحُكُوْمَةِ فَلَا بُدَّ كَذٰلِكَ مِنَ الشُّوْرٰى مَعَ الْمَشَائِخِ فِي هٰذِهِ الْاَحْوَالِ – وَلٰكِنَّ الَّذِىْ يَمْشِىْ فِي الدَّعْوَةِ بِالْاُصُوْلِ وَالْاِخْلَاصِ وَبِالشُّوْرٰى وَبِالتَّضْحِيَّةِ وَبِالْبُكَاءِ وَيَمْشِى بِدُوْنِ مَقَاصِدِ الدُّنْيَا فَيَشْرَحُ اللّٰهُ صَدْرَهٗ وَيَفْتَحُ قَلْبَهٗ لِلْجُهْدِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى وَاتَّقُوْا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُمُ الله ![1]

(١) من افادات الشيخ سعيد احمد نور الله مرقدهٗ من كبارالمشائخ فى الدعوة

أَلْبَابُ الْخَامِسُ فِي أَسَالِيْبِ الدَّعْوَةِ

أُسْلُوْبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيْمِ

مَكَانَةُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ

جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ قَوْلُهُ: وَفِي التَّنْزِيْلِ (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيْمٍ) (سورة القلم آية٤) وَالْجَمْعُ: أَخْلَاق لَايُكَسَّرُ عَلى غَيْرِ ذٰلِكَ وَالْخُلُقُ: أَلسَّجِيَّةُ، يُقَالُ: خَالِقِ الْمُؤْمِنَ وَخَالِقِ الْكَافِرَ. وَفِي الْحَدِيْث (لَيْس شَيْءٌ فِي الْمِيْزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) وَالْخُلُقُ بِضَمِّ اللَّامِ وَسُكُوْنِهَا وَهُوَ الدِّيْنُ وَالطَّبْعُ وَالسَّجِيَّةُ وَحَقِيْقَتُهُ: أَنَّهُ صُوْرَةُ الإِنْسَانِ الْبَاطِنَةُ وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيْهَا أَلْمُخْتَصَّةُ بِهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ بِصُوْرَتِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَوْصَافِهَا وَمَعَانِيْهَا وَلَهَا أَوْصَافٌ حَسَنَةٌ وَقَبِيْحَةٌ، وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ يَتَعَلَّقَانِ بِأَوْصَافِ الصُّوْرَةِ الْبَاطِنَةِ أَكْثَرَمَا يَتَعَلَّقَانِ بِأَوْصَافِ الصُّوْرَةِ الظَّاهِرَةِ لِهٰذَا تَكَرَّرَتِ الْأَحَادِيْثُ فِي مَدْحِ حُسْنِ الْخُلُقِ فِي غَيْرِ مَوْضَعٍ: كَمَاوَرَدَ

(مِنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ حُسْنُ الْخُلُقِ) وَقَوْلُهُ (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً) (إِنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)، (بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)، وَحَدِيْثُ عَائِشَةَ، (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) أَيْ كَانَ مُتَمَسِّكاً بِآدَابِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيْهِ وَمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِمِ وَالْمَحَاسِنِ وَالْأَلْطَافِ).(١)

(١) لسان العرب ابن منظور ج ١٠/٨٦-٨٧

وَعَنْ أَبِي رِفَاعَةَ تَمِيْمِ بْنِ أُسَيْدٍقَالَ إِنْتَهَيْتُ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِﷺوَهُوَ يَخْطُبُ فَقُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ رَجُلٌ غَرِيْبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِيْنِهِ لَايَدْرِي مَا دِيْنُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ ! وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتيانْتَهٰى إِلَيَّ فَأُتِىَ بِكُرْسِيٍّ فَقَعَدَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِيْ مِمَّا عَلَّمَهُ اللّٰهُ ثُمَّ أَتٰى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا(١).

يَتَعَلَّمُ الْعَامِلُوْنَ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ أَهَمِّيَّةَ السَّعْيِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ وَتَوَاضُعِهِ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ(مَامَسَسْتُ دِيْبَاجاً وَلَاحَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ ! وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ ! وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِﷺ ! عَشْرَ سِنِيْنَ فَمَا قَالَ لِيْ قَطُّ أُفٍّ وَلَا قَالَ لِشَيْئٍ فَعَلْتَهُ لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيْئٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟(٢)يَتَعَلَّمُ الْعَامِلُوْنَ حُسْنَ خُلُقِهِ وَتَوَاضُعَهُ وَلِيْنَهُ وَرَحْمَتَهُ.

أُسْلُوْبُ اللِّيْنِ وَالرِّفْقِ وَالْيُسْرِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَإِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوْا فِيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ !:(دَعُوْهُ وَأَرِيْقُوا عَلٰى بَوْلِهِ سِجلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوْباً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُم مُيَسِّرِيْنَ وَلَمْ تُبْعَثُوْا مُعَسِّرِيْنَ)(٣) يَتَعَلَّمُ الْعَامِلُوْنَ أُسْلُوْبَ الرِّفْقِ وَاللِّيْنِ وَالْيُسْرِ مَعَ حَدِيْثِ الْعَهْدِ بِالْإِسْلَامِ وَضِعَافِ الْإِيْمَانِ وَالَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ عِلْمٌ بِالْأَحْكَامِ كَمَا يَتَعَلَّمُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ

(١) رواه النسائي برقم ٥٣٩٢ عن ابي رفاعةؓ
(٢) رياض الصالحين باب حسن الخلق برقم٧٣ والبيهقي في دلائل النبوة برقم ٢٠٩
(٣) رواه البخاري برقم ٥٧٧٧ عن ابي هريرةؓ

تَطْهُرُبِصَبِّ الْمَاءِ عَلَيْهَا، يَتَعَلَّمُ الْعَامِلُوْنَ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ السَّمَاحَةَ وَالْعَفْوَ وَالإِعْرَاضَ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ۔

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ ﵁ أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّوْنَ بِالشَّجَرِ وَنَزَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَاسَيْفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُوْلُ اللّٰهِ يَدْعُوْنَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ (إِنَّ هٰذَا اِخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِيْ وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي (قُلْتُ اللّٰهُ ثَلَاثاً) وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ۔(١)

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ جَابِرٌ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ فَإِذَا أَتَيْنَا عَلٰى شَجَرَةٍ ظَلِيْلَةٍ تَرَكْنَا هَالِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَسَيْفُ رَسُوْلِ اللّٰهِ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ لَاقَالَ فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيْ قَالَ اللّٰهُ۔(٢)

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: اللّٰهُ قَالَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ۔ فَأَخَذَ هُ رَسُوْلُ اللّٰهِ وَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ ؟ قَالَ: كُنْ خَيْرَآخِذٍ فَقَالَ (تَشْهَدُ أَلَّا إِلٰهَ إِلَّااللّٰهُ وَأَنِّي رَسُوْلُ اللّٰهِ) ؟ قَالَ لَا وَلٰكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَلَّا أُقَاتِلَكَ وَلَا أَكُوْنَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُوْنَكَ فَخَلّٰي سَبِيْلَهُ فَجَاءَ إِلٰى قَوْمِهِ فَقَالَ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِالنَّاسِ۔ (٣)

يَسْتَفِيْدُ الْعَامِلُوْنَ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ ثِقَةَ النَّبِيِّ بِاللّٰهِ وَصِدْقَ تَوَكُّلِهِ

(١) رواه البخاري برقم ٢٩١٠ ،ومسلم برقم ٦٠٩٠عن جابرؓ
(٢) اخرجه البخاري برقم ٣٩٠٦، ومسلم برقم ١٩٨٦عن جابرؓ
(٣) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٤٣٢٢عن جابرؓ

عَلَيْهِ وَحُسْنَ الْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ۔ وَأَثَرَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ فِي الْخَلَاصِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَعَفْوَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَرَمَ خُلُقِهِ وَعَدَمَ اِنْتِقَامِهِ لِنَفْسِهِ۔

أُسْلُوْبُهُ ﷺ فِي التَّوْجِيْهِ وَالتَّعْلِيْمِ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِي ﵁ قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ إِذَا عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللّٰهُ۔ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ! فَقُلْتُ وَاثُكلَ أُمِّيَاهُ! مَاشَأْنُكُمْ تَنْظُرُوْنَ إِلَيّ؟فَجَعَلُوْا يَضْرِبُوْنَ بِأَيْدِيْهِمْ عَلٰى أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتونَنِي لٰكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلّٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّيْ مَارَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلَابَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيْماً مِنْهُ فَوَاللّٰهِ مَاكَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: (إِنَّ هٰذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيْهَا شَيْئٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيْحُ وَالتَّكْبِيْرُ وَقِرَاءَ ةُ الْقُرْآنِ(١) فِيْهِ بَيَانٌ لِأُسْلُوْبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّوْجِيْهِ وَالتَّعْلِيْمِ)

وَعَنْ أَبِي سُفْيَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ أَتَيْنَا رَسُوْلَ اللّٰهِ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُوْنَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِيْنَ لَيْلَةً وَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ رَحِيْماً رَفِيْقاً فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِناً فَأَخْبَرْنَاهُ فَقَالَ: ارْجِعُوْا إِلٰى أَهْلِيْكُمْ فَأَقِيْمُوا فِيْهِمْ وَعَلِّمُوْهُمْ وَمُرُوْهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَئَيْتُمُوْنِيْ أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ(٢)

وَهُنَا فِيْهِ وُجُوْبُ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ– وَشَفَقَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلٰى

(١) رواه مسلم برقم ١٢٢٧، وابوداؤد برقم: ٩٣٠عن معاوية بن الحكمؓ
(٢) رواه البخاري برقم : ٦٠٠٨ عن مالك بن الحويرثؓ،

أَصْحَابِهِ وَمَعْرِفَةُ حَالِ الْمُتَعَلِّمِيْنَ ثُمَّ وَصِيَّتُهُمْ۔

أُسْلُوْبُ الْحِكْمَةِ

عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ أَبَا اُمَامَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ غُلَاماً شَابّاً أَتٰى رَسُوْلَ اللّٰهِﷺ فَقَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ إِئْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَصَاحَ النَّاسُ فَقَالَ (مَهْ) فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ اقْرُوْهُ اُدْنُ فَدَنَا حَتّٰي جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُوْلِ اللّٰهِﷺ فَقَالَ لَهُ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ لَا قَالَ وَكَذٰلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّوْنَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِإِبْنَتِكَ ؟ قَالَ لَا قَالَ وَكَذٰلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّوْنَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ قَالَ لَا قَالَ وَكَذٰلِكَ النَّاسُ لَايُحِبُّوْنَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لَا قَالَ كَذٰلِكَ النَّاسُ لَايُحِبُّوْنَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ قَالَ لَاقَالَ وَكَذٰلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّوْنَهُ لِخَالَاتِهِمْ فَوَضَعَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ يَدَهُ عَلٰى صَدْرِهِ وَقَالَ أَللّٰهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ۔(١)

فَتُعُلِّمَ مِنْهُ حِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ فِي مُعَالَجَةِ أَمْرَاضِ الْقُلُوْبِ حَسْبَ مَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الْعِلَاجِ فَكَانَ هٰذَا الشَّابُ أَبْغَضَ شَيْئٍ إِلَيْهِ الزِّنَا۔

أُسْلُوْبُ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ:

نَجِدُ أَنَّ النَّبِيَّﷺ قَدِ اسْتَخْدَمَ أَسَالِيْبَ مُتَنَوِّعَةً فِي الدَّعْوَةِ حَسْبَ الْمَوَاقِفِ كَانَ لَهَا أَثَرٌ تَرْبَوِيٌ كَبِيْرٌ مِمَّا يَدُلُّ عَلٰى إِدْرَاكِهِ الْعَمِيْقِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْهَا: أُسْلُوْبُ : ضَرْبِ الْأَمْثَالِ الْوَاقِعِيَّةِ الَّتِي تُسَاعِدُ عَلٰى فَهْمِ

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم: ٧٦٧٩، واحمد في مسنده برقم : ٢٢٢١١ عن ابي امامة رضي الله عنه

الْأَفْكَارِ وَتَجْعَلُهَا صُوَراً وَقِيْعَةً لِتَسْتَقِرَّ فِي الْأَذْهَانِ مِنْهَا:—

اَلْمَثَلُ اَلْأَوَّلُ : عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيﷺ قَالَ:(مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُوْدِ اللّٰهِ وَالْوَاقِعِ فِيْهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ إِسْتَهَمُوْاعَلٰى سَفِيْنَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِيْنَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوْا عَلٰى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوْا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ تَرَكُوْهُمْ وَمَا أَرَادُوْا هَلَكُوْا جَمِيْعاً وَإِنْ أَخَذُوْا عَلٰي أَيْدِيْهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيْعاً(١) بَيَّنَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ فِي الْمَثَلِ خَطُوْرَةَ تَرْكِ الدَّعْوَةِ فِي صُوْرَةٍ حِسِّيَّةٍ تُقَرِّبُ الْمَعْنٰى وَتَصِلُ إِلَى الْقُلُوْبِ۔

اَلْمَثَلُ اَلثَّانِي : (عَنْ أَبِي مُوْسٰي رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ مَثَلُ مَابَعَثَنِيَ اللّٰهُ بِهِ مِنَ الْهُدٰى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيْرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللّٰهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوْا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوْا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرٰى إِنَّمَا هِي قِيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِيْنِ اللّٰهِ وَنَفَعَهُ بِمَابَعَثَنِيَ اللّٰهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللّٰهِ الَّذِيْ أُرْسِلْتُ بِهِ(٢) فِي الْحَدِيْثِ تَوْجِيْهٌ تَرْبَوِيٌّ مِنَ النَّبِيِّﷺ فِي ضَرْبِ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي تُقَرِّبُ الْمَعْنٰى، وَهُوَ مِثَالٌ وَاقِعِيٌّ يَجْعَلُ الْمَعْنٰى فِي صُوْرَةٍ حِسِّيَّةٍ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَي الْفَهْمِ وَالتَّطْبِيْقِ۔

أَلْمَثَلُ أَلثَّالِثُ : وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ مَثَلِي

(١) رواه البخاري برقم: ٢٣٦١، والبيهقي في السنن الكبرى برقم: ٢١١٩٩، عن نعمان بن بشير رضي الله عنه

(٢) رواه مسلم برقم :٦٠٩٣، وكنز العمال برقم: ٨٩٧عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه

وَمَثَلُكُم كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنهَا وَأَنَا آخِذٌ بِحُجزِكُم عَنِ النَّارِ وَأَنْتُم تَفَلَّتُونَ مِن يَدِى(١) أَلْحَدِيثُ يُؤَكِّدُ عَلى حِرصِ الرَّسُولِ ﷺ لِنَجَاةِ أُمَّتِهِ وَرَحمَتِهِ بِهِم حَيثُ لَم يَترُكْ خَيراً إِلَّا وَدَلَّهُم عَلَيهِ وَلَم يَترُكْ شَرّاً فِيهِ حَتفُهُم إِلَّا حَذَّرَهُم مِنهُ كَمَا دَلَّ عَلَيهِ جَهلٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِمُخَالَفَتِهِم لِلدِّينِ حَيثُ يُؤَدِّي ذٰلِكَ إِلى وُرُودِهِم إِلى جَهَنَّمَ يُصَوِّرُ ذٰلِكَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَفِي أَروَعِ مَثَلٍ يُجَسِّدُهُ لَهُم فِي صُورَةٍ حِسِّيَّةٍ مَلمُوسَةٍ لَهَا أَبلَغُ الأَثَرِ فِي النُّفُوسِ۔

أَلْمَثَلُ أَلرَّابِعُ : عَنِ النُّعمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ :(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِم وَتَرَاحُمِهِم وَتَعَاطُفِهِم مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشتَكَى مِنهُ عُضوٌ تَدَاعى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمّى)(٢) فَهٰذَا أَبلَغُ مَثَلٍ يُجَسِّدُهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِمُجتَمَعِ الإِيمَانِ حَيثُ شَبَّهَ الْمُؤْمِنِينَ عِندَمَا يَحصُلُ مِنهُمُ الْوُدُّ بِالْجَسَدِ۔

أَلْمَثَلُ أَلْخَامِسُ : عَنْ أَبِي مُوسى رضي الله عنه قَالَ:(قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ: (أَلْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنيَانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضاً) وَشَبَّكَ بَينَ أَصَابِعِهِ)(٣) فِي الْحَدِيثِ تَمثِيلٌ تُفِيدُ الْحَضَّ عَلي تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا بَينَهُم وَإِنَّهُ أَمرٌ لَا بُدَّ مِنهُ۔ كَمَا أَنَّ الْبِنَاءَ لَاتَتِمُّ فَائِدَتُهُ إِلَّا بَعدَ أَن يَكُونَ بَعضُهُ يُمسِكُ بَعضاً وَيُقَوِّيهِ، وَلَا بُدَّ مِن تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا بَينَهُم وَإِلَّا اختَلَّ نِظَامُ حَيَاتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنيَوِيَّةِ لِأَنَّ كُلَّ فَردٍ مِنَ الْمُجتَمَعِ الْمُسلِمِ لَبِنَةٌ فِي بِنَاءِ هٰذَا

(١) رواه مسلم برقم : ٦٠٩٨واحمد في مسنده برقم : ١٤٩٣٠عن جابر رضي الله عنه

(٢) رواه مسلم برقم : ٦٧٥١والطبراني في الصغير برقم :٣٨٢، عن نعمان بن بشير رضي الله عنه

(٣) رواه البخاري برقم : ٢٣١٤، والنسائي برقم : ٢٥٥٩، عن ابي موسى رضي الله عنه

الْمُجتَمَعِ يُقَوِّي بَعضُهُ بَعضاً، ثُمَّ يُشَبِّكُ لَهُم بَينَ أَصَابِعِهِ فِي صُورَةٍ مَحسُوسَةٍ لِيُدرِكُوا أَهَمِّيَّةَ ذٰلِكَ وَيَفهَمُوا مَا يُرِيدُهُ مِنهُم۔

وَهُوَ التَّعَاوُنُ فِيمَا بَينَهُم وَالتَّرَاحُمُ فَهُم إِخوَةٌ۔

أَلْمَثَلُ أَلسَّادِسُ : عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسكِ إِمَّا أَن يُحذِيَكَ وَامَّا أَن تَبتَاعَ مِنهُ وَإِمَّا أَن تَجِدَمِنهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَن يُحرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَن تَجِدَ مِنهُ رِيحاً خَبِيثَةً(١) يُرِيدُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَن يُرَغِّبَ فِي مُصَاحَبَةِ الأَخيَارِ وَمُجَالَسَتِهِم وَيُحَذِّرَ مِن مُصَاحَبَةِ الأَشرَارِ۔

وَعَنِ ابنِ عُمَرَرَضِيَ اللّٰهُ عَنهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ:(إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِن عَاهَدَ عَلَيهَا أَمسَكَهَا وَإِن أَطلَقَهَا ذَهَبَتُ (٢) يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ أَن يَأمُرَ أُمَّتَهُ بِتَعَاهُدِ الْقُرآنِ فَجَعَلَهُ فِي أَبلَغِ تَشبِيهٍ فِي صُورَةٍ مَحسُوسَةٍ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِن أَثَرٍ بَلِيغٍ۔

أُسْلُوبُ السُّوَالِ:

وَفِيهِ إِشَارَةُ إِنتِبَاهِ السَّامِعِ وَاهتِمَامِهِ بِالأَمَانَةِ وَوُصُولِهَا إِلَى الْقَلبِ بِكُلِّ سُهُولَةٍ مِنهَا:

أَلْأَوَّلُ : عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ:(أَتَدرُونَ مَنِ الْمُفلِسُ؟ قَالُوا أَلْمُفلِسُ فِينَا مَن لَادِرهَمَ لَهُ وَلَامَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفلِسَ

(١) رواه مسلم برقم : ٦٨٦٠، والبخاري برقم : ٥٢١٤عن ابي موسى رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري برقم : ٥٠٣١، ومسلم برقم : ١٨٧٥عن ابن عمر رضي الله عنه

مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا وَقَذَفَ هٰذَا وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا وَضَرَبَ هٰذَا فَيُعْطٰى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهٖ وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهٖ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضٰى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ(١) وَفِي الْحَدِيْثِ إِسْتِعْمَالُ أُسْلُوْبِ السُّوَالِ أَلَّذِيْ يُشَوِّقُ السَّامِعَ وَيُلَفِّتُ نَظْرَهُ وَيُثِيْرُ إِهْتِمَامَهُ، فَكَانَ ذٰلِكَ فِي أَبْلَغِ صُوْرَةٍ أَحْسَنَ بَيَانٍ وَأَفْضَلَ تَوْجِيْهٍ تَرْبَوِيٍّ يَصِلُ إِلَى الْقُلُوْبِ بِكُلِّ سُهُوْلَةٍ وَلَهُ تَأْثِيْرٌ عَظِيْمٌ عَلَي النُّفُوْسِ۔

أَلثَّانِي : عَنْ أَبِي بَكْرَةَ نَقِيْعِ بْنِ الْحَارِثِ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهٖ يَوْمَ خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ أَلسَّنَةُ إِثْنَا عَشَرَ شَهْراً مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلَاثٌ مُتَوالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُوالْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِيْ بَيْنَ جُمَادٰى وَشَعْبَانَ أَيُّ شَهْرٍ هٰذَا؟قُلْنَا أَللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتّٰى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيْهِ بِغَيْرِ إِسْمِهٖ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِقُلْنَا: بَلٰي قَالَ: (فَإِنَّ دِمَاءَ كُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ أَلَا فَلَا تَرْجِعُوْابَعْدِيْ ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلَالِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُوْنَ أَوْعٰى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ، ثُمَّ قَالَ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ وَفِي رِوَايَةٍ قُلْنَا نَعَمْ قَالَ أَللّٰهُمَّ اشْهَدْ(٢) أَرَادَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ حُرْمَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَوُجُوْبَ

(١) رواه البيهقي في سننه برقم : ١١٨٣٨، وابن حبان في صحيحه برقم : ٤٤١١ عن ابي هريرة ﵁

(٢) رواه البخاري برقم : ٥٥٠، عن ابي بكره ، ومشكوة برقم : ٢٦٥٩

صِيَانَتِهَا فِي أَبْلَغِ أُسْلُوْبٍ وَهُوَ مَحَاوَرَةُ السَّامِعِ وَتَنْبِيْهُهُ لِهٰذَا الْأَمْرِ۔

أَلثَّالِثُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ قَرَأَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) ثُمَّ قَالَ أَتَدْرُوْنَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوااللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَعَلٰى كُلِّ عَبْدٍ أَوْأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلٰي ظَهْرِهَا تَقُوْلُ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِيْ يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فَهٰذِهٖ أَخْبَارُهَا)(١) يُرِيْدُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُحَذِّرَ مِنِ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِيْ فَإِنَّ الْأَرْضَ شَاهِدَةٌ فِي أُسْلُوْبٍ بَلِيْغٍ وَيُلَفِّتُ إِنْتِبَاهَهُ بِسُؤَالٍ لَهُ ثُمَّ الْإِجَابَةَ عَلَيْهِ۔

أَلرَّابِعُ : عَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ أَعْرَابِياً قَالَ لِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ مَتَي السَّاعَةُ ؟ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (مَا أَعْدَدْتَ لَهَا) ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا إِنِّي أُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)۔ فَقَالَ أَنَسٌ فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْئٍ فَرِحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) قَالَ أَنَسٌ أَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا وَأَرْجُوْ أَنْ أَكُوْنَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ(٢) فِي الْحَدِيْثِ بَيَانٌ لِحِكْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِجَابَةِ الرَّجُلِ الَّذِي يَسْأَلُ عَنِ الْوَقْتِ، فَيَسْأَلُهُ الرَّسُوْلُ ﷺ عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهَا وَفِي ذٰلِكَ تَنْبِيْهٌ لِلْجَمِيْعِ أَنَّ الَّذِي يُهِمُّهُمْ هُوَ التَّزَوُّدُ لِلْعَمَلِ الَّذِيْ يَنْفَعُ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ۔(وَتَزَوَّدُوْا فَإِنَّ خَيْرَالزَّادِ التَّقْوٰى)(سورة البقرة آية ١٩٧)

أُسْلُوْبُ إِثَارَةِ إِنْتِبَاهِ السَّامِعِ قَبْلَ الْبَدْءِ بِالْحَدِيْثِ

عَنِ ابْنِ مَسْعُوْدٍ ﵁ قَالَ :(قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ:(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَي النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟(تَحْرُمُ عَلٰى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ

(١) رواه الترمذي برقم : ٢٥٤٦، والنسائي برقم : ١١٦٩٣عن ابي هريرة ﵁

(٢) حياة الصحابة ١٢٣/٣، رواه الترمذي برقم : ٢٣٨٥عن انس ﵁

سَهْلٍ(١)

يُرِيْدُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَكَانَةَ الْأَخْلَاقِ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنَّهَا سَبَبٌ فِي نَجَـاةِ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّارِ، وَفِيْهِ إِثَارَةُ إِنْتِبَاهِ السَّامِعِ قَبْلَ الْبَدْءِ بِالْحَدِيْثِ۔

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ:(أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلٰى مَا يَمْحُواللّٰهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ قَالُوْابَلٰى يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ:(إِسْبَاغُ الْوُضُوْءِ عَلَي الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الـصَّـلَاةِ بَعْدَ الصَّـلَاةِ فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَالِكُمُ الرِّبَاطُ(٢) يُرِيْدُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ بَعْضاً مِنْ وَسَائِلِ الْمَغْفِرَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالٰى فِي أَبْلَغِ أُسْلُوْبٍ يُثِيْرُ إِنْتِبَاهَ السَّامِعِ وَيُشَوِّقُهُ إِلٰى مَعْرِفَةِ ذٰلِكَ الْخَبَرِ تَطْبِيْقَهُ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ۔

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهَبٍ ؓ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيْفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّٰهِ لَأَبَرَّهُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ(٣) يُرِيْدُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَحُثَّ عَلَى التَّوَاضُعِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ فِي أَبْلَغِ أُسْلُوْبٍ لَهُ أَثَرٌ فِي نَفْسِ السَّامِعِ۔

وَعَنْ مَعَاذٍ ؓ قَالَ:(قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُ نِي مِنَ النَّارِ، قَالَ لَقَدْ سَأَلْتَنِى عَنْ عَظِيْمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلٰى

(١) رواه الترمذي برقم : ٢٦٠٦، والطبراني في الكبير برقم : ١٠٥٦٢ عن عبد الله بن مسعودؓ
(٢) رواه مسلم برقم : ٦١٠، والنسائي في سننه برقم : ١٤٣ عن ابي هريرةؓ
(٣) رواه البخاري برقم : ٤٩١٨، والطبراني في الكبير برقم : ٣٢٥٥، عن حارثه بن وهبؓ

مَنْ يَسَّرَهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللّٰهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَتُقِيْمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُوْمُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً ثُمَّ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ عَلٰى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ أَلصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُى الْمَاءُ النَّارَ وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلٰى-(**تَتَجَافَى جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُـرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ**)(سورة السجدة آيات ١٦–١٧) ثُمَّ قَالَ أَلَاأُخْبِرُكُمْ بِرَاسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُوْدِهِ وَذَرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ بَلٰى يَارَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ أَلْإِسْلَامُ وَعَمُوْدُهُ الصَّلَاةُ وَذَرْوَةُ سَنَامِهِ أَلْجِهَادُ) ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذٰلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ بَلٰي يَارَسُوْلَ اللّٰهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ (كُفَّ عَلَيْكَ هٰذَا) قُلْتُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُوْنَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلٰى وُجُوْهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ(١) يُرِيْدُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ أَهَمِّيَةَ كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ثُمَّ بَيَانَ خَطَرِ اللِّسَانِ إِنْ لَمْ يُحْفَظْ مِنَ الشُّرُوْرِ، فَجَعَلَ ذٰلِكَ بِأُسْلُوْبٍ بَلِيْغٍ يُلْفِتُ إِنْتِبَاهَ السَّامِعِ۔

أُسْلُوْبُ الْقِصَصِ

لِأَخْذِ الْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ مِنْهَا حَيْثُ لَهَا أَبْلَغُ الْأَثَرِ فِي النُّفُوْسِ وَمِنْ ذٰلِكَ:

أَلْقِصَّةُ الْأُوْلٰى: عَنْ أَبِي سَعِيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانِ الْخُدْرِيِّ ؓ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ:(كَانَ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَّتِسْعِيْنَ نَفْساً، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلٰى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ

(١) رواه الترمذي برقم : ٢٧٤٩ عن معاذ بن جبلؓ

قَتَلَ تِسعَةً وَّتِسعِينَ نَفساً فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلٰى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ! إِنْطَلِقْ إِلٰى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُوْنَ اللّٰهَ تَعَالٰى فَأعْبُدِ اللّٰهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلٰى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوْءٍ فَأنْطَلَقَ حَتّٰى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيْقُ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيْهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ۔فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى! وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُوْرَةِ أدْمِيٍّ فَجَعَلُوْهُ بَيْنَهُمْ، أَيْ حَكَماً۔فَقَالَ: قِيْسُوْا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلٰى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنٰى فَهُوَلَهُ، فَقَاسُوْا فَوَجَدُوْهُ أَدْنٰى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِيْ أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ(١) وَفِي رِوَايَةٍفِي الصَّحِيْحِ (فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا(٢) وَفِي رِوَايَةٍ فِي الصَّحِيْحِ (فَأَوْحَى اللّٰهُ تَعَالٰى إِلٰى هٰذِهِ أَنْ تَبَاعَدِيْ وَإِلٰى هٰذِهِ أَنْ تَقَرَّبِيْ)۔ وَقَالَ قِيْسُوْا بَيْنَهُمَا فَوَجَدُوْهُ إِلٰى هٰذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَلَهُ(٣) يُبَيِّنُ الْحَدِيْثُ حُسْنَ أُسْلُوْبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي التَّوْجِيْهِ وَالْمَوْعِظَةِ بِضَرْبِ الْأَمْثِلَةِ الْوَاقِعِيَّةِ عَنِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ۔

اَلْقِصَّةُ الثَّانِيَةُ

عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ:(إِنْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتّٰى

(١) رواه مسلم برقم : ٧١٨٤ عن ابي سعيد الخدريؓ

(٢) رواه مسلم برقم : ٧١٨٥ عن ابي سعيد الخدريؓ

(٣) رواه البخاري برقم : ٣٤٧٠ عن ابي سعيد الخدريؓ

أَوَاهُمُ الْمَبِيْتُ إِلٰى غَارٍ فَدَ خَلُوْهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسُدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارُ فَقَالُوْا إِنَّهُ لَايُنْجِيْكُمْ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُواللّٰهَ تَعَالٰى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ۔ قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: أَللّٰهُمَّ كَانَ لِيْ أَبْوَانِ شَيْخَانِ كَبِيْرَانِ وَكُنْتُ لَا أُغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِيْ فِي طَلَبِ شَيْئٍ يَوْماً فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتّٰى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غُبُوْقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أُغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلٰى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ إِسْتِيْقَاظَهُمَا حَتّٰى بَرَقَ الْفَجْرُ فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غُبُوْقَهُمَا، أَللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ فَانْفَرَجَتْ شَيأً لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ الْخُرُوْجَ مِنْهُ۔ قَالَ الْأٰخَرُ:(أَللّٰهُمَّ كَانَتْ لِيْ إِبْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ) وَفِي رِوَايَةٍ :(كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ فَأَرَدْتُهَا عَلٰي نَفْسِهَا حَتّٰى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِيْنَ فَجَائَتْنِيْ فَأَعْطَيْتُهَا مِائَةً وَّعِشْرِيْنَ دِيْنَارًا عَلٰى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِيْ وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ حَتّٰى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وَفِي رِوَايَةٍ (فَلَمَّا قَعَدْتُّ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: إِتَّقِ اللّٰهَ وَلَاتَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهٖ فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِيْ أَعْطَيْتُهَا، أَللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ الْكَرِيْمِ فَأَفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيْهِ فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَأَنَّهُمْ لَايَسْتَطِيْعُوْنَ الْخُرُوْجَ مِنْهَا۔ وَقَالَ الثَّالِثُ: أَللّٰهُمَّ إِنِّيْاِسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَرَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِيْ لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتّٰى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَ نِيْ بَعْدَ حِيْنٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللّٰهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِيْ فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَاتَرٰى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيْقِ فَقَالَ عَبْدَ اللّٰهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِيْ ! فَقُلْتُ لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً أَللّٰهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ

فَأَفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ! فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا۔يَمْشُونَ(١)
يُرِيدُالنَّبِيُّ ﷺأَنْ يُبَيِّنَ أَهَمِّيَّةَ الدُّعَاءِ فِي وَقْتِ الْكَرْبِ ثُمَّ التَّوَسُّلِ إِلَى اللّٰهِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَفَضِيْلَةِ بِرِّالْوَالِدَيْنِ وَخِدْمَتِهِمْ وَالْحَضَّ عَلَي الْعَفَافِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ فَقَصَّ عَلَيْهِمْ قِصَّةَ أَصْحَابِ الغَارِ أَلثَّلَاثَةِ فَكَانَ لَهَا أَبْلَغُ الْأَثَرِ فِي النُّفُوسِ۔

أَلْقِصَّةُ الثَّالِثَةُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ:(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيْقٍ إِشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرٰى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هٰذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِيْ كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ حَتّٰى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللّٰهَ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ وَإِنَّ لَنَا فِيْ الْبَهَائِمِ أَجراً قَالَ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ(٢)
يُشِيْرُرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِلٰى فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلي كُلِّ مَخْلُوْقٍ وَلَوْ كَانَ حَيْوَاناً فَذَكَرَ ذٰلِكَ فِي قِصَّةٍ قَصِيْرَةٍ ذَاتِ أَثْرٍ بَلِيْغٍ۔

أَلْقِصَّةُ الرَّابِعَةُ

عَنْ صُهَيْبٍ ﵁ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ:(كَانَ مَلِكٌ فِيمَا كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌفَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لَهُ الْمَلِكُ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ لِي

(١) رواه البخاري برقم : ٢٢٧٢ والبيهقي في شعب الايمان برقم : ٧١٠٦ عن ابن عمر ؓ
(٢) رواه البخاري برقم : ٥٦٦٣ وابوداؤد برقم : ٢٥٥٠عن ابي هريرة ؓ

غُلَاماً أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلِيهِ غُلَاماً يُعَلِّمُهُ وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ وَقَعَدَ إِلَيهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكٰى ذٰلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَفَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِيُ وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلٰى ذٰلِكَ إِذْ أَتٰى عَلٰى دَابَّةٍ عَظِيْمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فَقَالَ: اَلْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجراً فَقَالَ: أَللّٰهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هٰذِهِ الدَّابَّةَ حَتّٰى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا فَمَضَى النَّاسُ۔ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَومَ أَفْضَلُ مِنِّيْ قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرٰى وَ إِنَّكَ سَتُبْتَلٰى فَإِذَا ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلُّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيْسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيْرَةٍ فَقَالَ: مَا هَاهُنَالَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّيْ لَا أَشْفِي أَحداً، إِنَّمَا يَشْفِيَ اللّٰهُ تَعَالٰى، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللّٰهِ تَعَالٰى دَعَوْتُ اللّٰهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللّٰهِ تَعَالٰى فَشَفَاهُ اللّٰهُ تَعَالٰى، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ رَبِّيْ، قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللّٰهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتّٰى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيْئَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَاتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَاأَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِيٌّ اللّٰهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتّٰى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيَئ بِالرَّاهِبِ قِيْلَ لَهُ

ارْجِعْ عَنْ دِيْنِكَ، فَأَبٰى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِفَوَضَعَ الْمِنْشَارِ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتّٰى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيْءَبِجَلِيْسِ الْمَلِكِ، فَقِيْلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِيْنِكَ فَأَبٰى فَوَضَعَ اَلْمِنْشَارَفِي مَفْرَقِ رَاسِهِ فَشَقَّهُ لَهُ حَتّٰى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيْءَ بِالْغُلَامِ فَقِيْلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِيْنِكَ فَأَبٰى فَدَفَعَهُ إِلٰى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اِذْهَبُوْا بِهِ إِلٰى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوْا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ وَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِيْنِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوْهُ فَذَهَبُوْا بِهِ فَصَعِدُوْا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ: أَللّٰهُمَّ اكْفِيْنِهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوْا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ كَفَانِيْهِمُ اللّٰهُ تَعَالٰى فَدَفَعَهُ إِلٰى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوْا بِهِ فَاحْمِلُوْهُ فِيْ قُرْقُوْرٍ وَتَوَسَّطُوْا بِهِ الْبَحْرَ وَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِيْنِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوْهُ فَذَهَبُوْا بِهِ فَقَالَ أَللّٰهُمَّ اكْفِيْنِهِمْ بما شِئْتَ فَأَنْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِيْنَةُ فَغَرِقُوْا وَجَاءَ يَمْشِيْ إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ فَقَالَ كَفَانِيْهِمُ اللّٰهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتّٰى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ مَا هُوَ؟ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِيْ صَعِيْدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِيْ عَلي جِزْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللّٰهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ قَتَلْتَنِيْ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيْدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلٰي جِزْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِسْمِ اللّٰهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ۔فَقَالَ النَّاسُ: (آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأَتَى الْمَلِكُ

فَقِيْلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْوَاللّٰهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُوْدِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيْرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِيْنِهِ فَأَحْمُوْهُ فِيْهَا أَوْقِيْلَ لَهُ إِقْتَحِمْ فَفَعَلُوْا حَتّٰى جَاءَ تْ إِمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيْهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَاأُمَّهُ اِصْبِرِيْ فَإِنَّكِ عَلَي الْحَقِّ)(١) فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ يُرِيْدُ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ أَنْ يُثْبِتَ لِلْجَمِيْعِ أَنَّ بِسَبَبِ التَّضْحِيَّةِ فِي سَبِيْلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى يُظْهِرُاللّٰهُ تَعَالٰى الْحَقَّ وَيُغَيِّرُ الْبَاطِلَ، فِيْ قِصَّةٍ لَهَا أَثَرٌ بَلِيْغٌ فِي النَّفْسِ۔

القصة الْخَامِسة

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِشْتَرٰى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرٰى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيْهَا ذَهَبٌ فَقَالَ لِلَّذِيْ اشْتَرٰى مِنْهُ الْعَقَارَ خُذْ ذَهَبَكَ إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ وَلَمْ أَشْتَرِ الذَّهَبَ وَقَالَ الَّذِيْ لَهُ الْأَرْضُ إِنَّمَا بِعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا فِيْهَا فَتَحَاكَمَا إِلٰى رَجُلٍ فَقَالَ الَّذِيْ تَحَاكَمَا إِلَيْهِ أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا لِي غُلَامٌ وَقَالَ الْآخَرُ لِي جَارِيَةٌ قَالَ:(أَنْكِحُوْ الْغُلَامَ وَالْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوْا عَلٰى أَنْفُسِكُمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا(٢) أَشَارَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ إِلى أَهَمِّيَّةِ الْوَرْعِ وَتَرْكِ مَافِيْهِ شُبْهَةٌ بِقِصَّةٍ وَاقِعِيَّةٍ فِي الْعَصْرِ السَّابِقِ لَهَا أَثَرٌ بَلِيْغٌ۔

أُسْلُوْبُ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِيْنَ

كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺ يَعْرِفُ حَالَ مَنْ يُخَاطِبُهُ وَمَا يُنَاسِبُهُ وَكَانَ يُرَاعِيْ إِخْتِلَافَ أَحْوَالِهِمْ فَيُعْطِي كُلَّ شَخْصٍ حَسْبَ مَا يُنَاسِبُهُ وَقَدْ

(١) رواه مسلم برقم : ٧٧٠٣ عن صهيبؓ

(٢) رواه مسلم برقم : ٤٥٩٤ والبخاري برقم :٣٢٨٥ عن ابي هريرةؓ

وَرَدَ عَنْهُ جُمْلَةٌ مِنَ الْأَحَادِيْثِ كَانَ يَخُصُّ بِهَا قَوْماً دُوْنَ آخَرِيْنَ لِأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَمِنْ ذٰلِكَ۔

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيْفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ: قَالَ لَبَّيْكَ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ يَا مُعَاذُ قَالَ لَبَّيْكَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ:(مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ إِلَّا حَرَّمَهُ اللّٰهُ عَلَى النَّارِ) قَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ أَفَلَاأُخْبِرُبِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوْا؟ قَالَ:(إِذَنْ يَتَّكِلُوْا) فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا(١) قَوْلُهُ تَأَثُّماً أَيْ خَوْفاً مِنَ الْإِثْمِ فِي كَتْمِ هٰذَا الْعِلْمِ۔

وَلَا يَتِمُّ ذٰلِكَ التَّخْصِيْصُ إِلَّا بِفِرَاسَةٍ يَمْنَحُهَا اللّٰهُ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ حَتّٰى يَسْتَطِيْعَ إِخْتِيَارَالْمَقَالِ لِلسَّامِعِ وَهٰذِهِ الْفِرَاسَةُ تَحْتَاجُ إِلٰى التَّقْوٰى۔وَالتَّجَارِبِ وَمِنْ ذٰلِكَ مَارُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ؟ أَوْصِنِي قَالَ:(لَاتَغْضَبْ)فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: (لَاتَغْضَبْ)(٢)

ثُمَّ يُوْصِي سُفْيَانَ بْنَ عَبْدِ اللّٰهِ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ قَالَ: (قُلْ آمَنْتُ بِاللّٰهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ) قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ:(هٰذَا)(٣)

(١) رواه مسلم برقم : ١٥٧ عن انس بن مالك رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري برقم : ٥٦٦٥ والترمذي برقم : ٢٠٨٩ عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٣) رواه احمد برقم : ١٥٤١٧ ومسلم برقم : ١٦٨ عن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه

وَعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ:(لَايَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللّٰهِ (١)

وَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يُجِيْبُ كُلَّ شَخْصٍ بِمَا هُوَ أَلْيَقُ بِحَالِهِ وَأَنْفَعُ لِمَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ ، فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ:(أَلْإِيْمَانُ بِاللّٰهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيْلِهِ)(٢)

ثُمَّ يَقُوْلُ لِإِبْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللّٰهِ ؟ قَالَ:(أَلصَّلَاةُ عَنْ وَقْتِهَا) قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ بِرُّالْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ أَلْجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ)(٣)

وَفِي حَدِيْثِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عُمْرِوبْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلٰى نَبِيِّ اللّٰهِ فَقَالَ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى فَقَالَ هَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ نَعَمْ بَلْ كِلَاهُمَا قَالَ:(فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللّٰهِ تَعَالٰى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلٰى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا)۔(٤)

وَهٰكَذَا كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يُعْطِي كُلَّ شَخْصٍ حَسْبَ حَالِهِ وَعَمَّا يُنَاسِبُهُ، فَكَانَ يُرَاعِي اخْتِلَافَ الْأَشْخَاصِ وَاخْتِلَافَ الْأَحْوَالِ وَاخْتِلَافَ الْأَزْمَانِ فَرُبَمَا كَانَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ لِشَخْصٍ مِنَ الْجِهَادِ، فَهٰذَا يَحْتَاجُ إِلٰي مَعْرِفَةِ حَالِ الْمُخَاطَبِ وَمَا يُنَاسِبُهُ۔

(١) رواه الترمذي برقم : ٣٤٣٥ وابن ماجه برقم : ٣٧٩٣ عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري برقم : ٢٣٨٢ عن ابي ذر رضي الله عنه

(٣) رواه البخاري برقم : ٢٦٣٠ عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه

(٤) رواه مسلم برقم : ٦٦٧١ والبيهقي في سننه برقم : ١٨٢٨٥ عن عبد الله بن عمر ابن العاص رضي الله عنه

أَلْبَابُ السَّادِسُ فِي الصِّفَاتِ السِّتَّةِ وَمَقَاصِدِهَا

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ نَحْمَدُهٗ وَنُصَلِّي عَلٰى رَسُوْلِهِ الْكَرِيْمِ أَمَّابَعْدُ!

أَللّٰهُ سُبْحَانَهٗ وَتَعَالٰى عَزِيْزٌحَكِيْمٌ، أَعَزَّالصَّحَابَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ بِصِفَاتٍ عَدِيْدَةٍ هُمْ تَفَاوَتُوْا فِي الصِّفَاتِ وَلٰكِنْ بَعْضُ الصِّفَاتِ اِجْتَمَعَتْ فِيْهِمْ اِسْتَخْلَصَهَا أَلْمَشَائِخُ وَالْعُلَمَاءُ فِي الدَّعْوَةِ، وَهِيَ سِتُّ صِفَاتٍ إِذَا أَتَتْ فِي حَيَاتِنَا يَسْهَلُ لَنَا أَلدِّيْنُ وَإِتِّبَاعُهٗ وَتَأْتِي فِيْنَا الصِّفَاتُ الْاُخْرٰى اَلَّتِي يُحِبُّهَا اللّٰهُ تَعَالٰى۔

اَلصِّفَةُ الْأُوْلٰى اَلْإِيْمَانُ وَالْيَقِيْنُ

اَلْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مُحَمَّدٌرَسُوْلُ اللّٰهِ وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِيْمَانِ وَهٰذِهِ الصِّفَةُ هِيَ إِقْرَارٌ بِالْعُبُوْدِيَّةِ فِيْهَا شِقَّانِ لَاإِلٰهَ إِلَّااللّٰهُ وَالثَّانِي مُحَمَّدٌرَسُوْلُ اللّٰهِ

أَلشِّقُّ الْأَوَّلُ مِنَ الْكَلِمَةِ وَمَقْصَدُهٗ

تَبْدِيْلُ الْيَقِيْنِ وَتَبْدِيْلُ الْعَوَاطِفِ وَتَبْدِيْلُ الطَّرِيْقِ

تَبْدِيْلُ الْيَقِيْنِ مِنَ الْمَخْلُوْقِ إِلَى الْخَالِقِ، مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْاٰخِرَةِ يَعْنِي أَنَّ كُلَّ شَيْئٍ صَغِيْرًا كَانَ أَوْكَبِيْرًا فِي الضَّرَرِوَالنَّفْعِ وَالْفَوْزِوَالْفَلَاحِ يَحْتَاجُ إِلَى اللّٰهِ وَاللّٰهُ سُبْحَانَهٗ تَعَالٰى لَايَحْتَاجُ إِلٰى شَيْئٍ وَهُوَالصَّمَدُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ حَتَّى الْجَمَادَاتِ لَاتَضُرُّ وَلَاتَنْفَعُ وَلَاتَسْكُنُ وَلَاتَتَحَرَّكُ إِلَّابِأَمْرِاللّٰهِ حَتَّى الْقَنَابِلَ الذُّرِّيَّةَ وَالنَّوَوِيَّةَ، فَعِنْدَ مَايَخْرُجُ الْيَقِيْنُ مِنَ الْمَخْلُوْقِ يَخْرُجُ أَلرُّعْبُ مِنْهُ وَالْخَوْفُ وَالتَّأَثُّرُ مِثْلَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم كُلُّ الْكَائِنَاتِ مِنَ النَّمْلَةِ إِلٰى جِبْرِيْلَ وَمِنَ الذَّرَّةِ إِلَى الْمَجَرَّةِ وَمِنَ الْقَطْرَةِ إِلَى الْبَحْرِ لَاشَيْئَ أَمَامَ عَظَمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى۔

تَبْدِيْلُ الْعَوَاطِفِ مِنْ حُبِّ الْأَشْيَاءِ إِلٰى حُبِّ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ شَوْقِ الدُّنْيَا إِلٰى شَوْقِ الْاٰخِرَةِ وَمِنْ خَوْفِ الْأَشْيَاءِ إِلٰى خَوْفِ اللّٰهِ تَعَالٰى، وَأَمَّا إِذَاكَانَ فَقَطُ فِي لِسَانِهِ سُنَّةُالنَّبِيِّ ﷺ وَفِي قَلْبِهِ عَاطِفَةُ الْغَيْرِتَكُوْنُ الْهَلَكَةُ، فَكَيْفَ تُبَدَّلُ الْعَوَاطِفُ؟ نَتَفَكَّرُ، وَاِذَا بَدَّلْنَا الْعَوَاطِفَ يَسْهَلُ عَلَيْنَا اَلْإِتِّبَاعُ لِسُنَّةِ الرَّسُوْلِ ﷺ فَكَيْفَ نَتَحَصَّلُ عَلٰى هٰذِهٖ؟

تَبْدِيْلُ الطَّرِيْقِ مِنْ جَمِيْعِ الطُّرُقِ إِلٰى طَرِيْقِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَكُوْنُ عِنْدَنَا اَلشَّوْقُ وَالْحُبُّ الصَّادِقُ لِطَرِيْقِ النَّبِيِّ فَتَكُوْنُ حَيَاتُنَا تَحْتَ سُنَّتِهٖ وَطَرِيْقَتِهٖ ﷺ قَالَ تَعَالٰى **(وَإِنْ تُطِيْعُوْهُ تَهْتَدُوْا)**(سورة نور آيت٥٤)

فَضْلُهَا أَيِ الْكَلِمَةِ

أَنْ تُؤَمِّنَنَا فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَتُنَجُوْبِهَا مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ وَنَدْخُلُ بِهَا الْجَنَّةَ وَنَدْخُلُ بِهَا فِي حِصْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَتَكُوْنُ لَنَا نُوْرًايَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَنَتَحَصَّلُ بِهَا عَلٰى خَيْرِالدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى **(أَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَلَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُوْنَ)** (انعام ٨٢) قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَيْحَكَ يَاأَبَاسُفْيَانَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ فَأَسْلِمُوْا تَسْلَمُوْا۔(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنْ مَاتَ وَهُوَيَعْلَمُ أَنْ لَّاإِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ۔(٢)

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى إِنِّي أَنَااللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا مَنْ أَقَرَّلِي بِالتَّوْحِيْدِ دَخَلَ حِصْنِي وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي(٣)

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم ٦٤١٩ عن ابي ليلىؓ

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان برقم : ٩٦ والحاكم في المستدرك برقم : ١٢٩٨

(٣) جامع الاحاديث للسيوطي برقم ١٤٩٥٢ عن عليؓ

طَرِيْقُ الْحُصُوْلِ

اَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ:وَذٰلِكَ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ لَاإِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى اللّٰهِ فِي الرَّخَاءِ وَالضِّيْقِ، وَالْفَقْرِ وَالْغِنٰى، وَالْمَرَضِ وَالصِّحَّةِ وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَفِي جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ وَيَقْضِي الْحَوَائِجَ بِصَلٰوةِ الْحَاجَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِإِحْمَلُوْا حَوَائِجَكُمْ عَلَى الْمَكْتُوْبَةِ(١) وَيَخْرُجُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ لِتَعَلُّمِ الْيَقِيْنِ حَتّٰى يَتَحَصَّلُ عَلٰى حَقِيْقَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحَقِيْقَةِ الْيَقِيْنِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللّٰهِ۔

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ:وَذٰلِكَ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى وَيَتَكَلَّمُ مِرَاراً وَتَكْرَاراً عَظَمَةَ اللّٰهِ وَقُدْرَتَهُ وَخَزَائِنَهُ وَتَصْرِيْفَهُ فِي الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَهٰكَذَا سَمِعَ مِرَاراً وَتَكْرَاراً وَيَنْفِي مَاسِوَى اللّٰهِ حَتّٰى يَدْخُلَ حَقِيْقَةُ الْإِيْمَانِ فِي قَلْبِهِ وَيَتَرَسَّخُ فِيْهِ حَقِيْقَةُ لَاإِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ۔

أَلثَّالِثُ جُهْدٌمَعَ اللّٰهِ: بِأَنْ يَسْأَلَ اللّٰهَ تَعَالٰى حَقِيْقَةَ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ بِالْبُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَلَايَعْتَمِدُ عَلٰى جُهْدِهِ وَتَضْحِيَّاتِهِ وَيَدْعُواللّٰهَ وَيَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى أَنْ يَرْزُقَنَا حَقِيْقَةَ لَاإِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ كَمَا وَرَدَفِي الدُّعَاءِ الْمَاثُوْرِعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَاناً كَامِلاً ،أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَايَرْتَدَّ أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا يُبَاشِرُقَلْبِي وَغَيْرِهِ۔(٢)

أَلشِّقُّ الثَّانِي مِنَ الْكَلِمَةِ وَمَقْصَدُهُ

مَقْصَدُهُ أَنْ تَكُوْنَ حَيَاتُنَا خِلَالَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَلٰى سُنَنِ الرَّسُوْلِ ﷺ حَتّٰى تَتَحَوَّلَ الْعَادَاتُ الْعِبَادَاتِ وَنَتَّبِعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي صُوْرَتِهِ وَسِيْرَتِهِ

(١) رواه الطبراني في الكبير برقم : ٩٣٨٨ وعن عمروبن دينارؓ

(٢) رواه الطبراني في الكبير برقم : ٨٤١٦ وجامع الصغير برقم : ٤٨٢٦

وَنَتَيَقَّنُ أَنَّ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ فَقَطْ فِي طَرِيْقَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ وَفِي غَيْرِ طَرِيْقَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ خَسَارَةٌ أَبَدِيَّةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ۔

فَضْلُهَا أَيِ الْكَلِمَةِ

أَلْحُصُوْلُ عَلٰى مَحَبَّةِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَمَغْفِرَةِ ذُنُوْبِنَا وَقَضَاءِ حَوَائِجِنَا وَهِدَايَتِنَا وَالْفَوْزُ وَالْفَلَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَالْحُصُوْلِ عَلَى الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَطَرْدُ الشَّيْطَانِ وَغَيْرُذٰلِكَ مِنَ الْفَوَائِدِ الْكَثِيْرَةِ۔

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى **(قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ)إِلٰى آخِرِهِ**(سورةآل عمران٣١) وَقَالَ تَعَالٰى **(إِنْ تُطِيْعُوْهُ تَهْتَدُوْا)**(سورة نور٥٤) وَقَالَ **(لَقَدْكَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوْاللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ إِلٰى آخِرِالْاٰيَةِ)** (سورة احزاب ٢١)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ إِلَّامَنْ أَبٰى قَالُوْا يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! وَمَنْ يَأْبٰى؟ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبٰى(١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِیْ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَايَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِيَهُوْدِيٌّ وَلَانَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوْتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِيْ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّاكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ۔(رواه مسلم)(٢)

طَرِيْقُ الْحُصُوْلِ

أَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ وَذٰلِكَ أَنْ نَتَعَلَّمَ سُنَنَ الرَّسُوْلِ ﷺ وَنُطَبِّقَهَا فِيْ جَمِيْعِ شُئُوْنِ حَيَاتِنَا، كَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْمَنَامِ وَالْمَرْكَبِ، وَغَيْرِذٰلِكَ۔

(١) رواه البخاري برقم : ٦٨٥١ عن ابي هريرةؓ

(٢) رواه مسلم برقم : ٤٠٣ عن ابي هريرةؓ

أَلثَّانِيْ جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ:بِأَنْ نَدْعُوَالنَّاسَ إِلٰى حَيَاةِ الرَّسُوْلِ الطَّيِّبَةِ ﷺوَإِتِّبَاعِ سُنَنِ الرَّسُوْلِﷺكَيْ تَأْتِيَ السُّنَنُ فيحَيَاتِنَا وَحَيَاةِ النَّاسِ، وَنَجْتَهِدُ عَلَيْهِمْ لِلْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ كَيْ يَتَعَلَّمُوْا السُّنَّةَ وَيُطَبِّقُوْا فِي حَيَاتِهِمْ۔

أَلثَّالِثُ جُهْدٌ مَعَ اللّٰهِ: بِأَنْ نَسْأَلَ اللّٰهُ تَعَالٰى أَنْ يَرْزُقَنَا وَالنَّاسَ حَقِيْقَةَ إِتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَمِيْعِ شُعَبِ حَيَاتِنَا وَنَدْعُوْهُ كَثِيْرًا فِي زَمَنِ الْخُرُوْجِ وَفِي الْمَقَامِ أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّ الرَّسُوْلِ الصَّادِقِ وَيُوَفِّقَنَا طَاعَتَهٗ وَاتِّبَاعَهٗﷺ۔

أَلصِّفَةُ الثَّانِيَةُ اَلصَّلٰوةُ ذَاتُ خُشُوْعٍ وَخُضُوْعٍ

مَقْصَدُهَا:

أَنْ تَكُوْنَ حَيَاتُنَا خَارِجَ الصَّلٰوةِ كَحَيَاتِنَا دَاخِلَ الصَّلٰوةِ يَعْنِي كَمَا نَحْنُ نَكُوْنُ فِي الصَّلٰوةِ نَمْتَثِلُ أَوَامِرَاللّٰهِ سُبْحَانَهٗ وَتَعَالٰى وَنَتَّبِعُ سُنَنَ الرَّسُوْلِﷺ هٰكَذَا تَكُوْنُ حَيَاتُنَا خَارِجَ الصَّلٰوةِ فِي جَمِيْعِ الشُّعَبِ مَرْبُوْطَةً بِالْإِمْتِثَالِ وَالْإِتِّبَاعِ وَتَرْكُ الْهَوٰى۔

وَكَذٰلِكَ كَيْفَ نَسْتَفِيْدُ مِنْ خَزَائِنِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَقُدْ رَتِهٖ كَمَا اِسْتَفَاد الصَّحَابَةُ مِنْهَا بِالصَّلٰوةِ فَهُمْ يَقْضُوْنَ حَوَائِجَهٗ بِالصَّلٰوةِ وَالْقِصَصُ مَعْرُوْفَةٌ فِي هٰذَا الْبَابِ۔

فَضْلُهَا

فَضَائِلُهَا كَثِيْرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهَاعَنِ الْفَحْشَاءِ

وَالْمُنْكَرِ وَنَنَالُ بِهَا النَّجَاحَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَنَسْتَفِيْدُ بِهَا مِنْ خَزَائِنِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَتَكُوْنُ هِيَ سَبَبًا فِي مَحْوِالْخَطَايَا وَالذُّنُوْبِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالٰى۔

قَالَ تعالٰى ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُوْنَ أَلَّذِيْنَ هُمْ فِي صَلٰوتِهِمْ خَاشِعُوْنَ**﴾ (سورة مؤمنون ١ – ٢)وَقَالَ تَعَالٰى﴿**إِنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾(سورة عنكبوت ٤٥)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلٰى مَا يَمْحُواللّٰهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوْا بَلٰى يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَاء إِلَى الْمَسَاجِدِ وَإِنْتِظَارُ الصَّلٰوةِ بَعْدَ الصَّلٰوةِ فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ۔(١)

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍؓ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ا يَقُوْلُ يَعْجَبُ رَبُّكَ عَزَّوَجَلَّ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ يُؤَذِّنُ لِلصَّلٰوةِ وَيُصَلِّي فَيَقُوْلُ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ، أُنْظُرُوْا إِلٰى عَبْدِي هٰذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيْمُ الصَّلٰوةَ يَخَافُ مِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ۔(٢)

طَرِيْقَةُ الْحُصُوْلِ

اَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ: وَذٰلِكَ بِالْاِلْتِزَامِ بِحُضُوْرِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِى الصَّفِّ الْأَوَّلِ خَلْفَ الْإِمَامِ مَعَ تَكْبِيْرَةِ الْإِحْرَامِ وَيُحَافِظُ عَلٰى جَمِيْعِ السُّنَنِ الْقَبْلِيَّةِ وَالْبَعْدِيَّةِ وَيُوَاظِبُ مِنَ النَّوَافِلِ كَالضُّحٰى وَالْحَاجَةِ وَالْإِشْرَاقِ وَتَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهَا وَكَذٰلِكَ يُطِيْلُ الْقِيَامَ فِي النَّافِلَةِ بِكَثْرَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْاٰنِ وَمِثْلَهَا الرُّكُوْعَ وَالسُّجُوْدَ خَاصَّةً فِي

(١) رواه مسلم برقم : ٦١٠ عن ابي هريرةؓ

(٢) رواه ابوداؤد برقم : ١٢٠٣ والنسائي في سننه برقم : ٦٦٥عن عقبه بن عامرؓ

قِيَامِ اللَّيْلِ، وَيَتَمَرَّنُ عَلَى الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ فِي جَمِيعِ الصَّلٰوةِ وَكَذٰلِكَ نَتَفَكَّرُ فِي الْخَلْوَةِ فِي عَظْمَةِ الصَّلٰوةِ وَقَدْرِهَا وَمَنْزِلَتِهَا عِنْدَ اللّٰهِ هٰكَذَا يَكُوْنُ التَّفَكُّرَ مَعَ كُلِّ صِفَةٍ۔

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ: بِأَنْ نَدْعُوَالنَّاسَ مِرَاراً وَتَكْرَاراً إِلَى الصَّلٰوةِ وَنُبَيِّنُ أَمَامَهُمْ فَضَائِلَ الصَّلٰوةِ كَيْ نَتَحَصَّلَ عَلَى حَقِيْقَتِهَا يَقُوْلُ الشَّيْخُ يُوسُفُ أَيَّةَ صِفَةٍ تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَتَحَصَّلُوْا عَلَيْهَا فَتُكْثِرُوْا دَعْوَةَ النَّاسِ إِلَيْهَا فَتَأْتِي فِيْكُمْ هٰذِهِ الصِّفَةُ۔

أَلثَّالِثُ جُهْدٌ مَعَ اللّٰهِ : وَذٰلِكَ بِأَنْ نَدْعُوَاللّٰهَ تَعَالٰى دَائِمًا أَنْ يَرْزُقَنَا حَقِيْقَةَ الصَّلٰوةِ وَنَسْأَلَهُ الْخُشُوعَ وَالْخُضُوعَ فِي الصَّلٰوةِ فِي زَمَنِ الْخُرُوجِ وَفِي الْمَقَامِ وَنَبْكِي وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ أَنْ يَفْتَحَ عَلَيْنَا مِنْ أَسْرَارِالصَّلٰوةِ كَمَا بَيَّنَ اللّٰهُ تَعَالٰى دُعَاءَ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْقُرْاٰنِ" رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيْمَ الصَّلٰوةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ"۔(سورة ابراهيم ٤٠)

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ الْعِلْمُ مَعَ الذِّكْرِ

الْمَقْصَدُ مِنَ الْعِلْمِ

أَنْ نَعْبُدَ اللّٰهَ عَلٰى بَصِيْرَةٍ وَنَعْرِفُ الْحَلَالَ فَنَتَّبِعُهُ وَنَعْرِفُ الْحَرَامَ فَنَجْتَنِبُهُ وَحَقِيْقَةُ الْعِلْمِ هِيَ الْخَشْيَةُ قَالَ تَعَالٰى﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ (سورة فاطر ٢٨)

قَالَ الشَّيْخُ يُوسُفُ كَيْفَ نَحْنُ نَعْرِفُ عِلْمَ الْحَالِ؟ يَعْنِي أَلْاٰنَ مَاذَايُرِيْدَ اللّٰهُ مِنَّافِي هٰذَا الْعَمَلِ وَنَعْمَلُ كُلَّ عَمَلٍ بِتَحْقِيْقٍ حَتّٰى نُوْجَرَعَلَى الْأَعْمَالِ۔

فَضْلُ الْعِلْمِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ**﴾(زمر ٩)

وَقَالَ تَعَالٰى ﴿**يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِيْنَ أٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَالَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ**﴾ (مجادله ١١)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ قَالَ لِي رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَاأَبَاذَرٍّ ﵁ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ خَيْرٌلَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْلَمْ يُعْمَلْ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ۔(١)

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ ﵁ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَفِي الْمَسْجِدِ مُتَّكِئٌ عَلٰى بُرْدٍلَهُ أَحْمَرَ، فَقُلْتُ لَهُ، يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ ! إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتَحُفُّهُ الْمَلٰئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتّٰى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ۔(٢)

طَرِيْقَةُ الْحُصُوْلِ

الْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ: بِأَنْ نُرَاجِعَ فِي كُلِّ عَمَلٍ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَأَهْلِ الْفَتْوٰى وَلَانَعْمَلَ أَيَّ عَمَلٍ بِدُوْنِ الْعِلْمِ وَبِدُوْنِ الْإِسْتِفْسَارِ سَوَاءٌ كَانَ فِيْهِ رِبْحٌ أَوْخَسَارَةٌ وَتَتَحَصَّلَ عَلٰى هٰذِهِ الدَّرَجَةِ بِسِمَاعِ عِلْمِ الْفَضَائِلِ وَالْقِرَاءَةِ لَهُ فَلْنُكْثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ عِلْمِ الْفَضَائِلِ وَسِمَاعِهِ فِي حَلَقَاتِ التَّعْلِيْمِ فِي الْمَسْجِدِ وَفِي الْبَيْتِ وَكَذٰلِكَ نَفْرُغُ مِنْ أَوْقَاتِنَا

(١) رواه ابن ماجة برقم : ٢١٩ عن ابي ذررضي الله عنه

(٢) رواه الطبراني في الكبير برقم :٧٣٤٧ عن صفوان بن عسّالٍ ﵁

لِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَنَجْلِسُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَنَتَعَلَّمُ لِأَنَّ الْعِلْمَ نُوْرٌ وَلَاتَصِحُّ الْأَعْمَالُ وَلَاتُقْبَلُ إِلَّابِهِ۔

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ: وَهُوَأَنْ نَدْعُوَاللّٰهَ أَنْ يَرْزُقَنَا حَقِيْقَةَ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمَ النَّافِعَ وَنَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْ عِلْمٍ عَلَى اللِّسَانِ فَذَاكَ حُجَّةُ اللّٰهِ عَلٰى ابْنِ آدَمَ، فَنَسْأَلُ اللّٰهَ بَاكِيًا مُتَضَرِّعاً الْعِلْمَ النَّافِعَ كَمَا وَرَدَفِي الدُّعَاءِ الْمَاثُوْرِ، أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً، أَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَايَنْفَعُ(١)۔

أَلْمَقْصَدُ مِنَ الذِّكْرِ

أَلْمَقْصَدُ مِنَ الذِّكْرِ اِسْتِحْضَارُ عَظْمَةِ اللّٰهِ تَعَالىٰ فِي الْقَلْبِ وَطَرْدُ الْغَفْلَةِ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا اسْتَحْضَرَ عَظْمَةَ اللّٰهِ وَكِبْرِيَاءَهٗ فَهُوَ يَجْتَنِبُ مِنَ الْمَعَاصِي وَيَخْرُجُ التَّأَثُّرُ مِنَ الْمَخْلُوْقِ فَلْنَذْكُرِ اللّٰهَ كَثِيْرًا حَتّٰى نَسْتَحْضِرَ عَظْمَتَهٗ وَقُدْرَتَهٗ وَصِفَاتَهٗ، وَيَخْرُجُ مِنْ قُلُوْبِنَا أَلتَّأَثُّرُ بِمَا سِوَى اللّٰهِ؟

فَضْلُ الذِّكْرِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ ﴿**فَاذْكُرُوْنِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ (بقره١٥٢) وَقَالَ تَعَالىٰ ﴿**أَلَا بِذِكْرِاللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ**﴾(رعد ٢٨)

وَقَالَ ﴿**وَلَذِكْرُاللّٰهِ أَكْبَرُ**﴾(عنكبوت٤٥) وَقَالَ تَعَالىٰ ﴿**أَلَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيَامًا وَّقُعُوْدًاوَعَلٰى جُنُوْبِهِمْ**﴾(آل عمران١٩١)

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالىٰ أَنَا عِنْدَظَنِّ عَبْدِي بِيْ وَأَنَا مَعَهٗ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهٖ ذَكَرْتُهٗ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهٗ فِي مَلَإٍ خَيْرٍمِنْهُمْ وَإِنْ

(١) رواه النسائي برقم : ٥٤٨٥ عن انس رضي الله عنه وابن ماجة برقم : ٩٢٥ عن ام سلمة رضي الله عنها

تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهٗ هَرْوَلَةً۔(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَلْبًا شَاكِراً وَلِسَاناًذَاكِراً وَبَدَناً عَلَى الْبَلَاءِ صَابِراً وَزَوْجَةً لَاتَبْغِيْهِ خَوْناً فِي نَفْسِهَا وَلَامَالِهٖ ۔(٢)

طَرِيْقَةُ الْحُصُوْلِ

أَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ : وَذٰلِكَ أَنْ نُحَافِظَ عَلٰى ذِكْرِاللّٰهِ وَنُوَاظِبَ عَلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَفِيْ جَمِيْعِ الْأَحْيَانِ وَالْأَحْوَالِ، قِيَاماً وَقُعُوْداً وَعَلٰى جُنُوْبِنَا، وَنَتَعَلَّمَ الْأَذْكَارَ وَالْأَدْعِيَّةَ الْمَاثُوْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَوْعَيْهَا أَيِ الْمُقَيَّدَةَ وَالْمُطْلَقَةَ فَنُوَاظِبَ عَلَيْهَا وَنَتْلُوَالْقُرْآنَ الْكَرِيْمَ لِأَنَّهٗ أَفْضَلُ الذِّكْرِ وَأَقَلُّ الْقَلِيْلِ جُزْأٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ فِي الْيَوْمِ وَمِنَ التَّسْبِيْحِ أَقَلُّهٗ أَلْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ ١٠٠/مَرَّةً، وَالصَّلٰوةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ١٠٠/ مَرَّةً وَالْإِسْتِغْفَارُ ١٠٠/مَرَّةً لِلتَّمَرُّنِ عَلَى الذِّكْرِ لَاالْحَصْرُ

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ : وَذٰلِكَ أَنْ نَدْعُوَالنَّاسَ إِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَطَاعَتِهٖ وَنَسْأَلُ اللّٰهَ أَنْ يُعِيْنَنَا عَلٰى ذِكْرِهٖ وَشُكْرِهٖ وَحُسْنِ عِبَادَتِهٖ وَنَتَعَوَّذُبِهٖ مِنَ الْغَفْلَةِ عَنْهُ،وَنَدْعُوْهُ مُتَضَرِّعِيْنَ إِلَيْهِ أَنْ يُلْهِمَنَا ذِكْرَهٗ كَمَا وَرَدَفِي الدُّعَاءِ الْمَاثُوْرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَللّٰهُمَّ أَعِنِّي عَلٰى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.(٣)

(١) رواه البخاري برقم : ٨٤٠٥ عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه الطبراني برقم : ١١٢٧٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما

(٣) رواه ابوداؤد برقم : ١٥٢٢ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

اَلصِّفَةُ الرَّابِعَةُ، إِكْرَامُ الْمُسْلِمِ وَمَقْصَدُهَا

اَلْمَقْصَدُ مِنْ إِكْرَامِ الْمُسْلِمِ أَنْ تَاتِيَ الْأُلْفَةُ وَالْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَيَبْدَأُ فِيْنَا الْإِيْثَارُ وَالْإِكْرَامُ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَهٰذَا لَايَتَأَتّٰى إِلَّا أَنْ نُؤَدِّيَ كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّهُ وَ نَرْجُوَا حَقَّنَا مِنَ اللّٰهِ، وَنُكْرِمَ الْمُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ إِسْلَامِهٖ وَإِيْمَانِهٖ، وَلَا مِنْ أَجْلِ مَالِهٖ وَمَنْصَبِهٖ وَدُنْيَاهُ وَجَاهِهٖ۔

فَضْلُهَا

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى﴿ **إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ**﴾(نمل ٩٠)

وَقَالَ تَعَالٰى ﴿**وَيُؤْثِرُوْنَ عَلٰى اَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الحشر٩)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ ؓ قَالَ نَظَرَرَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيْحَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكِ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى جَعَلَكِ حَرَاماً وَحَرَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِ مَالَهُ وَدَمَهُ وَعِرْضَهُ وَأَنْ نَظُنَّ بِهٖ ظَنّاً سَيِّأً۔(١)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَامِنْ شَيْئٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيْزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ۔(٢)

وَعَنْ مُعَاذِبْنِ جَبَلٍ ؓ قَالَ: آخِرُ مَا أَوْصَانِي بِهٖ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ حِيْنَ وَضَعْتُ رِجْلِي فِي الْغَرْزِأَنْ قَالَ لِي أَحْسِنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ۔(٣)

(١) رواه الطبراني برقم : ١٠٩٦٦ عن ابن عباس ؓ وابن ماجه برقم : ٣٩٣٢ عن عبد الله بن عمرو ؓ

(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٤٧٩٩ عن ابي درداء ؓ

(٣) رواه مالك في المؤطا برقم : ١٦٠٢ عن معاذ بن جبل ؓ

طَرِيْقَةُ الْحُصُوْلِ

اَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ : وَهُوَأَنْ نُكْرِمَ النَّاسَ وَنُؤَدِّيَ حُقُوْقَهُمْ مِنَ الْقَرِيْبِ وَالْبَعِيْدِ وَالْجَارِ، وَالصَّدِيْقِ وَالْعَدُوِّ وَغَيْرِهِمْ وَتَكُوْنُ قُلُوْبُنَا سَلِيْمَةً مِنَ الشَّحْنَاءِ وَالضَّغَائِنِ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَلَا نَنْظُرُ مِنْهُمْ أَنْ يُؤَدُّوا حُقُوْقَنَا اَلَّتِي عَلَيْهِمْ بَلْ نَرْجُوْا مِنَ اللّٰهِ وَعَلٰى أَثْرَةٍ عَلَيْنَا۔

وَكَذٰلِكَ نَأْخُذُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تَجْلُبُ الْأُلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ مِثْلَ إِفْشَاءِ السَّلَامِ وَالْهَدِيَّةِ وَإِلَّافَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَنَجْتَنِبُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُوْرِثُ الْبُغْضَاءَ وَالْعَدَاوَةَ وَتُؤَدِّي إِلَى الشِّقَاقِ وَالتَّفَرُّقِ مِثْلَ الْغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهَا۔

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ : وَهُوَ أَنْ نَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى الْإِكْرَامِ وَالْحُسْنِ الْخُلُقِ، وَنُبَيِّنُ أَمَامَهُمْ فَضَائِلَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ وَمَكَانَةَ الْمُؤْمِنِ عِنْدَاللّٰهِ، وَنُرَغِّبُهُمْ أَدَاءَ الْحُقُوْقِ الْوَاجِبَةِ وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ وَنَسْعٰى لِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَنُشَكِّلُ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ كَيْ يَتَمَرَّنُوْا عَلٰى هٰذِهِ الصِّفَاتِ وَيَتَعَلَّمُوْهَا فَبِسَبَبِ الدَّعْوَةِ تَأْتِي فِيْنَا هٰذِهِ الصِّفَاتُ۔

وَالثَّالِثُ جُهْدٌ مَعَ اللّٰهِ : بِأَنْ نَدْعُوَاللّٰهَ أَنْ يَرْزُقَنَا خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِيْنَ الْجَانِبِ وَالْأُلْفَةَ وَالْمَحَبَّةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ وَيُحَبِّبَنَا إِلٰى عِبَادِهٖ وَيُحَبِّبَ عِبَادَهٗ إِلَيْنَا، وَنَسْأَلُ اللّٰهَ مُتَضَرِّعِيْنَ إِلَيْهِ أَنْ يُزَيِّنَنَا بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَيُطَهِّرَ قُلُوْبَنَا مِنَ الرَّذَائِلِ كَمَا وَرَدَفِي الدُّعَاءِ الْمَاثُوْرِ اَللّٰهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي(١)، أَللّٰهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْاِيْمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوْبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوْقَ وَالْعِصْيَانَ۔(٢)

(١) رواه احمد في مسنده برقم ٣٦٣٢ عن عبد الله بن مسعود ؓ

(٢) رواه احمد في مسنده برقم ١٤٩٤٥

اَلصِّفَةُ الْخَامِسَةُ اَلْإِخْلَاصُ تَصْحِيْحُ النِّيَّةِ

مَقْصَدُهَا

أَنْ نَعْمَلَ كُلَّ عَمَلٍ لِمَرْضَاةِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَلِابْتِغَاءِ وَجْهِهٖ وَنُخْلِصُهُ لِلّٰهِ تَعَالىٰ مِنَ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَالشُّهْرَةِ وَأَغْرَاضِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهٗ يَخْرُجُ بِالرِّيَاءِ رُوْحُ الْعَمَلِ وَيَكُوْنُ مِثْلَ الْجَسَدِ بِلَا رُوْحٍ وَيَكُوْنُ عِنْدَ اللّٰهِ مَرْدُوْداً۔

جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ قَالَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ إِنَّ اللّٰهَ لَايَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّامَاكَانَ لَهُ خَالِصاً وَابْتُغِي بِهٖ وَجْهُهٗ۔(١)

فَضْلُهَا

قَالَ اللّٰهُ تعالىٰ ﴿وَمَا أُمِرُوْا إِلَّالِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ﴾(البينه ٥)

وَقَالَ تَعَالىٰ ﴿لَنْ يَنَالَ اللّٰهَ لُحُوْمُهَا وَلَادِمَاءُ هَا وَلٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوٰى مِنْكُمْ﴾(حج ٣٧)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ زَيْدِبْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهٗ فَرَّقَ اللّٰهُ عَلَيْهِ أَمْرَهٗ وَجعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهٖ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّامَاكُتِبَ لَهٗ وَمَنْ كَانَتِ الْاٰخِرَةُ نِيَّتَهٗ جَمَعَ اللّٰهُ لَهُ أَمْرَهٗ وَجَعَلَ غِنَاهٗ فِي قَلْبِهٖ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَاوَهِيَ رَاغِمَةٌ۔(٢)

وَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ طُوْبٰى لِلْمُخْلِصِيْنَ أُولٰئِكَ مَصَابِيْحُ الدُّجٰى تَنْجَلِي عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ ظَلْمَاءَ۔(٣)

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدِ بْنِ أَبِي فُضَالَةَ وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ سَمِعْتُ

(١) رواه النسائي برقم : ٣١٤٠ عن ابي امامة والبيهقي برقم : ٢٠٣٢٤

(٢) رواه ابن ماجة برقم : ٤١٠٥ والطبراني برقم ٤٩٢٥ عن زبد بن ثابت رض

(٣) كنز العمال برقم : ٥٢٦٨ الجامع الصغير برقم : ٥٢٨٩

رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ إِذَا جَمَعَ اللّٰهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيْهِ نَادٰى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهٗ لِلّٰهِ أَحَداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهٗ مِنْ عِنْدِ غَيْرِاللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ۔(١)

طَرِيْقَةُ الْحُصُوْلِ

أَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ : وَهُوَأَنْ نُرَاقِبَ أَنْفُسَنَا قَبْلَ كُلِّ عَمَلٍ أَنَّنَا لِمَاذَا نَعْمَلُ هٰذَا الْعَمَلَ هَلْ لِإِبْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللّٰهِ أَوْلِغَرَضٍ آخَرَ؟ إِذَا نَجِدُ فِي النِّيَّةِ شَيْئاً فَنُصْلِحُ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِذَا أَشْرَكْنَا فِيْهِ شَيْئاً مَاسِوَى اللّٰهِ فَيَكُوْنُ هَبَاءً ا مَنْثُوراً فَنُصَحِّحُ النِّيَّةَ فِي كُلِّ عَمَلٍ فِي الْبِدَايَةِ وَنُرَاقِبُهَا أَثْنَاءَ الْعَمَلِ وَنَسْتَغْفِرُاللّٰهَ فِي آخِرِهٖ۔

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ : وَهُوَ أَنْ نَدْعُوَالنَّاسَ إِلَى الْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَنُبَيِّنَ فَضَائِلَهُ وَنَذُمَّ الرِّيَاءَ وَالسُّمْعَةَ وَالشُّهْرَةَ وَنُبَيِّنُ عَاقِبَةَ الرِّيَاءِ أَنَّهٗ يَهْبِطُ الْأَعْمَالَ وَيَكُوْنُ سَبَبًا لِدُخُوْلِ النَّارِ، كَمَاوَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ تَعَوَّذُوْا بِاللّٰهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ، قَالُوْايَارَسُوْلَ اللّٰهِ! وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ؟ قَالَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مائة مَرَّةٍ، قِيْلَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! وَمَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ أَلْقُرَّاءُ الْمُرَاؤُوْنَ بِأَعْمَالِهِمْ۔(٢)

فَنُكْثِرُ الدَّعْوَةَ وَالتَّرْغِيْبَ فِي النَّاسِ مِرَارًا وَتَكْرَاراً فِي زَمَنِ الْخُرُوْجِ وَفِي الْمَقَامِ حَتّٰى تَأْتِيَ فِيْنَا صِفَةُ الْإِخْلَاصُ۔

أَلثَّالِثُ جُهْدٌ مَعَ اللّٰهِ : وَهُوَ أَنْ نَدْعُوَاللّٰهَ تَعَالىٰ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا صَالِحَةً وَخَالِصَةً لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ وَيَقِيْنَا مِنْ أَنْ نُشْرِكَ أَحَدًا غَيْرَهٗ وَنَسْأَلَ

(١) رواه الترمذي برقم : ٥١٦١ وابن ماجة برقم : ٤٢٠٣ عن ابي سعيد رض

(٢) رواه الترمذي برقم :٢٣٨٣ والبيهقي في شعب الايمان برقم:٦٨٥١عن ابي مرمره ابن ابي فضالة

اللّٰهَ مُتَضَرِّعِيْنَ إِلَيْهِ أَنْ يُوَفِّقَنَا الْإِخْلَاصَ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَنَتَعَوَّذُ بِاللّٰهِ تَعَالىٰ مِنَ الرِّيَاءِ وَالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ، وَلَا نَطْمَئِنُّ بِأَعْمَالِنَا وَلَا نَفْرَحُ بَلْ نَخَافُ دَائِمًا وَنَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ ﴿ **وَالَّذِيْنَ يُؤْتُوْنَ مَا آتَوْا وَقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ (المؤمنون ٦٠)

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي مُوْسىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ خَطَبَنَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اِتَّقُوْا هٰذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفىٰ مِنْ دَبِيْبِ النَّمْلِ، فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ اللّٰهُ أَنْ يَقُوْلَ وَكَيْفَ نَتَّقِيْهِ وَهُوَ أَخْفىٰ مِنْ دَبِيْبِ النَّمْلِ؟ يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ۔

قَالَ قُوْلُوْا! أَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوْذُبِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ شَيْأً وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ(١)

أَلصِّفَةُ السَّادِسَةُ أَلدَّعْوَةُ إِلَى اللّٰهِ وَالْخُرُوْجُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ

مَقْصَدُهَا: إِحْيَاءُ الدِّيْنِ فِيْنَا وَفِي الْعَالَمِ، وَكَيْفَ تَأْتِيْ فِيْنَا الْعَوَاطِفُ لِبَذْلِ الْمَالِ وَالنَّفْسِ لِلنُّصْرَةِ وَالْهِجْرَةِ حَتّٰى يَقُوْمَ الدِّيْنُ۔

وَالْمَقْصَدُ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيْغِ تَحْقِيْقُ الْعُبُوْدِيَّةِ الْكَامِلَةِ لِلّٰهِ تَعَالىٰ وَتَحْقِيْقُ الْإِتِّبَاعِ الْكَامِلِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالتَّذْكِيْرُ بِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ وَتَحَمُّلُ وَتَحْمِيْلُ مَسْئُوْلِيَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللّٰهِ لِكُلِّ الْأُمَّةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ۔

وَمَقْصَدُ الْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ إِصْلَاحُ الْيَقِيْنِ وَالْعَمَلِ وَإِحْيَاءُ جُهْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلىٰ مِنْهَاجِهِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ۔

فَضْلُهَا

قَالَ اللّٰهُ تَعَالىٰ ﴿ **وَاللّٰهُ يَدْعُوْا إِلىٰ دَارِ السَّلَامِ** ﴾ (يونس ٢٥)

(١) رواه احمد في مسنده برقم:١٩٦٢٢ ومصنف ابن ابي شيبه برقم:٣٠١٦٣ عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه

وَقَالَ تَعَالىٰ ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ** ﴾ (سورة بقرة ١١٠) وَقَالَ تَعَالىٰ ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللّٰهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ** ﴾ (حم سجده ٣٣)

وَقَالَ تَعَالىٰ ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ** ﴾ (توبه ١٨)

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ إِنَّ الدِّيْنَ بَدَأَ غَرِيْبًا وَيَرْجِعُ غَرِيْبًا فَطُوْبىٰ لِلْغُرَبَاءِ الَّذِيْنَ يُصْلِحُوْنَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي۔(١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيْرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيْرَنَا وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ۔(٢)

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ يَوْمٌ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيْمَا سِوَاهُ۔(٣)

طَرِيْقَةُ الْحُصُوْلِ

أَلْأَوَّلُ جُهْدٌ عَلَى النَّفْسِ: وَهُوَ أَنْ نَدْعُوَ كُلَّ مَنْ نَلْقَاهُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالىٰ وَنَخْرُجَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِأَنْفُسِنَا وَنُفَرِّغَ الْأَوْقَاتَ وَنَبْذُلَ الْأَمْوَالَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَنُرَتِّبَ فِي حَيٰوتِنَا أَنْ نَخْرُجَ فِي الْأَوَّلِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ لِتَعَلُّمِ الدَّعْوَةِ وَفِي كُلِّ سَنَةٍ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا، وَفِي الشَّهْرِ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ وَفِي الْأُسْبُوْعِ جَوْلَتَيْنِ جَوْلَةً مَقَامِيَّةً وَجَوْلَةً إِنْتِقَالِيَّةً، وَيَوْمِيًّا حَلْقَتَي التَّعْلِيْمِ، حَلْقَةً فِي الْبَيْتِ وَحَلْقَةً فِي الْمَسْجِدِ، وَتَفْرِيْغُ سَاعَتَيْنِ وَنِصْفٍ لِإِحْيَاءِ أَعْمَالِ الْمَسْجِدِ۔

(١) رواه الترمذي برقم : ٢٦٣٠ عن عبد الله بن عمروبن عوف رضي الله عنه

(٢) رواه الترمذي برقم : ١٩٨٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما

(٣) رواه النسائي برقم : ٣١٧٠ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

فَإِذَا نُوَاظِبُ وَنَسْتَمِرُّ عَلٰى هٰذَا أَلتَّرْتِيْبِ فَيَبْدَأُ فِيْنَا الْإِسْتِعْدَادُ لِأَوَامِرِ اللّٰهِ وَلِقَضَاءِ مُقْتَضِيَاتِ الدَّعْوَةِ إِنْشَاءَ اللّٰهُ تَعَالٰى۔

قَالَ الشَّيْخُ يُوْسُفُ رحمه الله نَحْنُ لَانَعْرِفُ تَرْتِيْبَ بَذْلِ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَحَقِيْقَتَهُ إِلَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلٰى حَيَاةِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، فَبَعْضُهُمْ بَذَلُوْا كُلَّ الْمَالِ وَالنَّفْسِ مِثْلَ أَبِي بَكْرِنِ الصِّدِّيْقِ رضي الله عنه وَبَعْضُهُمْ بَذَلُوْا نِصْفَ الْمَالِ وَنِصْفَ الْوَقْتِ مِثْلَ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَلٰكِنْ عَامَّةُ الصَّحَابَةِ بَذَلُوْا ثُلُثَ الْمَالِ وَثُلُثَ الْوَقْتِ يَعْنِي كَانُوْا يَخْرُجُوْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍفِي الْخَارِجِ وَثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ فِي الدَّاخِلِ فَعِنْدَمَايَرْجِعُوْنَ إِلَى الْبَيْتِ يَقْتَسِمُوْنَ أَوْقَاتَهُمْ نِصْفَ اللَّيْلِ لِأَهْلِهِ، وَنِصْفَهُ لِلّٰهِ تَعَالٰى بِالدُّعَاءِ وَالْبُكَاءِ وَالتَّهَجُّدِ، وَنِصْفَ النَّهَارِ لِلْكَسْبِ الْحَلَالِ وَنِصْفَ النَّهَارِ لِحَاجَةِاَهْلِ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ وَلِلنُّصْرَةِ وَالتَّعْلِيْمِ وَذِكْرِاللّٰهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْاٰنِ فَأَصْبَحَ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ فَهُوَ تَرْتِيْبُ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ فَنَحْنُ نَخْرُجُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ حَتّٰى نَتَرَقّٰى فِي الدِّيْنِ وَنَتَشَبَّهُ بِالصَّحَابَةِ رضي الله عنهم ۔

أَلثَّانِي جُهْدٌ عَلَى النَّاسِ: وَهُوَ أَنْ نَدْعُوَالنَّاسَ إِلَى الدَّعْوَةِ وَنُبَيِّنُ أَمَامَهُمْ أَهَمِّيَّةَ الدَّعْوَةِ وَفَضَائِلَهَا وَعَوَاقِبَ تَرْكِهَا وَنُكْثِرُ دَعْوَتَهُمْ إِلَى اللّٰهِ وَإِلٰى رَسُوْلِهِ كَيْ تَأْتِيَ هٰذِهِ الصِّفَةُ فِيْنَا۔

أَلثَّالِثُ جُهْدٌ مَعَ اللّٰهِ: وَهُوَ أَنْ نَدْعُوَاللّٰهَ تَعَالٰى أَنْ يُوَفِّقَنَا الْقِيَامَ بِالدَّعْوَةِ الْعَظِيْمَةِ وَالْمُهِمَّةِ وَجُهْدِ الدين وَيَقْبَلَنَا لِهٰذَا الْعَمَلِ الْعَظِيْمِ كَمَا قَبِلَ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم وَنَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالٰى مُتَضَرِّعِيْنَ إِلَيْهِ أَنْ يَرْزُقَنَا حَقِيْقَةَ الدَّعْوَةِ وَبَسْطَهَا وَفَهْمَهَا وَالْإِسْتِقَامَةَ وَالثَّبَاتَ فِي الدِّيْنِ وَجُهْدِهِ كَمَا وَرَدَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُوْرِ أَللّٰهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوْبِ صَرِّفْ قُلُوْبَنَا عَلٰى طَاعَتِكَ(١)وَيَامُقَلِّبَ الْقُلُوْبِ ثَبِّتْ قُلُوْبَنَا عَلٰى دِيْنِكَ (٢)

(١) رواه مسلم برقم : ٦٩٢١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

(٢) رواه ابن ماجه برقم : ١٩٩ عن نواس بن سمعان رضي الله عنه والبيهقي في شعب الايمان عن جابر رضي الله عنه

أَمْرَاضُ الْأُمَّةِ وَعِلَاجُهَا

يَقُوْلُ أَلشَّيْخُ مُحَمَّدُإِلْيَاسُ رحمه الله أَنَّ الْأُمَّةَ لَمَّا تَرَكَتْ جُهْدَ الدَّعْوَةِ سَقَطَتْ فِي أَمْرَاضٍ عِدَةٍ وَخَطِيْرَةٍ وَلِكُلِّ مَرَضٍ عِلَاجٌ لَهُ۔

اَلْمَرَضُ الْأَوَّلُ ——— اَلشِّرْكُ فِي الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ بِالتَّوَجُّهِ لِلْمَخْلُوْقِ وَسُؤَالِ الْأَمْوَاتِ

الْعِلَاجُ ——— الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَهِيَ إِفْرَادُ الْمَعْبُوْدِ بِالْعُبُوْدِيَّةِ وَإِعْتِقَادِ وَحْدَتِهِ ذَاتًا وَصِفَاتاً وَأَعْمَالاً۔

اَلْمَرَضُ الثَّانِي ——— اَلْمَعْصِيَّةُ فَسَقَطَتِ الْأُمَّةُ فِي الْمَعْصِيَةِ وَتَرَكَتِ الْعِبَادَاتِ۔

اَلْعِلَاجُ ——— اَلطَّاعَةُ، وَأَعْظَمُ الطَّاعَاتِ إِقَامَةُ الصَّلٰوةِ وَهِيَ الصِّفَةُ الثَّانِيَةُ۔

اَلْمَرَضُ الثَّالِثُ ——— اَلْجَهْلُ بِعِلْمِ الدِّيْنِ وَهٰذَا الْجَهْلُ كَانَ فِي كُلِّ طَبَقَاتِ الْأُمَّةِ

اَلْعِلَاجُ ——— اَلْعِلْمُ وَهُوَ عِلْمُ الْحَالِ، وَأَوَّلُهُ مَعْرِفَةُ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ تَتَعَلَّقُ بِهِ النَّفْسُ وَتَرْغَبُ فِي عَمَلِهِ—ثُمَّ مَرَضُ الْغَفْلَةِ وَهُوَ غَفْلَةُ جَمِيْعِ النَّاسِ بِا لْبُعْدِعَنِ اللّٰهِ وَمَعْرِفَتِهِ۔

اَلْعِلَاجُ ——— اَلذِّكْرُ وَهِيَ مَعَ الْعِلْمِ لِيَذْهَبَ غَفْلَةُ الْجَهْلِ عَنِ الْأُمَّةِ۔

اَلْمَرَضُ الرَّابِعُ ——— تَفَرُّقُ الْأُمَّةِ وَتَشَتُّتُهَا وَفَسَادُ مُعَامَلَاتِهَا۔

اَلْعِلَاجُ ——— إِكْرَامُ الْمُسْلِمِيْنَ وَأَدَاءُ حُقُوْقِهِمْ۔

اَلْمَرَضُ الْخَامِسُ ——— اَلرِّيَاءُ وَالْعُجْبُ وَالسُّمْعَةُ۔

اَلْعِلَاجُ ——— تَصْحِيْحُ النِّيَّةِ وَإِخْلَاصُهَا۔

اَلْمَرَضُ السَّادِسُ ——— حُبُّ الْعَيْشِ وَالدُّنْيَا وَكَرَاهِيَّةُ الْمَوْتِ۔

اَلْعِلَاجُ ——— اَلْخُرُوْجُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ۔(١)

أَهْلُ الْعُلُوْمِ الْإِلٰهِيَّةِ وَأَهْلُ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ

يَقُوْلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدعُمَر اَلْبَالَنْبُوْرِیْ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى۔

فِي كُلِّ زَمَانٍ كَانَ اللّٰهُ تَعَالٰى يَجْعَلُ النُّصْرَةَ وَالْعُلُوَّلِأَهْلِ الْعُلُوْمِ الْإِلٰهِيَّةِ عَلٰى أَهْلِ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ كَمَا نَصَرَ مُوْسٰىعليه السلام بِالْعِلْمِ الْإِلٰهِي عَلٰى فِرْعَوْنَ صَاحِبِ الْعِلْمِ الْمَادِّي وَكَمَا نَصَرَ إِبْرَاهِيْمَ عليه السلام عَلَى النَّمْرُوْدِ وَنَصَرَأَصْحَابَ مُحَمَّدٍﷺعَلٰى قَيْصَرَوَ كِسْرٰى أَصْحَابِ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ——— وَلٰكِنَّ الْيَوْمَ مَعَ إِيْمَانِنَا بِعُلُوْمِنَا الْإِ لٰهِيَّةِ إِلَّا أَنَّنَا مَهْزُوْمُوْنَ أَمَامَ أَهْلِ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ أَنَّ الْقُرْاٰنَ بَيْنَ أَيْدِيْنَا هُوَنَفْسُ الْكِتَابِ اَلَّذِيْ كَانَ عِنْدَ أَسْلَافِنَا لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ حَرْفٌ وَلَمْ يَزِدْفِيْهِ حَرْفٌ، وَرَبُّنَاوَرَبُّهُمْ وَاحِدٌ، وَنَبِيُّنَا وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُنَا وَقِبْلَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَلٰكِنْ لِمَاذَا كَانُوْا مَنْصُوْرِيْنَ وَنَحْنُ مَهْزُوْمُوْنَ؟ وَلِمَاذَا كَانُوْا فِي الْعِزَّةِ وَنَحْنُ فِي الذِّلَّةِ؟

اَلسَّبَبُ فِي ذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانَ عِنْدَهُمْ حَقِيْقَةُ الْعُلُوْمِ الْإِلٰهِيَّةِ وَنَحْنُ عِنْدَنَا اَللَّفْظُ وَالصُّوْرَةُ فَقَطْ، وَأَهْلُ الْمَادَّةِ فِي زَمَانِهِمْ كَانَ عِنْدَهُمْ

(١) لسان الدعوة والتبليغ لفضيلة الشيخ محمد عمر البالنبوري رحمه الله تعالى

حَقِيْقَةُ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ، وَهُمْ كَانَ عِنْدَهُمْ حَقِيْقَةُ الْعُلُوْمِ الْإِلٰهِيَّةِ، فَالْحَقِيْقَةُ مَعَ الْحَقِيْقَةِ كَانَتْ نُصْرَةُ اللّٰهِ لِلْحَقِيْقَةِ الَّتِي ارْتَضٰى لِعِبَادِهِ۔ وَنَحْنُ الْيَوْمَ نَقِفُ بِلَفْظِ الْعُلُوْمِ وَصُوْرَتِهَا أَمَامَ حَقِيْقَةِ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ فَمَنْ يَنْتَصِرُ إِذَنْ!!!

فَالْحَقِيْقَةُ دَائِمًا تَغْلِبُ الصُّوْرَةَ، فَأَسْلَافُنَا الصَّحَابَةُ كَانُوْا مِثْلَ الْأَسَدِالْحَقِيْقِي وَأَهْلُ الْعُلُوْمِ الْمَادِّيَّةِ كَانُوْامِثْلَ الْفَارِ الْحَقِيْقِي فَمَاذَا يَفْعَلُ الْفَارُالْحَقِيْقِي أَمَامَ الْأَسَدِ الْحَقِيْقِي؟ إِذَنْ لَيْسَ هُنَاكَ مُقَارَنَةٌبَيْنَ الْأَسَدِوَالْفَارِ! ——— وَلٰكِنْ نَحْنُ الْيَوْمَ مِثْلَ الْأَسَدِ مُصَوَّرًا عَلَى الْوَرَقِ أَمَامَ الْفَارِ الْحَقِيْقِي فَالْفَارُ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ يَخْرُقُ كُلَّ صُوْرَةِ الْأَسَدِ وَلَوْكَانَ شَكْلُهُ فِي الصُّوْرَةِ مَهِيْباً۔(١)

☆☆☆☆☆

☆☆☆☆

☆☆☆

☆☆

☆

(١) المصدر السابق

اَلْبَابُ السَّابِعُ فِي جُهْدِ الدَّعْوَةِ وَأَقْسَامِهَا

اَلْجُهْدُ الْمَقَامِي وَتَرْتِيْبُهُ

اَللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ أَعْطَانَا الدِّيْنَ وَجُهْدَ الدِّيْنِ، اَلْإِنْسَانُ كَيْفَ يَعِيْشُ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا وَكَيْفَ تَكُوْنُ حَيَاتُهُ؟ لِهٰذَا الْمَقْصَدِ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ أَرْسَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَأَنْزَلَ الدِّيْنَ فَالدِّيْنُ هُوَطَرِيْقُ الَّذِىْ يَرْضَاهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ فَالرَّجُلُ إِذَا يَقْضِي حَيَاتَهُ مُطَابِقاً لِلدِّيْنِ يَفُوْزُوَيُفْلِحُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِـرَةِ وَالدِّيْنُ يَأْتِي فِي حَيٰوتِنَا وَيَبْقىٰ فِيْنَا بِالْجُهْدِ، وَإِذَا انْقَطَعَ الْجُهْدُ يَخْرُجُ الدِّيْنُ مِنْ حَيٰوتِنَا شَيْئاً فَشَيْئاً وَأَسَاسُ الْجُهْدِ التَّضْحِيَّةُ وَهِيَ بَذْلُ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَقْتِ وَتَقْدِيْمُ مَايُحِبُّ اللّٰهُ تَعَالىٰ عَلىٰ مَحْبُوْبَاتِ النَّفْسِ وَمَرْغُوْبَاتِهَا۔

وَالْجُهْدُ نَوْعَانِ

جُهْدُ الْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَجُهْدُ الْمَقَامِ

جُهْدُ الْمَقَامِ هُوَأَسَاسٌ

جُهْدُ الْمَقَامِ هُوَ أَسَاسٌ مَقْصَدُهُ تَكْوِيْنُ بِيْئَةٍ صَالِحَةٍ وَلَاتَتَكَوَّنُ الْبِيْئَةُ صَالِحَةً إِلَّابِصَلَاحِ أَهْلِهَا، وَجُهْدُ الْمَقَامِ هُوَ أَكْبَرُمِنْ جُهْدِ الْخُرُوْجِ لِأَنَّ فِي زَمَنِ الْخُرُوْجِ يَكُوْنُ الرَّجُلُ فَارِغاً مِنَ الْأَشْغَالِ وَلَايَكُوْنُ لَهُ شُغْلٌ سِوَى الدَّعْـوَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَفِي الْمَقَامِ هُنَاكَ مَوَانِعُ كَثِيْرَةٌ وَأُمُوْرٌ مُتَرَاكِمَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ فَتَكُوْنُ الْمُجَاهَدَةُ أَكْبَرُ۔

وَلِذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِقَوْمٍ رَجَعُوْا مِنَ الْغَزْوَةِ قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمْتُمْ مِنَ

الْجِهَادِ الْأَصْغَرِإِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ"(١)

وَجُهْدُ الْمَقَامِ مِثْلُ الْمَاءِ لِلزَّرْعِ إِذَا انْقَطَعَ الْمَاءُ مَاتَ الزَّرْعُ وَضَاعَ جُهْدُ الزِّرَاعَةِ۔

اَلْجُهْدُ الْمَقَامِي فِي خَمْسَةِ أَعْمَالٍ

اَلْجُهْدُ الْمَقَامِي خَمْسَةُ أَعْمَالٍ(١)حَلَقَةُ التَّعْلِيْمِ فِي الْمَسْجِدِ وَكَذَالِكَ فِي الْبَيْتِ (٢) اَلْمَشْـوَرَةُ (٣) اَلتَّفْرِيْغُ الْيَوْمِي(وَهُوَ سَاعَتَيْنِ وَنِصْفٌ (٤) اَلْجَوْلَةُ (٥) اَلْخُرُوْجُ الشَّهْرِي(ثَلٰثَةُ أَيَّامٍ)

ثَلٰثَةٌ مِنْهَا يَوْمِياًّ، حَلَقَةُ التَّعْلِيْمِ، اَلْمَشْوَرَةُ اَلتَّفْرِيْغُ الْيَوْمِي، وَوَاحِدٌ مِنْهَا أُسْبُوْعِياًّ وَهُوَ الْجَوْلَةُ (اَلْمَقَامِيَّةُ وَالْإِنْتِقَالِيَّةُ) وَوَاحِدٌ مِنْهَا شَهْرِيّاً وَهُوَالْخُرُوْجُ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ ۔

وَإِذَا نَحْنُ نَجْتَهِدُ الْجُهْدَ الْمَقَامِي بِالتَّرْتِيْبِ الصَّحِيْحِ مَعَ الْمُوَاظَبَةِ وَالْمُدَاوَمَةِ غَيْرَأَنْ نَجْعَلَهَا كَالْعَادَةِ نَتَرَقّٰى يَوْماً فَيَوْماً وَالنَّاسُ يَتَوَجَّهُوْنَ إِلَى الدِّيْنِ وَجُهْدِهِ وَيَحْيٰى رُوْحُ التَّضْحِيَّةِ وَتَكُوْنُ الْمَسَاجِدُ عَامِرَةً تَأْتِىَ الْجَمَاعَاتُ مِنَ الْخَارِجِ وَتَخْرُجُ جَمَاعَاتٌ إِلىٰ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَتُعْمَرُ الْمَسَاجِدُ بِالْأَعْمَالِ كَمَا كَانَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ ﷺ فِي زَمَنِهِ كَانَتْ أَرْبَعُ أَعْمَالٍ قَائِمَةً فِيْهِ، هِيَ أَعْمَالُ الْمَسْجِدِ (١) اَلدَّعْوَةُ إِلَى اللّٰهِ (٢) اَلتَّعْلِيْمُ وَالتَّعَلُّمُ (٣) اَلْعِبَادَةُ وَالذِّكْرُ(٤) اَلْخِدْمَةُ۔

اَلْأَوَّلُ حَلَقَةُ التَّعْلِيْمِ فِي الْمَسْجِدِ وَالْبَيْتِ

لَابُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ حَلَقَةَ التَّعْلِيْمِ فِي الْمَسْجِدِ وَنَقْرَأُ عِلْمَ الْفَضَائِلِ

(١) كنز العمال برقم : ١١٢٦٠ عن جابرؓ

كَيْ يَأْتِيَ فِي النَّاسِ الشَّوْقُ وَالرَّغْبَةُ وَنَبْدَأُ أَوَّلاً بِخَمْسِ دَقَائِقَ أَوْعَشَرَةً وَنَزِيدُ تَدْرِيجاً نَنْتَهِي إِلٰى نِصْفِ السَّاعَةِ وَكَذٰلِكَ نَبْدَأُ الْحَلَقَةَ فِي الْبُيْتِ وَنُرَغِّبُ الْأَحبَابَ لَهَا كَيْ تَأْتِيَ اَلشَّوْقُ وَالرَّغْبَةُ فِي النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ فَيَسْهَلُ لَنَا الْأُمُورُ وَتَكُوْنُ الْمُعَاوَنَةُ لَنَامِنْهُمْ فِي الدِّيْنِ وَجُهْدِهِ وَفِي الْخُرُوْجِ۔

اَلثَّانِي اَلْمَشْوَرَةُ

عَلَيْنَا أَنْ نُكَوِّنَ جَمَاعَةَ الْمَسْجِدِ اَلَّتِي تَتَحَرَّكُ فِي الْأَعْمَالِ مِثْلَ الْجَوْلَةِ وَالْـمَشْـوَرَةِ وَالزِّيَارَاتِ وَالنُّصْرَةِ لِلْجَمَاعَاتِ الْاٰتِيَةِ وَغَيْرِهَا، وَنَجْلِسُ لِلْمَشْوَرَةِ بَعْدَ تَحْدِيْدِ وَقْتِهَا اَلْأَفْضَلُ أَنْ تَكُوْنَ الْمَشْوَرَةُ بَعْدَ الْفَجْرِ، أَوْحَسْبَ سَهُوْلَةِ الْجَمَاعَةِ وَنَجْلِسُ فِي الْمَشْوَرَةِ بِالْفِكْرِ وَالْهَمِّ كَيْفَ يَحْيَى الدِّيْنُ فِيْنَا وَفِي الْعَالَمِ، وَنَتَفَكَّرُ لِأَهْلِ الْحَيِّ جَمِيْعاً وَنُحَدِّدُعَدَدَالْبُيُوْتِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ وَعَدَدَ الْبَالِغِيْنَ فِي كُلِّ بَيْتٍ كَيْفَ كُلُّ بَالِغٍ يُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَالنِّسَاءُ فِي الْبُيُوْتِ وَكَيْفَ يَحْيَى الدِّيْنُ فِي جَمِيْعِ الشُّعَبِ۔

اَلثَّالِثُ التَّفْرِيْغُ الْيَوْمِي

وَإِذَا تَفَكَّرْ نَا فِي الْمَشْوَرَةِ جَمِيْعَ الْحَيِّ فَعَلَيْنَا أَنْ نُفَرِّغَ الْأَوْقَاتَ لِلزِّيَارَاتِ وَنَجْتَهِدُ فِي الْحَيِّ أَقَلُّهَا سَاعَتَيْنِ وَنِصْفٌ وَنَبْلُغُ إِلٰى تَفْرِيْغِ ثَمَانِي سَاعَاتٍ وَنُوَزِّعُ بُيُوْتَ الْحَيِّ مَابَيْنَ الْأَحْبَابِ وَنَزُوْرُ يَوْمِيّاً بِالنَّشَاطِ وَالْفَرَحِ، وَنَزُوْرُ كُلَّ أَحَدٍمِنَ الْحَيِّ بِاللِّيْنِ وَالشَّفْقَةِ وَالْمَحَبَّةِ

وَنُشَكِّلُ أَوَّلاً أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَلَا نَنْزِلُ وَلَانَنْظُرُ إِلٰى أَحْوَالِهِمْ، وَالتَّشْكِيْلُ الْأَوَّلُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَعِدْ وَيَعْتَذِرْفَنَنْزِلُ إِلٰى أَرْبَعِيْنَ يَوْماً، وَنُرَغِّبُهُمْ لِحَلَقَةِ التَّعْلِيْمِ وَأَعْمَالِ الْمَقَامِ هٰكَذَا نَحْنُ نَزُوْرُهُمْ يَوْمِيّاً مُوَاظِبِيْنَ عَلَيْهَا۔

اَلرَّابِعُ اَلْجَوْلَةُ

وَنُحَدِّدُالْيَوْمَ لِلْجَوْلَةِ فِي الْأُسْبُوْعِ مَثَلاً يَوْمَ السَّبْتِ أَوِالْأَحَدِ، فَيَسْتَعِدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ جَمَاعَةِ الْمَسْجِدِ، يُفَرِّغُ الْوَقْتَ مَابَيْنَ الصَّلٰوتَيْنِ بَعْدَ صَـلٰـوةٍ تَكُوْنُ الْجَوْلَةُ أَوَّلاً يُبَيَّنُ فَضَائِلُ الْجَوْلَةِ، بَعْدَهٗ يُشَكَّلُ الْجَمَاعَةُ لِلْجَوْلَةِ، جَمَاعَةٌ وَاحِدَةٌ أَوْإِثْنَيْنِ أَوْثَلَاثَةٌ حَسْبَ الضَّرُوْرَةِ وَتَتَجَوَّلُ هٰذِهِ الْجَمَاعَةُ فِي الْحَيِّ، وَتُرَغِّبُ النَّاسَ وَتُبَيِّنُ أَمَامَهُمْ كَلَامَ الْإِيْمَانِ وَالْاٰخِرَةِ مُخْتَصَراً وَنُرَاعِي الْاٰدَابَ الَّتِي تُبَيَّنُ فِي مَقَامِهٖ۔

وَكَذٰلِكَ نُحَدِّدُالْيَوْمَ فِي الْأُسْبُوْعِ لِلْجَوْلَةِ الْإِنْتِقَالِيَّةِ وَبَعْدَ صَلٰوةٍ يَكُوْنُ الْبَيَانُ وَالتَّشْكِيْلُ ۔

اَلْخَامِسُ اَلْخُرُوْجُ الشَّهْرِي

وَنُفَرِّغُ ثَلٰثَةَ أَيَّامٍ فِي الشَّهْرِ، وَنُعَيِّنُ لَهَا الْأُسْبُوْعَ، وَكُلُّ فَرْدٍ مِنْ جَمَاعَةِ الْمَسْجِدِ يَلْحَقُ مَعَهٗ اَلْوَاحِدَ الْمُعَاوِنَ أَوْإِثْنَيْنِ ،وَيَجْتَهِدُ طُوْلَ الشَّهْرِحَتّٰى تَتَكَوَّنَ الْجَمَاعَةُ لِثَلٰثَةِ أَيَّا مٍ وَلَاتَكُوْنُ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْقُدَمَاءِ فَقَطْ بَلْ يَكُوْنُ فِي جَمَاعَةٍ إِثْنَيْنِ أَوْثَلَاثَةٌ اَلَّذِيْنَ سَبَقُوا الْخُرُوْجَ

وَالْبَاقِي مِنَ الْجُدَدِ، بِهٰذَا التَّرْتِيْبِ تَزِيْدُ الْأَفْرَادُ وَالْجَمَاعَةُ إِنْشَاءَ اللّٰهُ۔

صِفَاتُ جَمَاعَةِ الْمَسْجِدِ

يَكُوْنُ فِكْرُهُمْ فِكْرَالرَّسُوْلِ ﷺ وَلَابُدَّلَهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالشَّفْقَةِ عَلَى الْخَلْقِ،وَيُرِيْدُوْنَ لِلنَّاسِ إِنْقَاذَهُمْ مِنَ النَّارِ،وَإِدْخَالَهُمْ الْجَنَّةَ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى النُّوْرِ۔

وَمَقْصُدُهُمْ وَاحِدٌ، وَهُوَ مَقْصَدُ الرَّسُوْلِ ﷺ وَهُوَإِحْيَاءُ الدِّيْنِ كُلِّهِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ۔

عَاطِفَتُهُمْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ عَاطِفَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ إِنْفَاقُ الْمَالِ وَالنَّفْسِ وَالْجَاهِ وَكُلِّ مَايَمْلِكُ لِدِيْنِ اللّٰهِ تَعَالىٰ۔

وَكَلَامُهُمْ وَاحِدٌ وَهُوَ دَعْـوَةُ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ وَتَشْكِيْلُ جَمَاعَاتِ الْمَسَاجِدِ۔

وَقُلُوْبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، فِيْهِ الْمَحَبَّةُ وَالْأُلْفَةُ وَالْمَوَدَّةُ لِلْجَمِيْعِ۔

☆☆☆☆☆

☆☆☆☆

☆☆☆

☆☆

☆

اَلْبَابُ الثَّامِنُ فِي أَعْمَالِ التَّرْبِيَّةِ فِي الدَّعْوَةِ

اَلْمَشْوَرَةُ وَالشُّوْرىٰ

اَلشُّوْرىٰ أَمْرٌمِنْ اَوَامِرِاللّٰهِ تَعَالىٰ وَسُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الرَّسُوْلِ ﷺ وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَتَظْهَرُأَهَمِّيَّةُ الشُّوْرىٰ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ أَمَرَالصَّحَابَةَ أَنْ يَتَّبِعُوْا النَّبِيَّ ﷺ فِي جَمِيْعِ أَعْمَالِ الدِّيْنِ، وَالدِّيْنُ هُوَ اِمْتِثَالُ أَوَامِرِ اللّٰهِ تَعَالىٰ عَلىٰ طَرِيْقَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ – وَأَمَّا فِي أَمْرِ الشُّوْرىٰ جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ اللّٰهِ تَعَالىٰ إِلىٰ حَبِيْبِهِ ﷺ – اَلَّذِىْ يَأْتِيْهِ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِهٖ وَلَهُ عَقْلٌ كَامِلٌ– أَنْ يُشَاوِرَ الصَّحَابَةَ حَيْثُ قَالَ (**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**)(آل عمران ١٥٨) فَتَشَاوَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهٖ فِيْ بَدْرٍ، وَأُحَدَ، وَخَنْدَقَ وَحُدَيْبِيَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاضِعِ كَمَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الْحَدِيْثِ وَالسِّيْرَةِ۔

وَقَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالىٰ سُوْرَةً فِي الْقُرْاٰنِ تُسَمّٰى بِهٖ سُوْرَةُ الشُّوْرىٰ وَبِهٖ تَظْهَرُ عَظْمَتُهَا قَالَ تَعَالىٰ ﴿**اَلَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَأَمْرُهُمْ شُوْرىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنٰهُمْ يُنْفِقُوْنَ**﴾(الشورى ٣٧) فَذَكَرَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ أَمْرَالشُّوْرىٰ بَيْنَ رَكِيْزَتَيْنِ الْعَظِيْمَتَيْنِ۔

حَقِيْقَةُ الشُّورىٰ

اَلشُّوْرىٰ وَالْمَشْوَرَةُ مُشْتَقٌّ مِنْ "شَوْرًا" مَصْدَرُهٗ شَوْراً يُسْتَعْمَلُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ شُرْتُ الْعَسَلَ أَيْ اِسْتَخْرَجْتُ الْعَسَلَ مِنْ خُلْيَةِ النَّحْلِ۔

فَالنَّحلُ تَجمَعُ أَطَائِبَ الرَّحِيقِ وَالْيَاسَمِينِ مِنْ أَزْهَارٍ مُخْتَلِفَةٍ(فَيَخرُجُ مِنْ بُطُوْنِهَا أَىْ بُطُوْنِ النَّحلِ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا فِيْهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ)۔

هٰكَذَا الشُّوْرٰى تَجمَعُ صَلَاحِيَّةَ الْأَحْبَابِ وَالْآرَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ فَيَخْتَارُمِنهَا الْأَمِيْرُ وَيُسَدِّدُ لِلرَّأْيِ الَّذِي فِيْهِ مَصْلَحَةُ الدِّيْنِ وَتَالِيْفُ الْقُلُوْبِ كَمَا يُسْتَخلَصُ الْعَسَلُ مِنَ الْخُلْيَةِ ۔

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ اَلْمَشُوْرَةُ حِصْنٌ مِنَ النَّدَامَةِ وَأَمَانٌ مِنَ الْمَلَاْمَةِ۔(١)

فَضَائِلُ الشُّوْرٰى

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْاٰيَةُ (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَمَّا إِنَّ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ غَنِيَّانِ عَنهُمَا وَلٰكِن جَعَلَهَا اللّٰهُ رَحمَةً لِاُمَّتِي(بيهقى) (٢)

وَعَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ فِي مَعْنَى الْحَدِيْثِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَرَادَ أَمْراً فَتَشَاوَرَفِيْهِ هُدِيَ إِلٰى أَرْشَدِ الْأُمُوْرِ۔

وَقَدْ أَخْرَجَ أَلْإِمَامُ الْبُخَارِي فِي أَدَبِ الْمُفْرَدِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قال مَا شَاوَرَقَوْمٌ إِلَّاهُدُ وْالِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ۔(٣)

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ مَاخَابَ مَنِ اسْتَخَارَ وَمَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ۔(٤)

(١) ادب الدنيا والدين الجزء ١/ ٣٧٧

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان رقم الحديث ٧٥٤٢

(٣) مصنف ابن ابي شيبه رقم الحديث ٢٦٢٧٥

(٤) رواه الطبراني في الصغير برقم ٩٨٠

مَقْصَدُ الشُّوْرٰى

اِسْتِلْهَامُ الرَّأْيِ السَّدِيْدِ لِمَصْلَحَةِ الدِّيْنِ وَتَوْحِيْدُ الْفِكْرِ وَتَالِيْفُ الْقُلُوْبِ حَتّٰى وَإِنْ كَانَتِ الْاٰرَاءُ مُخْتَلِفَةً وَلٰكِنْ يَكُوْنُ الْفِكْرُ وَاحِداً فِكْرَالنَّبِيِّ ﷺ وَهَمَّهُ، كَمَا فِي الْاٰيَةِ الْكَرِيْمَةِ،**﴿وَأَمْرُهُمْ شُوْرٰى بَيْنَهُمْ﴾** أَىْ أَلْأَمْرُ وَاحِدٌ عِنْدَ الْجَمِيْعِ نَفْسُ الْأَمْرِ، وَمَاقَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ وَأُمُوْرُهُمْ شُوْرٰى، كَمَابَيَّنَ فِي الْوُضُوءِ فَأغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ وَمَاقَالَ وَجْهَكُمْ۔

آدَابُ الشُّوْرٰى

نَجلِسُ فِي الْمَشْوَرَةِ بِقُلُوْبٍ مُتَوَجِّهَةٍ إِلَى اللّٰهِ وَنَعْلَمُ وَنَتَيَقَّنُ أَنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ يَسْمَعُ وَيَرَى، فَإِذَا كُنَّا ثَلَثَةً فَهُوَ رَابِعُنَا وَإِذَاكُنَّا خَمْسَةً فَهُوَسَادِسُنَا**﴿مَا يَكُوْ مِنْ نَجوى ثَلٰثَةٍ إِلَّاهُوَرَابِعُهُمْ﴾** (المجادلة٧) وَنَجلِسُ بِالْفِكْرِ وَالْفِكْرُ هُوَ تَحْرِيْكُ الذِّهْنِ لِحَلِّ الْمَشَاكِلِ وَلْنَستَعِدَّ فِي الشُّوْرٰى لِجَمِيْعِ الْأَعْمَالِ، وَنَتَفَكَّرُ لِمَصْلَحَةِ الدِّيْنِ، وَإِذَا طُلِبَ مِنَّا الرَّأْيُ فَنُعْطِي الرَّأْيَ بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْأَمَانَةِ۔

يَقُوْلُ الْمَشَائِخُ أَسَاسُ الْمَشْوَرَةِ اَلصِّدْقُ وَالْأَمَانَةُ وَأُسْلُوْبُهَا أَللِّيْنُ**﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّٰهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْكُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ الْقَلْبِ لَأنفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ﴾** (آل عمران ١٥٩)

وَنَتَوَجَّهُ إِلَى اللّٰهِ،وَلَانُحَقِّرُ رَأْيَ الْاٰخَرِ،وَلَانَتَقَابَلُ فِي الْاٰرَاءِ، وَلَا نُصِرُّ عَلَى الرَّأْيِ، وَلَانُزَكِّي أَنْفُسَنَا إِلَّافِي الْخِدْمَةِ وَالْإِعْلَانِ، وَالْأَعْمَالِ

الشَّاقَّةِ، وَلَانُقَاطِعُ، وَلَانُعَلِّلُ وَلَانُجَامِلُ، وَلَانُوَاجِهُ، وَلَانُنَاجِي أَثْنَاءَ الْمَشُورَةِ، أَوْنُعْرِضُ الرَّأْىَ وَلَانَفْرُضُ وَلَانَحْزَنُ وَلَانَفْرَحُ، وَلَانَسْتَكْبِرُعَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، لِأَنَّ الْإِصْرَارَ وَالْإِسْتِكْبَارَ عَامِلَانِ يَبْعُدَانِ الْإِنْسَانَ مِنَ الْحَقِّ ﴿وَأَصَرُّوْا وَاسْتَكْبَرُوْا اسْتِكْبَارًا﴾ فَقَوْمُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَبَبِ الاسْتِكْبَارِ وَالْإِصْرَارِ حَرُمُوْا الْحَقَّ، فَإِذَا أُخِذَ بِرَائِنَا نَسْتَغْفِرُاللّٰهَ، قَدْ يَكُوْنُ هٰذَا الرَّأْيُ لَيْسَ بِأَصْوَبَ لِمَصْلَحَةِ الدِّيْنِ، وَإِذَا لَمْ يُؤَخَذْ بِرَأْيِنَا فَنَحْمَدُ اللّٰهَ رُبَمَا يَكُوْنُ فِي رَأْيِنَا شَئٌ مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ۔

اَلْمُرَاعَاةُ فِي الْمَشْوَرَةِ لِستِّ صِفَاتٍ

بَعْدَ فَيْصَلَةِ الْأَمِيْرِ نَتَنَازَلُ عَنْ رَأْيِنَا وَنَتَيَقَّنُ أَنَّ الْخَيْرَفِي الْأَمْرِ الَّذِىْ تَمَّ الْفَصْلُ فِيْهِ، وَبَعْدَ الْفَصْلِ لَانَقُوْلُ "لَوْ" (مِثْلَ لَوْكَانَ كَذَا، لَوْأُخِذَ هٰذَا الرَّأْيُ وَغَيْرُهُ) فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ۔

وَالشُّوْرٰى أَمْرٌمِنْ أَوَامِرِاللّٰهِ كَالصَّلٰوةِ، فنهْتَمّ بِهَا۔

وَلَا نُعْطِي الرَّأْيَ بِدُوْنِ الْعِلْمِ بِمَا نُسْأَلُ عَنْهُ، وَلَانَجْلِسُ فِي الْمَشُوْرَةِ غَافِلِيْنَ أَىْ الْجَسَدُ فِي الْمَشُوْرَةِ وَالْقَلْبُ غَافِلٌ عَنْهَا بَلْ نَجْلِسُ بِالْقُلُوْبِ الْمُتَوَجِّهَةِ إِلَى اللّٰهِ۔

وَلَا نَقْطَعُ رَأْيَ الْاٰخَرِ فَفِيْهِ رِعَايَةُ الْإِكْرَامِ۔

وَنَتَفَكَّرُ مَاهُوَالْأَمْرُ الَّذِىْ فِيْهِ مَصْلَحَةُ الدِّيْنِ، وَإِذَا تَكَوَّنَ الرَّأْيُ فِي الْقَلْبِ نُبَيِّنُهُ بِالْأَمَانَةِ وَالْإِخْلَاصِ۔

وَنَسْتَعِدُّ لِقَضَاءِ مُقْتَضَيَاتِ الْمَشُوْرَةِ بِبَذْلِ كُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ أَىْ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْوَقْتِ۔

اَلْمَشْوَرَةُ فِيْهَا الْخَيْرُوَالْبَرَكَةُ

قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِﷺإِذَا كَانَ أُمَرَاءُ كُم خِيَارَكُم وَأَغْنِيَاءُ كُم سَمُحَائُكُم، وَأُمُوْرُكُم شُوْرٰى بَيْنَكُم فَظَهَرُ الْأَرْضِ خَيْرٌلَّكُم مِنْ بَطْنِهَا وَإِذَا كَانَ اُمَرَا ئُكُم شِرَارُكُم وَأَغْنِيَائُكُم بُخَلَأَئُكُم وَأُمُوْرُكُم إِلٰى نِسَائِكُم فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌلَّكُم مِنْ ظَهْرِهَا ۔(١)

إِخْوَةُ يُوْسُفَ نَجَوْا مِنَ الْوُقُوعِ فِي جَرِيْمَةِ الْقَتْلِ بِسَبَبِ الْمَشُوْرَةِ وَهٰكَذَا اهْتَدَتْ بِلْقِيْسُ بِسَبَبِ الْمَشْوَرَةِ لَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ رِسَالَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجَمَعَتْ أَرَاكِنَ سَلْطَنَتِهَا وَاسْتَشَارَتْهُمْ فَقَالَتْ ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنِ﴾ ﴿قَالُوْا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِيْ مَاذَا تَأْمُرِيْنَ﴾ ۔(النمل ٣١۔٣٢)

وَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْمَشُوْرَةُ تَكُنْ خَسَارَةٌ وَهَلَاكٌ كَمَا هَلَكَ فِرْعَوْنُ بِعِنَادِهِ فَهُوَ يَزْعُمُ عَلٰى عَقْلِهِ، فَقَالَ ﴿مَا أُرِيْكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيْلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر/٢٩)

حَلَقَةُ التَّعْلِيْمِ

الْإِنْسَانُ لَايَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ وَلَايُفَرِّقُ بَيْنَهَا إِلَّابِنُوْرَيْنِ، نُوْرٌ دَاخِلِيٌّ، وَنُوْرٌخَارِجِيٌّ النُّوْرُالدَّاخِلِيُّ هُوَ نُوْرُالْبَصَرِ، وَالنُّوْرُالْخَارِجُ هُوَ نُوْرُالشَّمْسِ أَوِالسِّرَاجِ، وَبِدُوْنِ هٰذَيْنِ النُّوْرَيْنِ لَايُفَرِّقُ وَلَايُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ فِي الْمَادِّيَاتِ۔

وَإِذَا يَفْقُدُ أَحَدُ النُّوْرَيْنِ، الدَّاخِلِيُّ أَوِالْخَارِجِيُّ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ

(١) رواه الترمذي برقم الحديث ٢٢٦٦عن ابي هريرةؓ

كَالْأَعْمٰى اَلَّذِيْ يَمْشِي فِي النَّارِ، أَوْ كَالْمُبْصِرِيَمْشِي فِي الظُّلُمٰتِ، فَالْأَوَّلُ فَقَدَ النُّوْرَ الدَّاخِلِيَّ، وَالثَّانِي فَقَدَ النُّوْرَالْخَارِجِيَّ، فَكِلَاهُمَا لَايَسْتَفِيْدَانِ۔

هٰكَذَا الْإِنْسَانُ يَحْتَاجُ لِلْمَشْيِ فِي الدِّيْنِ إِلٰى نُوْرَيْنِ، نُوْرُالْإِيْمَانِ وَهُوَدَاخِلِيٌّ وَ نُوْرُالْعِلْمِ وَهُوَخَارِجِيٌّ يُكْتَسَبُ، وَالصَّحَابَةُ قَدْ تَحَصَّلُوْا عَلٰى هٰذَيْنِ النُّوْرَيْنِ، نُوْرِالْإِيْمَانِ وَنُوْرِالْعِلْمِ(عِلْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ) فَهُمْ يَقُوْلُوْنَ تَعَلَّمْنَا الْإِيْمَانَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْاٰنَ' فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَحَصَّلَ عَلٰى هٰذَيْنِ النُّوْرَيْنِ. نُوْرِالْإِيْمَانَ وَنُوْرِالْعِلْمِ وَلِأَجْلِ هٰذَا يَقُوْلُ الْمَشَائِخُ يَجِبُ عَلٰى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْلِسَ يَوْمِياً فِي حَلَقَةِ الْعِلْمِ، خُصُوْصاً فِي حَلَقَةِ فَضَائِلِ الْعِلْمِ، كَيْ يَبْدَأَفِيْهِ الشَّوْقُ وَالرَّغْبَةُ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَيَبْدَأُ الرَّغْبَةُ فِي تَحْصِيْلِ الْعِلْمِ فَيَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ۔

فَلَابُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَحَلَّقَ حَلَقَةَ التَّعْلِيْمِ فِي الْمَسْجِدِ وَفِي الْبَيْتِ۔

مَقْصَدُ حَلَقَةِ التَّعْلِيْمِ

مَقْصَدُ حَلَقَةِ التَّعْلِيْمِ لَيْسَ جَمْعُ الْمَعْلُوْمَاتِ بَلْ تَطْبِيْقُ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ، نَسْمَعُ مِرَاراً وَتَكْرَاراً عِلْمَ الْفَضَائِلِ فِي الْحَلَقَةِ حَتّٰى يَأْتِيَ الْيَقِيْنُ فِيْ قُلُوْبِنَا عَلٰى الْوَعْدِ وَالْوَعِيْدِ وَيَاتِي فِيْنَا الشَّوْقُ وَالرَّغْبَةُ لِأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالنُّفُوْرُ مِنَ الْمَعَاصِي وَحَتّٰى يَبْدَأَ الطَّلَبُ الصَّادِقُ لِلدِّيْنِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ حَرِيْصٌ عَلٰى الْمَنْفَعَةِ مَهْمَا كَانَتِ التَّضْحِيَّاتُ فَالْمُزَارِعُ الَّذِيْ يَعْرِفُ أَنَّ فِي التُّرَابِ الْمَصْلَحَةَ فَفِي جَمِيْعِ الظُّرُوْفِ يَتَحَمَّلُ مِنْ أَجْلِ الزِّرَاعَةِ، وَإِذَا عَرَفَ الْخَسَارَةَ فَهُوَ يَتْرُكُ، لِذٰلِكَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى

وَالرَّسُوْلُ ﷺ بَيَّنَ لَنَا مَنَافِعَ الْأَعْمَالِ وَمَضَارَهَا، فَلَمَّا كَانَ عِلْمُ الْفَضَائِلِ مَوْجُوْداً كَانَ الدِّيْنُ قَائِماً حَتّٰى اسْتَطَاعُوْا بِهٰذَالْعِلْمِ إِنْفَاقَ النَّفْسِ وَالْمَالِ۔

اَلْحَلَقَةُ ثَلٰثَةُ أَجْزَاءٍ

اَلْحَلَقَةُ ثَلٰثَةُ أَجْزَاءٍ (١) تَجْوِيْدُ الْقُرْاٰنِ (٢) فَضَائِلُ الْأَعْمَالِ (٣)مُذَاكَرَةُ الصِّفَاتِ كَيْفَ نَبْدَأُ بِالْحَلَقَةِ؟ نَقْرَأُ آيَتَيْنِ وَحَدِيْثًا وَالْأَحَادِيْثَ الْمُنْتَخَبَةَ مِنْ فَضَائِلِ الْقُرْاٰنِ ثُمَّ نَتَحَلَّقُ وَنَقْرَأُ بِالتَّجْوِيْدِ وَالتَّرْتِيْلِ عَشْرَسُوَرٍمِنَ الْقُرْاٰنِ ثُمَّ نَجْتَمِعُ وَ نُرَغِّبُ قَلِيْلاً ثُمَّ نَبْدَأُ حَلَقَةَ التَّعْلِيْمِ۔

لِمَاذَا نَقْرَأُ الْعَشْرَ؟

لَيْسَ مِنَ الْأُصُوْلِ أَنْ نُحَدِّدَ عَشْرَسُوَرٍوَلَا نَقْرَأُ بَاقِي الْقُرْاٰنِ لٰكِنَّ الْمَشَائِخَ يَقُوْلُوْنَ نَقْرَأُ عَشْرَ سُوَرٍ لِأَنَّ عَامَّةَ النَّاسِ هٰذِهِ السُّوَرُسَهْلَةٌ لَهُمْ۔

كَذٰلِكَ الْمَقْصُوْدُ مِنْ هٰذِهِ السُّوَرِ كَيْفَ يَأْتِي الْفِكْرُ لِقِرَاءَ ةِ الْقُرْاٰنِ الْكَرِيْمِ كَمَا أُنْزِلَ وَكَمَا قَرَأَهُ الرَّسُوْلُ ﷺ وَالصَّحَابَةُ۔

وَطَرِيْقَةُ إِصْلَاحِ أَخْطَاءِ نَا فِي التَّجْوِيْدِ نَتْرُكُ الْإِصْلَاحَ وَسَطَ الْحَلَقَةِ حَتّٰى تَنْتَهِيَ وَنَأْخُذُ مَنْ أَخْطَأَ بِالْحِكْمَةِ وَنُعَلِّمُهُ بِالْحِكْمَةِ۔

كَيْفَ نَسْتَفِيْدُ مِنَ الْقُرْاٰنِ الْكَرِيْمِ؟

نَجْتَهِدُ عَلٰى أَلْفَاظِهِ حَتّٰى نَقْرَأَ بِالتَّجْوِيْدِ كَمَا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَجْتَهِدُ عَلٰى مَعَانِيْهِ حَتّٰى نَتَلَذَّذَ بِقِرَاءَ تِهِ وَنَتَحَصَّلَ عَلَى الْبَصِيْرَةِ

وَالْاِنْشِرَاحِ وَنَجْتَهِدُ حَتّٰى نَفْهَمَ أَحْكَامَهُ وَمَعَانِيَهِ، وَنَجْتَهِدُ حَتّٰى نُبَلِّغَهُ۔

وَلِلْإِسْتِفَادَةِ مِنَ الْقُرْاٰنِ عَلَيْنَا أَنْ نَقْرَءَهُ مَعَ حُضُوْرِ الْقَلْبِ أَنَّهُ كَلَامُ اللّٰهِ وَخِطَابُهُ إِلَيْنَا كَمَا كَانَ السَّلَفُ يَقْرَأُوْنَهُ مَعَ التَّعْظِيْمِ۔

يُرْوٰى أَنَّ عِكْرَمَةَ رضي الله عنه عِنْدَ مَايَأْخُذُ الْقُرْاٰنَ يَغْلِبُهُ الْبُكَاءُ وَالتَّضَرُّعُ وَيَقُوْلُ مُرْتَعِداً "هٰذَا كَلَامُ رَبِّي" ـهٰذا كَلامُ رَبّى

آدَابُ حَلْقَةِ التَّعْلِيْمِ

مُرَاعَاةُالْآدَابِ مُهِمَّةٌ جِداً فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدِّيْنِ كَيْ نَتَحَصَّلَ عَلٰى نُوْرِالْعَمَلِ وَإِذَالَمْ نُرَاعِ الْاٰدَابَ فَيَكُوْنُ الْعَمَلُ نَاقِصاً وَلَانَتَحَصَّلُ عَلَى الْفَائِدَةِ الْكَامِلَةِ۔

وَكُلُّ عَمَلٍ يُسَمّٰى عَمَلاً إِذَا كَانَ لَهُ بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ، مَثَلاً الصَّلٰوةُ بِدَايَتُهَا تَكْبِيْرَةُالْإِحْرَامِ وَنِهَايَتُهَا التَّسْلِيْمُ، وَكَذٰلِكَ الصَّوْمُ بِدَايَتُهُ الْإِمْسَاكُ وَنِهَايَتُهُ الْإِفْطَارُ۔

فَلَا بُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَجْلِسَ فِي حَلَقَةِ التَّعْلِيْمِ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ مَعَ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، فِيْهَا تُرَبَّى النُّفُوْسُ۔

وَإِنَّ الْعُلُوْمَ السَّامِيَةَ الَّتِي بَعَثَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَسِيْلَةً لِتَبْلِيْغِهَا وَإِشَاعَتِهَا مِنْ شُرُوْطِ الْإِسْتِفَادَةِ بِهَا أَنْ يَكُوْنَ يَقِيْنُ الْإِنْسَانِ مُطَابِقًا لِهٰذِهِ الْعُلُوْمِ وَأَنْ يَنْفِيَ نَفْسَهُ بِالْإِفْتِقَارِ مُتَّهِماً لَهَا بِالْجَهْلِ عِنْدَ قِرَاءَةِ كَلَامِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَكَلَامِ رَسُوْلِهِ ﷺ وَعِنْدَ سِمَاعِهِمَا مِمَّا يَعْنِي التَّجَرُّدَ مِنَ الْيَقِيْنِ الْمَبْنِي عَلَى الْمُشَاهَدَاتِ، وَتَرْسِيْخِ الْيَقِيْنِ بِالْمَغِيْبَاتِ وَيُصَدِّقُ بِالْقَلْبِ عَلٰى أَنَّ مَا يُقْرَأُ وَيُسْمَعُ هُوَ حَقٌّ وَيَسْتَحْضِرُ

عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْسِمَاعِهِ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُخَاطِبُهُ وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْحَدِيْثِ أَوْسِمَاعِهِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يُخَاطِبُهُ، وَبِقَدْرِشُعُوْرِ الْقَارِي وَالسَّامِعِ بِعَظْمَةِ الْقَائِلِ وَبِقَدْرِالتَّوَجُّهِ إِلٰى كَلَامِهِ يَزْدَادُ الْأَثَرُ فِي الْقَلْبِ ـ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى

﴿وَإِذَا سَمِعُوْا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُوْلِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوْا مِنَ الْحَقِّ﴾ (مائده ٨٣)

وَقَالَ تَعَالٰى فِي مَوْضَعٍ آخَرَ لِرَسُوْلِهِ ﷺ

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِيْنَ يَسْتَمِعُوْنَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُوْنَ أَحْسَنَهُ أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللّٰهُ وَأُولٰٓئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ـ(زمر ١٨–١٧)

وَوَرَد فِي الصَّحِيْحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ إِذَا قَضَى اللّٰهُ الْأَمْرَفِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلٰئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلٰى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوْبِهِمْ قَالُوْا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوْا الْحَقَّ وَهُوَالْعَلِيُّ الْكَبِيْرُ۔(رواهُ البخارى)(١)

وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيْثٍ آخَرَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلٰثاً حَتّٰى تُفْهَمَ ـ(رواه البخارى)(٢)

وَلِهٰذَا مِنَ الْمُسْتَحْسَنِ قِرَاءَةُ الْحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ أَوْ تَسْمِيْعُهُ ثَلٰثَ مَرَّاتٍ، وَلْيَكُنِ التَّمَرُّنُ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالسِّمَاعِ بِالتَّوَجُّهِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَدَبِ مَعَ تَجَنُّبِ الْكَلَامِ أَثْنَاءَ ذٰلِكَ، وَمُحَاوَلَةُ الْجُلُوْسِ عَلٰى رُكْبَتَيْهِ مُتَوَضِّئاً وَلَايَتَّكِأُ إِلٰى مُسْتَنَدٍ وَلْيَكُنِ الْإِشْتِغَالُ بِهٰذَا الْعِلْمِ مَعَ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ فَالْمَقْصَدُ أَنْ يَتَعَوَّدَ الْقَلْبُ عَلَى التَّأَثُّرِ بِالْقُرْاٰنِ وَالْحَدِيْثِ وَيَتَرَسَّخُ الْيَقِيْنُ

(١) رواه الترمذي برقم : ٣٢٢٣ وقال حديث حسن صحيحٌ والبخاري برقم : ٤٧٠١

(٢) رواه البخاري برقم : ٩٥٠ والحاكم في المستدرك برقم : ٧٧١٦

عَلٰى وُعُودِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَوُعُودِ رَسُوْلِهِ ﷺ بِحَيْثُ يَنْشَأُ الطَّالِبُ لِلدِّيْنِ الدَّافِعِ لِلتَّحَرِّىْ بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فِيْ كُلِّ عَمَلٍ وَتَعَلُّمِ أَحْكَامِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكِرَامِ وَالْعَمَلِ بِهِ(١)

وَمِنْ غَيْرِقِرَاءَةٍ أَوْسِمَاعٍ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ(أَيِ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ) لَايَنْشَأُ الطَّلَبُ لِلدِّيْنِ الدَّافِعِ لِلتَّحَرِّىْ بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ ۔

وَيَدُلُّ عَلٰى ذٰلِكَ الْأَثَرُ الْوَارِدُ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سُأَلَتْ عَنْ أَوَّلِ مَا نُزِلَ مِنَ الْقُرْاٰنِ فَقَالَتْ سُوْرَةٌ مِنْ تِلْكَ الَّتِي فُصِّلَ فِيْهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَلَوْ نُزِلَ أَوَّلَ مَا نُزِلَ لَاتَقْرَبُوا الْخَمَرَ لَقَالَ النَّاسُ وَاللّٰهِ لَانَدَعُهَا أَبَداً۔

اَلْاٰدَابُ الظَّاهِرِيَّةُ

خُلَاصَةُ الْكَلَامِ أَنْ نُرَاعِيَ فِي حَلَقَةِ التَّعْلِيْمِ آدَابَهَا كَيْ نَسْتَفِيْدَ مِنَ الْعِلْمِ وَهِيَ ظَاهِرِيَّةٌ وَبَاطِنِيَّةٌ۔

أَمَّا الظَّاهِرِيَّةُ فَهِيَ أَنْ نَجْلِسَ فِي الْحَلَقَةِ مُتَطَهِّرِيْنَ مُتَسَوِّكِيْنَ مُتَطَيِّبِيْنَ عَلٰى هَيْئَةِ التَّشَهُّدِ إِنِ اسْتَطَعْنَا مَعَ عَدَمِ الْإِلْتِفَاتِ أَوِالْأَسْئِلَةِ أَوِالشَّرْحِ وَلَانَتَّكِأُ بِلَاعُذْرٍ وَنَسْمَعُ بَالتَّوَجُّهِ الْكَامِلِ نَظُنُّ أَنَّانَسْمَعُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَوْ سَمِعْنَاهُ أَلْفَ مَرَّةٍ وَيَدْخُل نُوْرُالْكَلَامِ فِي قُلُوْبِنَا وَلَانَرْفَعُ الْأَصْوَاتَ أَثْنَاءَ هَا وَيَكْفِي رَدُّالسَّلَامِ وَتَشْمِيْتُ الْعَاطِسِ مِنْ وَاحِدٍ وَلَانَقُوْمُ مِنَ الْحَلَقَةِ إِلَّا لِحَاجَةٍ لَابُدَّ مِنْهَا۔

اَلْاٰدَابُ الْبَاطِنِيَّةُ

نَجْلِسُ بِالتَّعْظِيْمِ وَالْإِحْتِرَامِ لِكَلَامِ اللّٰهِ وَكَلَامِ رَسُوْلِهِ ﷺ وَنَجْلِسُ

(١) مقدمة الاحاديث المنتخبة

بِالتَّصْدِيْقِ وَالْيَقِيْنِ عَلٰى أَنَّ مَا أَخْبَرَبِهِ اللّٰهُ تَعَالىٰ حَقٌّ وَمَا أَخْبَرَبِهِ رَسُوْلُهُ حَقٌّ وَنَسْتَحْضِرُ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ أَوِالسِّمَاعِ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يُخَاطِبُنَا إِذَا كَانَ الْقُرْاٰنُ أَوِالْحَدِيْثُ الْقُدُسِيُّ، وَالرَّسُوْلُ ﷺ يُخَاطِبُنَا إِذَا كَانَ الْحَدِيْثُ لِأَنَّ الْقُلُوْبَ تَتَأَثَّرُ بِقَدْرِ شُعُوْرِنَا بِعَظْمَةِ الْقَائِلِ وَبِقَدْرِتَوَجُّهِنَا إِلٰى كَلَامِهِ وَنَجْلِسُ نَنْفِي نُفُوْسَنَا بِالْإِفْتِقَارِ مُتَّهِمِيْنَ لَهَا بِالْجَهْلِ، وَنَجْلِسُ بِحَيْثُ تَتَأَثَّرُقُلُوْبُنَا بِاٰيَاتِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَنَجْلِسُ بِنِيَّةِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالتَّبْلِيْغِ لَهُ مَعَ الْإِفْتِقَارِإِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى۔

آدَابُ الْبَيَان

يَقُوْلُ الشَّيْخُ سَعِيْدُ أَحْمَد رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ فِي بَابِ آدَابِ الْبَيَانِ اَلْمَسْئُوْلُ عَنِ الْبَيَانِ لَابُدَّ أَنْ يَقُوْمَ بَعْدَ الرَّكْعَتَيْنِ الرَّاتِبَةِ أَمَامَ النَّاسِ، وَلَا يَنْتَظِرُأَنْ يُخْبِرَهُ أَحَدٌبِأَنْ يَقُوْمَ، وَالْبَيَانُ بِالْقِيَامِ أَفْضَلُ، وَالْجُلُوْسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ لِلْعُذْرِ، فَإِذَا قَامَ لَايَقُوْمُ مِثْلَ أَهْلِ السِّيَاسَةِ وَلَا يَضَعُ يَدَيْهِ عَلٰى صَدْرِهِ وَلَاخَلْفَ ظَهْرِهِ، بَلْ يَتْرُكُهَا عَلٰى حَالِهَا سُبُلَةً وَلَايَسْتَعْمِلُ الْحَرَكَاتِ الَّتِي تُثِيْرُإِشمِئْزَازَالنَّاسِ مِثْلَ الْعَبَثِ فِي الْأَنْفِ وَيَقِفُ بِالْوَقَارِ، وَلَايُبَيِّنُ بِغَضِّ الْبَصَرِبَلْ يَنْظُرُإِلَى الْجَمِيْعِ وَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ كَامِلَةً، صَوْتُه لَايَكُوْنُ ضَعِيْفًا وَلَاشَدِيْداً وَلٰكِنْ بَيْنَ ذٰلِكَ وَيُبَيِّنُ حَوْلَ الصِّفَاتِ، السِّتَّةِ عِنْدَ مَا يَبْدَأُ بِالْكَلَامِ لَايُبَيِّنُ دَائِمًا فَضَائِلَ الْمَجْلِسِ وَالصَّلٰوةِ بَلْ مُبَاشَرَةً يُبَيِّنُ مَقْصَدَهُ لِأَنَّ فِيْهِ تَضْيِيْعاً لِلْوَقْتِ عَلَى النَّاسِ نَبْدَأُ بِالْإِيْمَانِيَّاتِ وَالْمَغِيْبَاتِ الْيَقِيْنِ عَلَى اللّٰهِ وَصِفَاتِهِ وَنُشَرِّحُ ذَلِكَ أَمَامَهُمْ (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) نُبَيِّنُ فَضَائِلَ الدِّيْنِ وَمَضَرَّةَ تَرْكِ الدِّيْنِ، وَيُبَيِّنُ فَنَاءَ الدُّنْيَا وَحَقَارَتَهَا

وَزَوَالَهَا وَأَحْوَالَ الْاٰخِرَةِ وَلَا نُبَيِّنُ الْأَحَادِيثَ الْمَوْضُوعَةَ وَلَاقِصَصَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصُّلَحَاءِ بَلْ نُبَيِّنُ دَائِمًا قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ، لِأَنَّ النَّاسَ لَايَخْتَلِفُوْنَ فِي أَخْبَارِهِمْ وَلَانَقْرَأُ الْاٰيَةَ وَالْحَدِيثَ إِذَالَمْ نَعْرِفْهَا بِالْكَامِلِ۔

وَعِنْدَ مَانَقُوْمُ لِلْبَيَانِ نُرَاقِبُ أَنْفُسَنَا، وَنَنْوِي هٰذَا الْعَمَلَ لِرَضَاءِ اللّٰهِ تَعَالٰى لَالِشَيْئٍ مِنْ أَشْيَاءِ الدُّنْيَاء، وَالنِّيَّةُ تَكُوْنُ لِهِدَايَةِ جَمِيعِ النَّاسِ ثُمَّ نَبْدَأُ وَلَايُكْثِرُ مِنَ الشَّعْرِ وَلَايَتَغَنّٰى مِثْلَ أَهْلِ الدُّنْيَاء، وَلَا نُبَيِّنُ عُيُوْبَ الْأُمَّةِ، وَلَايَغْضِبُ عَلَى النَّاسِ وَلَايُحَقِّرُ شُغْلَ النَّاسِ وَلَايُبَيِّنُ فِي الْمَسَائِلِ، وَلَايَنْتَقِدُ أَحَداً، وَلَايُبَيِّنُ الْأَحْوَالَ الْحَاضِرَةَ وَيَنْتَهِي الْمَجْلِسُ عَلَى التَّشْكِيْلِ۔

إِذَا يُوْجَدُ الْوَقْتُ يُبَيِّنُ الصِّفَاتِ السِّتَّ كُلَّهَا وَإِلَّا الْإِيْمَانَ وَالصَّلٰوةَ وَالتَّشْكِيْلَ وَيُبَيِّنُ بِنِيَّةِ الرَّحْمَةِ وَالشَّفْقَةِ عَلَى النَّاسِ قَبْلَ الْبَيَان تَسْبَقُهُ جَوْلَةٌ وَيَكُوْنُ الْمُبَيِّنُ عَلٰى هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، وَيُبَيِّنُ بِنِيَّةِ خُرُوْجِ النَّاسِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيُكْثِرُ مِنَ التَّرْغِيْبِ، وَلَايَخْرُجُ عَنِ السِّتِّ الصِّفَاتِ وَيَبْدَأُ بِحَمْدِ اللّٰهِ وَالصَّلٰوةِ عَلٰى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُبَيِّنُ يَفْتَقِرُإِلَى اللّٰهِ وَلَايُوَبِّخُ النَّاسَ وَيَتَكَلَّمُ كَمِثْلِ الصَّغِيْرِ أَمَامَ الْكَبِيْرِ، لَايَتَحَرَّكُ أَثْنَاءَ الْبَيَان بَلْ يَثْبُتُ أَثْنَاءَ التَّشْكِيْلِ يَطْلُبُ طَلَبَاتٍ عَلٰى مِثْلِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍوَيَنْزِلُ حَسْبَ إِسْتِعْدَادِهِمْ وَيُحَمِّلُ النَّاسَ عَلَى الْمَسْئُوْلِيَّةِ۔

كَيْفَ يَكُوْنُ التَّعَارُفُ فِي الظُّهْرِ

عِنْدَ مَايَقُوْمُ مِنَّا أَحَدٌ لِيُبَيِّنَ أَمَامَ النَّاسِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَيُفَهِّمُ النَّاسَ مَقْصَدَ مَجِيْئِنَا وَأَهَمِّيَّةَ الدِّيْنِ وَكَيْفَ يَقُوْمُ الدِّيْنُ فِيْنَا وَفِي النَّاسِ جَمِيْعاً

ثُمَّ يَتَشَاوَرُ مِنْ أَهْلِ الْمَسْجِدِ كَيْفَ يَقُوْمُ الدِّيْنُ فِي هٰذَا الْحَيِّ، حَتّٰى يَنْتَشِرَ الدِّيْنُ فِي الْعَالَمِ۔

قَالَ الشَّيْخُ إِلْيَاسُ رَحِمَهُ اللّٰهِ إِذَا يَحْتَرِقُ بَيْتُ جَارِنَا وَفِيْهِ أَوْلَادُهٗ فَهَلْ نَحْنُ نَنْظُرُإِلَيْهِ أَوْنَقُوْمُ وَنُطْفِئُ هٰذِهِ النَّارَ–هٰكَذَا الدِّيْنُ النَّاسُ لَايُصَلُّوْنَ وَلَايَمْشُوْنَ عَلٰى طَرِيْقِ النَّبِيِّ ﷺ هُم يَدخُلُوْنَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَلَا بُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَحْفَظَهُمْ مِنْ هٰذَا الْأَذٰى لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّ الدِّيْنَ النَّصِيْحَةُ إِنَّ الدِّيْنَ النَّصِيْحَةُ، إِنَّ الدِّيْنَ النَّصِيْحَةُ قَالُوْا لِمَنْ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ؟ قَالَ لِلّٰهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعَامَّتِهِمْ۔(رواهُ النسائى)(١)

آدَابُ بَيَانِ النِّسَاءِ

اَلْأَفْضَلُ أَنْ يُعَيَّنَ لِبَيَانٍ فِي النِّسَاءِ رَجُلٌ مُتَدَيِّنٌ وَمُتَزَوِّجٌ وَمِنْ أَهْلِ التَّقْوٰى ، وَلَا بُدَّمِنْ وُجُوْدِ حِجَابٍ كَامِلٍ، وَلَا يَذْهَبُ الْمُبَيِّنُ وَحْدَهٗ بَلْ لَابُدَّ مِنْ إِثْنَيْنِ أَوْثَلٰثَةٍ وَلَا يَتَغَنّٰى فِي النِّساءِ وَلَايُنْشِدُ الشَّعْرَ، وَيَتَكَلَّمُ فِي أَحْوَالِ الْاٰخِرَةِ وَهٰذِهِ طَرِيْقَةُ الرَّسُوْلِ ﷺ وَلَايُحَقِّرُ لِبَاسَهُنَّ وَلَاعَادَاتِهِنَّ، الْبَيَانُ يَكُوْنُ وَاضِحاً حَوْلَ الصِّفَاتِ يُرَغِّبُهُنَّ لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَالصَّلٰوةِ وَالذِّكْرِوَ الْقُرْآنِ وَالْحَلْقَةِ فِي الْبَيْتِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ وَأَدَاءِ الْحُقُوْقِ لِذَوِى الْحُقُوْقِ لَاسِيِّمَا الْأَقَارِبَ وَالْجِيْرَانَ، وَتَرْبَوِيَّةَ الْأَوْلَادِ، وَمُعَاوَنَةَ الرِّجَالِ لِلدِّيْنِ وَيُشَكِّلُ فِيْهِنَّ لِأَوْلَادِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ وَاٰبَاءِ هِنَّ وَإِخْوَانِهِنَّ، وَهٰكَذَا يَكُوْنُ التَّشْكِيْلُ لِأَنْفُسِهِنَّ لِلْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ مَعَ الْمَحَارِمِ، وَهٰكَذَا نُرَغِّبُهُنَّ أَنْ يُشَكِّلْنَ لِحَلْقَةِ التَّعْلِيْمِ فِى الْبُيُوْتِ۔

وَلَايَكُوْنُ فِي الْبَيَانِ تَذْكِرَةُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ وَلَايَهْتَمُّ فِي الْبَيَانِ بِبُكَاءٍ

(١) رواه النسائي عن ابي هريرةؓ برقم : الحديث ٣٧٦٩ والطبراني في الكبير برقم : ١٢٦٤

بِأَنْ يُبَيِّنَ بَيَاناً مُخَوِّفاً بَلْ يَكُوْنُ فِي الْبَيَانِ التَّرْغِيْبُ ـ

هِدَايَاتٌ لِلنِّسَاءِ

١–الْمُحَافَظَةُ عَلٰى حَلَقَةِ تَعْلِيْمِ الْمَنْزِلِ مَعَ الْأَوْلَادِ وَالْمَحَارِمِ مِنْ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَالْأَحَادِيْثِ الْمُنْتَخَبَةِ وَرِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ مَعَ مُذَاكَرَةِ الصِّفَاتِ ـ

٢–تَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ عَلَى الْيَقِيْنِ وَالْفَضَائِلِ وَحُبِّ الدِّيْنِ وَالسُّنَّةِ وَحِفْظِ الْقُرْاٰنِ وَتَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلٰوةِ ـ

٣–اِتِّبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَمِيْعِ الْأَعْمَالِ ـ

٤–تَقْدِيْمُ طَلَبَاتِ الدِّيْنِ عَلٰى طَلَبَاتِ الدُّنْيَا مِثْلَ الصَّلٰوةِ عَلٰى وَقْتِهَا وَالْأَذْكَارِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالْقُرْاٰنِ ـ

٥–تَقْلِيْلُ الْإِنْشِغَالِ بِأَعْمَالِ الْبَيْتِ وَقَضَاءُ مُعْظَمِ الْوَقْتِ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيْمِ وَالْعِبَادَاتِ وَالذِّكْرِ وَالْخِدْمَةِ ـ

٦–تَكْوِيْنُ بِيْئَةِ الدِّيْنِ وَالْإِيْمَانِ فِي الْبَيْتِ، وَإِشْغَالُ كُلِّ مَنْ يَّدْخُلُ عِنْدَنَا بِفِكْرِ الدِّيْنِ وَالدَّعْوَةِ ـ

٧–أَنْ تَكُوْنَ نِيَّتُنَا فِيْ تَرْبِيَةِ أَوْلَادِنَا أَنْ يَكُوْنُوْ دُعَاةً إِلَى اللّٰهِ مُجْتَهِدِيْنَ مُضَحِّيْنَ لِلدِّيْنِ عُلَمَاءَ حُفَّاظاً لِلْقُرْاٰنِ ـ

٨–الدَّعْوَةُ الْإِنْفِرَادِيَّةُ مَعَ الْمَحَارِمِ وَالزَّائِرَاتِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا وَظِيْفَةٌ أَسَاسِيَّةٌ لِكُلِّ الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ ـ

٩–تَحْوِيْلُ مَعِيْشَتِنَا الدُّنْيَوِيَّةِ إِلَى الْبَسَاطَةِ وَالزُّهْدِ لِكَیْ نَتَفَرَّغَ لِجُهْدِ الدِّيْنِ ـ

١٠–الشُّوْرٰى الْمَنْزِلِيَّةُ فِي كُلِّ الْأَعْمَالِ، وَلِفِكْرِ الْعَالَمِ ـ

١١–دَعْوَةُ الْمَحَارِمِ وَالزَّائِرَاتِ لِلْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ ـ

اَلْجَوْلَةُ وَالزِّيَارَةُ الْخُصُوْصِيَّةُ

الْجَوْلَةُ هِى سُنَّةُ جَمِيْعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ، مَامِنْ نَبِيٍّ بُعِثَ إِلٰى قَوْمِهٖ إِلَّاتَجَوَّلَ فِي قَوْمِهٖ، وَهٰذِهِ السُّنَّةُ مَاتَبَدَّلَتْ حَتّٰى مَعَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ ﷺ ـ

تَجَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِ مَكَّةَ لَيْلاً وَنَهَارًا، وَيَقُوْلُ أَيُّهَا النَّاسُ قُوْلُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ تُفْلِحُوْا، وَدَلِيْلُهُ أَبُوْبَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رضي الله عنه وَهُوَيَعْرِفُ نَسَبَ الْقَبَائِلِ فَيَدُلُّهُ، هٰكَذَا فِي الْأَسْوَاقِ عُكَاظَ، ذُوالْمَجَنَّةِ، وَذُوالْمَجَازِ وَكَذٰلِكَ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ يَعْرِضُ نَفْسَهُ لِلْقَبَائِلِ وَيَقُوْلُ، مَنْ يَنْصُرُنِي مَنْ يَأْوِيْنِي حَتّٰى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ـ(١)

وَلَمَّا أَشْتَدَّ عَلَيْهِ عِنَادُهُمْ وَإِصْرَارُهُمْ وَعَدَمُ اسْتِجَابَتِهِمْ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يَدْعُوْ خَارِجَ مَكَّةَ فَخَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ وَمَعَهٗ زَيْدُ بْنُ الْحَارِثَةِ وَمَشٰى بِالْأَقْدَامِ مَسَافَةَ بِضْعاً وَثَمَانِيْنَ كِلُوامِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ فِي حَرِّالشَّمْسِ عَلٰى أَرْضٍ صُلْبَةٍ فَعِنْدَ مَاوَصَلَ إِلٰى مَشَارِفِ الطَّائِفِ فَالْتَقٰى بِثَلٰثَةٍ مِنْ سَادَاتِهَا وَدَعَاهُمْ فَهُمْ خَالَفُوْهُ وَسَلَّطُوْا عَلَيْهِ الْأَطْفَالَ لِيَضْرِبُوْهُ فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتّٰى أَدْمَوْهُ ـ

أَهَمِّيَّةُ الْجَوْلَةِ

قَالَ الشَّيْخُ يُوْسُفُ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ الْجَوْلَةُ هِىَ مِثْلُ الْعَمُوْدِ الْفَقْرِي لِلْإِنْسَانِ بِدُوْنِ هٰذَا الْعَمُوْدِ لَا يَسْتَطِيْعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَحَرَّكَ هٰكَذَا

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم الحديث: ١٦٩٩٧

بِدُوْنِ الْجَوْلَةِ لَايَقُوْمُ الدِّيْنُ، لَايَنْتَشِرُ وَلَاتَأْتِي الْقُوَّةُ فِي الدِّيْنِ، وَكَذٰلِكَ بِدُوْنِ هٰذَا الْعَمَلِ لَايَكْمُلُ الْإِيْمَانُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّٰى يُحِبَّ لِأَخِيْهِ مَايُحِبَّ لِنَفْسِهِ۔(١)

مَثَلاً إِذَا أَحَدٌ عِنْدَهٗ إِبْنٌ وَهُوَبَعِيْدٌ عَنْهُ فَهُوَ يَذْهَبُ إِلَيْهِ بِسَبَبِ حُبِّهٖ إِيَّاهُ وَيُفَهِّمُهٗ الْمَقْصَدَ وَيَنْصَحُهٗ نَصِيْحَةَ الْمُشْفِقِ–هٰكَذَا الْمُؤْمِنُ إِذَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ الْجَنَّةَ وَالْهِدَايَةَ لَابُدَّلَهٗ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيْهِ الْمُسْلِمِ أَيْضاً۔

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (بَلِّغُوْا عَنِّي وَلَوْآيَةً) (٢)

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ (فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ) (٣)

مَقْصَدُ الْجَوْلَةِ

مَقْصَدُ الْجَوْلَةِ أَنْ يَأْتِيَ الدِّيْنُ فِي حَيٰوتِنَا وَفِي حَيٰوةِ أَهْلِ الْحَيِ حَتّٰى يَنْتَشِرَفِي الْعَالَمِ، فَلَابُدَّ أَنْ نَتَفَكَّرَ كَيْفَ تَصِلُ الدَّعْوَةُ إِلٰى جَمِيْعِ الرِّجَالِ الْبَالِغِيْنَ فِي الْحَيِّ حَتّٰى يَقُوْمُوْا بِالدِّيْنِ وَتَقُوْمُ الصَّلٰوةُ مِائَةً فِي الْمِائَةِ وَتَكُوْنُ الْبِيْئَةُ صَالِحَةً۔

كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عِنْدَ إِرْسَالِهِمْ بَدَأُوْابِالْجَوْلَةِ۔

يَقُوْلُ الشَّيْخُ إِلْيَاسُ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى أَنَا أُرِيْدُ مِنْ هٰذَا الْعَمَلِ كَيْفَ هٰذِهِ الْأُمَّةُ تُرْسِلُ الْجَمَاعَاتِ إِلٰى أَنْحَاءِ الْعَالَمِ مِنَ الْقَرْيَةِ إِلَى الْقَرْيَةِ وَمِنْ مَدِيْنَةٍ إِلٰى مَدِيْنَةٍ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلٰى دَوْلَةٍ حَتّٰى نُؤَدِّي سُنَّةَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَقُوْمُ الدِّيْنُ فِي الْعَالَمِ، وَيَبْدَأُ فِيْنَا الْفِكْرُ وَالْهَمُّ۔

(١) اخرجه البخاري في كتاب الايمان برقم : ١٣ والترمذي برقم الحديث: ٢٥١٥

(٢) اخرجه البخاري برقم : ٣٢٧٤ والترمذي برقم الحديث : ٢٦٦٩

(٣) اخرجه البخاري برقم : ٤٤٧٨ ومسلم برقم : ٤٤٧٨ والبيهقي في سنن الكبرى برقم ١٣٧٥٦

آدَابُ الْجَوْلَةِ

وَمِنْ آدَابِ الْجَوْلَةِ مَانَسْمَعُ مِرَاراً أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ مُرَاعِيْنَ لِنِيَّةِ الْخُرُوْجِ وَنَمْشِي يَمِيْنَ الطَّرِيْقِ مَعَ غَضِّ الْبَصَرِ عَنِ الْحَرَامِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهٗ حَرَامٌ، وَمِنَ الْحَلَالِ حَتّٰى لَايُشْغِلَنَا عَنْ مَقْصَدِنَا، وَنَذْكُرُ اللّٰهَ تَعَالٰى وَلَا نَمْشِي بِالْغَفْلَةِ لِأَنَّ الْغَافِلَ لَايَاتِي بِالْغَافِلِ قَالَ تَعَالٰى۔﴿وَلَاتَنِيَافِيْ ذِكْرِي﴾ (طه٤٢)

وَمِنْ أَهَمِّ آدَابِهَا أَنْ نَخْرُجَ بِنِيَّةِ الشَّفْقَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَاللِّيْنِ وَالتَّوَدُّدِ وَلَيْسَ بِنِيَّةِ الْغَضَبِ وَالتَّحْقِيْرِ بَلْ بِالْحُزْنِ وَالْفِكْرِ، يَكُوْنُ هَمُّنَا كَيْفَ النَّاسُ يَدْخُلُوْنَ فِي رَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى، نَنْوِىْ جَمِيْعَ النَّاسِ أَنْ يَهْتَدُوْا إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ۔

وَعِنْدَ بِدَايَةِ هٰذَا الْعَمَلِ نَدْعُوْا اللّٰهَ سُبْحَانَهٗ وَتَعَالٰى أَنْ يَنْصُرَنَا وَيُعِيْنَنَا فِي كُلِّ خُطْوَةٍ لِأَنَّنَا ضُعَفَاءُ نَذْهَبُ بِالْإِيْمَانِ الضَّعِيْفِ لِنَدْعُوَالنَّاسَ بِالْإِيْمَانِ الْقَوِيِّ فَنَحْتَاجُ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ إِلٰى نُصْرَتِهٖ، وَنَرْجِعُ بِالْاِسْتِغْفَارِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيْرِ۔

تَرْتِيْبُ الْجَوْلَةِ

الْجَوْلَةُ بِأَرْبَعَةِ أَعْمَالٍ، ثَلٰثَةٌ مِنْهَا فِي الْمَسْجِدِ وَوَاحِدٌ مِنْهَا خَارِجَ الْمَسْجِدِ۔

الْعَمَلُ الْأَوَّلُ تَكُوْنُ مُذَاكَرَةُ الْإِيْمَانِ فِي الْمَسْجِدِ، يُسَمّٰي كَلَامَ الْجُلُوْسِ وَالثَّانِي وَاحِدٌ مِنَّا يَقُوْمُ فِي الذِّكْرِوَ الدُّعَاءِ مُتَوَجِّهاً إِلَي اللّٰهِ

تَعَالٰى وَالثَّالِثُ وَاحِدٌمِنَّا يَقُوْمُ عِنْدَالْبَابِ لِيَسْتَقْبِلَ النَّاسَ، وَالرَّابِعُ خَارِجَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ أَنْ تُكَوَّنَ الْجَمَاعَةُ الَّتِي تَتَجَوَّلُ فِى الْحَيِّ أَقَلُّهَا ثَلٰثَةُ أَفْرَادٍ، وَأَكْثَرُهَا عَشَرَةُ أَفْرَادٍ، وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَكُوْنُ الدَّلِيْلُ وَوَاحِدٌ مُتَكَلِّمٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَمِيْرٌ، لَهُمْ وَظَائِفُ مُخْتَلِفَةٌ۔

الدَّلِيْلُ وَوَظِيْفَتُهُ

الدَّلِيْلُ يُوَجِّهُ النَّاسَ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ، وَالْأَفْضَلُ أَنْ يَكُوْنَ مِنْ أَهْلِ الْحَيِّ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ النَّاسَ وَتَزُوْلُ الْوَحْشَةُ فَهُوَ صِلَةٌ بَيْنَ أَهْلِ الْحَيِّ وَالْجَمَاعَةِ، فَيُنَادِي النَّاسَ بِأَحْسَنِ أَسْمَاءٍ يُسَمُّوْنَهَا وَيَقُوْلُ إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّيْنِ جَاؤُوا عِنْدَكُمْ لِفَوْزِكُمْ وَفَلَاحِكُمْ كَيْفَ اللّٰهُ يُعِزُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَيَنْصُرُكُمْ، لَايُرِيْدُوْنَ شَيْأً مِنْكُمْ، فَقَطْ تَسْمَعُوْنَ كَلَامَهُمْ فَلَا يُعَرِّفُ الْمَخْلُوْقَ بَلْ يُعَرِّفُ الْخَالِقَ، وَالدَّلِيْلُ كَالْعَيْنِ فِي الْجَمَاعَةِ۔

الْمُتَكَلِّمُ وَوَظِيْفَتُهُ

الْمُتَكَلِّمُ كَاللِّسَانِ فِي الْجَمَاعَةِ يُبَيِّنُ مَقْصَدَ الزِّيَارَةِ وَأَهَمِّيَةَ الْإِيْمَانِ وَعَظْمَتَهُ وَأَنَّ هٰذَا الْإِيْمَانَ الَّذِي فِي قُلُوْبِنَا مَا أَغْلَاهُ وَمَا أَنْفَعُهُ فَكَيْفَ يَزِيْدُ إِيْمَانُنَا وَيَقِيْنُنَا، وَيُرَغِّبُ إِلَى الْاٰخِرَةِ، وَأَحْيَانًا بِحَسْبِ الْأَحْوَالِ يُرَغِّبُ إِلَى الصَّلٰوةِ وَأَهَمِّيَّتِهَا، فَلَا يُطِيْلُ الْكَلَامَ مِثْلَ الْبَيَانِ وَلَايُجِيْزُهُ مِثْلَ الْإِعْلَانِ، وَإِذَا كَانَ جَدِيْدٌ لَايَعْرِفُ فَهٰذِهِ الْجُمْلَةُ تَكْفِي كَمَا قَالَ الشَّيْخُ إِلْيَاسُ رَحِمَهُ اللّٰهُ فَلَاحُنَا وَنجاحُنَا فِي إِمْتِثَالِ أَوَامِرِاللّٰهِ عَلٰى طَرِيْقِ النَّبِيِّ ﷺبِالْعَظْمَةِ وَالْحِكْمَةِ، وَيُرْسِلُهُمْ نَقْداً إِلَى الْمَسْجِدِ، وَيَتَكَلَّمُ مَعَهُمْ بِاللِّيْنِ وَالشَّفْقَةِ ، وَلَايُحَقِّرُ أَعْمَالَهُمْ، وَأَشْغَالَهُمْ۔

الْأَمِيْرُ وَوَظِيْفَتُهُ

الْأَمِيْرُ كَالرَّاسِ فِي الْجَمَاعَةِ فَهُوَ يَحْفَظُ وَقْتَ الْجَمَاعَةِ وَإِذَا رَأٰى فِي الْجَمَاعَةِ الْغَفْلَةَ فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالذِّكْرِفَيُذَكِّرُهُمْ بِذِكْرِاللّٰهِ دَائِمًا يَكُوْنُ الْأَمِيْرُ مُتَفَكِّرًا مِثْلَ رَاعِي الْغَنَمِ إِذَا جَاءَ الذِّئْبُ، فَهُوَ يَنْظُرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتّٰى يَدْفَعَهُ هٰكَذَا الْأَمِيْرُ، وَيَرْجِعُ مَعَ الْجَمَاعَةِ قَبْلَ الْأَذَانِ وَيُلَقِّنُ عِنْدَ الرُّجُوْعِ بِالْإِسْتِغْفَارِ ۔

أَنْوَاعُ الْجَوْلَةِ

الْجَوْلَةُ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ

١ –الْجَوْلَةُ الْعُمُوْمِيَّةُ وَهِىَ الَّتِىْ سَبَقَ ذِكْرُهَا آنِفاً۔

٢ –الْجَوْلَةُ الْخُصُوْصِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي ذِكْرُهَا فِي آخِرِ هٰذَا الْبَابِ۔

٣ –الْجَوْلَةُ التَّعْلِيْمِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي تَكُوْنُ عِنْدَ حَلَقَةِ التَّعْلِيْمِ۔

٤ –الْجَوْلَةُ التَّشْكِيْلِيَّةُ وَهِى الَّتِي تَكُوْنُ لِتَشْكِيْلِ النَّاسِ لِلْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ۔

٥ –الْجَوْلَةُ التَّحْصِيْلِيَّةُ وَهِى الَّتِي تَكُوْنُ لِتَحْصِيْلِ الَّذِيْنَ شُكِّلُوا لِلْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ۔

آدَابُ الزِّيَارَاتِ الْخُصُوْصِيَّةِ

الزِّيَارَاتُ الْخُصُوْصِيَّةُ هِىَ مَاعَدَاالْجَوْلَةِ لِأَنَّهَا زِيَارَةٌ عُمُوْمِيَّةٌ فَلَا بُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ الْمِزَاجَ وَالْوَقْتَ وَالْأَحْوَالَ وَأُسْلُوْبَ الْكَلَامِ۔

الْخَوَاصُّ ثَلٰثَةٌ:– (١) خَوَاصٌّ بِنِسْبَةِ الدِّيْنِ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ وَالْمَشَائِخُ

نَذْهَبُ عِنْدَهُمْ لِلْإِسْتِفَادَةِ وَبِنِيَّةِ طَلَبِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ لَالِلتَّشْكِيْلِ، وَلٰكِنَّ الْعُلَمَاءَ الصِّغَارَ لَاحَرَجَ مِنْ تَشْكِيْلِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوِالْقُدَمَاءِ۔

(٢) خَوَاصٌّ بِنِسْبَةِ الدُّنْيَا مِثْلَ أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَأَهْلِ الْمَنَاصِبِ۔

(٣) وَخَوَاصٌّ بِنِسْبَةِ الدَّعْوَةِ وَهُمْ عَلٰى قِسْمَيْنِ۔

(١) بَرَدُوْا وَتَرَكُوْا الدَعْوَةَ فَهٰؤُلَاءِ نَذْهَبُ إِلَيْهِمْ لِلسَّلَامِ وَالدُّعَاءِ لَالِلتَّشْكِيْلِ وَحَسْبَ الْأَحْوَالِ إِنْ كَانَ مُنَاسِباً نُشَكِّلُ وَإِلَّافَلَا۔

(٢) الْمُجْتَهِدِيْنَ نُرَغِّبُهُمْ وَنُشَوِّقُهُمْ، وَأَهْلُ الْمَنَاصِبِ لَانُحَقِّرُ أَعْمَالَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ وَلَوْهُمْ يَغْضَبُوْنَ فَعَلَيْنَاأَنْ نَذْهَبَ إِلَيْهِمْ بِنِيَّةِ الرَّحْمَةِ وَلَانَتَأَثَّرُمِنْ أَشْيَاءِ هِمْ وَلَانَتَكَلَّمُ فِي أَشْيَاءِ هِمْ۔(١)

☆☆☆☆☆
☆☆☆☆
☆☆☆
☆☆
☆

(١) من كلام الشيخ سعيد احمدرحمه الله)

الْبَابُ التَّاسِعُ مَايَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ لِلدُّعَاةِ وَالْمُبَلِّغِيْنَ

لَابُدَّ عَلَيْنَا أَنْ نُرَاعِيَ الْاٰدَابَ فِي كُلِّ عَمَلٍ لِيَكُوْنَ الْعَمَلُ غَالِياً وَثَمِيْناً عِنْدَاللّٰهِ وَنَتَحَصَّلُ عَلٰى نُوْرِهٖ، وَمَامِنْ عَمَلٍ إِلَّابَيَّنَ الرَّسُوْلُ ﷺ آدَابَهَا وَسُنَنَهَا حَتَّى الْبَوْلِ وَالْغَائِطِ وَالْبُزَاقِ، فَنُرَاعِي آدَابَهَا۔

مَنْ قَامَ بِالدَّعْوَةِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَلِّيَ نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ حَسَنَةٍ كَيْ يَكُوْنَ فِي دَعْوَتِهٖ تَاثِيْرًا لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ حِيْنَمَا يتَكَلَّمُ لَا يَتَأَثَّرُ الْمُخَاطَبُ بِمُجَرَّدِ كَلَامِهٖ وَلَوْكَانَ فَصِيْحاً بَلِيْغًا وَإِنَّمَا يَتَأَثَّرُ الْمُخَاطَبُ بِصِفَاتِهِ الْحَمِيْدَةِ الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا كَلَامُهُ فَلَا بُدَّ لِلدَّاعِي أَنْ يَتَحَلّٰى بِصِفَاتِ الدُّعَاةِ الَّذِيْنَ مَضَوا مِنْ قَبْلُ، مِنْهَا۔

الْيَقِيْنُ بِاللّٰهِ

الدَّاعِي يَحْتَاجُ إِلَى الْيَقِيْنِ لِأَنَّهُ هُوَ يَدْعُوالنَّاسَ إِلَى الْيَقِيْنِ لِأَنَّ دَعْوَتَهُ إِلى الْمَغِيْبَاتِ وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِالْيَقِيْنِ فَإِذاً لَايَتَحَصَّلُ عَلَى الْيَقِيْنِ فَكَيْفَ يَتَعَلَّمُ النَّاسُ مِنْهُ الْيَقِيْنَ لِأَنَّ فَاقِدَ الشَّيْئِ لَايُعْطِيْهِ، فَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ كَانَ اللّٰهُ يَمْلَأُ قُلُوْبَهُمْ إِيْمَانًا وَيَقِيْنًا قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُمْ وَيُرَبِّيْهِمْ بِنَفْسِهٖ۔

وَبِقَدْرِالْيَقِيْنِ تَكُوْنُ الْقُوَّةُ فِي الدَّعْوَةِ وَعَدَمُ التَّأَثُّرِ بِالْمَدْعُوِّ كَالصَّحَابَةِ كَانَ عِنْدَهُمُ الْيَقِيْنُ عَلَى اللّٰهِ وَالْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِهِمْ مِثْلَ

الْجِبَالِ وَبِهٰذَا الْيَقِيْنِ كَانُوا يَقِفُوْنَ أَمَامَ الْمُلُوْكِ وَالْجَبَابِرَةِ وَلَايَتَأَثَّرُوْنَ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَلَايَخَافُوْنَ بَطْشَهُمْ وَيَظْهَرُلَنَا هٰذَا جَلِيًّا فِي قِصَّةِ رِبْعِي ابْنِ عَامِرؓ حِيْنَمَا بُعِثَ إِلٰى كِسْرٰى مَلِكِ فَارِسٍ وَقَالَ لَهُ كِسْرٰى، مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَجَابَ الرِّبْعِيؓ فِي ثَبَاتٍ وَيَقِيْنٍ اللّٰهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلٰى عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ ضَيْقِ الدُّنْيَا إِلٰى سَعَتِهَا وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلٰى عَدْلِ الْإِسْلَامِ (١) فَكَلَامُ رِبْعِيؓ كَانَ مَمْلُوئاً بِالْيَقِيْنِ حَتّٰى أَنَّ وُزَرَاءَ كِسْرٰى حِيْنَمَا قَالُوا لِكِسْرٰى، اُنْظُرْيَا مَلِكُ إِلٰى رَثَاثَةِ ثِيَابِهِ، قَالَ أَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ إِلٰى رَثَاثَةِ ثِيَابِهِ وَلَاتَنْظُرُوْنَ إِلٰى قُوَّةِ كَلَامِهِ فَالْعَرَبُ لَايَهْتَمُّوْنَ لِبَاسَهُمْ– فَبِقُوَّةِ يَقِيْنِهِ تَأَثَّرَ كِسْرٰى۔

فَلَا جُلِ هٰذَا الدَّاعِي يَحْتَاجُ إِلٰى قُوَّةِ الْيَقِيْنِ، وَبِقَدْرِ يَقِيْنِهِ يُؤَثِّرُ كَلَامُهُ قُلُوْبَ النَّاسِ فَالدَّاعِي يَتَيَقَّنُ أَنَّهُ مَبْعُوْثٌ مِنْ قِبَلِ اللّٰهِ وَقُوَّةُ الْمَبْعُوْثِ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ ۔

وَلِهٰذَا يَقُوْلُ الشَّيْخُ إِلْيَاسُ رَحِمَهُ اللّٰه تعالى مَنْ لَمْ يَتَيَقَّنْ عَلٰى نُصْرَةِ اللّٰهِ فِي هٰذَا الطَّرِيْقِ فَهُوَ فَاسِقٌ فَتَفَكَّرُوْا كَيْفَ عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ الْإِيْمَانَ وَالْيَقِيْنَ؟ وَكَيْفَ رَبَّاهُمْ ؟

عَنْ جَابِرِبْنِ عَبْدِ اللّٰهِؓ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ غَزَامَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ قِبَلَ نَجدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (أَيْ رَجَعَ مِنَ الْغَزْوَةِ) قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍكَثِيْرِ الْعُضَاةِ فَنَزَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّوْنَ بِالشَّجَرِ، فَنَزَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ

(١) حياة الصحابة ١/ ٢٣٨ وتاريخ طبرى٣/٣٤

وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَدْعُوْنَا وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ إِنَّ هٰذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَانَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَفِي يَدِهِ صَلْتاً فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّى؟ فَقُلْتُ اللّٰهُ! ثَلٰثاً وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ۔(رواهُ البخارى) (١)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍؓ قَالَ كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ يَا غُلَامُ! إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللّٰهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللّٰهَ تَجِدْهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللّٰهِ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّٰهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَواجْتَمَعَتْ عَلٰى أَنْ يَنْفَعُوْكَ بِشَيْئٍي لَمْ يَنْفَعُوْكَ إِلَّابِشَيْئٍي قَدْ كَتَبَهُ اللّٰهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوْا عَلٰى أَنْ يَضُرُّوْكَ بِشَيْئٍي لَمْ يَضُرُّوْكَ إِلَّابِشَيْئٍي قَدْ كَتَبَهُ اللّٰهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجُفَّتِ الصُّحُفُ ۔(رواه الترمذى) (٢)

الْإِخْلَاصُ

لَابُدَّ لِلدَّاعِي أَنْ يَكُوْنَ مُخْلِصًا فِي عَمَلِهِ لِأَنَّ الْإِخْلَاصَ رُوْحُ كُلِّ عَمَلٍ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِخْلَاصُ مِنَ الْعَمَلِ لَايُقْبَلُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ عَظِيْماً وَلِذَا قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ إِلٰى أَيِّ عَمَلٍ لَابُدَّلَهُ مِنْ أَنْ يَسْتَحْضِرَ هٰذَا الْعَمَلَ لِلّٰهِ، وَلَايُرِيْدُ الشُّهْرَةَ وَلَا السُّمْعَةَ وَلَاغَرَضَ وَلَا عَرَضَ لِأَنَّ الرِّيَاءَ يَهْبِطُ الْعَمَلَ، وَالْإِخْلَاصُ مِنْ صِفَةِ الْإِيْمَانِ وَالرِّيَاءُ مِنْ صِفَةِ الْمُنَافِقِيْنَ قَالَ تَعَالٰى (**يُرَآئُوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ إِلَّا قَلِيْلًا**) (النساء١٤٢)

وَلِهٰذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخَافُ عَلٰى أُمَّتِهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَالشِّرْكِ وَقَدْ حَذَّرَهُمْ مِنْهُ كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ إِنَّ أُنَاساً مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُوْنَ فِي الدِّيْنِ وَيَقْرَأُوْنَ الْقُرْاٰنَ وَيَقُوْلُوْنَ نَأْتِي الْأُمَرَاءَ فَنُصِيْبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِيْنِنَا وَلَايَكُوْنُ ذٰلِكَ كَمَا لَايَجْتَنِي مِنَ الْقَتَادِ

(١) رواه البخاري برقم : ٢٩١٠ ومسلم برقم : ٦٠٩٠ عن جابر بن عبد اللّٰهؓ

(٢) رواه الترمذي برقم : ٢٥١٦ واحمد في سنده برقم : ٢٦٦٩ عن عبد الله بن عباسؓ

إِلَّاالشَّوْكَ كَذٰلِكَ لَايُجْتَنِي مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّاقَالَ مُحَمَّدُبْنُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ يَعْنِي الْخَطَايَا۔ رواهُ ابن ماجه (١)

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ يَقُوْلُ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَخْرُجُ فِي آخِرِالزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتَلُّوْنَ الدُّنْيَا بِالدِّيْنِ يَلْبَسُوْنَ لِلنَّاسِ جُلُوْدَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّيْنِ أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلٰى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوْبُهُمْ قُلُوْبُ الذِّئَابِ، يَقُوْلُ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ أَبِي يَغْتَرُّوْنَ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُوْنَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلٰى أُوْلٰئِكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيْمَ مِنْهُمْ حَيْرَاناً ۔(رواهُ الترمذى) (٢)

يَخْتَلُّوْنَ أَىْ يَطْلُبُوْنَ يَلْبَسُوْنَ لِلنَّاسِ جُلَوْدَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّيْنِ أَىْ أَنَّهُمْ يَلْبَسُوْنَ الْأَصْوَافَ لِيَظُنَّهُمُ النَّاسُ زُهَّاداً وَلِيَظْهَرُوا التَّوَاضُعَ فِى وُجُوْهِ النّاسِ، أَبِي يَغْتَرُّوْنَ أَىْ أَفَلَا يَخَافُوْنَ مِنْ سَخَطِي وَعِقَابِى—أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُوْنَ أَىْ عَلٰى مَخَافَتِي بِمَكْرِهِمُ النَّاسَ فِي إِظْهَارِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ۔ (مرقاة)

فَلَابُدَّ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي كُلِّ عَمَلٍ لِأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِىْ مَا ابْتُغِىَ فِيْهِ وَجْهُ اللّٰهِ فَهُوَ مَرْدُوْدٌ عَلٰى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِذَا جَمَعَ اللّٰهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ لِيَوْمٍ لَارَيْبَ فِيْهِ،نَادٰى مُنَادٍ مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلّٰهِ أَحداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِاللّٰهِ، فَإِنَّ اللّٰهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ۔ (رواهُ الترمذى) (٣)

فَالَّذِيْنَ يَقْصِدُوْنَ بِهٰذَا الْجُهْدِ الْأَغْرَاضَ الدُّنْيَوِيَّةَ فَالدِّيْنُ لَايَنْتَشِرُبِهِمْ بَلِ الدُّنْيَا تَنْتَشِرُوْهُمْ يَظُنُّوْنَ بِجُهْدِهِمْ يَنْتَشِرُ الدِّيْنُ كَمَا فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ خَرَجَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَاتَلَ بِالشُّجَاعَةِ حَتّٰى

(١) رواه ابن ماجة برقم ٢٥٥ والطبراني في الاوسط برقم : ٨٢٣٦عن ابن عباسؓ
(٢) رواه الترمذي برقم : ٢٤٠٤والسيوطي في جامع الاحاديث برقم: ٢٦٦٧٣
(٣) رواه الترمذي برقم : ٣١٥٤ والطبراني في الكبير برقم : ٧٧٨ عن ابي سعيد بن فضالةؓ

النَّاسَ فَهِمُوْا أَنَّ النُّصْرَةَ نَزَلَتْ مِنْ أَجَلِهِ وَاسْتُشْهِدَ الرَّجُلُ وَتَبَيَّنَ أَنَّ جُهْدَهٗ كَانَ لِلدُّنْيَا فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ هُوَ فِي النَّارِ فَنَسْأَلُ اللّٰهَ تَعَالٰى أَنْ يَحْفَظَنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالشِّرْكِ وَيرْزُقَنَا الْإِخْلَاصَ وَالْاِبْتِغَاءَ لِوَجْهِهِ فِي كُلِّ عَمَلٍ۔

وَيَنْبَغِي لِلدَّاعِي أَنْ لَّايُبَيِّنَ التَّضْحِيَّاتِ وَالْأَسْفَارَ كَمَا هُوَعَادَتُنَا إِنَّنَا نَبِيِّنُ فِي الْبَيَانِ أَنْ كُنَّافِي سَفَرِأَمْرِيْكَهُ فِي بَرْطَانِيَه وَكَذَا وَكَذَا لِأَنَّ فِيْهِ شَائِبَةَ الرِّيَاءِ۔

جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ أَنَّ أَبَامُوْسٰى اَلْأَشْعَرِيَّ ﵁ قَالَ خَرَجْنَا مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيْرٌنَعْتَقِبُهُ فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِيْ وَ كُنَّا نَلُفُّ عَلٰى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلى أَرْجُلِنَا ......قَالَ أَبُوبُرْدَة فَحَدَّثَ أَبُوْمُوْسٰى بِهٰذَا الْحَدِيْثِ ثُمَّ كَرِهَ ذٰلِكَ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُوْنَ شَيْأً مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ۔ (متفق عليه) (١)

الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ

يَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَكُوْنَ حَلِيْماً حَتّٰى لَايَثُوْرَ وَلَايَغْضِبَ عِنْدَمَا يُجَابُهُ بِشَيْئٍي لَايُرْضِيْهِ أَوْلَمْ يَتَوَقَّعُهُ فَيُفْسِدُ أَكْثَرَمِمَّا يُصْلِحُ، وَحَتّٰى لَايَتَأَثَّرَ فَيُصْبِحُ الْمَوْضُوْعُ إِنْتِقَاماً لِلنَّفْسِ وَتَشَفِّيًابَلْ إِنْكَارًا لِمَا يَغْضَبُ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى وَرَغْبَةً فِي تَصْحِيْحِ الْأَوْضَاعِ۔

فَلَا بُدَّلِلدَّاعِي إِلَى اللّٰهِ أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلٰى أَنْ تَكُوْنَ حَلِيْمَةً، وَلَوْلُطِمَ فِي أَحَدِخَدَّيْهَا لِذَاتِ اللّٰهِ لَأَعْطَى الْخَدَّالثَّانِي إِذَا عَلِمَ أَنَّهَا لِلّٰهِ وَفِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَحَمَّلَ وَيَصْبِرَ وَيَعْلَمَ أَنَّ هٰذَا الْعَمَلَ لِلّٰهِ جَلَّ وَعَلَا۔

(١) رواه البخاري برقم : ٤١٢٨ ومسلم برقم : ٤٨٠٢ عن ابي موسى الاشعريؓ

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ لِلْأَشَجِّ -أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ- إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللّٰهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ۔ (مسلم) (١)

فَلْيَتَفَكَّرْ كَيْفَ كَانَ حِلْمُ النَّبِيِّ ﷺ قَدْوَرَدَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ يَهُودَ أَتَوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكُمْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمُ اللّٰهُ وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ، قَالَ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفَحْشَ قَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَاقَالُوا قَالَ أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَاقُلْتُ؟ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَايُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ (رواهُ البخاري) (٢)

وَقَد جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ مَاتَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَفْضَلُ عِنْدَ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللّٰهِ تَعَالٰى۔ (رواه احمد) (٣)

فَيَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَحَلّٰى بِالْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ وَلَايَنْتَقِمُ مِنْ أَحَدٍ وَيَقْتَدِي فِيهِ بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ كَفٰى بِهٖ أُسْوَةً، تَقُولُ عَائِشَةُ رضي الله عنها مَاانْتَقَمَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِنَفْسِهِ قَطُّ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ مَحَارِمُ اللّٰهِ۔ (مشكوة) (٤)

الصَّبْرُ وَالتَّحَمُّلُ

يَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَحَلّٰى بِالصَّبْرِ عَلٰى مَايَنَالُهُ مِنَ الْأَذٰى وَالْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ، وَلِهٰذَا وُصِفَتْ هٰذِهِ الْأُمَّةُ بِالصَّبْرِ وَدُعِيَتْ إِلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَا امَرَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بِإِبْلَاغِ الرِّسَالَةِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي قَوْلِ اللّٰهِ **﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرْ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَفَاهْجُرْ. وَلَاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ. وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾** (مدثر ١-٢) يَامُرُاللّٰهُ

(١) رواه مسلم برقم : ١٢٧ وابن ماجة برقم : ٤١٨٧ والبخاري في المفرد برقم : ٥٨٦

(٢) رواه البخاري برقم : ٦٠٣٠ ومسلم برقم : ٥٧٨٤ عن عائشة رضي الله عنها

(٣) رواه الامام احمد برقم : ٦١١٦ والبيهقي في شعب الايمان برقم : ٨٣٠٧عن ابن عمر رضي الله عنه

(٤) رواه البخاري برقم : ٦٨٥٣ والبيهقي في شعب الايمان برقم : ٨٠٦٧

سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى الرَّسُولَ ﷺ بِالْأَمْرِبِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ثُمَّ يَامُرُهٗ بِالصَّبْرِ عَلٰى ذٰلِكَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيُوَاجِهُ بِالْاِبْتِلَاءِ وَالْاِمْتِحَانِ، وَلِذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الصَّبْرَ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِمِنْ تِسْعِيْنَ مَوْضِعاً۔

وَاللّٰهُ تَعَالٰى قَالَ لِنَبِيِّهٖ ﷺ **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾** (احقاف ٣٥)

فَلَا بُدَّ لِلدَّاعِي وَالْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلَى الْحِلْمِ وَعَلَى الصَّبْرِ وَلَوْأُصِيبَ فِي ذَاتِ اللّٰهِ وَيَتَصَوَّرُ فِي حَيٰوةِ النَّبِيِّ ﷺ كَيْفَ وَكَمْ تَحَمَّلَ الْأَذٰى مِنْ أَصْحَابِهٖ وَمِنْ أَغْيَارِهٖ وَمَا انْتَقَمَ مِنْ أَحَدٍ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ قَسَمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ قِسْمَةً فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَاللّٰهِ إِنَّهَا لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيْدَ بِهَا وَجْهُ اللّٰهِقُلْتُ اَمَا لَا قُوْلَنَّللنبي ﷺ فَاَتَيْتُهُ وَهُوَفِي أَصْحَابِهٖ فَسَارَرْتُهُ فَشُقَّ ذٰلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَغَيَّرَوَجْهُهُ وَغَضِبَ حَتّٰى وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ اَكُنْ أَخْبَرْتُهٗ ثُمَّ قَالَ قَدْأُوْذِيَ مُوْسٰى بِأَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَصَبَرَ۔(١)

وَعَقَّبَ الْإِمَامُ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله فِي شَرْحِهِ لِهٰذَاالْحَدِيْثِ فَقَالَ وَفِيْهِ أَنَّ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْ يُغْضِبُهُمْ مَايُقَالُ فِيهِمْ مِمَّالَيْسَ فِيهِمْ وَمَعَ ذٰلِكَ فَيَتَلَقَّوْنَ ذٰلِكَ بِالصَّبْرِ وَالْحِلْمِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِقْتِدَاءً بِمُوْسٰى عليه السلام۔

وَلَايَخْفٰى أَحْوَالُ الطَّائِفِ وَأُحَدَ عَلٰى قَارِئِ السِّيْرَةِ النَّبُوِيَّةِ مَالَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَذٰى وَالْمَصَائِبِ أَنَّهُ شُجَّ وَجْهُهٗ وَكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهٗ، وَسَقَطَ فِي الْحُفْرَةِ، وَأُدْمِيَ وَجْهُهٗ مَعَ هٰذَا مَادَعَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ قَالَ (٢) أَللّٰهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَايَعْلَمُوْنَ وَفِي رِوَايَةٍ(٣) أَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَايَعْلَمُوْنَ وَمَا أَمَرَبِالْهَلَاكِ مَلَكَ الْجِبَالِ بَلْ قَالَ إِنِّى لَأَرْجُوْ أَنْ يُخْرِجَ اللّٰهُ

(١) رواه البخاري برقم : ٦١٠٠ ومسلم برقم : ٢٤٩٥ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٢) الرحيق المختوم ١ / ٢٣٨، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٠٥

(٣) رواه البخاري في المفر برقم : ٧٥٧ والطبراني في الكبير برقم : ٥٦٩٤

مِن أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّٰه وَحْدَهُ وَلَايُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا(١) سبحَانَ اللّٰه! مَا أَصْبَرَوَ مَا أَحْلَمَ النَّبِيّ ﷺ عَلٰى أَذَا هُمْ۔

وَلِلصَّبْرِ مَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ كَبِيْرَةٌ لَايَنَالُهَا إِلَّامَنْ وُفِّقَ لَهَا مِنَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ تَعَالٰی وَلِهٰذَا جَعَلَ اللّٰهُ ثَوَابَهُ بِغَيْرِحِسَابٍ فَقَالَ تَعَالٰی﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (الزمر١٠)

أَلتَّوَاضُعُ

يَنْبَغِي لِلدَّاعِي بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُوْنَ مُتَوَاضِعًا مُتَحَمِّلًا، وَلَايَكُوْنُ مُفْتَخِراً عَلٰى جُهْدِهِ وَتَضْحِيَّتِهِ وَلَايَحقِرُأَحداً وَلَايُظْهِرُ مِنْ أَيِّ طَرِيْقٍ إِعْجَابَ نَفْسِهِ وَحَقَارَةَ غَيْرِهِ وَلَايُعجِبُ نَفْسَهُ فَيَبْتَلِي بِالْكِبْرِ وَيُكْثِرُ مِنْ إِتِّهَامِ النَّفْسِ لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ وَفِيْهَا شُرُوْرٌ فَلَا يَطْمَئِنُّ عَلَيْهَا بَلْ دَائِمًا يَخَافُ عَلٰى أَعْمَالِهِ يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ يُوْسُفَ عليه السلام ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِیْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ**﴾ (يوسف ٥٣)

وَيَمْشِي بِالتَّوَاضُعِ فِي كُلِّ شُئُوْنِ حَيَاتِهِ لِأَنَّ الْكِبْرَيَدُلُّ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْهَلَاكِ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنْ تَوَاضَعَ لِلّٰهِ رَفَعَهُ اللّٰه فَهُوَ فِي نَفْسِهِ صَغِيْرٌ وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ عَظِيْمٌ وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللّٰه فَهُوَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيْرٌ وَفِي نَفْسِهِ كَبِيْرٌ حَتّٰى لَهُوَأَ هُوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْ كَلْبٍ أَوْخِنْزِيْرٍ۔ (رواه البيهقى) (٢)

فَاِذَا يَفْهَمُ وَيَتَصَوَّرُ أَنَّهُ مِنَ الْقُدَمَاءِ وَأَكْثَرُهُمْ جُهْداً وَتَضْحِيَّةً فَيَتزَلْزَلُ وَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ اللّٰهِ، فَيَكُوْنُ النَّبِيُّ ﷺ قُدْوَتَهُ دَائِمًا فِي كُلِّ شَئٍ وَيَظْهَرُلَنَا هٰذَا جَلِيًّا فِي حَيٰوتِهِ ﷺ وَأَنَّهُ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ التَّوَاضُعُ،

(١) اخرجه البخاري برقم : ٣٢٣١ ومسلم برقم : ٤٧٥٤ عن عائشة رضي الله عنها

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان برقم : ٨١٤٠ والطبراني فى الاوسط برقم : ٨٦٨٧

قَدْوَرَدَفِي السِّيْرَةِ فِي شَمَائِلِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ وَيَحْلِبُ شَاتَهُ، وَأَنْ كَانَتِ الْأَمَةُ لِتَأْخُذُ بِيَدِهِ ﷺ وَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَ تْ۔

وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ أَبِي غَالِب قَالَ قُلْتُ لِأَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه حَدّثْنَا حَدِيْثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ قَالَ كَانَ حَدِيْثُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الْقُرْاٰنَ يُكْثِرُالذِّكْرَ وَيُقَصِّرُ الْخُطْبَةَ وَيُطِيْلُ الصَّلٰوةَ وَلَايَأْنَفُ وَلَايَسْتَكْبِرُ أَنْ يَذْهَبَ مَعَ الْمِسْكِيْنِ وَالضَّعِيْفِ حَتّٰی يَفْرُغَ مِنْ حَاجَتِهِ۔

وَيَظْهَرُ لَنَا تَوَاضُعُهُ جَلِيًّا عِنْدَ مَادَخَلَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، لَمْ يَدْخُلْهَا كَمَا يَدْخُلُ الْمُلُوْكُ عِنْدَمَايَنْتَصِرُوْنَ عَلٰى أَعْدَاءِ هِمْ مُتَكَبِّرِيْنَ رَافِعِی رُؤُوْسِهِمْ بَلْ دَخَلَ مُتَوَاضِعاً مُطَأْ طِأً رَاسَهُ، وَاضِعاً جَبْهَتَهُ عَلٰى سَرْجِ دَابَّتِهِ حَتّٰی لَصِقَ بِالرَّحْلِ وَهُوَيَقُوْلُ۔

لَاإِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ أَنْجزَوَعْدَهُ وَنَصرَعَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ۔

وَجَاءَ فِي الْحَدِيْثِ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَاسْتَقْبَلَتْهُ رَعْدَةٌ(أَیْ اضْطِرَابُ الْجِسْمِ مِنْ فَزَعٍ) فَقَالَ النَّبِي ﷺ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَاِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ إِمْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَأْكُلُ الْقَدِيْدَ۔ (حياة الصحابة)(١)

وَلَا يَلِيْقُ بِشَانِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْتخِرَ، ذُكِرَأَنَّ الْمُهَلَّبَ ابْنَ أَبِي صُفْرَةَ كَانَ صَاحِبُ جَيْشِ الْحَجَّاجِ فَمَرَّعَلٰى مُطَرَّفٍ بِنْ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ الشِّخِّيْرِ وَهُوَ يَتَبَخْتَرُفِي حُلَّةِ خَزٍّ، فَقَالَ لَهُ مُطَرَّفٌ يَاعَبْدَ اللّٰهِ هٰذِهِ مَشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ بَلٰى أَعْرِفُكَ أَوَّلُكَ نُطْفَةٌ

(١) رواه الطبراني فى الاوسط برقم : ١٢٦٠عن ابي مسعود رضي الله عنه وابن ماجة برقم : ٣٣١٢

قَذِرَةٌ وَآخِرُكَ جِيفَةٌ مُنْتِنَةٌ وَتَحمِلُ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ عَذِرَةً، فَتَرَكَ الْمُهَلَّبُ مَشْيَتَهُ تِلْكَ وَأَنْشَدَفِي المَعْنٰى مُحَمَّدُبْنُ الْوَرَّاقِ ـ

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجِبٍ بِصُوْرَتِهِ … وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ

وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ هَيْئَتِهِ … يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ

وَهُوَ عَلٰى تِيْهِهِ وَنَخْوَتِهِ … مَابَيْنَ ثَوْبَيْهِ يَحمِلُ الْعَذِرَةَ(١)

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ مُعَاوِيَّةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِي قَالَ بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ إِذَا عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللّٰهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاثُكلَ أُمِّيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُوْنَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُوْنَ بِأَيْدِيهِمْ عَلٰى أَفخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُوْنَنِى لٰكِنِّي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلّٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ فَبِأَبِيْ هُوَ وَأُمِّي مَارَئَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَابَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيْمًامِنْهُ فَوَاللّٰهِ مَاكَهَرَنِي وَلَاضَرَبَنِي وَلَاشَتَمَنِي قَالَ(إِنَّ هٰذِهِ الصَّلٰوةُ لَايَصْلُحُ فِيْهَا شَيْئٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيْحُ وَالتَّكْبِيْرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْاٰنِ (مسلم) (٢)

وَجَاءَ فِي الْحَديْثِ أَنَّ أَبَاهُرَيْرَةَ قَالَ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَا وَلُهُ النَّاسُ فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ دَعُوْهُ وَهَرِيْقُوا عَلٰى بَوْلِهِ سِجلاً مِنْ مَاءٍ أَوْذَنُوْبًا مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِيْنَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِيْنَ ـ (بخاری) (٣)

اَلْإِسْتِغْنَا عَنِ الْخَلْقِ

يَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنِ الْخَلْقِ وَيَتَوَجَّهُ إِلَى اللّٰهِ فِي جَمِيعِ الْحَاجَاتِ وَلَايَتَوَجَّهُ وَلَايَرْجُو مِنَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ فِيْهِ إِهَانَةُ نَفْسِهِ

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندى

(٢) رواه مسلم برقم : ١٢٢٧والنسائي في السنن الكبرى برقم : ٥٥٦ عن معاوية بن الحكم السلميؓ

(٣) رواه البخاري برقم : ٢١٧ والبيهقي في السنن الكبرى برقم : ٤٠٣٨ عن ابي هريرةؓ

وَذِلَّتُهُ، وَالْعِزَّةُ وَالرَّفْعَةُ فِي الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْخَلْقِ فَلَا يَذِلُّ نَفْسَهُ بِالْإِيْقَاعِ عَلٰى أَبْوَابِ الْأَغْنِيَاءِ وَالسُّوَالِ مِنْهُمْ فَلَايَسْئَلُ وَلَايُشْرِفُ لِكَىْ لَايَقَعَ فِي الذِّلَّةِ وَالْهَوَانِ وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ(نِعْمَ الْأَمِيْرُإِذَاكَانَ بِبَابِ الْفَقِيْرِ وَبِئْسَ الْفَقِيْرُ إِذَاكَانَ بِبَابِ الْأَمِيْرِ)ـ(١)

وَقَدْ أَمَرَاللّٰهُ تَعَالٰى لِحَبِيْبِهِ ﷺ **﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيْهِ﴾** (طه ١٣١)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ حَكِيْمِ ابْنِ حِزَامٍؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌمِنَ الْيَدِ السُّفْلٰى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُوْلُ وَخَيْرُالصَّدَقَةِ مَاكَانَ عَنْ ظَهْرِغَنًي وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللّٰهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللّٰهُ ـ (متفق عليه) (٢)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَؓ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فَإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْلِيَسْتَكْثِرْ ـ (رواه مسلم) (٣)

وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعَدِ السَّاعَدِيِّؓ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ دُلَّنِي عَلٰى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِيَ اللّٰهُ وَأَحَبَّنِيَ النَّاسُ فَقَالَ ازْهَدفِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللّٰهُ وَازْهَدْفِيْمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ ـ (رواه ابن ماجه) (٤)

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ عَوْفِ ابْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّؓ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْثَمَانِيَةً أَوْسَبْعَةً فَقَالَ أَلَا تُبَايِعُوْنَ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ فَقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ ثُمَّ قَالَ أَلَاتُبَايِعُوْنَ رَسُوْلَ اللّٰهِ؟ فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟

(١) كشف الخفاء الجزء ٣٢١/٢ والمقاصد الحسنة الجزء ٢٣٤/١

(٢) رواه البخاري برقم : ١٤٢٧والنسائي برقم : ٢٥٣٣

(٣) رواه ابن ماجة برقم : ١٨٣٨ ومسلم برقم : ٢٤٤٦ عن ابي هريرةؓ

(٤) رواه ابن ماجة برقم : ٤١٠٢ والطبراني في الكبير برقم : ٥٩٧٢ عن سهل بن سعد الساعديؓ

قَالَ عَلٰى أَنْ تَعْبُدُوْا اللّٰهَ وَلَاتُشْرِكُوْابِهِ شَيْأً وَالصَّلَوٰاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيْعُوا اللّٰه وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلَاتَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْأً فَلَقَدْ رَئَيْتُ بَعْضَ أُوْلٰئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحداً يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ (رواه مسلم)(١)

وَيُحكٰى أَنَّ أَحَدَالْمُلُوكِ جَاءَ بِهَدِيَّةٍ إِلٰى أَحَدٍمِنَ الْمَشَائِخِ فَسَأَلَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ هَلْ عِنْدَكَ مَالٌ سِوَاهُ قَالَ نَعَمْ! قَالَ هَلْ تُرِيْدُ أَنْ تَزِيْدَ أَمْوَالَكَ؟ قَالَ وَمَنْ لَايُرِيْدُ أَنْ يَزِيْدَ أَمْوَالَهٗ؟ قَالَ خُذْ هَدِيَّتَكَ إِنِّي لَاأَقْبَلُهَا لِأَنَّكَ أَحْوَجُ مِنِّیْ لِأَنِّي أَنَا قَانِعٌ بِمَا عِنْدِیْ وَلَا أُرِيْدُأَنْ أَزِيْدَ۔

لِذاجاء في الحديث لَيْسَ الْغِنٰى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلٰكِنَّ الْغِنٰى غِنَى النَّفْسِ۔(مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)(٢)

وَعَنْ حَكِيْمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه قَالَ سَأَلْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ يَاحَكِيْمُ إِنَّ هٰذَا الْمَالَ خَضِرٌحُلْوٌفَمَنْ أَخَذَهٗ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُوْرِكَ لَهُ فِيْهِ وَمَنْ أَخَذَهٗ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيْهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَايَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلٰى(متفق عليه)(٣)

الْوَرْعُ وَتَرْكُ الشُّبْهَاتِ

يُقَالُ وَرِعَ، يَرِعُ وَرْعاً أَيْ تَحَرَّجَ وَتَوَقّٰى عَنِ الْمَحَارِمِ ثُمَّ اسْتُعِيْرَ لِلْكَفِّ عَنِ الْحَلَالِ الْمُبَاحِ فَهُوَوَرْعٌ (٤)

فَنَجِدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُبِالْوَرْعِ وَتَرْكِ الشُّبْهَاتِ الَّتِیْ تَحْصُلُ لِلنُّفُوْسِ خَشْيَةَ أَنْ تَكُوْنَ حَرَاماً۔

(١) رواه مسلم برقم: ٢٤٥٠ والبيهقي في السنن الكبري برقم : ٧٦٦٣عن عوف رض بن مالك الاشجع
(٢) اخرجه البخاري برقم : ٦٠٨١ ومسلم في الزكوة برقم ١٠٥١ عن ابي هريرة
(٣) اخرجه البخاري برقم : ١٤٧٢ وابن حبان في صحيحه برقم : ٣٤٠٢ والترمذي برقم :٢٤٦٣ عن حكيم بن حزام
(٤) المعجم الوسيط الجزء ١٠٢٥/٢

فَلَا بُدَّ لِلدَّاعِي أَنْ يَكْسِبَ كَسْبَ الْحَلَالِ وَالْمُبَاحِ وَيَجْتَنِبَ عَنِ الْحَرَامِ وَالشُّبُهَاتِ، لِأَنَّ الْحَلَالَ يُوْرِثُ النُّوْرَ فِي الْقَلْبِ وَالْاِسْتِعْدَادَ لِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَالْحَرَامُ يُوْرِثُ الظُّلْمَةَ فِي الْقَلْبِ فَيَسْلُبُ التَّوْفِيْقَ لِلطَّاعَاتِ وَأَعْمَالِ الْخَيْرِ، فَيَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَجَنَّبَ عَنِ الْوُقُوْعِ فِي الشُّبُهَاتِ۔

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيْرٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ يَقُوْلُ(إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌمِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعٰى حَوْلَ الْحِمٰى يُوْشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيْهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً أَلَاوَإِنَّ حِمَى اللّٰهِ مَحَارِمُهُ أَلَاوَاِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ۔(رواه البخاري) (١)

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه قَالَ أَتَيْتُ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَ جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ وَالْاِثْمِ؟ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَجَمَعَ أَصَا بِعَهُ فَضَرَبَهَا صَدَرَهُ وَقَالَ اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، الْبِرُّمَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَاحَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ۔(حديث حسن رواهُ احمد والدارمي فى مسنديهما) (٢)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيْقِ فَقَالَ لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَا َكَلْتُهَا۔(متفق عليه) (٣)

وَعَنْ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ كُنَّا نَدَعُ تِسْعَةَ أَعْشَارٍمِنَ

(١) اخرجه البخاري برقم : ٥٢ ومسلم برقم : ٤١٧٨ عن نعمان بن بشير رض
(٢) رواه الدارمي في مسنده برقم : ٢٥٣٣ عن وابصه بن معبد الاسدی رض
(٣) اخرجه البخاري برقم ٢٤٣١ ومسلم برقم ٢٥٢٨عن انس بن مالك رض

الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي الشُّبْهَةِ أَوْفِي الْحَرَامِ۔(١) وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ عُمَرُ رضـ تَرَكْنَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الرِّبَا (٢)

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنِ مُطَرَّفٍ يَقُوْلُ إِنَّكَ لَتَلْقَى الرَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْثَرُصَوماً وَصَلٰوةً وصَدَقَةً، وَإِنَّ الْاٰخَرَ أَفْضَلُ مِنْهُ ثَوَاباً قِيْلَ لَهُ كَيْفَ يَكُوْنُ ذٰلِكَ؟ قَالَ هُوَ أَشَدُّهُمَا وَرُعاً۔(المصدر السابق) (٣)

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ كَانَ لِأَبِیْ بَكْرٍغلامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخِرَاجَ وَكَانَ أَبُوبَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خِرَاجِهِ فَجَاءَ يَوْماً بِشَيْئٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُوبَكْر، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ، أَتَدْرِیْ مَاهٰذَا ؟ فَقَالَ أَبُوبَكْرٍ وَمَاهُوَ؟ قَالَ كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الْكَهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذٰلِكَ هٰذَا الَّذِیْ أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُوبَكْرٍ يَدَهٗ فَقَاءَ كُلَّ شَيْئٍ فِي بَطْنِهٖ۔(رواه البخاری) (٤)

فَيَلْزَمُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَهْتَمَّ بِالْحَلَالِ وَلَايَقَعَ فِي الْحَرَامِ وَلَافِي الشُّبْهَةِ كَیْ يَتَرَقّٰی إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالیٰ۔

الْإِيْثَارُ وَالْمُوَاسَاةُ

يَجِبُ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَحَلّٰى بِصِفَةِ الْإِيْثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ لِأَنَّهَا مِن صِفَاتِ عِبَادِ اللّٰهِ الْمُخْلَصِيْنَ، وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالیٰ مَدَحَ عِبَادَهُ الَّذِيْنَ كَانُوا مُتَحَلِّيْنَ بِصِفَةِالْإِيْثَارِ حَيْثُ قَالَ ﴿**وَيُؤْثِرُوْنَ عَلٰى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الحشر ٩) وقال تعالى ﴿**وَيُطْعِمُوْنَ الطَّعَامَ عَلٰى حُبِّهٖ مِسْكِيْنًا وَيَتِيْمًا وَأَسِيْرًا**﴾ (الدهر٨)

(١) رواه السمر قندي في تنبيه الغافلين ص ٣٣٣
(٢) مصنف عبد الرزاق رقم الحديث ١٤٦٨٣
(٣) رواه السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ٣٣٣
(٤) رواه البخاري برقم : ٣٨٤٢ والبيهقي في شعب الايمان برقم : ٥٧٧٠ عن عائشة رضـ

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي مَجْهُوْدٌ(أَیْ أَصَابَنِي الْجُهْدُ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ وَالْحَاجَةُ) فَأَرْسَلَ إِلٰى بَعْضِ نِسَاءِهٖ فَقَالَتْ وَالَّذِیْ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَاعِنْدِيْ إِلَّامَاءٌ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلٰى أُخْرٰى فَقَالَتْ مِثْلَ ذٰلِكَ حَتّٰى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذٰلِكَ لَا وَالَّذِیْ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَاعِنْدِي إِلَّامَاءٌ فَقَالَ النَّبِیُّ ﷺ مَنْ يُضِيْفُ هٰذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللّٰه ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَا يَارَسُوْلَ اللّٰهِ فَانْطَلَقَ بِهٖ إِلٰى رَحْلِهٖ فَقَالَ لِإِمْرَأَتِهٖ هَلْ عِنْدَكِ شَيْئٌ فَقَالَتْ لَا إِلَّاقُوْتُ صِبْيَانِي قَالَ عَلِّلِيْهِمْ بِشَيْئٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِيْهِ أَنَّانَأْكُلُ فَقَعَدُوْا وَأَكَلَ الضَّيْفُ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ قَدْ عَجِبَ اللّٰهُ مِنْ صَنِيْعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ (١)

☆☆☆☆☆

☆☆☆☆

☆☆☆

☆☆

☆

(١) اخرجه مسلم برقم : ٥٤٨٠ صحيح ابن حبان رقم : ٥٢٨٤ عن ابي هريرة رضـ

اَلْبَابُ الْعَاشِرُ فِي أُمُوْرٍ تَجْلِبُ النُّصْرَةَ وَالْعَافِيَةَ

أَسْبَابُ نُصْرَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى(**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوْا فِيْ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمُ يَقُوْمُ الْأَشْهَادُ**)(غافر/٥١) نُصْرَةُ اللّٰهِ تَعَالٰى فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا مَوْقُوْفَةٌ عَلَى الْإِيْمَانِ، فَالَّذِىْ لَيْسَ عِنْدَهٗ الْإِيْمَانُ فَلَا تَكُوْنُ مَعَهُ نُصْرَةُ اللّٰهِ، وَكَيْفَ تَاتِيْ نُصْرَةُ اللّٰهِ؟ مَنْ يُرِيْدُ أَنْ تَكُوْنَ مَعَهُ نُصْرَةُ اللّٰهِ فَلَا بُدَّ عَلَيْهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ۔

اَلْأَوَّلُ التَّقْوٰى

هٰذِهِ صِفَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَمَا هُوَالتَّقْوٰى؟ سَأَلَ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِؓ ذَاتَ يَوْمٍ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍؓ عَنِ التَّقْوٰى، فَقَالَ أُبَيٌّ يَا أَمِيْرَالْمُؤْمِنِيْنَ ! هَلْ أَخَذْتَ طَرِيْقاًذَاتَ شَوْكٍ؟

قَالَ نَعَمْ أَخَذْتُ مِرَاراً، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيْهِ؟ قَالَ تَشَمَّرْتُ وَحَذَرْتُ، قَالَ فَذٰلِكَ التَّقْوٰى۔(١)

الدُّنْيَا مِثْلُ الطَّرِيْقِ الْمَحْفُوْفِ بِالشَّوْكِ أَيِ الْمَعَاصِيْ، فَيَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَتَشَمَّرَ أَىْ فِي الطَّاعَاتِ وَيَحْذَرَ مِنَ الْمَعَاصِيْ، وَكَانَ أَبُوالدَّرْدَاءِ يَرْتَجِزُ۔

يَقُوْلُ الْمَرْأُ فَائِدَتِي وَمَالِي ۔ وَتَقْوَى اللّٰهِ أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا

وَالتَّقْوٰى لَايَكْتَمِلُ إِلَّابِثَلٰثَةِ أَشْيَاءَ(١) الْيَقِيْنُ الْكَامِلُ(٢) بَذْلُ الْمَالِ (٣) بَذْلُ النَّفْسِ كَمَاقَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**الم ٥ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيْهِ**

هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ ٥ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ ٥﴾ (البقرة ١- ٣) الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِالْغَيْبِ – الْيَقِيْنُ الْكَامِلُ– وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلَاةَ – بَذْلُ النَّفْسِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ ــ بَذْلُ الْمَالِ۔

اَلثَّانِي الصَّبْرُ

الصَّبْرُهُوَ أَحْلٰى مِنَ الْعَسَلِ فِي الْبَاطِنِ وَأَمَرُّ مِنَ الْحَنْظَلِ فِي الظَّاهِرِ لِأَنَّ مَعِيَّةَ اللّٰهِ مَعَ الصَّابِرِ،وَالصَّبْرُ أَنْوَاعٌ۔

اَلْأَوَّلُ:صَبْرٌعَلَى الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا سَوَاءٌ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ أَوْفِي الْأَهْلِ والولد أَوْفِي الْمَالِ أَوْغَيْرِذٰلِكَ۔

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَؓ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ، يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى مَالِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِىْ جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ۔(رواه البخارى) (١)

وَعَنْ أَبِي سَعِيْدٍؓ وَأَبِي هُرَيْرَةؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَايُصِيْبُ الْمُسْلِمُ مِنْ نَصَبٍ وَلَاوَصَبٍ وَلَاهَمٍّ وَلَاحُزْنٍ وَلَاأَذًى وَلَاغَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلَّاكَفَّرَاللّٰهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ (متفق عليه) (٢)

وَلٰكِنَّ هٰذَا الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ إِنَّمَا يَكُوْنُ لِلصَّابِرِيْنَ دُوْنَ غَيْرِهِمْ، وَبِهٰذَا يُعْلَمُ أَنَّ الْبَلَاءَ مِنَ اللّٰهِ خَيْرٌ وَمِنَّةٌ، فَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنْ يُرِدِ اللّٰهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ ۔(رواهُ البخارى) (٣)

وَقَالَ أَيْضاً إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرَّضَا وَمَنْ سَخطَ فَلَهُ السَّخطُ۔(ترمذى) (٤)

(١) اخرجه البخاري برقم : ٥٩٤٤عن ابي هريرةؓ ــ واحمد في المسند برقم : ٩٠٢٤

(٢) اخرجه البخاري برقم:٥٢١٠ والبيهقي في شعب الايمان برقم:٩٤٨٨ عن ابي سعيد وابي هريرةؓ

(٣) رواه البخاري برقم : ٥٢١٣ والامام مالك فى المؤطا برقم : ١٤٧٧عن ابي هريرةؓ

(٤) رواه الترمذي برقم : ٢٣٢٠ ــ وابن ماجة برقم : ٤٠٢١ عن انسؓ

الثَّانِي: الصَّبْرَ عَلٰى إِمْتِثَالِ مَا أَمَرَاللّٰهُ تَعَالٰى بِهِ لِأَنَّ الطَّاعَاتِ تَحْتَاجُ إِلٰى صَبْرٍفِي تَادِيَتِهَا وَصَبْرٍفِي مُجَاهَدَةِ الشَّيْطَانِ وَالْهَوٰى كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ اَلْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللّٰهِ، وَالْمُهَاجِرُمَنْ هَجَرَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ۔(رواه احمد) (١)

الثَّالِثُ: صَبْرٌعَنِ الشَّهْوَاتِ وَالْمَعَاصِي، قَالَ تَعَالٰى ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾(النازعات ٤٠ ـ ٤١)

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ۔ (رواهُ مسلم) (٢)

فَالشَّيْطَانُ يُزَيِّنُ لِلْإِنْسَانِ الْمَعَاصِي وَيُحَبِّبُهَاإِلٰى قَلْبِهِ وَيُقَرِّبُهُ وَيُدْنِيهِ مِنْهَا لِكَىْ يُوْقِعَهُ فِيهَا، فَإِذَا صَبَرَ الْمُسْلِمُ لَمْ يَسْتَطِعِ الشَّيْطَانُ أَنْ يُنفِذَ إِلٰى قَلْبِهِ۔

الرَّابِعُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذٰى فِي سَبِيلِ اللّٰهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ الْمُتَمَسِّكَ بِدِيْنِهِ، الْمُلْتَزِمَ بِأَوَامِرِرَبِّهِ، الْمُقْتَدِي بِنَبِيِّهِ ظَاهِراً وَبَاطِنًا لَابُدَّ أَنْ يَنَالَهُ الْأَذٰى، وَيُصِيبُهُ الْمَكْرُوهُ، وَيُعَادِيهِ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَيُخَطِّطُ لَهُ وَيُدَبِّرُلَهُ أَهْلُ الشَّرِّوَالْفَسَادِ﴿**إِنَّ الَّذِيْنَ يُحِبُّوْنَ اَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا**﴾ (النور١٩) وَهٰذَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْحَقِّ الْيَوْمَ، أَلْمُعَادَاةُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِوَهٰكَذَا تَأْتِي الْأَحْوَالُ الْإِنفِرَادِيَّةُ فَلْيَصْبِرِالْمُؤْمِنُ عَلٰى هٰذِهِ الْأَحْوَالِ الَّتِي تَأْتِي بِسَبَبِ الْإِسْتِمْسَاكِ بِالدِّيْنِ وَجُهْدِهِ۔

الثَّالِثُ الْإِسْتِغَاثَةُ وَالْبُكَاءُ

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَجْلِبُ نُصْرَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى، هِيَ الْبُكَاءُ وَالْإِسْتِغَاثَةُ، حَيْثُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ إِنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِيْنَ**﴾(انفال/٩)

(١) رواه احمد برقم : ٢٢٨٤٢ والطبراني فى الكبير برقم : ١٥١٩١ عن فضالة بن عبيدؓ
(٢) رواه مسلم برقم : ٥٢٥٦ والترمذي برقم : ٢٢٤٦عن ابي هريرة وقال ابوعيسى هذا حديث حسن صحيح

كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَبْكُوْنَ لَيْلَةَ بَدْرٍ، حَتّٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَانَامَ طُوْلَ اللَّيْلِ فَكَانَ يَبْكِي وَيَبْكِي وَيَدْعُواللّٰهَ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ حَتّٰى سَقَطَ رِدَاءُهٗ، وَلَمَّا زَادَبُكَاءُهٗ وَحُزْنُهٗ جَاءَ أَبُوبَكْرٍرَضِىَ اللّٰهُ عَنْهُ وَضَعَ يَدَهٗ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! إِنَّ اللّٰهَ لَنْ يُخَيِّبَكَ وَسَيَنْصُرُكَ، فَنَصَرَاللّٰهُ تَعَالٰى فِي بَدْرٍ بِالْمَلٰئِكَةِ، فَهٰذِهِ الصِّفَةُ تَجْلِبُ نُصْرَةَ اللّٰهِ تَعَالٰى۔

الرَّابِعُ نُصْرَةُ الدِّيْنِ

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ أَلَّتِي تَجْلِبُ نُصْرَةَ اللّٰهِ هِيَ نُصْرَةُ الدِّيْنِ، فَالَّذِىْ يَنْصُرُالدِّيْنَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ بِالْإِخْلَاصِ يَنْصُرُهُ اللّٰهُ تَعَالٰى حَيْثُ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**إِنْ تَنْصُرُوْا اللّٰهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ**﴾(سورة محمد/٧) اَلَّذِي يَقُوْمُ عَلٰى نُصْرَةِ الدِّيْنِ، اللّٰهُ تَعَالٰى يَنْصُرُهٗ سَوَاءٌ كَانَ كَبِيْرًا أَوْصَغِيْرًا، ضَعِيْفًا أَوْقَوِيًّا عَرَبِيًّا أَوْعَجَمِيًّاأَسْوَدَ أَوْأَبْيَضَ، بِالْعِبَادَةِ فَقَطْ لَاتَكُوْنُ نُصْرَةُ الدِّيْنِ، وَلٰكِنْ نُصْرَةُ الدِّيْنِ تَكُوْنُ بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَتَرْكِ الشَّهْوَاتِ وَإِتِّبَاعِ سُنَنِ النَّبِيِّ ﷺ ۔

فَهٰذِهِ الْأَسْبَابُ الْأَرْبَعَةُ لِنُزُوْلِ النُّصْرَةِ نَتَحَصَّلُهَا بِسُهُوْلَةٍ بِالْخُرُوْجِ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ لِأَنَّ الْخَارِجَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ يَتُوْبُ عَنِ الذُّنُوْبِ وَالْمَعَاصِي، وَيَأْتِي فِيْهِ التَّقْوٰى وَالصَّبْرُ وَالتَّحَمُّلُ وَالدُّعَاءُ وَالْإِنَابَةُ، نَسْأَلُ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى أَنْ يَرْزُقَنَاهٰذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيْدَةَ۔

أَسْبَابُ الرِّزْقِ وَالسَّعَةِ

الْأَسْبَابُ الَّتِي تَجْلِبُ الرِّزْقَ عَدِيْدَةٌ، وَمِنْهَا مَاتَلِيْهَا ۔

التَّوَكُّلُ عَلَى اللّٰهِ

قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهٗ وَتَعَالٰى ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهٗ**﴾(الطلاق ٣)

وقال تعالىٰ (**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ، وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيْلًا**) (احزاب٣–٤٨)

وَقَدْ وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ عُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ لَوْأَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَايَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُوْ خِمَاصاً وَتَرُوْحُ بِطَانًا (١)

التَّقْوٰى

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ (الطلاق٢-٣) وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ۔

﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ**﴾ (الأعراف ٩٦)

اَلْإِنْفَاقُ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْئٍ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتُظْلَمُوْنَ**﴾ (انفال ٨)

وَقَالَ تَعَالٰى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ**﴾ (سبا ٣٩)

وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنْفِقْ يَا بِلَالُ وَلَاتَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا۔ (رواهُ البيهقى) (٢)

وَقَالَ ﷺ أَنْفِقْ يَابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ ۔ (٣)

وَقَالَ ﷺ مَانَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ۔ (٤)

(١) رواه الترمذي برقم : ٢٢٦٦ وابن ماجة برقم : ٤١٥٤ والبيهقي في شعب الايمان برقم : ١١٨٧ عن عمر بن الخطابؓ

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان ١٤٤٧ عن عائشةؓ والطبراني في الاوسط برقم : ٢٦٧١ عن ابي هريرةؓ

(٣) رواه الطبراني فى الكبير برقم : ١٤٣٩٧ وابن حبان في صحيحه برقم : ٦٥٥

(٤) رواه مسلم برقم : ٤٦٨٩ والترمذي برقم : ١٩٥٢ عن ابي هريرة

اَلْإِسْتِغْفَارُ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوْا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾ (نوح١٠-١٢)

أَلصَّلٰوةُ وَالْعِبَادَةُ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ (طٰه ١٣٢)

وَقَدْوَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنْ عمروبن دينارٍ أَنَّ ابن مسعودٍ رضي الله عنه كان يقول اِحْمِلُوْا حَوَائِجَكُمْ عَلَى الْمَكْتُوْبَةِ (١)

وَكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يُعَلِّمُ الصَّحَابَةَ صَلٰوةَ الْاِسْتِسْقَاءِ وَالْحَاجَةِ۔

وَقَالَ ﷺ لَايَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَايَزِيْدُ فِي الْعُمْرِإِلَّاالْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيْبُهُ۔ (٢)

صِلَةُ الرَّحِمِ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى (**وَآتِ ذَاالْقُرْبٰى حَقَّهُ**) (اسراء)

وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَلَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ۔ (مشكوة) (٣)

وَمَنْ كَانَ نِيَّتُهُ وَهَمُّهُ الْاٰخِرَةَ وَيَقْضِي حَيَاتَهُ مُطِيْعاً لِلّٰهِ وَلِرَسُوْلِهِ فَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى يُسَهِّلُ لَهُ رِزْقَهٗ وَيَجْمَعُ شَمْلَهٗ۔

(١) رواه الطبرانى فى الكبير برقم : ٩٢٨١

(٢) رواه احمد برقم : ٢١٣٧٩ والطبراني في الكبير برقم : ١٤٢٥ عن ثوبانؓ

(٣) اخرجه البخاري برقم : ٥٥٢٧ ومسلم برقم ٤٦٣٩ عن انسؓ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الْاٰخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِىْ حَرْثِهٖ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهٖ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ نَّصِيْبٍ﴾ (سورة الشورىٰ ٢٠)

وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ وَمَنْ كَانَتِ الْاٰخِرَةُ نِيَّتَهُ جَعَلَ اللّٰه غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَه وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ،وَمَنْ كَانَتُ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ فَرَّقَ اللّٰهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَجعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّامَاكَتَبَ اللّٰه لَهٗ ـ (١)

السَّعْىُ وَالتَّسَبُّبُ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (الملك ١٥)

وَقَالَ تَعَالٰى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوْا فِيْ الْأَرْضِ وَابْتَغُوْا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَاذْكُرُوْا اللّٰهَ كَثِيْرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾ (الجمعه/١٠)

وَقَالَ تَعَالٰى ﴿وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ يَجِدْ فِى الْاَرْضِ مُرٰغَمًا كَثِيْرًا وَّسَعَةً﴾ (النساء/١٠٠)

وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِنَّ اللّٰهَ يُعْطِي الدُّنْيَا لِمَنْ يُحِبُّ وَلِمَنْ لَايُحِبُّ وَلَايُعْطِي الدِّيْنَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ۔

وَقَالَ شَقِيْقُ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى ﴿وَلَوْبَسَطَ اللّٰهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ (الشورى/٢٧) إِنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ لَوْرَزَقَ الْعِبَادَ مِنْ غَيْرِكَسْبٍ لَتَفَرَّغُوْا فَتَفَاسَدُوْا وَلٰكِنْ شَغَلَهُمْ بِالْكَسْبِ حَتّٰى

(١) رواه الدارمي برقم : ٢٣٥ والطبراني فى الكبير برقم : ٤٧٥٩ عن زيد بن ثابتؓ والترمذي برقم : ٢٣٨٩ عن انس بن مالكؓ

لَايَتَفَرَّغُوْا لِلْفَسَادِ۔

الدُّعَاءُ، اسْتِجَابَتُهُ وَآدَابُهُ

وَقَدْوَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تعالى ، وَقَالَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُوْنِىْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِىْ سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ دَاخِرِيْنَ﴾ (غافر٦٠)

يَقُوْلُ الْعُلَمَاءُ إِنَّ هٰذَا مِنْ خَصَائِصِ أُمَّةِ أَحْمَدَ ﷺ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى خَاطَبَهُمْ ادْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ، وَلَمْ يُخَاطِبْ أَحَداً مِنَ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلُ، بَلْ كَانَ اللّٰهُ يُخَاطِبُ الْأَنْبِيَاءَ بِهٰذَا الْخِطَابِ۔

الدُّعَاءُ هُوَ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، يَسْتَفِيْدُبِهِ مِنْ خَزَائِنِ اللّٰهِ تَعَالٰى كَمَا اسْتَفَادَ الصَّحَابَةُ بِهِ مِنْ خَزَائِنِ اللّٰهِ تَعَالٰى۔

شُرُوْطُ اسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ

لَابُدَّ لاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ مِنَ التَّجَنُّبِ مِنَ الْحَرَامِ لِأَنَّ الْحَرَامَ يَمْنَعُ الْإِجَابَةَ كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍؓ أَنَّهٗ قَالَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ، أَدْعُواللّٰهَ فَلَايَسْتَجِيْبُ لِدُعَائِى، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَاسَعْدُ! اجْتَنِبِ الْحَرَامَ فَإِنْ كَانَ بَطْنٌ فِيْهِ لُقْمَةٌ مِنْ حَرَامٍ لَا يُسْتَجَابُ دُعَاءُهٗ أَرْبَعِيْنَ يَوْماً۔

وَيَدْعُوْاللّٰهَ مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ لَاغَافِلاً عَنْهُ لِأَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى لَايَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ قَلْبٍ لَاهٍى۔

وَهٰكَذَا يَدْعُوااللّٰهَ بَاكِيًا مُتَضَرِّعاً إِلَيْهِ مُفْتَقِراً كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ(ابْكُوْافَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوْا) (١)

وَيَجِبُ لَهٗ أَنْ يَظُنَّ بِاللّٰهِ ظَنًّا حَسَناً وَلَايَسْتَعْجِلُ بِالدُّعَاءِ كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيْثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهٗقَالَ لَايَزَالُ الْعَبْدُ بِخَيْرٍ مَالَمْ يَسْتَعْجِلُ، قَالُوْا وَكَيْفَ يَسْتَعْجِلُ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ قَالَ، يَقُوْلُ دَعَوْتُ رَبِّي فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِيْ۔(٢)

مَنْ رُزِقَ خَمْساً لَمْ يُحْرَمْ خَمْساً

وَقَدْ وَرَدَفِي الْأَثَرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهٗ قَالَ، مَنْ رُزِقَ خَمْساً لَمْ يُحْرَمْ خَمْساً۔

مَنْ رُزِقَ الشُّكْرَلَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ لِقَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ**﴾(ابراهيم ٧)

وَمَنْ رُزِقَ الصَّبْرَلَمْ يُحْرَمِ الثَّوَابَ لِقَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(الزمر ١٠)

وَمَنْ رُزِقَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُوْلَ لِقَوْلِهٖ تَعَالٰى(**وَهُوَ الَّذِىْ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهٖ**) (الشورى ٢٥)

وَمَنْ رُزِقَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ لِقَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿**ادْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾(غافر ٦)

وَقَدْ رُوِيَ السَّادِسُ مَنْ رُزِقَ الْإِنْفَاقَ لَمْ يُحْرَمِ الْخَلَفَ لِقَوْلِهٖ تَعَالٰى ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهٗ** ﴾(سورة سبا٣٩)

وَقَدْرُوِىَ السَّابِعُ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْجُهْدَ لَايُحْرَمِ التَّوْفِيْقَ لِقَوْلِهٖ

(١) رواه ابن ماجة برقم : ٤١٨٦ عن سعد بن ابي وقاص وابويعلى في مسنده برقم : ٤٠٢٣ عن انس بن مالكؓ

(٢) رواه الامام احمد برقم : ١٢٥٣٨ والطبراني فى الاوسط برقم : ٦٠٨٤ عن انس بن مالكؓ

تَعَالٰى ﴿**وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾(العنكبوت ٦٩)(١)

سَبْعُ خَصَائِلَ تَمْنَعُ الدُّعَاءَ

قِيْلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ إِنَّا لَنَدْعُوْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَنَا وَقَدْ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى(اُدْعُوْنِىْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ) قَالَ لِأَنَّ فِيْكُمْ سَبْعَ خَصَائِلَ تَمْنَعُ دُعَائَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ قِيْلَ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ أَوَّلُهَا:إِنَّكُمْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ وَلَمْ تَطْلُبُوْا رِضَاهٗ يَعْنِي أَنَّكُمْ تَعْمَلُوْنَ أَعْمَالًا تُوْجِبُ عَلَيْكُمُ السَّخَطَ مِنَ اللّٰهِ بِهَا وَلَمْ تَرْجِعُوْا عَنْ ذٰلِكَ وَلَمْ تَنْدَمُوْا عَلٰى مَا فَعَلْتُمْ۔

اَلثَّانِىْ : إِنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ نَحْنُ عَبِيْدُ اللّٰهِ، وَلَاتَعْمَلُوْنَ عَمَلَ الْعَبِيْدِ يَعْنِي أَنَّ الْعَبْدَ يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَهٗ سَيِّدُهٗ وَلَايَخْرُجُ عَنْ أَمْرِهٖ۔

وَالثَّالِثُ : إِنَّكُمْ تَقْرَأُوْنَ الْقُرْاٰنَ وَلَمْ تَتَعَاهَدُوْا حُرُوْفَهٗ يَعْنِي لَاتَقْرَأُوْنَ بِالتَّفَكُّرِ وَالتَّعْظِيْمِ وَلَاتَعْمَلُوْنَ بِمَا أَمَرَ اللّٰهُ فِيْهِ۔

وَالرَّابِعُ : إِنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ نَحْنُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَمْ تَعْمَلُوْنَ بِسُنَّتِهٖ، يَعْنِي إِنَّكُمْ تَعْمَلُوْنَ بِالرَّسْمِ– الْعَادَةِ– وَلَاتَعْمَلُوْنَ بِالسُّنَّةِ۔

وَالْخَامِسُ : إِنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ إِنَّ الدُّنْيَا عَارِيَةٌ وَقَدَاطَمَأْ نَنْتُمْ إِلَيْهَا۔

وَالسَّادِسُ : إِنَّكُمْ تَأْكُلُوْنَ الْحَرَامَ وَالشُّبْهَةَ وَلَاتَرْجِعُوْنَ عَنْهُمَا۔

وَالسَّابِعُ : إِنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ إِنَّ الْاٰخِرَةَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَاتَجْتَهِدُوْنَ فِي طَلَبِهَا، وَتَخْتَارُوْنَ الدُّنْيَا عَلَى الْاٰخِرَةِ۔(٢)

اَلْاِسْتِجَابَةُ لِلدُّعَاءِ لَهَا طُرُقٌ

يَنْبَغِي لِمَنْ دَعَا أَنْ لَّايَسْتَعْجِلَ، لِأَنَّ الدَّاعِيَ إِذَا دَعَا الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى أَجَابَهُ الرَّبُّ عَزَّوَجَلَّ اَلْبَتَّةَ، وَلَايَرُدُّهٗ وَلٰكِنْ لِلْاِسْتِجَابَةِ طُرُقٌ۔

(١) رواه السمرقندي في تنبيه الغافلين

(٢) المصدر السابق

(١) **رُبَمَا تَتَبَيَّنُ**: الْإِجَابَةُ مِنْ سَاعَتِهِ، كَمَا نَرٰى، إِنَّنَا دَعَوْنَا اللّٰهَ تَعَالٰى فَهُوَ اسْتَجَابَ لِدُعَاءِ نَا مِنْ سَاعَتِهِ۔

(٢) **وَرُبَمَا يُؤَخِّرُ** اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى الْإِجَابَةَ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ بُكَاءَ الْعَبْدِ وَتَضَرُّعَهُ إِلَيْهِ، فَلَا يَسْتَجِيبُ مِنْ سَاعَتِهِ لِأَنَّهُ إِنْ أُجِيبَ لَمْ يَبْكِ فَحُبُّ اللّٰهِ تَعَالٰى إِيَّاهُ خَيْرٌ مِنَ الْإِجَابَةِ۔

(٣) **وَالثَّالِثُ** إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُجِيبُ دُعَاءَ هُ وَلٰكِنْ قَدْ يُعْطِيهُ شَيْئاً آخَرَبَدَلَ الَّذِي طَلَبَهُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ لَيْسَ فِيهِ مَصْلِحَةٌ لِلْعَبْدِ كَمَا دَعَتْ أُمُّ مَرْيَمَ الْاِبْنَ (الذَّكَرَ) وَاللّٰهُ رَزَقَهَا الْبِنْتَ وَقَالَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثٰى۔

(٤) **وَالرَّابِعُ** إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى قَدْ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنِ الْعَبْدِ بِسَبَبِ دُعَائِهِ وَهٰذَا خَيْرٌ لَهُ مِنَ الَّذِي طَلَبَهُ۔

(٥) **الْخَامِسُ** إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يُكَفِّرُ عَنِ الْعَبْدِ مِنْ ذُنُوبِهِ بِسَبَبِ دُعَائِهِ كَمَا وَرَدَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ۔

مَامِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَلَهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يُكَفِّرَعَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا مَالَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْقَطِيْعَةِ رَحِمٍ۔(رواهُ الترمذی)(١)

(٦) **وَالسَّادِسُ** أَنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يَدَّخِرُ لِلْعَبْدِ دَعَاءَ هُ لِلْآخِرَةِ۔كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ يَزِيدِ الرَّقَّاشِي رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيٰمَةِ عَرَضَ اللّٰهُ تَعَالٰى دَعْوَةًكَانَ دَعَا بِهَا الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يُجِبْ بِهَا، فَيَقُولُ لَهُ عَبْدِيْ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا فَأَمْسَكْتُ عَلَيْكَ دَعْوَتَكَ، فَهٰذَا الثَّوَابُ مَكَانَ ذٰلِكَ الدُّعَاءِ فَلَايَزَالُ الْعَبْدُ يُعْطٰى مِنَ الثَّوَابِ حَتّٰى يَتَمَنّٰى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَجَابَهُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا دَعْوَةً قَطُّ۔ (٢)

(١) رواه الترمذي برقم : ٣٦٧٧ عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه السمر قندي في تنبيه الغافلين

اَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ فِي آدَابِ الْأَعْمَالِ

آدَابُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

اَلْمُسْلِمُ يَنْظُرُإِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِإِعْتِبَارِ هِمَا وَسِيْلَةً إِلٰى غَيْرِهِمَا، لَاغَايَةً مَقْصُوْدَةً لِذَاتِهَا، فَهُوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مِنْ أَجْلِ الْمُحَافَظَةِ عَلٰى سَلَامَةِ بَدَنِهِ الَّذِيْ بِهِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَّعْبُدَ اللّٰهَ تَعَالٰى، تِلْكَ الْعِبَادَةَ الَّتِي تُؤَهِّلُهُ لِكَرَامَةِ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَسَعَادَتِهَا، فَلَيْسَ هُوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ لِذَاتِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَشَهْوَتِهِمَا، فَلِذَا هُوَ لَوْلَمْ يَجُعْ لَمْ يَأْكُلْ، وَلَوْلَمْ يَعْطَشْ لَمْ يَشْرَبْ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ:" نَحْنُ قَوْمٌ لَانَأْكُلُ حَتّٰى نَجُوْعَ وَإِذَا أَكَلْنَا فَلَا نَشْبَعُ"(١)

وَمِنْ هُنَا كَانَ الْمُسْلِمُ يَلْتَزِمُ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ بِآدَابٍ شَرْعِيَّةٍ خَاصَّةٍ، مِنْهَا ۔

آدَابُ مَا قَبْلَ الْأَكْلِ

اَلْأَوَّلُ – أَنْ يَسْتَطِيبَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ بِأَنْ يُعِدَّهُمَا مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ الْخَالِي مِنْ شَوَائِبِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَا كُمْ**﴾ (البقرة:١٧٢) وَالطَّيِّبُ هُوَ الْحَلَالُ الَّذِيْ لَيْسَ بِمُسْتَقْذَرٍ وَلَا مُسْتَخْبَثٍ۔

اَلثَّانِي – أَنْ يَنْوِيَ بِأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ اَلتَّقْوِيَّةَ عَلٰى عِبَادَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى ، لِيُثَابَ عَلٰى مَا أَكَلَهُ أَوْ شَرِبَهُ، فَالْمُبَاحُ يَصِيرُ بِحُسْنِ النِّيَّةِ طَاعَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ۔

اَلثَّالِثُ – أَنْ يَضَعَ طَعَامَهُ عَلٰى سُفْرَةٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَا عَلٰى

(١) لم أقف علىٰ من تخريجه، لعله أثر من آثار الصحابة رضي الله عنهم، وليس بحديث نبوي، والله أعلم

مَائِدَةٍ، إِذْ هٰذَا أَقْرَبُ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَلِقَوْلِ أَنَسٍ ؓ :" مَا أَكَلَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ عَلٰى خِوَانٍ، وَلَا فِي سُكُرُّجَّةٍ"(١) (والسكرجة: كلمة فارسية وهي قصعة يوضع فيهاالأكل)

اَلرَّابِعُ – أَنْ يَجْلِسَ مُتَوَاضِعاً بِأَنْ يَجْثُوَ عَلٰى رُكْبَتَيْهِ، وَيَجْلِسُ عَلٰى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، أَوْيَنْصِبَ رِجْلَهُ الْيُمْنٰى، وَيَجْلِسُ عَلٰى الْيُسْرٰى، كَمَا كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَجْلِسُ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ :" لَا آكُلُ مُتَّكِئاً،إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ "(٢)

اَلْخَامِسُ – أَنْ يَرْضٰى بِالْمَوْجُوْدِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَلَّا يَعِيْبَهُ، وَإِنْ أَعْجَبَهُ أَكَلَ، وَإِنْ لَمْ يُعْجِبْهُ تَرَكَ، لِحَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ :" مَا عَابَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ طَعَاماً قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَ "(٣)

اَلسَّادِسُ – أَنْ يَأْكُلَ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ ضَيْفٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْخَادِمٍ، لِخَبَرٍ:" اِجْتَمِعُوْا عَلٰى طَعَامِكُمْ واذْكُرُوْا اسْمَ اللّٰهِ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيْهِ "(٤)

آدَابُ الْأَكْلِ أَثْنَاءَهُ

اَلْأَوَّلُ – أَنْ يَبْدَأَ بِـ "بِسْمِ اللّٰهِ" لِقَوْلِهِ ﷺ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِاسْمَ اللّٰهِ تَعَالٰى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَاسْمَ اللّٰهِ تَعَالٰى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ:"بِسْمِ اللّٰهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ"(٥)

اَلثَّانِي – أَنْ يَخْتِمَهُ بِحَمْدِ اللّٰهِ تَعَالٰى، لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ "مَنْ

(١) رواه البخاري برقم : ٤٩٩٥ وابن ماجة برقم : ٣٢٨٣ والترمذي ١٧١٠ عن انس ؓ
(٢) رواه البخاري في كتاب الاطعمة
(٣) رواه البخاري برقم : ٤٩٨٩ عن ابي هريرة ؓ
(٤) رواه ابن ماجة برقم : ٣٢٧٧ وابوداؤد برقم : ٣٢٧٢ عن وحشي ؓ
(٥) رواه أبوداؤد برقم ٣٢٧٥، والإمام أحمد برقم ٢٣٩٥٤عن عائشة ؓ

أَكَلَ طَعَاماً وَقَالَ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَطْعَمَنِيْ هٰذَا وَرَزَقَنِيْهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَاقُوَّةٍ، غُفِرَلَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"(١)

اَلثَّالِثُ – أَنْ يَأْكُلَ بِثَلَاثَةِ أَصْبَاعٍ مِنْ يَدِهِ الْيُمْنٰى، وَأَنْ يُصَغِّرَ اللُّقْمَةَ وَيُجِيْدَ الْمَضْغَ، وَأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا يَلِيْهِ لَا مِنْ وَسَطِ الْقَصْعَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِعَمْرِوبْنِ أَبِي سَلَمَةَ ؓ:"يَاغُلَامُ،سَمِّ اللّٰهَ، وَكُلْ بِيَمِيْنِكَ،وَكُلْ مِمَّايَلِيْكَ"(٢)

وَقَوْلُهُ ﷺ "اَلْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوْا مِنْ حَافَّتِهِ وَلَا تَأْكُلُوْا مِنْ وَسَطِهِ"(٣)

اَلرَّابِعُ – أَنْ يُجِيْدَ الْمَضْغَ وَأَنْ يَلْعَقَ الصَّحْفَةَ وَأَصَابِعَهُ قَبْلَ مَسْحِهَا بِالْمِنْدِيْلِ، أَوْ غَسْلِهَا بِالْمَاءِ: لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: " إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلَا يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ حَتّٰى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا "(٤)

وَلِقَوْلِ جَابِرٍ ؓ:إِنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: "إِنَّكُمْ لَا تَدْرُوْنَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ "(٥)

اَلْخَامِسُ – إِذَا سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ أَزَالَ عَنْهُ الْأَذٰى وَأَكَلَهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ:" إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذٰى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ"(٦)

اَلسَّادِسُ –أَلَّا يَنْفُخَ فِي الطَّعَامِ الْحَارِّ، وَأَلَّا يَطْعَمَهُ حَتّٰى يَبْرُدَ، وَأَلَّا يَنْفُخَ فِي الْمَاءِ حَالَ الشُّرْبِ، وَلْيَتَنَفَّسْ خَارِجَ الْإِنَاءِ ثَلَاثًا، لِحَدِيْثِ

(١) رواه أبوداؤد برقم ٣٥٠٥ ورواه ابن ماجه ٣٢٧٦ والترمذي ٣٣٨٠
(٢) رواه البخاريبرقم : ٤٩٥٧ ومسلم برقم: ٣٧٦٧
(٣) رواه الترمذيبرقم :١٧٢٧ وابن حبان برقم:٥٣٣٥
(٤) رواه البخاري برقم : ٥٠٣٥ ومسلم برقم : ٣٧٨٧
(٥) رواه مسلم برقم :٣٧٩٣ عن جابر ؓ
(٦) رواه مسلم برقم:٣٧٩٥وابوداؤد برقم: ٣٣٤٧ عن انس ؓ

أَنَسٍ ﵁:" أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثاً "(١) وَلِحَدِيْثِ اِبْنِ عَبَّاسٍ ﵁: " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهٰى أَنْ يُتَنفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيْهِ "(٢)

اَلسَّابِعُ – أَنْ يَتَجَنَّبَ الشَّبَعَ الْمُفْرِطَ؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "(٣)

اَلثَّامِنُ – أَنْ يُنَاوِلَ الطَّعَامَ أَوِ الشَّرَابَ أَكْبَرَ الْجَالِسِيْنَ، ثُمَّ يُدِيْرَهُ الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ، وَأَنْ يَكُوْنَ هُوَ آخِرُ الْقَوْمِ شُرْبًا: لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "كَبِّرْ كَبِّرْ" أَيْ : إِبْدَأْ بِالْأَكْبَرِ مِنَ الْجَالِسِيْنَ ، وَلِاِ سْتِئْذَانِهِ ﷺ ابْنَ عَبَّاسٍ ﵁ فِيْ أَنْ يُنَاوِلَ الشَّرَابَ الْأَشْيَاخَ عَلٰى يَسَارِهِ إِذْ كَانَ إِبْنُ عَبَّاسٍ ﵄ عَلٰى يَمِيْنِهِ وَالْأَشْيَاخُ الْكِبَارُ عَلٰى يَسَارِهِ (٤)

فَاسْتِئْذَانُهُ دَالٌّ عَلٰى أَنَّ الْأَحَقَّ بِالشَّرَابِ الْجَالِسُ عَلَى الْيَمِيْنِ ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ " الْأَيْمَنُ فَالْأَيْمَنُ "(٥)

اَلتَّاسِعُ – أَلَّا يَبْدَأَ بِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَفِي الْمَجْلِسِ مَنْ هُوَ أَوْلٰى مِنْهُ بِالتَّقْدِيْمِ : لِكِبَرِ سِنٍّ، أَوْ زِيَادَةِ فَضْلٍ، لِأَنَّ ذٰلِكَ مُخِلٌّ بِالْآدَابِ، مُعَرِّضٌ صَاحِبَهُ لِوَصْفِ الْجَشَعِ الْمَذْمُوْمِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِلَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ، إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

(١) رواه مسلم برقم :٣٧٨٢

(٢) رواه الترمذي برقم :١٨١٠ وصَحَّحَهُ وأبوداؤد ٣٢٤٠ عن ابن عباس ﵁

(٣) رواه ابن ماجه برقم :٣٣٤٠، و الترمذي برقم :٢٣٠٢ والحاكم في المستدرك برقم :٨٠٦٤ عن المقدام بن معدي كرب

(٤) صحيح البخاري" كتاب المظالم ومسلم كتاب الأشربة

(٥) رواه البخاري برقم ٢١٨١ ومسلم برقم : ٣٧٨٣عن انس ﵁

اَلْعَاشِرُ – أَلَّا يُحْوِجَ رَفِيْقَهُ أَوْ مُضِيْفَهُ إِلٰى أَنْ يَقُوْلَ لَهُ: كُلْ، وَيُلِحَّ عَلَيْهِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ فِي أَدَبٍ كِفَايَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ أَوْ تَكَلُّفٍ لِلْحَيَاءِ، إِذْ فِي ذٰلِكَ إِحْرَاجٌ لِرَفِيْقِهِ أَوْ مُضِيْفِهِ كَمَا فِيْهِ نَوْعُ رِيَاءٍ، وَالرِّيَاءُ حَرَامٌ.

اَلْحَادِيْ عَشَرَ – أَنْ يَرْفُقَ بِرَفِيْقِهِ فِي الْأَكْلِ، فَلَا يُحَاوِلُ أَنْ يَأْكُلَ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَلَا سِيِّمَا إِذَا كَانَ الطَّعَامُ قَلِيْلاً، لِأَنَّهُ فِي ذٰلِكَ يَكُوْنُ آكِلًا لِحَقِّ غَيْرِهِ.

اَلثَّانِي عَشَرَ – أَلَّا يَنْظُرَ إِلَى الرُّفَقَاءِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ، وَأَلَّا يُرَاقِبَهُمْ فَيَسْتَحْيُوْنَ مِنْهُ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْآكِلَةِ حَوْلَهُ ، وَأَلَّا يَتَطَلَّعَ إِلَيْهِمْ إِذْ إِنَّ ذٰلِكَ يُؤْذِيْهِمْ ، كَمَا قَدْ يُسَبِّبُ لَهُ بُغْضَ أَحَدِهِمْ، فَيَأْثَمُ لِذٰلِكَ.

اَلثَّالِثُ عَشَرَ – أَلَّا يَفْعَلَ مَا يَسْتَقْذِرُهُ النَّاسُ عَادَةً : فَلَا يَنْفُضُ يَدَهُ فِي الْقَصْعَةِ، وَلَا يُدْنِي رَأْسَهُ مِنْهَا عِنْدَ الْأَكْلِ وَالتَّنَاوُلِ لِئَلَّا يَسْقُطَ مِنْ فَمِهِ شَيْءٌ يَقَعُ فِيْهَا، كَمَا إِذَا أَخَذَ بِأَسْنَانِهِ شَيْئاً مِنَ الْخُبْزِ لَا يَغْمِسُ بَاقِيَهِ فِي الْقَصْعَةِ، كَمَا عَلَيْهِ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِالْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى الْقَاذُوْرَاتِ وَالْأَوْسَاخِ، إِذْ رُبَمَاتَأَذّٰى بِذٰلِكَ أَحَدُ الرُّفَقَاءِ، وَأَذِيَّةُ الْمُسْلِمِ مُحَرَّمَةٌ.

اَلرَّابِعَ عَشَرَ – أَنْ يَكُوْنَ أَكْلُهُ مَعَ الْفَقِيْرِ قَائِماً عَلٰى إِيْثَارِهِ، وَمَعَ الْإِخْوَانِ قَائِماً عَلَى الْاِنْبِسَاطِ وَالْمُدَاعَبَةِ ، وَمَعَ ذَوِي الرُّتَبِ وَالْهَيْئَاتِ عَلَى الْأَدَبِ وَالْاِحْتِرَامِ.

آدَابُ مَا بَعْدَ الْأَكْلِ

اَلْأَوَّلُ – يُمسِكُ عَنِ الْأَكلِ قَبلَ الشَّبَعِ اقْتِدَاءً بِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَحَتّٰى لَايَقَعَ فِي التُّخمَةِ الْمُهلِكَةِ وَالْبِطْنَةِ الْمُذْهِبَةِ لِلفِطْنَةِ۔

اَلثَّانِي – أَنْ يَلْعَقَ يَدَهُ ثُمَّ يَمْسَحُهَا أَوْ يَغْسِلُهَا، وَغَسْلُهَا أَوْلٰى وَأَحْسَنُ۔

اَلثَّالِثُ – أَنْ يَلْتَقِطَ مَا تَسَاقَطَ مِنْ طَعَامِهِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ : لِمَا وَرَدَ مِنَ التَّرْغِيْبِ فِي ذٰلِكَ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الشُّكْرِ لِلنِّعْمَةِ۔

اَلرَّابِعُ – أَنْ يُخَلِّلَ أَسْنَانَهُ وَيَتَمَضْمَضَ تَطْيِيْباً لِفَمِهِ، إِذْبِهِ يُذْكَرُاللّٰهُ تَعَالٰى وَيُخَاطَبُ الْإِخْوَانُ، كَمَا أَنَّ نَظَافَةَ الْفَمِ قَدْ تُبْقِي عَلٰى سَلَامَةِ الْأَسْنَانِ۔

اَلْخَامِسُ – أَنْ يَحْمَدَ اللّٰهَ تَعَالٰى عَقِبَ أَكْلِهِ أَوْ شُرْبِهِ، وَأَنْ يَقُوْلَ إِذَا شَرِبَ لَبَناً: "أَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَزِدْنَا مِنْهُ"(١)

وَإِنْ أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ قَالَ: "أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُوْنَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ"۔(٢)

وَإِنْ قَالَ:"اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ"(٣) فَقَدْ أَصَابَ السُّنَّةَ، وَدَعَا بِخَيْرٍ كَثِيْرٍ۔

آدَابُ الضِّيَافَةِ

اَلْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِوَاجِبِ إِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَيُقْدُرُهُ قَدَرَهُ الْمَطْلُوبَ،

(١) رواه ابوداؤد برقم: ٣٢٤٢ والترمذي برقم : ٣٣٧٧ وابن ماجة ٣٣١٣ عن ابن عباسؓ

(٢) رواه ابن ماجه برقم : ١٧٣٧ وابوداؤد برقم : ٣٣٥٦ عن انسؓ

(٣) رواه ابوداؤد برقم : ٣٢٤١ وابن ماجه برقم : ٣٥٠٠ عن عبد الله بن بسر

وَذٰلِكَ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ "(١) وَقَوْلِهِ : " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ" قَالُوْا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ:"يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذٰلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ"(٢) وَلِهٰذَا كَانَ الْمُسْلِمُ يَلْتَزِمُ فِي شَأْنِ الضِّيَافَةِ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

الْإِلْتِزَامُ فِي شَأْنِ الدَّعْوَةِ

اَلْأَوَّلُ – أَنْ يَدْعُوَ لِضِيَافَتِهِ الْأَتْقِيَاءَ دُوْنَ الْفُسَّاقِ وَالْفَجَرَةِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : " لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ"(٣)

اَلثَّانِي–أَلَّا يَخُصَّ بِضِيَافَتِهِ الْأَغْنِيَاءَ دُوْنَ الْفُقَرَاءِ؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: " شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيْمَةِ يُدْعٰى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ دُوْنَ الْفُقَرَاءِ " (٤)

اَلثَّالِثُ – أَلَّا يَخُصَّ بِضِيَافَتِهِ التَّفَاخُرَ وَالْمُبَاهَاةَ، بَلْ يَقْصِدُ الْإِسْتِنَانَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ كَإِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِيْ كَانَ يُلَقَّبُ بِأَبِيْ الضَّيْفَانِ، كَمَا يَنْوِيْ بِهَا إِدْخَالَ السُّرُوْرِ عَلٰى الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِشَاعَةَ الْغِبْطَةِ الْبَهْجَةِ فِي قُلُوْبِ الْإِخْوَانِ۔

اَلرَّابِعُ – أَلَّا يَدْعُوَ إِلَيْهَامَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَشُقُّ عَلَيْهِ الْحُضُوْرُ، أَوْ أَنَّهُ يَتَأَذّٰى بِبَعْضِ الْإِخْوَانِ الْحَاضِرِيْنَ؛ تَجَنُّبًا لِأَذِيَّةِ الْمُؤْمِنِ الْمُحَرَّمَةِ۔

(١) رواه البخاري برقم : ٥٥٥٩ عن ابي هريرة ومسلم برقم : ٣٢٥٥ عن ابي شريح العدوي

(٢) رواه البخاري برقم : ٥٦٧٠ ومسلم برقم : ٣٢٥٥ عن ابي شريح العدوي والدارمي برقم : ٢١٠٩ عن ابي سعيدؓ

(٣) رواه ابوداؤد برقم : ٤١٩٢ والترمذي برقم : ٢٣١٨

(٤) رواه البخاري برقم: ٤٧٧٩ ومسلم برقم: ٢٥٨٥ وابودؤد برقم: ٣٢٥١ عن ابي هريرةؓ

آدَابُ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ

اَلْأَوَّلُ – أَنْ يُجِيبَ الدَّعْوَةَ وَلَايَتَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَّا مِنْ عُذْرٍ، كَأَنْ يَخْشٰى ضَرَراً فِي دِيْنِهٖ أَوْ بَدَنِهٖ: لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "مَنْ دُعِيَ فَلْيُجِبْ"(١) وَقَوْلِهٖ :" لَوْ دُعِيتُ إِلٰى كُرَاعِ شَاةٍ لَأَجَبْتُ، لَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ"(٢)

اَلثَّانِي – أَلَّا يُمَيِّزَ فِي الْإِجَابَةِ بَيْنَ الْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ؛ لِأَنَّ فِي عَدَمِ إِجَابَةِ الْفَقِيرِ كَسْراً لِخَاطِرِهٖ، كَمَا أَنَّ فِي ذٰلِكَ نَوْعًا مِنَ التَّكَبُّرِ، وَالْكِبْرُمَمْقُوتٌ، وَمِمَّا يُرْوٰى فِي إِجَابَةِ دَعْوَةِ الْفُقَرَاءِ: أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنه مَرَّبِمَسَاكِيْنَ وَقَدْ نَشَرُوْا كِسَراً عَلَى الْأَرْضِ وَهُمْ يَأْكُلُوْنَ، فَقَالُوْا لَهُ: هَلُمَّ إِلَي الْغَدَاءِ يَا ابْنَ بِنْتِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنَّ اللّٰهَ لَايُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِيْنَ ، وَنَزَلَ عَنْ بَغْلَتِهٖ وَأَكَلَ مَعَهُمْ۔(٣)

اَلثَّالِثُ – أَلَّا يُفَرِّقَ فِي الْإِجَابَةِ بَيْنَ بَعِيْدِ الْمَسَافَةِ وَقَرِيْبِهَا، وَإِنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ دَعْوَتَانِ أَجَابَ السَّابِقَةَ مِنْهُمَا، وَاعْتَذَرَ لِلآخَرِ۔

اَلرَّابِعُ – أَلَّا يَتَأَخَّرَ مِنْ أَجْلِ صَوْمِهٖ، بَلْ يَحْضُرُ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهُ يَسُرُّ بِأَكْلِهٖ أَفْطَرَ، لِأَنَّ إِدْخَالَ السُّرُوْرِ عَلٰى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْقُرَبِ، وَإِلَّا دَعَالَهُمْ بِخَيْرٍ: لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ :"إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ

(١) رواه ابوداؤد برقم : ٣٢٤٩ عن جابر رضي الله عنه ومسلم برقم : ٢٥٨٤ عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري برقم : ٤٧٨٠ واحمد فى المسند برقم : ١٢١ عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٣) احياء علوم الدين ١ / ٣٧٠ في آداب الضيافة

كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ –يَدْعُ– وَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَطْعَمْ"(١)

اَلْخَامِسُ – أَنْ يَنْوِيَ بِإِجَابَتِهٖ إِكْرَامَ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ لِيُثَابَ عَلَيْهِ؛ لِخَبَرِ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَانَوٰى"(٢) إِذْ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ يَنْقَلِبُ الْمُبَاحُ طَاعَةً يُؤْجَرُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ۔

فِيْ آدَابِ حُضُوْرِهَا

اَلْأَوَّلُ – أَلَّا يُطِيْلَ الْإِنْتِظَارَ عَلَيْهِمْ فَيُقْلِقَهُمْ، وَأَلَّا يُعَجِّلَ الْمَجِيَّ فَيُفَاجِئَهُمْ قَبْلَ الْاِسْتِعْدَادِ، لِمَا فِيْ ذٰلِكَ مِنْ أَذِيَّتِهِمْ۔

اَلثَّانِي – إِذَا دَخَلَ فَلَا يَتَصَدَّرُ الْمَجْلِسَ، بَلْ يَتَوَاضَعُ فِي الْمَجْلِسِ، وَإِذَا أَشَارَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَحَلِّ بِالْجُلُوْسِ فِي مَكَانٍ جَلَسَ فِيْهِ وَلَا يُفَارِقُهُ۔

اَلثَّالِثُ –أَنْ يُعَجِّلَ بِتَقْدِيْمِ الطَّعَامِ لِلضَّيْفِ؛ لِأَنَّ فِي تَعْجِيْلِهٖ إِكْرَاماً لَهُ، وَقَدْ أَمَرَ الشَّارِعُ بِإِكْرَامِهٖ:"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"(٣)

اَلرَّابِعُ – أَنْ يُقَدِّمَ لِضَيْفِهٖ قَدْرَ الْكِفَايَةِ، إِذَ التَّقْلِيْلُ نَقْصٌ فِي الْمُرُوْئَةِ، وَالزِّيَادَةُ تَصَنُّعٌ وَمُرَائَةٌ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مَذْمُوْمٌ۔

اَلْخَامِسُ – إِذَا نَزَلَ ضَيْفاً عَلٰى أَحَدٍ فَلَا يَزِيْدَنَّ عَلٰى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، إِلَّا أَنْ يُلِحَّ عَلَيْهِ مُضِيْفُهُ فِي الْإِقَامَةِ أَكْثَرَ،وَإِذَا انْصَرَفَ اِسْتَأْذَنَ لِإِنْصِرَافِهٖ۔

اَلسَّادِسُ – أَنْ يُشَيِّعَ الضَّيْفَ بِالْخُرُوْجِ مَعَهُ إِلٰى خَارِجِ الْمَنْزِلِ،

(١) رواه مسلم برقم : ٢٥٨٤ عن ابي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه البخاري برقم : ١، في بدأ الوحي

(٣) سبق تخريجه

لِعَمَلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ذٰلِكَ، وَلِأَنَّهُ دَاخِلٌ تَحْتَ إِكْرَامِ الضَّيْفِ الْمَأْمُوْرِ بِهِ شَرْعاً.

اَلسَّابِعُ – أَنْ يَنْصَرِفَ الضَّيْفُ طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِنْ جَرٰى فِي حَقِّهِ تَقْصِيْرٌ مَّا، لِأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ الَّذِيْ يُدْرِكُ بِهِ الْعَبْدُ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ.

اَلثَّامِنُ – أَنْ يَكُوْنَ لِلْمُسْلِمِ ثَلَاثَةُ فُرُشٍ: أَحَدُهَا لَهُ، وَثَانِيْهِمَا لِأَهْلِهِ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الثَّلَاثَةِ مَنْهِيٌّ عَنْهَا لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: " فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِلْمَرْأَةِ، وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ"(١)

آدَابُ النَّوْمِ

اَلْمُسْلِمُ يَرَى النَّوْمَ مِنَ النِّعَمِ الَّتِيْ امْتَنَّ اللّٰهُ بِهَا عَلٰى عِبَادِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ﴾ (القصص:٧٣) وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ (النبا:٩) إِذْ سُكُوْنُ الْعَبْدِ سَاعَاتٌ بِاللَّيْلِ بَعْدَ حَرَكَةِ النَّهَارِ الدَّائِبَةِ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلٰى حَيَاةِ الْجِسْمِ وَبَقَاءِ نَمَائِهِ وَنَشَاطِهِ لِيُؤَدِّيَ وَظَائِفَهُ الَّتِيْ خَلَقَهُ اللّٰهُ مِنْ أَجْلِهَا، فَشُكْرُ هٰذِهِ النِّعْمَةِ يَسْتَلْزِمُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يُرَاعِيَ فِي نَوْمِهِ الْآدَابَ التَّالِيَةَ.

اَلْأَوَّلُ – أَلَّا يُؤَخِّرَ نَوْمَهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَّا لِضَرُوْرَةٍ: كَمُذَاكَرَةِ عِلْمٍ،أَوْ مُحَادَثَةِ ضَيْفٍ ، أَوْ مُؤَانَسَةِ أَهْلٍ، لِمَا رَوٰى

(١) رواه ابوداؤد برقم : ٣٦١٣ ومسلم برقم : ٣٨٨٦ عن جابر بن عبد اللهؓ

أَبُوبَرْزَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيْثَ بَعْدَهَا.(١)

اَلثَّانِي – أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَلَّا يَنَامَ إِلَّا عَلٰى وُضُوْءٍ؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه :"إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوْءَكَ لِلصَّلَاةِ"(٢)

اَلثَّالِثُ – أَنْ يَنَامَ إِبْتِدَاءً عَلٰى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَيَتَوَسَّدَ يَمِيْنَهُ، وَلَابَأْسَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلٰى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ فِيْمَا بَعْدُ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ لِلْبَرَاءِ رضي الله عنه:"إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ؛فَتَوَضَّأْ وُضُوْءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلٰى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ"(٣) وَقَوْلِهِ:"إِذَا أَوَيْتَ إِلٰى فِرَاشِكَ وَأَنْتَ طَاهِرٌ فَتَوَسَّدْ يَمِيْنَكَ"(٤)

اَلرَّابِعُ –لَايَضْطَجِعُ عَلٰى بَطْنِهِ أَثْنَاءَ نَوْمِهِ لَيْلاً وَلَا نَهَاراً، لِمَا وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:"إِنَّهَا ضَجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ"(٥) وَقَالَ:"إِنَّهَا ضَجْعَةٌ لَايُحِبُّهَا اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ"(٦)

اَلْأَذْكَارُ الْوَارِدَةُ قَبْلَ النَّوْمِ

اَلْأَوَّلُ: أَنْ يَقُوْلَ: سُبْحَانَ اللّٰهِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَاللّٰهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثاً وَثَلَاثِيْنَ،ثُمَّ يَقُوْلُ: لَاإِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَعَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ، لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ رضي الله عنهما، وَقَدْ طَلَبَا مِنْهُ ﷺ خَادِماً يُسَاعِدُهُمَا فِي الْبَيْتِ:"أَلَا أَدُلُّكُماً

(١) رواه البخاري برقم : ٥٣٥ واحمد في المسند برقم : ١٨٩٤٥ عن ابي برزةؓ
(٢) رواه البخاري برقم : ٥٨٣٦ ومسلم برقم : ٤٨٨٤ عن البراء بن عازبؓ
(٣) المصدر السابق
(٤) رواه ابوداؤد برقم : ٤٣٨٩ عن البراء بن عازبؓ
(٥) رواه ابن ماحة برقم: ٣٧١٤ والطبراني فى الكبير برقم : ٨١٤٨
(٦) رواه الحاكم برقم: ٧٨١٨ والترمذي برقم : ٢٦٩٢ عن ابي هريرةؓ

عَلٰى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضْجَعَكُمَا فَسَبِّحَاثَلَاثاً وَثَلَاثِيْنَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثاً وَثَلَاثِيْنَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلَاثِيْنَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ"(١)

اَلثَّانِي: أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ وَأَوَّلَ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ إِلٰى(المفلحون) 'آيَةَ الْكُرْسِيِّ،وَخَاتِمَةَ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ:(لله مافي السمٰوٰت......) إِلٰى آخِرِ السُّوْرَةِ ؛ لِمَا وَرَدَ مِنَ التَّرْغِيْبِ فِي ذٰلِكَ۔

اَلثَّالِثُ: أَنْ يَجْعَلَ آخِرَمَا يَقُوْلُهُ هٰذَا الدُّعَاءَ الْوَارِدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ "بِاسْمِكَ اللّٰهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِيْ وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، اَللّٰهُمَّ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِيْ فَاغْفِرْلَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكَ، اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِيْ إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِيْ إِلَيْكَ، اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِيْ أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِيْ أَرْسَلْتَ فَاغْفِرْلِي مَاقَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَاأَسْرَرْتُ وَمَاأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّيْ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبِّ قِنِيْ عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ (٢)

اَلْأَذْكَارُ الْوَارِدَةُ أَثْنَاءَ النَّوْمِ

اَلْأَوَّلُ – أَنْ يَقُوْلَ إِذَا اسْتَيْقَظَ أَثْنَاءَ نَوْمِهِ:"لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَعَلٰى كُلِّ شَيْئٍ قَدِيْرٌ، سُبْحَانَ اللّٰهِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَاللّٰهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ" وَلْيَدْعُ

(١) رواه البخاري برقم: ٤٩٤٢ وابوداؤد برقم: ٤٤٠٣ عن عليؓ

(٢) رواه البخاري برقم :٥٨٤٥ ـ ٥٨٣٨ ومسلم برقم : ٤٨٨٩ ـ ٤٨٨٥

بِمَا شَاءَ فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ " مَنْ تَعَارَّ بِاللَّيْلِ فَقَالَ حِيْنَ يَسْتَيْقِظُ ثُمَّ دَعَا اُسْتُجِيْبَ لَهُ"فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلّٰى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ(١) أَوْ يَقُوْلَ: لَاإِلٰهَ إِلَّاأَنْتَ سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اَللّٰهُمَّ زِدْنِي عِلْماً، وَلَاتُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ۔

اَلْأَذْكَارُ الْوَارِدَةُ إِذَا أَصْبَحَ

اَلْأَوَّلُ: أَنْ يَقُوْلَ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَقَبْلَ أَنْ يَقُوْمَ مِنْ فِرَاشِهِ: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُوْرُ۔

اَلثَّانِي: أَنْ يَرْفَعَ طَرْفَهُ إِلٰى السَّمَاءِ وَيَقْرَأُ:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ**﴾ أَلْآيَاتِ الْعَشْرَ مِنْ خَاتِمَةِ آلِ عِمْرَانَ، إِذَا هُوَ قَامَ لِلتَّهَجُّدِ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ " لَمَّا بِتُّ عِنْدَ خَالَتِيْ مَيْمُوْنَةَ زَوْجِ الرَّسُوْلِ ﷺ نَامَ الرَّسُوْلُ ﷺ حَتّٰى نِصْفِ اللَّيْلِ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيْلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيْلٍ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلٰى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ الْوُضُوْءَ ثُمَّ قَامَ فَصَلّٰى۔(٢)

اَلثَّالِثُ: أَنْ يَقُوْلَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: اللّٰهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ بِحَمْدِكَ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ،وَجَمِيْعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللّٰهُ لَاإِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُوْلُكَ، لِقَوْلِهِ ﷺ : "مَنْ قَالَهَا مَرَّةً أَعْتَقَ اللّٰهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللّٰهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثاً

(١) رواه البخاري برقم: ١٠٨٦

(٢) رواه البخاري برقم: ١١٢٣ ومسلم برقم : ١٢٧٥ وابن ماجه برقم : ١٣٥٣ عن ابن عباسؓ

أَعْتَقَ اللّٰهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللّٰهُ مِنَ النَّارِ۔(١)

اَلرَّابِعُ – أَنْ يَقُوْلَ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلٰى عَتَبَةِ الْبَابِ خَارِجاً: بِاسْمِ اللّٰهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ " إِذَا قَالَ الْعَبْدُ هٰذَا قِيْلَ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحّٰى عَنْهُ الشَّيْطَانُ"(٢)

اَلْخَامِسُ – إِذَا غَادَرَ العَتَبَةَ قَالَ:" اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُبِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلَمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْيُجْهَلَ عَلَيَّ" وَذٰلِكَ لِقَوْلِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: مَاخَرَجَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ:"اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ......"الحديث(٣)

آدَابُ الْجُلُوْسِ وَالْمَجْلِسِ

اَلْمُسْلِمُ حَيَاتُهُ كُلُّهَا خَاضِعَةٌ تَابِعَةٌ لِلْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِىْ تَنَاوَلَ كُلَّ شَأْنٍ مِنْ شُئُوْنِ الْحَيَاةِ حَتّٰى جُلُوْسِ الْمُسْلِمِ وَكَيْفِيَّةِ مُجَالَسَتِهِ لِإِخْوَانِهِ فَلِهٰذَا كَانَ الْمُسْلِمُ يَلْتَزِمُ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ فِيجُلُوْسِهِ وَمُجَالَسَتِهِ۔

اَلتَّسْلِيْمُ عَلٰى أَهْلِ الْمَجْلِسِ

اَلْأَوَّل – إِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ فَإِنَّهُ يُسَلِّمُ عَلٰى أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَوَّلاً ثُمَّ يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهٰى بِهِ الْمَجْلِسُ، وَلَا يُقِيمَنَّ أَحَداً مِنْ مَجْلِسِهِ لِيَقْعُدَ فِيْهِ، وَلَايَجْلِسُ بَيْنَ إِثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا، لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ:لَايُقِيمَنَّ

(١) رواه ابوداؤد برقم : ٤٤٠٧ عن انس بن مالك والطبراني في الكبير برقم : ١٧٩٦ عن ابي درداء
(٢) رواه الترمذي برقم : ٣٣٤٨ عن انس بن مالك رضي الله عنه
(٣) رواه ابوداؤد برقم : ٤٤٣٠ والطبراني فى الكبير برقم : ١٩١٩٩عن ام سلمة رضي الله عنها

أَحَدُكُم رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيْهِ، وَلٰكِنْ تَوَسَّعُوْا أَوْ تَفَسَّحُوْا(١) وَعَنْ جَابِرِبْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ(٢) وَلِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ لَايَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا (٣)

اَلثَّانِي إِذَا قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ وَعَادَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ:لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ۔(٤)

اَلثَّالِثُ – لَايَجْلِسُ فِي وَسَطِ الْحَلَقَةِ: لِقَوْلِ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: إِنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ فِي وَسَطِ الْحَلَقَةِ۔(٥)

اَلرَّابِعُ – إِذَا جَلَسَ يُرَاعِي الْآدَابَ الْآتِيَةَ: أَنْ يَجْلِسَ وَعَلَيْهِ وَقَارٌ وَسَكِيْنَةٌ وَلَا يُشَبِّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَلَايَعْبَثَ بِلِحْيَتِهِ أَوْ خَاتَمِهِ، وَلَايُخَلِّلَ أَسْنَانَهُ أَوْ يُدْخِلَ اِصْبَعَهُ فِي أَنْفِهِ أَوْ يُكْثِرَ مِنَ الْبُصَاقِ وَالتَّنَخُّمِ أَوْيُكْثِرَ مِنَ الْعُطَاسِ وَالتَّثَاؤُبِ، وَلْيَكُنْ مَجْلِسُهُ هَادِئاً قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، وَلْيَكُنْ كَلَامُهُ مَنْظُوماً مُتَّزِنًا،وَإِذَا تَحَدَّثَ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ وَلَايُكْثِرُ مِنَ الْكَلَامِ، وَلْيَتَجَنَّبِ الْمِزَاحَ وَالْمِرَاءَ، وَأَلَّا يَتَحَدَّثَ بِإِعْجَابٍ عَنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، أَوْ صَنَاعَتِهِ، أَوْ إِنْتَاجِهِ الْمَادِّيِّ وَالْأَدَبِيِّ مِنْ شَعْرٍ أَوْ تَأْلِيفٍ، وَإِذَا حَدَّثَ غَيْرُهُ أَصْغٰى يَسْمَعُ، غَيْرَمُفْرِطٍ فِي الْإِعْجَابِ بِحَدِيْثِ مَنْ يَسْمَعُهُ، وَأَلَّا يُقَاطِعَ الْكَلَامَ أَوْيَطْلُبَ إِلَيْهِ إِعَادَتَهُ، لِأَنَّ ذٰلِكَ يَسُوْءُ الْمُتَحَدِّثَ۔

(١) رواه مسلم برقم : ٤٠٤٣ واحمد برقم : ٥٧٨٩ عن ابن عمر رضي الله عنه
(٢) رواه ابوداؤد برقم: ٤١٨٧ والترمذي برقم: ٢٦٤٩ عن جابر رضي الله عنه
(٣) رواه الترمذي برقم: ٢٦٧٦ وابوداؤد برقم: ٤٢٠٥ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه
(٤) رواه مسلم برقم : ٤٠٤٧ عن ابي هريرة رضي الله عنه
(٥) رواه ابوداؤد، وامام احمد في المسند برقم: ٢٢٢٨٧ عن حذيفة رضي الله عنه

وَالْمُسْلِمُ إِذْ يَلْتَزِمُ هٰذِهِ الْآدَابَ إِنَّمَا يَلْتَزِمُهَا لِأَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَلَّا يُؤْذِيَ إِخْوَانَهُ بِخُلُقِهِ أَوْ عَمَلِهِ، لِأَنَّ أَذِيَّةَ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: "وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" وَالثَّانِي: أَنْ يَجْلِبَ مَحَبَّةَ إِخْوَانِهِ وَمُؤَالَفَتِهِمْ، إِذْ أَمَرَ الشَّارِعُ بِالتَّحَابُبِ وَالْمُؤَالَفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ وَحَثَّ عَلٰى ذٰلِكَ۔

آدَابُ الْجُلُوْسِ فِي الطُّرُقَاتِ

– إِذَا أَرَادَ الْجُلُوْسَ فِي الطُّرُقَاتِ فَإِنَّهُ يُرَاعِي الْآدَابَ الْآتِيَةَ:

اَلْأَوَّلُ – غَضُّ الْبَصَرِ، فَلَا يَفْتَحُ بَصَرَهُ فِي مَارَّةٍ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، أَوْ وَاقِفَةٍ بِبَابِهَا أَوْ مُسْتَشْرِفَةٍ عَلٰى شُرُفَاتِ مَنْزِلِهَا، أَوْ مُطِلَّةٍ عَلٰى نَافِذَتِهَا لِحَاجَتِهَا، كَمَا لَا يُرْسِلُ نَظْرَهُ حَاسِداً لِأَحَدٍ، أَوْ زَارِياً عَلٰى أَحَدٍ۔

اَلثَّانِي – أَنْ يَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ الْمَارَّةِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، فَلَا يُؤْذِيْ أَحَداً بِلِسَانِهِ سَابّاً شَاتِماً، أَوْعَائِباً مُقَبِّحًا، وَلَا بِيَدِهِ ضَارِباً لَاكِمًا، وَلَا سَالِبًا لِمَالِ غَيْرِهِ غَاصِباً، وَلَا مُعْتَرِضاً عَلي الطَّرِيْقِ صَاداً الْمَارَّةَ، قَاطِعاً سَبِيْلَهُمْ۔

اَلثَّالِثُ – أَنْ يَرُدَّ سَلَامَ كُلِّ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَارَّةِ إِذْ رَدُّ السَّلَامِ وَاجِبٌ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا**﴾ (النساء ٨٦)

اَلرَّابِعُ – أَنْ يَأْمُرَ بِمَعْرُوْفٍ تُرِكَ أَمَامَهُ وَأُهْمِلَ شَأْنُهُ وَهُوَ يُشَاهِدُهُ، إِذْ هُوَ مَسْئُوْلٌ فِي هٰذِهِ الْحَالِ عَنِ الْأَمْرِ بِهٖ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوْفِ فَرِيْضَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْقُطُ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِهٖ۔ وَمِثَالُهُ: أَنْ يُنَادٰى

لِلصَّلَاةِ وَلَا يُجِيْبُ الْحَاضِرُوْنَ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ فَإِنَّهُ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِإِجَابَةِ الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ، إِذْ هٰذَا مِنَ الْمَعْرُوْفِ فَلَمَّا تُرِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ بِهٖ۔ وَمِثَالٌ آخَرُ: أَنْ يَمُرَّ جَائِعٌ أَوْ عَارٍ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُطْعِمَهُ أَوْيَكْسُوَهُ إِنْ قَدَرَ عَلٰى ذٰلِكَ وَإِلَّا أَمَرَ بِإِطْعَامِهِ أَوْ كِسْوَتِهِ، إِذْ إِطْعَامُ الْجَائِعِ وَكِسْوَةُ الْعَارِي مِنَ الْمَعْرُوْفِ الَّذِيْ يَجِبُ أَنْ يُؤْمَرَ بِهِ إِذَا تُرِكَ۔

اَلْخَامِسُ – أَنْ يَنْهٰى عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ يُشَاهِدُهُ يُرْتَكَبُ أَمَامَهُ، إِذْ تَغْيِيْرُ الْمُنْكَرِ كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَظِيْفَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ لِقَوْلِهِ ﷺ "مَنْ رَأٰى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ" (١)

اَلسَّادِسُ – أَنْ يُرْشِدَ الضَّالَّ، فَلَوِ اسْتَرْشَدَهُ أَحَدٌ فِيْ بَيَانِ مَنْزِلٍ، أَوْ هِدَايَةٍ إِلٰى طَرِيْقٍ، أَوْ تَعْرِيْفٍ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَوَجَبَ عَلَيْهِ فِي هٰذِهِ الْحَالِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ الْمَنْزِلَ، أَوْيَهْدِيَهُ الطَّرِيْقَ، أَوْ يُعَرِّفَهُ بِمَنْ يُرِيْدُ مَعْرِفَتَهُ۔

كُلُّ هٰذَا مِنْ آدَابِ الْجُلُوْسِ فِي الطُّرُقَاتِ، كَأَمَامِ الْمَنَازِلِ، وَالدَّكَاكِيْنِ وَالْمَقَاهِي، أَوِ السَّاحَاتِ الْعَامَّةِ وَالْحَدَائِقِ وَنَحْوِهَا، وَذٰلِكَ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوْسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ" فَقَالُوْا: مَالَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيْهَا قَالَ: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوْا الطَّرِيْقَ حَقَّهَا" قَالُوْا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيْقِ؟ قَالَ "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذٰى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ" وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ زِيَادَةٌ:

(١) رواه مسلم برقم : ٧٠ وابوداؤد برقم : ٣٧٧٧ عن ابي سعيد الخدريؓ

"وَإِرْشَادُ الضَّالِّ"(١) وَمِنْ آدَابِ الْجُلُوْسِ: أَنْ يَسْتَغْفِرَاللّٰهَ عَنْدَ قِيَامِهِ مِنْ مَجْلِسِهِ تَكْفِيْراً لِمَا عَسَاهُ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ أَلَمَّ بِهِ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُوْمَ مِنَ الْمَجْلِسِ يَقُوْلُ: "سُبْحَانَكَ اَللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ"(٢) وَسُئِلَ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ: "إِنَّهَا كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُوْنُ فِي الْمَجْلِسِ"(٣)

آدَابُ اللِّبَاسِ

اَلْمُسْلِمُ يَرٰى أَنَّ اللِّبَاسَ قَدْ أَمَرَاللّٰهُ تَعَالٰى بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ **يَا بَنِىٓ اٰدَمَ خُذُوْا زِيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَّكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ** ﴾ (الأعراف: ٣١)

وَامْتَنَّ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿**يَا بَنِىٓ اٰدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُّوَارِىْ سَوْاٰتِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ (الاعراف ٢٦) وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيْلَ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيْلَ تَقِيْكُمْ بَأْسَكُمْ**﴾ (النحل ٨١) وَفِي قَوْلِهِ: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوْسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُوْنَ**﴾ (الانبياء ٨٠) وَأَنَّ رَسُوْلَهُ ﷺ قَدْ أَمَرَبِهِ فِيْ قَوْلِهِ: (كُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَالْبَسُوْا وَتَصَدَّ قُوْا فِيْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيْلَةٍ) (٤) كَمَا قَدْبَيَّنَ ﷺ مَا يَجُوْزُ مِنْهُ، وَمَا لَا يَجُوْزُ، وَمَا يُسْتَحَبُّ لُبْسُهُ، وَمَا يُكْرَهُ، فَلِهٰذَا كَانَ عَلٰى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْتَزِمَ فِيْ لِبَاسِهِ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

(١) اخرجه البخاري برقم: ٢٤٦٥ ومسلم برقم: ٥٧٧٤ والنسائي في سنة الكبرى برقم: ١١٣٦٢
(٢) اخرجه ابوداؤد برقم: ٤٨٥٩
(٣) رواه ابوداؤد برقم: ٤٨٥٩ والطبراني فى الكبير برقم: ٤٤٤٥
(٤) اخرجه البخاري برقم: ٥٧٨٣

اَلْأَوَّلُ – أَلَّا يَلْبَسَ الْحَرِيْرَ مُطْلَقاً، سَوَاءٌ كَانَ فِي ثَوْبٍ أَوْ عَمَامَةٍ، أَوْ غَيْرِهِمَا لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ (لَاتَلْبَسُوْا الْحَرِيْرَ، فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ رواه مسلم (١) وَقَوْلِهِ وَقَدْ أَخَذَ حَرِيْراً فَجَعَلَهُ فِي يَمِيْنِهِ، وَذَهَباً فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ: "إِنَّ هٰذَيْنِ حَرَامٌ عَلٰى ذُكُوْرِ أُمَّتِيْ" (رواه أبوداؤد (٢) وَقَوْلِهِ: "حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيْرِ وَالذَّ هَبِ عَلٰى ذُكُوْرِ أُمَّتِيْ وَأُحِلَّ لِنِسَائِهِمْ" (رواه الترمذي (٣)

اَلثَّانِيْ – أَلَّا يُطِيْلَ ثَوْبَهُ، أَوْ سِرْوَالَهُ، أَوْ بُرْنُسَهُ أَوْ رِدَاءَ هُ إِلٰى أَنْ يَتَجَاوَزَ كَعْبَيْهِ؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ "مَا أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ" وَقَوْلِهِ: "الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيْصِ وَالْعَمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئاً خُيَلَاءَ لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (رواه أبوداود(٤) وَقَوْلِهِ: "لَايَنْظُرُ اللّٰهُ إِلٰى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ" (رواه البخاري (٥)

اَلثَّالِثُ – أَنْ يُؤْثِرَ لِبَاسَ الْأَبْيَضِ عَلٰى غَيْرِهِ، وَأَنْ يَرٰى لِبَاسَ كُلِّ لَوْنٍ جَائِزاً لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ "اَلْبَسُوا الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَكَفِّنُوْا فِيْهَا مَوْتَاكُمْ" (رواه الترمذي (٦) وَلِقَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﵁: كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَرْبُوْعاً، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ (رواه البخاري (٧) وَلِمَا صَحَّ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَنَّهُ لَبِسَ الثَّوْبَ الْأَخْضَرَ، وَاعْتَمَّ بِالْعَمَامَةِ السَّوْدَاءِ.

(١) اخرجه مسلم برقم: ٥٥٣
(٢) رواه ابوداؤد برقم: ٤٠٥٧ عن عليؓ
(٣) اخرجه الترمذي ١٧٧٤
(٤) رواه ابوداؤد برقم: ٤٠٩٤ وابن ماجة برقم: ٣٥٧٦
(٥) اخرجه البخاري برقم: ٣٤٦٥
(٦) اخرجه الترمذي برقم: ٢٨١٠
(٧) اخرجه البخاري برقم: ٥٥١٠

اَلرَّابِعُ – أَنْ تُطِيْلَ الْمُسْلِمَةُ لِبَاسَهَا إِلٰى أَنْ يَسْتُرَ قَدَمَيْهَا، وَأَنْ تُسْبِلَ خِمَارَهَا عَلٰى رَأْسِهَا فَتَسْتُرَ عُنُقَهَا وَنَحْرَهَا وَصَدْرَهَا لِقَوْلِهٖ تَعَالٰى: " **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِيْنَ يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ** "(الأحزاب ٥٩) وَقَوْلِهٖ تَعَالٰى:" **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلٰى جُيُوْبِهِنَّ وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُوْلَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ** " (النور٣١) وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ رضي الله عنها:"يَرْحَمُ اللّٰهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللّٰهُ:"وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلٰى جُيُوْبِهِنَّ"شَقَقْنَ أَكْثَفَ مُرُطِهِنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا " رواه أبوداود (١) وَلِقَوْلِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: لَمَّا نَزَلَتْ:"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ" خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلٰى رُؤُسِهِنَّ الْغِرْبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَةِ(٢)

اَلْخَامِسُ – أَلَّا يَتَخَتَّمَ بِخَاتَمِ الذَّهَبِ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ فِي الذَّهَبِ وَالْحَرِيْرِ:"إِنَّ هٰذَيْنِ حَرَامٌ عَلٰى ذُكُوْرِ أُمَّتِي" (٣) وَقَوْلِهٖ ﷺ : "حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيْرِ وَالذَّهَبِ عَلٰى ذُكُوْرِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِنِسَائِهِمْ"(٤) وَقَوْلِهٖ وَقَدْ رَأٰى خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ فِي رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: " يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلٰى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهٖ " فَقِيْلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ:خُذْ خَاتَمَكَ إِنْتَفِعْ بِهٖ، فَقَالَ: لَا وَاللّٰهِ، لَا اٰخُذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ (رواه مسلم (٥)

(١) اخرجه ابوداؤد برقم : ٤١٠٢ والبخاري برقم : ٤٤٨١
(٢) اخرجه ابوداؤد برقم : ٤١٠١
(٣) اخرجه ابوداؤد برقم : ٤٠٥٧ عن عليؓ
(٤) اخرجه الترمذي ١٧٧٤
(٥) اخرجه المسلم برقم : ٥٥٩٣

الْآدَابُ الْمُتَفَرِّقَةُ

اَلْأَوَّلُ – لَابَأْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَخَتَّمَ بِخَاتَمِ الْفِضَّةِ، أَوْ يَنْقُشَ فِيْ فَصِّهٖ اسْمَهُ وَيَتَّخِذَهُ طَابَعاً يَطْبَعُ بِهٖ رَسَائِلَهُ وَكِتَابَاتِهٖ، وَيُوَقِّعَ بِهِ الصُّكُوْكَ وَغَيْرَهَا لِاتِّخَاذِ النَّبِيِّ ﷺ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ نَقْشُهُ:"مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللّٰهِ" وَكَانَ يَجْعَلُهُ فِي الْخِنْصَرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرٰى. لِقَوْلِ أَنَسٍ رضي الله عنه: "كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هٰذِهٖ وَأَشَارَ إِلٰى الْخِنْصَرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرٰى"(رواه مسلم(١)

اَلثَّانِي– أَلَّا يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ، وَهِيَ أَنْ يَلُفَّ الثَّوْبَ عَلٰى جِسْمِهٖ، وَلَايَتْرُكَ مَخْرَجًا مِنْهُ لِيَدَيْهِ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ، وَأَلَّا يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ لِقَوْلِهٖ ﷺ :" لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِيْ نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُحْفِهُمَاأَوْ لِيُنْعِلْهُمَا جَمِيْعاً" (رواه مسلم (٢)

اَلثَّالِثُ – أَلَّا يَلْبَسَ الْمُسْلِمُ لِبْسَةَ الْمُسْلِمَةِ، وَلَا الْمُسْلِمَةُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ؛ لِتَحْرِيْمِ الرَّسُوْلِ ﷺ ذٰلِكَ بِقَوْلِهٖ: " لَعَنَ اللّٰهُ الْمُخَنَّثِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ"(رواه البخاري (٣)

اَلرَّابِعُ – إِذَا انْتَعَلَ بَدَأَ بِالْيَمِيْنِ، وَإِذَا نَزَعَ بَدَأَ بِالشِّمَالِ؛ لِقَوْلِهٖ ﷺ "إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنٰى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُوْنَ الْيُمْنٰى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ"(رواه مسلم (٤)

اَلْخَامِسُ– أَنْ يَبْدَأَ فِي لُبْسِ ثَوْبِهٖ بِالْيَمِيْنِ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رضي الله عنها:

(١) اخرجه المسلم برقم : ٥٦١٠ عن انسؓ
(٢) اخرجه الباري والمسلم برقم : ٥٨٥٦، ١٥١٧
(٣) اخرجه البخاري برقم : ٦٨٣٤عن ابن عباسؓ
(٤) اخرجه البخاري برقم : ٥٥١٧ ومسلم برقم : ٢٠٩٧

"كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُوْرِهِ" (رواه مسلم (١)

اَلسَّادِسُ– أَنْ يَقُوْلَ إِذَا لَبِسَ ثَوْباً جَدِيْداً ،أَوْعَمَامَةً، أَوْ أَيَّ مَلْبُوْسٍ جَدِيْدٍ: "اَللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيْهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ، وَخَيْرَمَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوْذُبِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّمَا صُنِعَ لَهُ" لِوُرُوْدِ ذٰلِكَ عَنْهُ ﷺ (رواه أبوداود (٢)

اَلسَّابِعُ – أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيْهِ الْمُسْلِمِ إِذَا رَآهُ لَبِسَ جَدِيْداً، يَقُوْلُ لَهُ: "أَبْلِ وَأَخْلِقْ " لِدُعَائِهِ ا بِذٰلِكَ لِأُمِّ خَالِدٍ لَمَّا لَبِسَتْ جَدِيْداً (رواه البخاري (٣)

آدَابُ السَّفَرِ

اَلْمُسْلِمُ يَرىٰ أَنَّ السَّفَرَ مِنْ لَوَازِمِ حَيَاتِهِ وَضَرُوْرِيَّاتِهَا الَّتِي لَا تَنْفَكُّ عَنْهَا، إِذِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ وَالْغَزْوَةُ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ، وَالتِّجَارَةُ، وَزِيَارَةُ الْإِخْوَانِ۔ وَهِيَ كُلُّهَا مَا بَيْنَ فَرِيْضَةٍ وَوَاجِبٍ، لَا بُدَّلَهَا مِنْ رِحْلَةٍ وَسَفَرٍ، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ عِنَايَةُ الشَّارِعِ بِالسَّفَرِ وَأَحْكَامِهِ وَآدَابِهِ عِنَايَةً لَاتُنْكَرُ، وَكَانَ عَلَى الْمُسْلِمِ الصَّالِحِ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَيَعْمَلَ عَلٰى تَنْفِيْذِهَا وَتَطْبِيْقِهَا۔

اَلْآدَابُ الْمُتَفَرِّقَةُ

اَلْأَوَّلُ – أَنْ يَرُدَّ الْمَظَالِمَ وَالْوَدَائِعَ إِلٰى أَصْحَابِهَا، إِذَا السَّفَرُ مَظَنَّةُ الْهَلَاكِ۔

اَلثَّانِي – أَنْ يُعِدَّ زَادَهُ مِنَ الْحَلَالِ، وَأَنْ يَتْرُكَ نَفَقَةَ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ مِنْ زَوْجَةٍ وَوَلَدٍ، وَوَالِدٍ۔

(١) اخرجه المسلم برقم : ٦٤٠ عن عائشةؓ
(٢) اخرجه ابوداؤد برقم : ٤٠٢٠ عن ابي سعيدؓ
(٣) اخرجه البخاري برقم : ٢٩٠٦ عن ام خالدؓ

اَلثَّالِثُ – أَنْ يُوَدِّعَ أَهْلَهُ وَإِخْوَانَهُ وَأَصْدِقَاءَ هُ، وَأَنْ يَدْعُوَ بِهٰذَا الدُّعَاءِ لِمَنْ يُوَدِّعُهُمْ:" أَسْتَوْدِعُ اللّٰهَ دِيْنَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيْمَ أَعْمَالِكُمْ" وَيَقُوْلُ لَهُ الْمُوَدِّعُوْنَ: "زَوَّدَكَ اللّٰهُ التَّقْوٰى، وَغَفَرَذَنْبَكَ، وَوَجَّهَكَ إِلَى الْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ" لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ :" إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيْمَ قَالَ: إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئاً حَفِظَهُ (روه الإمام أحمد (١) وَكَانَ يَقُوْلُ لِمَنْ يُشَيِّعُهُ: أَسْتَوْدِعُكَ اللّٰهَ دِيْنَكَ وَأَمَا نَتَكَ وَخَوَاتِيْمَ عَمَلِكَ۔(رواه الإمام أحمد (٢)

اَلرَّابِعُ – أَنْ يَخْرُجَ إِلٰى سَفَرِهِ فِي رِفْقَةِ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ، بَعْدَ اخْتِيَارِهِمْ مِمَّنْ يَصْلُحُوْنَ لِلسَّفَرِ مَعَهُ، إِذِ السَّفَرُ كَمَا قِيْلَ: مَخْبَرُ الرِّجَالِ، وَقَدْ سُمِّيَ سَفَراً لِأَنَّهُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : "اَلرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ"(رواه أبوداود (٣) وَقَوْلِهِ:" لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَافِيْ الْوَحْدَةِ مَاأَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ"(رواه البخاري (٤)

اَلْخَامِسُ – أَنْ يُؤَمِّرَ الرَّكْبُ الْمُسَافِرُوْنَ أَحَداً مِنْهُمْ، يَتَوَلّٰى قِيَادَتَهُمْ بِمَشْوَرَتِهِمْ؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ:إِذَاخَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوْا أَحَدَهُمْ"(رواه أبوداود (٥)

اَلسَّادِسُ – أَنْ يُصَلِّيَ قَبْلَ سَفَرِهِ صَلَاةَ الْاِسْتِخَارَةِ؛ لِتَرْغِيْبِ الرَّسُوْلِ ﷺ فِي ذٰلِكَ حَتّٰى أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّوْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ وَفِيْ جَمِيْعِ الْأُمُوْرِ۔ (رواه البخاري (٦)

(١) رواه احمد في مسنده برقم : ٥٦٠٥ عن ابن عمرؓ
(٢) رواه احمد في مسنده برقم : ٤٩٥٧ عن عبد الله بن عمرؓ
(٣) اخرجه ابوداؤد برقم : ٢٦٠٧ عن عمر و بن شعيبؓ
(٤) اخرجه البخاري برقم : ٢٨٣٦ عن ابن عمرؓ
(٥) اخرجه ابوداؤد برقم : ٢٦٠٨ عن ابي سعيد الخدريؓ
(٦) اخرجه البخاري برقم : ١١٠٩ عن جابرؓ

اَلسَّابِعُ – أَنْ يَقُوْلَ عِنْدَ مُغَادَرَتِهِ الْمَنْزِلَ: " بِسْمِ اللّٰهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّابِاللّٰهِ، اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُبِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْأُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْأُزَلَّ ،أَوْ أَظْلِمَ أَوْأُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْيُجْهَلَ عَلَيَّ"(رواه أبوداود (١) بإسناد صحيح۔فَإِذَا رَكِبَ قَالَ:"بِاسْمِ اللّٰهِ، وَبِاللّٰهِ،وَاللّٰهُ أَكْبَرُ ،تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ، وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، مَاشَاءَ اللّٰهُ كَانَ وَمَالَمْ يَشَأْلَمْ يَكُنْ، سُبْحَانَ الَّذِيْ سَخَّرَلَنَا هٰذَا وَمَاكُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ، وَإِنَّا إِلٰى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُوْنَ، اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِيْ سَفَرِنَا هٰذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوٰى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضٰى، اللّٰهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هٰذَا، وَاطْوِعَنَّا بُعْدَهُ، اللّٰهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيْفَةُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ، اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَخَيْبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوْءِ الْمَنْظَرِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ "(رواه أبوداود (٢)

اَلثَّامِنُ –أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيْسِ أَوَّلَ النَّهَارِ؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "اللّٰهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِيْ فِي بُكُوْرِهَا"(رواه الترمذي (٣) وَلِمَا جَاءَ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ إِلٰى سَفَرِهِ يَوْمَ الْخَمِيْسِ۔

اَلتَّاسِعُ – أَنْ يُكَبِّرَ عَلٰى شَرَفٍ (مَكَانٍ عَالٍ)؛ لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: يَارَسُوْلَ اللّٰهِ ، إِنِّي أُرِيْدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِيْ قَالَ:" عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللّٰهِ، وَالتَّكْبِيْرِ عَلٰى كُلِّ شَرَفٍ"(رواه الترمذي (٤) بإسناد حسن۔

اَلْعَاشِرُ – إِذَا خَافَ نَاساً قَالَ: "اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُوْرِهِمْ، وَنَعُوْذُبِكَ مِنْ شُرُوْرِهِمْ" لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ ذٰلِكَ۔(٥)

(١) اخرجه ابوداؤد برقم : ٥٠٩٦عن ام سلمةؓ

(٢) رواه مسلم برقم : ٣٣٣٩عن ابن عمرؓ

(٣) اخرجه ابوداؤد برقم : ٢٦٠٦ عن صخراء

(٤) اخرجه الترمذي ٣٥٠٨ عن ابي هريرةؓ

(٥) اخرجه ابوداؤد برقم : ١٥٣٧ عن عبد اللهؓ

اَلْحَادِیْ عَشَرَ – أَنْ يَدْعُوَ اللّٰهَ تَعَالٰى فِي سَفَرِهِ وَيَسْأَلُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،إِذِ الدُّعَاءُ فِي السَّفَرِمُسْتَجَابٌ؛لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "ثَلَاثُ دَعْوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيْهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُوْمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلٰى وَلَدِهِ"(رواه الترمذي (١) بإسناد حسن

اَلثَّانِیْ عَشَرَ – إِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا قَالَ: "أَعُوْذُ بِكَلِمَاتِ اللّٰهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّمَا خَلَقَ، وَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: يَا أَرْضُ ، رَبِّيْ وَرَبُّكِ اللّٰهُ، إِنِّي أَعُوْذُبِاللّٰهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّمَا فِيْكِ، وَشَرِّمَا خُلِقَ فِيْكِ، وَشَرِّمَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، وَأَعُوْذُبِاللّٰهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنْ حَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ، وَمِنْ سَاكِنِي الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ"(رواه أبوداود (٢)

اَلثَّالِثُ عَشَرَ – إِذَا خَافَ وَحْشَةً قَالَ: سُبْحَانَكَ الْمَلِكُ الْقُدُّوْسُ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوْحِ، جُلِّلَتِ السَّمٰوَاتُ بِالْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوْتِ۔

اَلرَّابِعُ عَشَرَ – إِذَا نَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ افْتَرَشَ ذِرَاعَهُ، وَإِنْ أَعْرَسَ– أَيْ: نَامَ آخِرَ اللَّيْلِ – نَصَبَ ذِرَاعَهُ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِيْ كَفِّهِ حَتّٰى لَايَسْتَثْقِلَ نَوْمَهُ فَتَفُوْتَهُ صَلَاةُ الصُّبْحِ فِي وَقْتِهَا۔

اَلْخَامِسُ عَشَرَ – إِذَا أَشْرَفَ عَلٰى مَدِيْنَةٍقَالَ: " اللّٰهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَاراً ، وَارْزُقْنَا فِيْهَا رِزْقاً حَلَالًا، اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ الْمَدِيْنَةِ وَخَيْرِمَا فِيْهَا، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّمَا فِيْهَا"(كذا في كنز العمال(٣) و"عمل اليوم والليلة " إِذْكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُوْلُ ذٰلِكَ۔

اَلسَّادِسُ عَشَرَ– أَنْ يُعَجِّلَ الْأَوْبَةَ وَالرُّجُوْعَ إِلٰى أَهْلِهِ وَبِلَادِهِ إِذَا هُوَ

(١) اخرجه الترمذي برقم : ٣٥٠٩ عن ابي هريرةؓ

(٢) اخرجه ابوداؤد برقم : ٢٦٠٣ عن ابن عمرؓ

(٣) كذا فى الكنزالعمال برقم : ٣٨١٥٧ عن ابن عباسؓ

قَضٰى حَاجَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضٰى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ – حَاجَتَهُ – مِنْ سَفَرِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلٰى أَهْلِهِ"(رواه البخاري (١)

اَلسَّابِعَ عَشَرَ – إِذَا قَفَلَ رَاجِعاً كَبَّرَ ثَلَاثًا وَقَالَ:" آئِبُوْنَ تَائِبُوْنَ عَابِدُوْنَ لِرَبِّنَا حَامِدُوْنَ" (رواه البخاري (٢)

اَلثَّامِنَ عَشَرَ –أَلَّا يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَأَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يُبَشِّرُهُمْ حَتّٰى لَايُفَاجِئَهُمْ بِمَقْدَمِهِ عَلَيْهِمْ، فَقَدْ كَانَ هٰذَا مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ۔

اَلتَّاسِعَ عَشَرَ – أَلَّا تُسَافِرَ الْمَرْأَةُ سَفَرَيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ لَهَا؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ:" لَا يَحِلُّ لِإِمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيْرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِيْ مَحْرَمٍ عَلَيْهَا"(رواه البخاري(٣)

آدَابُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ

اَلْمُسْلِمُ بِوَصْفِهِ مُسْلِماً يَتَقَيَّدُ بِتَعَالِيْمِ كِتَابِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَعَلٰى ضَوْئِهِمَا يَعِيْشُ وَبِحَسْبِهَا يَتَكَيَّفُ فِي جَمِيْعِ شُئُوْنِهِ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ (الاحزاب ٣٦) وقوله تعالٰى:﴿**وَمَا اٰتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ (الحشر٧) وَلِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّٰى يَكُوْنَ هَوَاهُ

(١) اخرجه البخاري برقم : ٢٨٣٩ عن ابي هريرةؓ ومسلم برقم : ٥٠٧٠

(٢) اخرجه البخاري برقم : ٢٩١٨ عن عبد اللّٰهؓ

(٣) اخرجه البخاري برقم : ١٧٦٣ عن ابن عباسؓ

تَبْعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ"(١)

فَلِهٰذَا يَلْتَزِمُ الْمُسْلِمُ بِالْآدَابِ الْآتِيَةِ فِي حَالِ الْفِطْرَةِ الثَّابِتَةِ عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ: "خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: اَلْإِسْتِحْدَادُ، وَالْخِتَانُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَتَقْلِيْمُ الْأَظَافِرِ"(رواه البخاري (٢)

أُمُوْرُ الْفِطْرَةِ وَآدَابُهَا

اَلْأَوَّلُ – اَلْإِسْتِحْدَادُ: وَهُوَ حَلْقُ الْعَانَةِ بِشَيْئٍ حَادٍّ كَسِكِّيْنٍ وَنَحْوِهِ، وَلَابَأْسَ بِإِزَالَتِهَا بِالنُّوْرَةِ۔

اَلثَّانِي– اَلْخِتَانُ: وَهُوَ قَطْعُ الْجِلْدَةِ الَّتِي تُغَطِّي رَأْسَ الذَّكَرِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ يَوْمَ سَابِعِ الْوِلَادَةِ، إِذْ خَتَنَ النَّبِيُّ ﷺ كُلًّا مِنَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ إِبْنَيِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ يَوْمَ سَابِعِ الْوِلَادَةِ وَلَابَأْسَ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلٰى مَا قَبْلَ الْبُلُوْغِ، إِذْ اِخْتَتَنَ نَبِيُّ اللّٰهِ إِبْرَاهِيْمُ فِيْ سِنِّ الثَّمَانِيْنَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَسْلَمَ عَلٰى يَدِهِ رَجُلٌ يَقُوْلُ لَهُ:"أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ وَاخْتَتِنْ"۔ (٣)

اَلثَّالِثُ – قَصُّ الشَّارِبِ: فَيَجُزُّ الْمُسْلِمُ شَارِبَهُ الَّذِيْ يَتَدَلّٰى عَلٰى شَفَتِهِ، وَأَمَّا اللِّحْيَةُ فَيُوَفِّرُهَا حَتّٰى تَمْلَأَ وَجْهَهُ وَتُرَوِّيْهِ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : "جَزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللُّحٰى، خَالِفُوا الْمَجُوْسَ"(رواه مسلم) (٤) وَقَوْلِهِ ﷺ: "خَالِفُوْا الْمُشْرِكِيْنَ اِحْفُوْا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللُّحٰى "بِمَعْنٰى:

(١) ذكره الإمام النووي في كتاب "الأربعين" وقال فيه: حديث حسن صحيح رويناه في كتاب "الحجة"، وانظر"مشكاة المصابح"١/٥٩ برقم : ١٦٧

(٢) اخرجه البخاري برقم : ٥٨٨٩ عن ابي هريرةؓ

(٣) اخرجه ابوداؤد برقم : ٣٥٦ عن عثيم

(٤) اخرجه المسلم برقم : ٦٢٦ عن ابي هريرةؓ والبيهقي في سننه الكبري برقم ٧١٠

وَفِّرُوْهَا وَكَثِّرُوْهَا، فَيَحْرُمُ بِهٰذَا حَلْقُهَا، وَيَتَجَنَّبُ الْقَزَعَ، وَهُوَ: حَلْقُ بَعْضِ الرَّأْسِ وَتَرْكُ الْبَعْضِ، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما:"نَهٰى رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ عَنِ الْقَزَعِ" (رواه مسلم) (١) كَمَا يَتَجَنَّبُ صَبْغَ لِحْيَتِهِ بِالسَّوَادِ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ لَمَّا جِيْئَ بِوَالِدِ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيْقِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَكَأَنَّ رَأْسَهُ ثُغَامَةٌ بَيَاضاً: إِذْهَبُوْا بِهِ إِلٰى بَعْضِ نِسَائِهِ فَلْيُغَيِّرْنَهُ بِشَيْئٍ وَجَنِّبُوْهُ السَّوَادَ۔ (رواه أبوداود (٢)

وَإِنْ وَفَّرَ الْمُسْلِمُ شَعْرَ رَأْسِهِ وَلَمْ يَحْلِقْهُ أَكْرَمَهُ بِالدُّهْنِ وَالتَّسْرِيْحِ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ "مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ"(رواه أبوداود (٣)

اَلرَّابِعُ – تَقْلِيْمُ الْأَظْفَارِ:فَيُقَلِّمُ الْمُسْلِمُ أَظَافِرَهُ، وَيَسْتَحِبُّ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِالْيَدِ الْيُمْنٰى ، ثُمَّ الْيُسْرٰى ثُمَّ الرِّجْلِ الْيُمْنٰى ، إِذْكَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يُحِبُّ الْبَدْءَ بِالْيَمِيْنِ فِي ذٰلِكَ۔

يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ كُلَّ هٰذَا بِنِيَّةِ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَمُتَابَعَتِهِ؛ لِيُحَصِّلَ لَهُ ذٰلِكَ أَجرَ مُتَابَعَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ وَالْاِسْتِنَانِ بِسُنَّتِهِ، إِذِ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَانَوٰى ۔

☆☆☆☆☆

☆☆☆☆

☆☆☆

☆☆

☆

(١) اخرجه المسلم برقم : ٨٦٨١ عن ابن عمرؓ وابوداؤد برقم :٤١٩٣

(٢) اخرجه ابن ماجة برقم : ٣٦٢٤ عن جابرؓ

(٣) رواه ابوداؤد برقم : ٤١٦٣ عن ابي هريرةؓ

اَلْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْآدَابِ وَالْحُقُوْقِ اللَّازِمَةِ

أَدَبٌ مَعَ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ

اَلْأَدَبُ الْأَوَّلُ اَلْمُسْلِمُ يَنْظُرُإِلٰى مَا لِلّٰهِ تَعَالٰى عَلَيْهِ مِنْ مِنَنٍ لَاتُحْصٰى وَنِعَمٍ لَاتُعَدُّ إِكْتَنَفَتْهُ مِنْ سَاعَةِ عُلُوْقِهِ نُطْفَةً فِي رَحْمِ أُمِّهِ وَتُسَايِرُهُ إِلٰى أَنْ يَلْقٰى رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ فَيَشْكُرُاللّٰهَ تَعَالٰى عَلَيْهَا بِلِسَانِهِ بِحَمْدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَبِجَوَارِحِهِ بِتَسْخِيْرِهَا۔ فِي طَاعَتِهِ،فَيَكُوْنُ هٰذَا أَدَبًا مِنْهُ مَعَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى ، إِذْلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ فِي شَيْئٍ كُفْرَ انُ النِّعَمِ، وَجُحُوْدُ فَضْلِ الْمُنْعِمِ، وَالتَّنَكُّرُلَهُ وَلِإِحْسَانِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَاللّٰهُ سُبْحَانَهُ يَقُوْلُ:﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُوْنَ**﴾ النحل :٥٣، وَيَقُوْلُ سُبْحَانَهُ:﴿**وَإِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا**﴾ (النحل: ١٨) وَيَقُوْلُ جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**فَاذْكُرُوْنِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِي وَلَا تَكْفُرُوْنِ**﴾ (البقرة:١٥٢)۔

الْأَدَبُ الثَّانِي:

وَيَنْظُرُالْمُسْلِمُ إِلٰى عِلْمِهِ بِهِ وَاطِّلَاعِهِ عَلٰى جَمِيْعِ أَحْوَالِهِ فَيَمْتَلِيُ قَلْبُهُ مِنْهُ مَهَابَةً، وَنَفْسُهُ لَهُ وَقَاراً وَتَعْظِيْماً، فَيَخْجَلُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيَسْتَحِيِيْ مِنْ مُخَالَفَتِهِ، وَالْخُرُوْجِ عَنْ طَاعَتِهِ،فَيَكُوْنُ هٰذَا أَدَباً مِنْهُ مَعَ اللّٰهِ تَعَالٰى، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ فِيشَيْئٍ أَنْ يُجَاهِرَ الْعَبْدُ سَيِّدَهُ بِالْمَعَاصِي، أَوْ يُقَابِلُهُ بِالْقَبَائِحِ وَالرَّذَائِلِ وَهُوَ يَشْهَدُهُ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ قَالَ تَعَالٰى:﴿**مَا لَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ لِلّٰهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا** ﴾ (نوح: ١٣،١٤) وَقَالَ:﴿**وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ** ﴾ (النحل :١٩) وقال:

﴿وَمَا تَكُوْنُ فِيْ شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوْ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِيْ الْأَرْضِ وَلَا فِيْ السَّمَآءِ﴾ (يونس:٦١)۔

اَلْأَدَبُ الثَّالِثُ:

وَيَنْظُرُ الْمُسْلِمُ إِلَيْهِ تَعَالٰى وَقَدْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا مَفَرَّلَهُ وَلَا مَهْرَبَ، وَلَامَنْجىٰ وَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، فَيَفِرُّ إِلَيْهِ تَعَالىٰ وَيَطَّرِحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، فَيَكُوْنُ هٰذَا أَدَباً مِنْهُ مَعَ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ فِيْ شَيْئٍ الْفِرَارُ مِمَّنْ لَا مَفَرَّمِنْهُ، وَلَا الْإِعْتِمَادُ عَلٰى مَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا الْإِتِّكَالُ عَلىٰ مَنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَهُ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ اٰخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾(هود: ٥٦)، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللّٰهِ إِنِّىْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيْرٌ مُبِيْنٌ﴾(الذاريات: ٥٠)، وَقَالَ: ﴿وَعَلٰى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾ (سورة المآئدة ٢٣)

اَلْأَدَبُ الرَّابِعُ:

وَيَنْظُرُ الْمُسْلِمُ إِلٰى أَلْطَافِ اللّٰهِ تَعَالىٰ بِهِ فِي جَمِيْعِ أُمُوْرِهِ، وَإِلٰى رَحْمَتِهِ لَهُ وَلِسَائِرِ خَلْقِهِ فَيَطْمَعُ فِي الْمَزِيْدِ مِنْ ذٰلِكَ، فَيَتَضَرَّعُ لَهُ بِخَالِصِ الضَّرَاعَةِ وَالدُّعَاءِ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِطَيِّبِ الْقَوْلِ وَصَالِحِ الْعَمَلِ، فَيَكُوْنُ هٰذَا أَدَباً مِنْهُ مَعَ اللّٰهِ مَوْلَاهُ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ فِيْ شَيْئٍ الْيَأْسُ مِنَ الْمَزِيْدِ مِنْ رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْئٍ، وَلَا الْقُنُوْطُ مِنْ إِحْسَانٍ قَدْعَمَّ الْبَرَايَا، وَأَلْطَافٍ قَدِ انْتَظَمَتِ الْوُجُوْدَ۔ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الاعراف :١٥٦)، وَقَالَ: ﴿اللّٰهُ لَطِيْفٌ بِعِبَادِهِ﴾(الشوریٰ:١٩)، وَقَالَ:﴿ وَلَا تَيْئَسُوْا مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ ﴾(يوسف:٨٧)، وَقَالَ :﴿لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ ﴾(الزمر:٥٣)۔

اَلْأَدَبُ الْخَامِسُ:

وَيَنْظُرُ الْمُسْلِمُ إِلىٰ شِدَّةِ بَطْشِ رَبِّهِ، وَإِلٰى قُوَّةِ انْتِقَامِهِ، وَإِلٰى سُرْعَةِ حِسَابِهِ فَيَتَّقِيْهِ بِطَاعَتِهِ، وَيَتَوَقَّاهُ بِعَدَمِ مَعْصِيَتِهِ فَيَكُوْنُ هٰذَا أَدَباً مِنْهُ مَعَ اللّٰهِ، إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَنْ يَتَعَرَّضَ بِالْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ الْعَبْدُ أَلضَّعِيْفُ الْعَاجِزُ لِلرَّبِّ الْعَزِيْزِ الْقَادِرِ، وَالْقَوِيِّ الْقَاهِرِ وَهُوَ يَقُوْلُ:﴿وَإِذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوْءً ا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُوْنِهِ مِنْ وَالٍ ﴾(الرعد:١١)، وَيَقُوْلُ :﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيْدٌ﴾ (البروج:١٢)، وَيَقُوْلُ: ﴿وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ ذُوْ انْتِقَامٍ﴾ (آل عمران:٤)۔

اَلْأَدَبُ السَّادِسُ:

وَيَنْظُرُ الْمُسْلِمُ إِلَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَالْخُرُوْجِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَكَأَنَّ وَعِيْدَهُ قَدْ تَنَاوَلَهُ، وَعَذَابَهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ، وَعِقَابَهُ قَدْ حَلَّ بِسَاحَتِهِ، كَمَا يَنْظُرُإِلَيْهِ تَعَالىٰ عِنْدَ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ شَرْعَتِهِ، وَكَأَنَّ وَعْدَهُ قَدْ صَدَقَهُ لَهُ، وَكَأَنَّ حُلَّةَ رِضَاهُ قَدْ خَلَعَهَا عَلَيْهِ، فَيَكُوْنُ هٰذَا مِنَ الْمُسْلِمِ حُسْنَ ظَنٍّ بِاللّٰهِ، وَمِنَ الْأَدَبِ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللّٰهِ، إِذْلَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ يُسِيْءَ الْمَرْءُ الظَّنَّ بِاللّٰهِ فَيَعْصِيْهِ وَيَخْرُجُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَظُنُّ أَنَّهُ غَيْرُ مُطَّلِعٍ عَلَيْهِ، وَلَا مُؤَا خِذٌ لَهُ عَلٰى ذَنْبِهِ، وَهُوَ يَقُوْلُ:﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللّٰهَ لَا

يَعْلَمُ كَثِيْرًا مِمَّا تَعْمَلُوْنَ وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِىْ ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدٰاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾ (فصلت:٢٢ـ ٢٣)، كَمَا أَنَّهُ لَيسَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللّٰهِ أَنْ يَّتَّقِيَهُ الْمَرءُ وَيُطِيعَهُ وَيَظُنُّ أَنَّهُ غَيرُمُجَازِيهِ بِحُسْنِ عَمَلِهِ، وَلَا هُوَ قَابِلٌ مِنْهُ طَاعَتَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَهُوَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ:﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَخْشَ اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولٰٓـئِكَ هُمُ الْفَآئِزُوْنَ** ﴾ (النور:٥٢)، وَيَقُولُ تَعَالىٰ:﴿ **مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزٰى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ**﴾ (الانعام:١٦٠)، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ**﴾ (النحل :٩٧)۔

خُلَاصَةُ الْقَوْلِ:

أَنَّ شُكرَالْمُسْلِمِ رَبَّهُ عَلىٰ نِعَمِهِ، وَحَيَائَهُ مِنْهُ تَعَالىٰ عِنْدَ الْمَيْلِ إِلىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَصِدْقَ الْإِنَابَةِ إِلَيهِ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَرَجَاءَ رَحْمَتِهِ، وَالْخَوفَ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِهِ فِي إِنْجَازِ وَعْدِهِ، وَإِنْفَاذِ وَعِيدِهِ فِيمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، هُوَ أَدَبُهُ مَعَ اللّٰهِ، وَبِقَدْرِ تَمَسُّكِهِ بِهِ وَمُحَافَظَتِهِ عَلَيْهِ تَعْلُودَرَجَتُهُ، وَيَرْتَفِعُ مَقَامُهُ، وَتَسْمُو مَكَانَتُهُ، وَتَعْظُمُ كَرَامَتُهُ فَيُصْبِحُ مِنْ أَهْلِ وِلَايَةِ اللّٰهِ وَرِعَايَتِهِ، وَمَحَطِّ رَحْمَتِهِ وَمَنْزِلِ نِعْمَتِهِ، وَهٰذَا أَقْصٰى مَا يَطْلُبُهُ الْمُسْلِمُ وَيَتَمَنَّاهُ طُولَ الْحَيَاةِ۔

اَللّٰهُمَّ ارْزُقْنَا وِلَا يَتَكَ، وَلَاتُحْرِمْنَا رِعَايَتَكَ، وَاجْعَلْنَا لَدَيْكَ مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ يَا اللّٰهُ يَارَبَّ الْعَالَمِيْنَ۔

اَلْأَدَبُ مَعَ كَلَامِ اللّٰهِ تَعَالىٰ

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِقُدُسِيَّةِ كَلَامِ اللّٰهِ تَعَالىٰ وَشَرَفِهِ وَأَفْضَلِيَّتِهِ عَلىٰ سَائِرِ الْكَلَامِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ كَلَامُ اللّٰهِ الَّذِيْ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَأَنَّ أَهْلَهُ هُمْ أَهْلُ اللّٰهِ وَخَاصَّتُهُ، وَالْمُتَمَسِّكُونَ بِهِ نَاجُونَ فَائِزُوْنَ، وَالْمُعْرِضُوْنَ عَنْهُ هَلْكىٰ خَاسِرُوْنَ۔

وَيَزِيْدُ فِي إِيْمَانِ الْمُسْلِمِ بِعَظْمَةِ كِتَابِ اللّٰهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَقُدْ سِيَّتِهِ وَشَرَفِهِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ عَنِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ، وَالْمُوحىٰ بِهِ إِلَيْهِ صَفْوَةِ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِبْنِ عَبْدِ اللّٰهِ ﷺ وَفِي مِثْلِ قَوْلِهِ: " إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَجِئُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيْعاً لِصَاحِبِهِ"(رواه مسلم)(١) وَقَوْلِهِ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"(رواه البخاري) (٢) وَقَوْلِهِ ﷺ " أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللّٰهِ وَخَاصَّتُهُ " (رواه الإمام أحمد)(٣) وَقَوْلِهِ: "إِنَّ الْقُلُوْبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيْدُ" فَقِيْلَ : يَا رَسُوْلَ اللّٰهِ، وَمَا جِلَاؤُهَا؟ فَقَالَ: " تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَذِكْرُالْمَوْتِ "(رواه البيهقي في"الشعب "بإسْنَادٍ ضَعِيْفٍ)(٤) وَقَدْ جَاءَ مَرَّةً إِلَى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ أَحَدُ خُصُومِهِ الْأَلِدَّاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، إِقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَيَقْرَأُ ﷺ : ﴿**إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيْتَآءِ ذِيْ الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾(النحل :٩٠)، وَلَمْ يَفْرُغِ الرَّسُوْلُ ﷺ مِنْ

(١) رواه مسلم برقم : ١٣٣٧

(٢) رواه البخاري برقم : ٤٦٣٩ وابوداؤد برقم : ١٢٤٠

(٣) رواه احمد برقم : ١٣٠٥٣ وابن ماجة برقم : ٢١١

(٤) رواه البيهقي في شعب الايمان برقم ١٩٥٨

تِلَاوَتِهَا حَتّٰى يُطَالِبَ الْخَصْمُ الْأَلَدُّ بِإِعَادَتِهَا مَدْهُوشًا بِجَلَالِ لَفْظِهَا، وَقُدْسِيَّةِ مَعَانِيهَا، مَأْخُوذًا بِبَيَانِهَا، مَجْذُوباً بِقُوَّةِ تَأْثِيرِهَا، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِتَسْجِيلِ اعْتِرَافِهِ، وَتَقْرِيرِ شَهَادَتِهِ بِقُدْسِيَّةِ كَلَامِ اللّٰهِ وَعَظَمَتِهِ، إِذْقَالَ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ: وَاللّٰهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُورِقٌ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَمَايَقُولُ هٰذَا بَشَرٌ![1]

آدَابُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ:

وَلِهٰذَا كَانَ الْمُسْلِمُ زِيَادَةً عَلٰى أَنَّهُ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ وَيَلْتَزِمُ بِآدَابِهِ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ، فَإِنَّهُ يَلْتَزِمُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

١– **أَنْ يَّقْرَأَهُ عَلٰى أَكْمَلِ الْحَالَاتِ:** مِنْ طَهَارَةٍ، وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَجُلُوسٍ فِي أَدَبٍ وَوَقَارٍ.

٢– **أَنْ يُرَتِّلَهُ وَلَايُسْرِعَ فِي تِلَاوَتِهِ:** فَلَا يَقْرَؤُهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ :" مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَمْ يَفْقَهْهُ "[2] وَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَبْدَ اللّٰهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ، كَمَا كَانَ عَبْدُ اللّٰهِ ابْنُ مَسْعُوْدٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ يَخْتِمُوْنَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوْعٍ مَرَّةً.

٣– **أَنْ يَلْتَزِمَ الْخُشُوْعَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ:** وَأَنْ يُظْهِرَ الْحُزْنَ وَأَنْ يَبْكِيَ أَوْيَتَبَاكىٰ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبُكَاءَ، لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوْهُ فَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكُوْا "[3]

(١) الخصم الألد هو الوليد بن المغيرة، كما رواه البيهقي بإسناد جيد.
(٢) رواه احمد برقم : ٦٢٤٩ اخرجه اصحاب السنن وصححه الترمذى
(٣) رواه ابن ماجة برقم : ١٣٢٧

٤– **أَنْ يُحْسِنَ صَوْتَهُ بِهِ:** لِقَوْلِهِ ﷺ: " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " (رواه الإمام أحمد)[1]

٥– **أَنْ يُسِرَّتِلَاوَتَهُ إِنْ خَشِيَ:** عَلٰى نَفْسِهِ رِيَاءً أَوْ سُمْعَةً، أَوْ كَانَ يُشَوِّشُ بِهِ عَلىٰ مُصَلٍّ لِمَا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ : " الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ "[2] وَمِنَ الْمَعْلُوْمِ أَنَّ الصَّدَقَةَ تُسْتَحَبُّ سِرِّيَّتُهَا إِلَّا أَنْ يَكُوْنَ فِي الْجَهْرِ فَائِدَةٌ مَقْصُوْدَةٌ كَحَمْلِ النَّاسِ عَلٰى فِعْلِهَا مَثَلًا، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ كَذٰلِكَ.

٦– **أَنْ يَتْلُوَهُ بِتَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ:** مَعَ تَعْظِيمٍ لَهُ وَاسْتِحْضَارِ الْقَلْبِ وَتَفَهُّمٍ لِمَعَانِيهِ وَأَسْرَارِهِ.

٧– **أَلَّا يَكُوْنَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ مِنَ الْغَافِلِيْنَ عَنْهُ الْمُخَالِفِيْنَ لَهُ،** إِذْ إِنَّهُ قَدْ يَتَسَبَّبُ فِي لَعْنِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ إِنْ قَرَأَ﴿ **فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّٰهِ عَلَى الْكَاذِبِيْنَ** ﴾ (ال عمران:٦١)، أَوْ ﴿ **لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظَّالِمِيْنَ** ﴾ (هود:١٨)، وَكَانَ كَاذِباً أَوْ ظَالِماً فَإِنَّهُ يَكُوْنُ لَا عِنًا لِنَفْسِهِ، وَالرِّوَايَةُ التَّالِيَةُ تُبَيِّنُ مِقْدَارَ خَطَأِ الْمُعْرِضِيْنَ عَنْ كِتَابِ اللّٰهِ الْغَافِلِيْنَ عَنْهُ الْمُتَشَاغِلِيْنَ بِغَيْرِهِ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ يَقُوْلُ : أَمَا تَسْتَحْيِي مِنِّي يَأْتِيْكَ كِتَابٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ، وَأَنْتَ فِي الطَّرِيْقِ تَمْشِي، فَتَعْدِلُ عَنِ الطَّرِيْقِ وَتَقْعُدُ لِأَجْلِهِ وَتَقْرَؤُهُ وَتَتَدَبَّرُهُ حَرْفاً حَرْفاً، حَتّٰى لَا يَفُوْتَكَ شَيْئٌ مِنْهُ، وَهٰذَا كِتَابِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، اُنْظُرْ كَيْفَ فَصَّلْتُ لَكَ فِيْهِ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَمْ كَرَّرْتُ

(١) رواه ابوداؤد برقم : ١٢٥٦ واحمد برقم : ١٧٧٦٣
(٢) رواه ابوداؤد برقم : ١١٣٦ والترمذي برقم : ٢٨٤٣ وقال حديث حَسَنٌ عريبٌ

عَلَيْكَ فِيْهِ لِتَتَأَمَّلَ طُوْلَهُ وَعَرَضَهُ ثُمَّ أَنْتَ مُعْرِضٌ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ...... يَا عَبْدِي، يَقْعُدُ إِلَيْكَ بَعْضُ إِخْوَانِكَ فَتُقْبِلُ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهِكَ، وَتُصْغِي إِلٰى حَدِيْثِهِ بِكُلِّ قَلْبِكَ، فَإِنْ تَكَلَّمَ مُتَكَلِّمٌ أَوْ شَغَلَكَ شَاغِلٌ عَنْ حَدِيْثِهِ أَوْمَأْتَ إِلَيْهِ أَنْ كُفَّ، وَهَانَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَمُحَدِّثٌ، وَأَنْتَ مُعْرِضٌ بِقَلْبِكَ عَنِّي، أَفَجَعَلْتَنِي أَهْوَنَ عِنْدَكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ؟!(١)

٨- **يَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ أَهْلِهِ** الَّذِيْنَ هُمْ أَهْلُ اللّٰهِ وَخَاصَّتُهُ، وَأَنْ يَتَّسِمَ بِسَمَاتِهِمْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه: يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُوْنَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُوْنَ، وَبِبُكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُوْنَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْلِطُوْنَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوْضُوْنَ، وَبِخُشُوْعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُوْنَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُوْنَ-(٢)

وَقَالَ مُحَمَّدُبْنُ كَعْبٍ:كُنَّا نَعْرِفُ قَارِئَ الْقُرْآنِ بِصُفْرَةِ لَوْنِهِ(يُشِيْرُإِلٰى سَهَرِهِ وَطُوْلِ تَهَجُّدِهِ) وَقَالَ وَهِيْبُ بْنُ الْوَرْدِ،قِيْلَ لِرَجُلٍ أَلَا تَنَامُ؟ قَالَ: إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ أَطْرَنَ نَوْمِي-(٣)

وَأَنْشَدَ ذُوالنُّوْنِ قَوْلَهُ:

مَنَعَ الْقُرْآنُ بِوَعْدِهِ وَوَعِيْدِهِ ... مُقَلَ الْعُيُوْنِ بِلَيْلِهَا لَاتَهْجَعُ

فَهِمُوْا عَنِ الْمَلِكِ الْعَظِيْمِ كَلَامَهُ ... فَهْماً تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

---

(١) نقلا من منهاج المسلم

(٢) اخلاق جملة القران الجزء ١/ ٤٠

(٣) ففروا الى الله الجزء ١/١٥٨

اَلْأَدَبِ مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ

يَشْعُرُالْمُسْلِمُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ بِوُجُوْبِ الْأَدَبِ الْكَامِلِ مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ وَذٰلِكَ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ-

١- أَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ قَدْ أَوْجَبَ لَهُ الْأَدَبَ ﷺ عَلٰى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَذٰلِكَ بِصَرِيْحِ كَلَامِهِ عَزَّوَجَلَّ إِذْ قَالَ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَيِ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ**) (الحجرات:١)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَرْفَعُوْا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ**) (الحجرات :٢)، وَقَالَ تَعَالٰى:(**إِنَّ الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللّٰهِ أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيْمٌ**) (الحجرات:٣)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: (**إِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ**) (**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوْا حَتّٰى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**) (الحجرات:٤،٥)، وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ(**لَا تَجْعَلُوْا دُعَآءَ الرَّسُوْلِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**) (النور:٦٣)، وَقَالَ أَيْضًا:(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وَإِذَا كَانُوْا مَعَهُ عَلٰى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوْا حَتّٰى يَسْتَأْذِنُوْهُ**) (النور:٦٢)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:(**إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَأْذِنُوْنَكَ أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوْكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُم**) (النور:٦٢)، وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُوْلَ فَقَدِّمُوْا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوْا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ**) (المجادلة:١٢)

افْتِرَاضُ طَاعَتِهِ صلى الله عليه وسلم

٢- إِنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ قَدْ فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ طَاعَتَهُ، وَأَوْجَبَ مَحَبَّتَهُ فَقَالَ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا أَطِيْعُوْا اللّٰهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ** ﴾ (محمد:٣٣)، وَقَالَ:﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيْبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ** ﴾ (النور:٦٣)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ:﴿ **وَمَا اٰتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ (الحشر:٧)، وَقَالَ تَعَالىٰ:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ﴾ (آل عمران:٣١)، وَمَنْ وَجَبَتْ طَاعَتُهُ وَحَرُمَتْ مَخَالَفَتُهُ لَزِمَ التَّأَدُّبُ مَعَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ۔

٣- أَنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ حَكَّمَهُ فَجَعَلَهُ إِمَاماً وَحَاكِماً، قَالَ تَعَالىٰ:﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّٰهُ** ﴾ (النساء:١٠٥)، وَقَالَ :﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآئَهُمْ** ﴾ (المائدة:٤٩)، وَقَالَ:﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا** ﴾ (النساء :٦٥)، وَقَالَ:﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوْ اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْاٰخِرَ وَذَكَرَ اللّٰهَ كَثِيْرًا** ﴾ (الأحزاب:٢١)۔

وَالتَّأَدُّبِ مَعَ الْإِمَامِ وَالْحَاكِمِ تَفْرِضُهُ الشَّرَائِعُ وَتُقَرِّرُهُ الْعُقُوْلُ وَيَحْكُمُ بِهِ الْمَنْطِقُ السَّلِيمُ۔

افْتِرَاضُ مَحَبَّتِهِ ﷺ

٤- أَنَّ اللّٰهَ تَعَالىٰ قَدْ فَرَضَ مَحَبَّتَهُ عَلىٰ لِسَانِهِ، فَقَالَ ﷺ "وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ لَايُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّٰى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ

وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ"(رواه البخاري (١) وَمَنْ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ وَجَبَ الْأَدَبُ إِزَائَهُ، وَلَزِمَ التَّأَدُّبُ مَعَهُ۔

مُوْجِبَاتُ الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ

٥- مَا اخْتَصَّهُ بِهِ رَبُّهُ تَعَالىٰ مِنْ جَمَالِ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، وَمَا حَبَاهُ بِهِ مِنْ كَمَالِ النَّفْسِ وَالذَّاتِ، فَهُوَ أَجْمَلُ مَخْلُوْقٍ وَأَكْمَلُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمَنْ كَانَ هٰذَا حَالُهُ كَيْفَ لَا يَجِبُ التَّأَدُّبُ مَعَهُ۔

هٰذِهِ بَعْضُ مُوْجِبَاتِ الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ وَغَيْرُهَا كَثِيْرٌ۔

وَلٰكِنْ كَيْفَ يَكُوْنُ الْأَدَبُ وَبِمَاذَا يَكُوْنُ؟ هٰذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ۔

كَيْفَ يَكُوْنُ الْأَدَبُ مَعَهُ ﷺ

١- بِطَاعَتِهِ، وَاقْتِفَاءِ أَثَرِهِ، وَتَرَسُّمِ خُطَاهُ فِي جَمِيعِ مَسَالِكِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ۔

٢- أَلَّا يُقَدِّمَ عَلىٰ حُبِّهِ وَتَوْقِيْرِهِ وَتَعْظِيمِهِ حُبَّ مَخْلُوْقٍ أَوْ تَوْقِيْرَهُ أَوْ تَعْظِيْمَهُ كَائِناً مَنْ كَانَ۔

٣- مُوَالَاةُ مَنْ كَانَ يُوَالِيْ، وَمُعَادَاةُ مَنْ كَانَ يُعَادِي، وَالرِّضَا بِمَا كَانَ يَرْضٰى بِهِ،وَالْغَضَبُ لِمَا كَانَ يَغْضَبُ لَهُ۔

٤- إِجْلَالُ إِسْمِهِ وَتَوْقِيْرِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ، وَاسْتِعْظَامُهُ، وَتَقْدِيْرُ شَمَائِلِهِ وَفَضَائِلِهِ۔

٥- تَصْدِيْقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَبِهِ مِنْ أَمْرِالدِّيْنِ وَالدُّنْيَا، وَشَأْنِ الْغَيْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ۔

---

(١) رواه البخارى

٦– إِحْيَاءُ سُنَّتِهِ وَإِظْهَارُ شَرِيعَتِهِ، وَإِبْلَاغُ دَعْوَتِهِ، وَإِنْفَاذُ وَصَايَاهُ۔

٧– خَفْضُ الصَّوتِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَفِي مَسْجِدِهِ لِمَنْ أَكْرَمَهُ اللّٰهُ بِزِيَارَتِهِ، وَشَرَّفَهُ بِالْوُقُوفِ عَلٰى قَبْرِهِ – صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تَسْلِيماً كَثِيراً۔

٨– حُبُّ الصَّالِحِينَ وَمُوَالَاتُهُمْ بِحُبِّهِ وَبُغْضُ الْفَاسِقِيْنَ وَمُعَادَاتُهُمْ بِبُغْضِهِ۔

هٰذِهِ هِيَ بَعْضُ مَظَاهِرِ الْآدَابِ مَعَهُ ﷺ۔

فَالْمُسْلِمُ يَجْتَهِدُ دَائِماً فِي أَدَائِهَا كَامِلَةً، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا تَامَّةً، إِذْ كَمَالُهُ مَوْقُوفَةٌ عَلَيْهَا وَسَعَادَتُهُ مَنُوطَةٌ بِهَا، وَالْمَسْئُوْلُ اللّٰهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِلتَّأَدُّبِ مَعَ نَبِيِّنَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَشِيعَتِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا طَاعَتَهُ وَأَلَّا يُحْرِمَنَا شَفَاعَتَهُ۔ اللّٰهُمَّ آمِيْن۔

اَلْأَدَبُ مَعَ النَّفْسِ

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِأَنَّ سَعَادَتَهُ فِي كِلْتَا حَيَاتَيْهِ: الْأُولىٰ وَالثَّانِيَةِ، مَوْقُوفَةٌ عَلىٰ مَدٰى تَأْدِيبِ نَفْسِهِ، وَتَطْيِيبِهَا،وَتَزْكِيَتِهَا، وَتَطْهِيرِهَا، كَمَا أَنَّ شَقَائَهَا مَنُوطٌ بِفَسَادِهَا، وَتَدْسِيَتِهَا، وَخُبْثِهَا، وَذٰلِكَ لِلْأَدِلَّةِ الآتِيَةِ۔

قَوْلُهُ تَعَالىٰ:(**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**) (الشمس:٩،١٠)، وَقَوْلُهُ:(**إِنَّ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوْا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِيْ سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِيْنَ** (40) **لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِيْنَ** (41) **وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ**)(الاعراف:٤٠،٤٢)، وَقَوْلُهُ:(**وَالْعَصْرِ** (1) **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ** (2) **إِلَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوْا الصّٰلِحٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** (3) (العصر:١–٣)، وَقَوْلُ الرَّسُوْلِ ﷺ : " كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبىٰ" قَالُوْا: وَمَنْ يَأْبىٰ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ؟ قَالَ:"مَنْ أَطَاعَنِيْ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِيْ فَقَدْ أَبىٰ"(١) وَقَوْلُهُ ﷺ : " كُلُّ النَّاسِ يَغْدُوْ فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْمُوْبِقُهَا"(رواه مسلم في "صحيحه") (٢)۔

كَمَا يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِأَنَّ مَا تَطْهُرُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَتَزْكُوْ هُوَ حَسَنَةُ الْإِيْمَانِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَأَنَّ مَنْ تَتَدَسّٰى بِهِ وَتَخْبُثُ وَتَفْسُدُ هُوَ سَيِّئَةُ الْكُفْرِوَالْمَعَاصِيْ۔ قَالَ تَعَالىٰ:(**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**) (هود:١١٤)، وَقَوْلُهُ:(**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ مَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ**) (المطففين:١٤)، وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ "إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَعْتَبَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتّٰى تَعْلُقَ قَلْبُهُ۔فَذٰلِكَ الرَّانُ الَّذِيْ قَالَ اللّٰهُ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلٰى قُلُوْبِهِمْ مَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ) (رواه ابن ماجه(٣) وَقَوْلُهُ ﷺ : " إِتَّقِ اللّٰهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"(رواه الإمام أحمد)(٤)

مِنْ أَجْلِ هٰذَا يَعِيْشُ الْمُسْلِمُ عَامِلاً دَائِماً عَلىٰ تَأْدِيْبِ نَفْسِهِ وَتَزْكِيَّتِهَا وَتَطْهِيرِهَا، إِذْهِيَ أَوْلىٰ مَنْ يُؤَدَّبُ، فَيَأْخُذُهَا بِالْآدَابِ الْمُزَكِّيَةِ

(١) اخرجه البخاري برقم ٦٧٣٧واحمد برقم : ٨٣٧٣ عن ابي هريرةؓ

(٢) اخرجه مسلم برقم ٣٢٨ والترمذي ٣٤٣٩ عن ابي مالكؓ

(٣) رواه ابن ماجة برقم : ٤٢٣٤ والترمذي برقم : ٣٢٥٧عن ابي هريرةؓ

(٤) رواه الترمذي برقم ١٩١٠ والامام احمد برقم :٢٠٤٣٥

لَهَا وَالْمُطَهِّرَةِ لِأَدْرَانِهَا، كَمَا يُجَنِّبُهَا كُلَّ مَا يُدَسِّيهَا، وَيُفْسِدُهَا مِنْ سَيِّئِ الْمُعْتَقَدَاتِ، وَفَاسِدِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، يُجَاهِدُهَا لَيْلاً وَنَهَاراً، وَيُحَاسِبُهَا، فِي كُلِّ سَاعَةٍ، يَحْمِلُهَا عَلىٰ فَعْلِ الْخَيْرَاتِ، وَيَدْفَعُهَا إِلَى الطَّاعَةِ دَفْعاً كَمَا يَصْرِفُهَا عَنِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ صَرْفاً وَيَرُدُّهَا عَنْهُمَا رَدّاً، وَيَتَّبِعُ فِي إِصْلَاحِهَا وَتَأْدِيبِهَا لِتَطْهُرَ وَتَزْكُوَ الْخُطُوَاتِ التَّالِيَةِ۔

اَلْأَدَبُ الْأَوَّلُ

التَّوْبَةُ: وَالْمُرَادُ مِنْهَا التَّخَلِّي عَنْ سَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَالنَّدَمُ عَلىٰ كُلِّ سَالِفٍ،وَالْعَزْمُ عَلىٰ عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَى الذَّنْبِ فِي مُقْبِلِ الْعُمُرِ۔ وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالىٰ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا تُوْبُوْا إِلَى اللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوْحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**)(التحريم:٨)، وَقَوْلُهُ:(**وَتُوْبُوْا إِلَى اللّٰهِ جَمِيْعًا أَيُّهَاالْمُؤْمِنُوْنَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ**)(النور:٣١)،وَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ: (يَاأَيُّهَاالنَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللّٰهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)(رواه مسلم[١] وَقَوْلُهُ: (مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِ)(رواه مسلم[٢] وَقَوْلُهُ: (إِنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِئُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِئُ اللَّيْلِ حَتّٰى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا (رواه مسلم[٣] (وَقَوْلُه لَلّٰهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِ هِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِيْ أَرْضٍ دَوِيَّةٍ (أَلدَّوِيَّةُ: فَلَاةٌ خَالِيَةٌ مِنَ النَّاسِ) مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتّٰى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ،

(١) رواه مسلم برقم : ٤٨٧١ واحمد برقم ١٧١٧٣

(٢) رواه البخاري برقم: ٢٩٦٠ومسلم برقم :٢٢٦

(٣) رواه مسلم برقم : ٤٩٥٤ عن ابي موسىؓ

ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِىْ كُنْتُ فِيهِ حَتّٰى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلىٰ سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللّٰهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هٰذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ (رواه مسلم[١] وَمَا رُوِيَ مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ هَنَّأَتْ آدَمَ بِتَوْبَتِهِ لَمَّا تَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِ[٢]

اَلْأَدَبُ الثَّانِي

الْمُرَاقَبَةُ: وَهِيَ أَنْ يَأْخُذَ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ بِمُرَاقَبَةِ اللّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وَيُلْزِمُهَا إِيَّاهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ الْحَيَاةِ حَتّٰى يَتِمَّ لَهَا الْيَقِيْنُ بِأَنَّ اللّٰهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهَا، عَالِمٌ بِأَسْرَارِهَا، رَقِيبٌ عَلىٰ أَعْمَالِهَا، قَائِمٌ عَلَيْهَا وَعَلىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَبِذٰلِكَ تُصْبِحُ مُسْتَغْرِقَةً بِمُلَاحَظَةِ جَلَالِ اللّٰهِ وَكَمَالِهِ، شَاعِرَةً بِالْأُنْسِ فِي ذِكْرِهِ، وَاجِدَةً الرَّاحَةَ فِي طَاعَتِهِ، رَاغِبَةً فِي جَوَارِهِ، مُقْبِلَةً عَلَيْهِ، مُعْرِضَةً عَمَّا سِوَاهُ، وَهٰذَا مَعْنىٰ إِسْلَامِ الْوَجْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالىٰ:(**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيْنًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**) (النساء :١٢٥)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:(**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**) (لقمان:٢٢)، وَهُوَ عَيْنُ مَادَعَا إِلَيْهِ اللّٰهُ تَعَالىٰ فِي قَوْلِهِ:(**وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِيْ أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوْهُ**) (البقرة:١٤٥)، وَقَوْلُهُ:(**إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيْباً**)(النساء:١)،وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: (**وَمَا تَكُوْنُ فِيْ شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوْ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ**) (يونس :٦١)، وَقَوْلُهُ ﷺ :(أَنْ تَعْبُدَ

(١) رواه مسلم برقم : ٤٩٢٩ عن الحارث بن سويد

(٢) احياء العلوم للغزالى

اللّٰهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)(متفق عليه بلفظ:" أن تبعد"، وبلفظ " اعبد الله" في"مسند الإمام أحمد"(١)

أَحْوَالُ سَلَفِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ

وَهُوَ نَفْسُ مَادَرَجَ عَلَيْهِ السَّابِقُوْنَ الْأَوَّلُوْنَ مِنْ سَلَفِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ، إِذْ أَخَذُوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ حَتّٰى تَمَّ لَهُمُ الْيَقِيْنُ، وَبَلَغُوْا دَرَجَةَ الْمُقَرَّبِيْنَ، وَهَاهِيَ ذِيْ آثَارُهُمْ تَشْهَدُلَهُمْ:

١- قِيْلَ لِلْجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللّٰهِ : بِمَ يُسْتَعَانُ عَلٰى غَضِّ الْبَصَرِ؟ قَالَ: بِعِلْمِكَ أَنَّ نَظَرَ النَّاظِرِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظْرِكَ إِلَى الْمَنْظُوْرِ لَهُ۔

٢- قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: عَلَيْكَ بِالْمُرَاقَبَةِ مِمَّنْ لَا تَخْفٰى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَعَلَيْكَ بِالرَّجَاءِ مِمَّنْ يَمْلِكُ الْوَفَاءَ، وَعَلَيْكَ بِالْحَذَرِ مِمَّنْ يَمْلِكُ الْعُقُوْبَةَ۔

٣- قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ لِرَجُلٍ: رَاقِبِ اللّٰهَ يَا فُلَانُ، فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ عَنِ الْمُرَاقَبَةِ فَقَالَ لَهُ: كُنْ أَبَداً كَأَنَّكَ تَرَى اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ۔

٤- قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ دِيْنَارٍ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلٰى مَكَّةَ فَعَرَّسْنَا بِبَعْضِ الطَّرِيْقِ فَانْحَدَرَ عَلَيْنَا رَاعٍ مِنَ الْجَبَلِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَاعِي، بِعْنَاشَاةً مِنْ هٰذِهِ الْغَنَمِ، فَقَالَ الرَّاعِي: إِنَّهُ مَمْلُوْكٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: قُلْ لِسَيِّدِكَ أَكَلَهَا الذِّئْبُ ، فَقَالَ الْعَبْدُ: أَيْنَ اللّٰهُ؟ فَبَكٰى عُمَرُ، وَغَدَا عَلٰى سَيِّدِ الرَّاعِي فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ وَأَعْتَقَهُ۔

٥- حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِيْنَ أَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ يَتَرَامُوْنَ، وَوَاحِدٌ

(١) رواه الشيخان: والامام احمد

جَالِسٌ بَعِيْداً عَنْهُمْ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَقَالَ لَهُ: ذِكْرُاللّٰهِ أَشْهٰى، قَالَ: أَنْتَ وَحْدَكَ؟ فَقَالَ: مَعِي رَبِّيْ وَمَلَكَايَ، قَالَ لَهُ: مَنْ سَبَقَ مِنْ هٰؤُلَاءِ؟ فَقَالَ : مَنْ غَفَرَاللّٰهُ لَهُ، قَالَ: أَيْنَ الطَّرِيْقُ؟ فَأَشَارَ نَحْوَالسَّمَاءِ، وَقَامَ وَمَشٰى۔

٦- وَحُكِيَ أَنَّ "زُلَيْخَا" لَمَّا خَلَتْ بِيُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَتْ فَغَطَّتْ وَجْهَ صَنَمٍ لَهَا، فَقَالَ يُوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَالَكِ؟ أَتَسْتَحْيِيْنَ مِنْ مُرَاقَبَةِ جِمَادٍ وَلَا أَسْتَحْيِيْ مِنْ مُرَاقَبَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ؟!

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْماً فَلَا تَقُلْ   خَلَوْتُ، وَلٰكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ يَغْفُلُ سَاعَةً   وَلَا أَنَّ مَاتُخْفِيْ عَلَيْهِ يَغِيْبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أَسْرَعُ ذَاهِبٍ   وَأَنَّ غَداً لِلنَّاظِرِيْنَ قَرِيْبُ

اَلْأَدَبُ الثَّالِثُ

الْمُحَاسَبَةُ: وَهِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُ عَامِلاً فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ لَيْلاً ونَهَاراً عَلٰى مَا يُسْعِدُهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيُؤَهِّلُهُ لِكَرَامَتِهَا وَرِضْوَانِ اللّٰهِ فِيْهَا، وَكَانَتِ الدُّنْيَا هِيَ مَوْسِمُ عَمَلِهِ،كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ كَنَظْرِ التَّاجِرِ إِلٰى رَأْسِ مَالِهِ، وَيَنْظُرُ إِلَى النَّوَافِلِ نَظْرَالتَّاجِرِ إِلَى الْأَرْبَاحِ الزَّائِدَةِ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ، وَيَنْظُرُإِلَى الْمَعَاصِيْ وَالذُّنُوْبِ كَالْخَسَارَةِ فِي التِّجَارَةِ، ثُمَّ يَخْلُوْ بِنَفْسِهِ سَاعَةً مِنْ آخِرِكُلِّ يَوْمٍ يُحَاسِبُ فِيْهَا نَفْسَهُ عَلٰى عَمَلِ يَوْمِهِ، فَإِنْ رَأٰى نَقْصاً فِيْ الْفَرَائِضِ لَامَهَا وَوَبَّخَهَا، وَقَامَ إِلٰى جَبْرِهِ فِي الْحَالِ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَقْضِي قَضَاهُ، وَإِنْ

كَانَ مِمَّا لَايُقْضٰى جَبَرَهُ بِالْإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ، وَإِنْ رَأٰى نَقْصاً فِي النَّوَافِلِ عَوَّضَ النَّاقِصَ وَجَبَرَهُ، وَإِنْ رَأٰى خَسَارَةً بِارْتِكَابِ الْمَنْهِيِّ اسْتَغْفَرَ وَنَدِمَ وَأَنَابَ، وَعَمِلَ مِنَ الْخَيْرِ مَايَرَاهُ مُصْلِحاً لِمَا أَفْسَدَ۔

هٰذَا هُوَالْمُرَادُ مِنَ الْمُحَاسَبَةِ لِلنَّفْسِ، وَهِيَ إِحْدٰى طُرُقِ إِصْلَاحِهَا، وَتَأْدِيبِهَا، وَتَزْكِيَتِهَا وَتَطْهِيرِهَا۔ وَأَدِلَّتُهَا مَايَأْتِي: قَالَ تَعَالٰى (**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اتَّقُوْا اللّٰهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوْا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ**) (الحشر:١٨)، فَقَوْلُهُ تَعَالٰى: (**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ**) هُوَ أَمْرٌ بِالْمُحَاسَبَةِ لِلنَّفْسِ عَلٰى مَا قَدَّمَتْ لِغَدِهَا الْمُنْتَظَرِ، وَقَالَ تَعَالٰى: (**وَتُوْبُوْا إِلَى اللّٰهِ جَمِيْعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُوْنَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ**) (النور: ٣١)، وَقَالَ ﷺ: "إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَى اللّٰهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ"(١) وَفِي رِوَايَةٍ"إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلٰى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُاللّٰهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ"(٢) وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: حَاسِبُوْا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوْا(٣) وَكَانَ رضي الله عنه إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ يَضْرِبُ قَدَمَيْهِ بِالدُّرَّةِ (عَصَا) وَيَقُوْلُ لِنَفْسِهِ: مَاذَا عَمِلْتَ الْيَوْمَ؟ وَأَبُوطَلْحَةَ رضي الله عنه لَمَّا شَغَلَتْهُ حَدِيْقَتُهُ عَنْ صَلَاتِهِ خَرَجَ مِنْهَا صَدَقَةً لِلّٰهِ تَعَالٰى، فَلَمْ يَكُنْ هٰذَا مِنْهُ إِلَّا مُحَاسَبَةً لِنَفْسِهِ وَعِتَاباً لَهَا وَتَأْدِيباً۔

وَحُكِيَ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَجِيْئُ إِلَى الْمِصْبَاحِ فَيَضَعُ أُصْبُعَهُ فِيْهِ حَتّٰى يُحِسَّ بِالنَّارِ، ثُمَّ يَقُوْلُ لِنَفْسِهِ: يَاحُنَيْفُ مَا حَمَلَكَ عَلٰى مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا؟ مَاحَمَلَكَ عَلٰى مَاصَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا؟

وَحُكِيَ أَنَّ أَحَدَالصَّالِحِيْنَ كَانَ غَازِياً فَتَكَشَّفَتْ لَهُ إِمْرَأَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَرَفَعَ يَدَهُ وَلَطَمَ عَيْنَهُ فَفَقَأَهَا، وَقَالَ: إِنَّكِ لَلَحَّاظَةٌ إِلٰى مَايَضُرُّكِ۔

(١) رواه ابن ماجة برقم : ٣٨٠٥ عن ابي هريرة رضي الله عنه
(٢) اخرجه مسلم برقم : ٤٨٧٠ عن ابي بردة
(٣) رواه الترمذي برقم : ٢٣٨٣

وَمَرَّ بَعْضُهُمْ بِغُرْفَةٍ فَقَالَ: مَتٰى بُنِيَتْ هٰذِهِ الْغُرْفَةُ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلٰى نَفْسِهِ فَقَالَ: تَسْأَلِيْنَنِي عَمَّا لَايَعْنِيكِ؟! لَأُعَاقِبَنَّكِ بِصَوْمِ سَنَةٍ؛ فَصَامَهَا۔ وَرُوِيَ أَنَّ أَحَدَ الصَّالِحِيْنَ كَانَ يَنْطَلِقُ إِلَى الرَّمْضَاءِ فَيَتَمَرَّغُ فِيهَا وَيَقُوْلُ لِنَفْسِهِ: ذُوْقِي، وَنَارُجَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا أَجِيْفَةٌ بِاللَّيْلِ بَطَّالَةٌ بِالنَّهَارِ؟ وَإِنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلٰى سَطْحٍ فَرَأٰى إِمْرَأَةً فَنَظَرَإِلَيْهَا فَأَخَذَ عَلٰى نَفْسِهِ أَلَا يَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ مَادَامَ حَيًّا۔

هٰكَذَا كَانَ الصَّالِحُوْنَ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِوَ يُحَاسِبُوْنَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ تَفْرِيْطِهَا وَيَلُوْمُوْنَهَا عَلٰى تَقْصِيرِهَا، يُلْزِمُوْنَهَا التَّقْوٰى، وَيَنْهَوْنَهَا عَنِ الْهَوٰى عَمَلاً بِقَوْلِهِ تَعَالٰى: (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوٰى**) (النازعات:٤٠،٤١)۔

اَلْأَدَبُ الرَّابِعُ

الْمُجَاهَدَةُ: وَهِيَ أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ أَعْدٰى أَعْدَائِهِ إِلَيْهِ هُوَ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، وَأَنَّهَا بِطَبْعِهَا مَيَّالَةٌ إِلَى الشَّرِّ، فَرَّارَةٌ مِنَ الْخَيْرِ، أَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ: (**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ**) (يوسف:٥٣)، تُحِبُّ الدَّعَةَ وَالْخُلُوْدَ إِلَى الرَّاحَةِ، وَتَرْغَبُ فِي الْبَطَالَةِ وَتَنْجَرِفُ مَعَ الْهَوٰى، تَسْتَهْوِيْهَا الشَّهَوَاتُ الْعَاجِلَةُ وَإِنْ كَانَ فِيْهَا حَتْفُهَا وَشَقَاؤُهَا۔

فَإِذَا عَرَفَ الْمُسْلِمُ هٰذَا، عَبَّأَ نَفْسَهُ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ فَأَعْلَنَ عَلَيْهَا الْحَرْبَ وَشَهَرَضِدَّهَا السِّلَاحَ، وَصَمَّمَ عَلٰى مُكَافَحَةِ رُعُوْنَاتِهَا وَمُنَاجَزَةِ شَهَوَاتِهَا، فَإِذَا أَحَبَّتِ الرَّاحَةَ أَتْعَبَهَا، وَإِذَا رَغِبَتْ فِي الشَّهْوَةِ حَرَمَهَا، وَإِذَا قَصَّرَتْ فِي طَاعَةٍ أَوْ خَيْرٍ عَاقَبَهَا وَلَامَهَا، ثُمَّ أَلْزَمَهَا بِفِعْلِ مَاقَصَّرَتْ

فِيهِ، وَقَضَاءِ مَا فَوَّتَهُ أَوْ تَرَكَتْهُ- يَأْخُذُهَا بِهٰذَا التَّأْدِيبِ حَتّٰى تَطْمَئِنَّ وَتَطْهُرَوَتَطِيبَ، وَتِلْكَ غَايَةُ الْمُجَاهَدَةِ لِلنَّفْسِ- قَالَ تَعَالٰى:(**وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ**) (العنكبوت:٦٩)،

وَالْمُسْلِمُ إِذْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللّٰهِ لِتَطِيبَ وَتَطْهُرَ وَتَذْكُوَ وَتَطْمَئِنَّ وَتُصْبِحَ أَهْلاً لِكَرَامَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَرِضَاهُ، يَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا هُوَ دَرْبُ الصَّالِحِيْنَ وَسَبِيلُ الْمُؤْمِنِيْنَ الصَّادِقِيْنَ فَيَسْلُكُهُ مُقْتَدِيًا بِهِمْ وَيَسِيرُ مَعَهُ مُقْتَفِياً آثَارَهُمْ- فَرَسُولُ اللّٰهِ ﷺ قَامَ اللَّيْلَ حَتّٰى تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ الشَّرِيفَتَانِ، وَسُئِلَ ﷺ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ: "أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُوراً؟"(١)

أَيُّ مُجَاهَدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هٰذِهِ الْمُجَاهَدَةِ – وَأَيْمُ اللّٰهِ!؟...... وَعَلِيٌّ رضي الله عنه يَتَحَدَّثُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَيَقُولُ: وَاللّٰهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَرٰى شَيْئاً يُشْبِهُهُمْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً صُفْراً قَدْ بَاتُوا سُجَّداً وَقِيَاماً، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّٰهِ يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ، وَكَانُوْ إِذَا ذُكِرَاللّٰهُ مَادُوْا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ فِيْ يَوْمِ الرِّيحِ، وَهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتّٰى تُبَلَّ ثِيَابُهُمْ-

أَحْوَالُ الصَّالِحِيْنَ فِي الْمُجَاهَدَةِ

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعَيْشَ يَوْماً وَاحِداً: الظَّمأُ لِلّٰهِ بِالْهَوَاجِرِ وَالسُّجُودُ لَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الْكَلَامِ كَمَا يُنْتَقٰى أَطَايِبُ الثَّمَرِ-

وَعَاتَبَ عُمَرُبْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه نَفْسَهُ عَلٰى تَفْوِيتِ صَلَاةِ عَصْرٍ فِي جَمَاعَةٍ، وَتَصَدَّقَ بِأَرْضٍ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ تُقَدَّرُ قِيمَتُهَا بِمِائَتَيْ أَلْفِ

(١) اخرجه البخاري برقم: ٤٤٦٠ عن عائشة ومسلم برقم: ٥٠٤٤

درْهَمٍ- وَكَانَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ أَحيَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِكَامِلِهَا، وَأَخَّرَ يَوماً صَلَاةَ الْمَغْرِبِ حَتّٰى طَلَعَ كَوْكَبَانِ فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ- وَكَانَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَقُولُ:رَحِمَ اللّٰهُ أَقْوَاماً يَحْسَبُهُمُ النَّاسُ مَرْضٰى، وَمَاهُمْ بِمَرْضٰى وَذٰلِكَ مِنْ آثَارِ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ، وَالرَّسُوْلُ ﷺ يَقُوْلُ:" خَيْرُالنَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ"(١) وَكَانَ أُوَيسُ الْقَرْنِي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى يَقُوْلُ: هٰذِهِ لَيْلَةُ الرُّكُوعِ فَيُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ وَإِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الْآتِيَةُ، قَالَ هٰذِهِ لَيْلَةُ السُّجُوْدِ؛ فَيُحْيِي اللَّيْلَ فِي سَجْدَةٍ وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ:أَدْرَكْتُ رِجَالًا كَانَ أَحَدُهُمْ يُصَلِّي فَيَعْجَزُ أَنْ يَأْتِي فِرَاشَهُ إِلَّا حَبْواً، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَقُومُ حَتّٰى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ مِنْ طُوْلِ الْقِيَامِ، وَيَبْلُغُ مِنَ الْإِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ مَبْلَغَ مَالَوْ قِيلَ لَهُ: الْقِيَامَةُ غَداً مَا وَجَدَ مَزِيْداً، وَكَانَ إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ يَقُوْمُ فِي السَّطْحِ لِيَضْرِبَهُ الْهَوَاءُ الْبَارِدُ فَلَا يَنَامُ، وَإِذَا جَاءَ الصَّيْفُ قَامَ تَحْتَ السَّقْفِ لِيَمْنَعَهُ الْحَرُّمِنَ النَّوْمِ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَمُوْتُ وَهُوَ سَاجِدٌ- وَقَالَتْ إِمْرَأَةُ مَسْرُوْقٍ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى: كَانَ مَسْرُوْقُ لَا يُوْجَدُ إِلَّا وَسَاقَاهُ مُنْتَفِخَتَانِ مِنْ طُوْلِ الْقِيَامِ، وَوَاللّٰهِ إِنْ كُنْتُ أَجْلِسُ خَلْفَهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّٰى فَأَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ إِذَا بَلَغَ الْأَرْبَعِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ طَوٰى فِرَاشَهُ فَلَا يَنَامُ عَلَيْهِ قَطُّ، وَيُرْوٰى أَنَّ إِمْرَأَةً صَالِحَةً مِنْ صَالِحِ السَّلَفِ يُقَالُ لَهَا" عُجْرَةُ" مَكْفُوفَةَ الْبَصَرِ، كَانَتْ إِذَا جَاءَ السَّحَرُ نَادَتْ بِصَوْتٍ لَهَا مَحْزُوْنٍ: إِلَيْكَ قَطَعَ الْعَابِدُوْنَ دُجٰى اللَّيَالِي يَسْتَبِقُوْنَ إِلٰى رَحْمَتِكَ وَفَضْلِ مَغْفِرَتِكَ، فَبِكَ يَاإِلٰهِي أَسْأَلُكَ– لَابِغَيْرِكَ– أَنْ تَجْعَلَنِي فِي أَوَّلِ زُمْرَةِ السَّابِقِيْنَ، وَأَنْ تَرْفَعَنِي لَدَيْكَ فِي عِلِّيِّيْنَ، فِي دَرَجَةِ الْمُقَرَّبِيْنَ، وَأَنْ تُلْحِقَنِي بِعِبَادِكَ الصَّالِحِيْنَ، فَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ، وَأَعْظَمُ الْعُظَمَاءِ، وَأَكْرَمُ الْكُرَمَاءِ، يَاكَرِيمُ،ثُمَّ تَخِرُّسَاجِدَةً وَلَا تَزَالُ تَدْعُوْ وَتَبْكِي إِلٰى الْفَجْرِ-

(١) رواه الترمذي برقم: ٢٢٥١عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

الْأَدَبُ مَعَ الْخَلْقِ

الْوَالِدَان: يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِحَقِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَيْهِ وَوَاجِبِ بِرِّهِمَا وَطَاعَتِهِمَا، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا لَا لِكَوْنِهِمَا سَبَبَ وُجُودِهِ فَحَسْبُ، أَوْ لِكَوْنِهِمَا قَدَّمَا لَهُ مِنَ الْجَمِيلِ وَالْمَعْرُوفِ مَا وَجَبَ مَعَهُ مُكَافَأَتُهُمَا بِالْمِثْلِ، بَلْ لِأَنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْجَبَ طَاعَتَهُمَا، وَكَتَبَ عَلَى الْوَلَدِ بِرَّهُمَا وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا حَتّٰى قَرَنَ ذٰلِكَ بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ لَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَحْدَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ:(**وَقَضٰى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوْا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيْمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيْرًا**)(الإسراء:٢٣ــ ٢٤) ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى:(**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلٰى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِيْ عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِيْ وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيْرُ**) (لقمان:١٤)، وَقَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِيْ سَأَلَهُ قَائِلاً، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صُحْبَتِي ؟ قَالَ:" أُمُّكَ " قَالَ:ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ" أُمُّكَ" قَالَ :ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:"أُمُّكَ" قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:" أَبُوْكَ"(١) وَقَالَ ﷺ: " إِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوْقَ الْأُمَّهَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيْلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ(٢) وَقَالَ ﷺ : " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ" قَالُوْا: بَلٰى يَارَسُوْلَ اللّٰهِ، قَالَ: "الْإِشْرَاكُ بِاللّٰهِ، وَعُقُوْقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِأً فَجَلَسَ وَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّوْرِ وَشَهَادَةُ الزُّوْرِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّوْرِ وَشَهَادَةُ

(١) رواه البخاري برقم : ٥٥١٤، ومسلم برقم : ٤٦٢١ عن ابي هريرةؓ

(٢) رواه البخاري برقم : ٢٢٣١ عن مغيرة بن شعبةؓ

الزُّوْرِ" فَمَا زَالَ يَقُوْلُهَا حَتّٰى قَالَ أَبُو بَكْرَةَ: قُلْتُ : لَيْتَهُ سَكَتَ(١) وَقَالَ ﷺ : " لَايَجْزِيْ وَلَدٌ وَالِداً إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوْكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ"(٢) وَقَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ مَسْعُوْدٍؓ :سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى؟ قَالَ: " بِرُّالْوَالِدَيْنِ" قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: " الْجِهَادُ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ "(٣) وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَيْهِ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: " أَحَيٌّ وَالِدَاكَ" قَالَ : نَعَمْ، قَالَ: " فَفِيْهِمَا فَجَاهِدْ "(٤) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَارَسُوْلَ اللّٰهِ هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ شَيْءٌمِنْ بِرِّأَبَوَيَّ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَبَرُّهُمَابِهِ؟ قَالَ نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعٌ، الصَّلَاةُ عَلَيْهَا وَالْإِسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيْقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَارَحِمَ لَكَ إِلَّامِنْ قِبَلِهِمَا، فَهُوَ الَّذِيْ بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا(٥) وَقَالَ ﷺ: " إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيْهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الْأَبُ "(٦)

آدَابُ الْوَالِدَيْنِ

١ـ طَاعَتُهُمَا فِي كُلِّ مَايَأْمُرَانِ بِهِ، أَوْ يَنْهَيَانِ عَنْهُ مِمَّا لَيْسَ فِيْهِ مَعْصِيَةٌ لِلّٰهِ تَعَالٰى وَمُخَالَفَةٌ لِشَرِيْعَتِهِ إِذْ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلٰى أَنْ تُشْرِكَ بِيْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوْفًا**) (لقمان:١٥)، وَقَوْلُ الرَّسُوْلِ ﷺ : " إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوْفِ "وَقَوْلُهُﷺ: " لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ "ـ(٧)

(١) رواه البخاري برقم : ٥٥١٩ ومسلم برقم: ١٨٢٣

(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٢٧٧٩ عن ابي هريرةؓ

(٣) رواه البخاري برقم : ٥٥١٣

(٤) رواه البخاري برقم : ٢٧٨٢

(٥) رواه ابوداؤد برقم : ٤٤٧٦

(٦) رواه مسلم برقم : ٤٦٣١

(٧) رواه الامام احمد برقم : ١٠٤١ عن عليؓ

٢- تَوْقِيرُهُمَا وَتَعْظِيمُ شَانِهِمَا، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ لَهُمَا، وَتَكْرِيمُهُمَا بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ، فَلَا يَنْهَرُهُمَا،وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِهِمَا، وَلَايَمْشِي أَمَامَهُمَا، وَلَا يُؤْثِرُ عَلَيْهِمَا زَوْجَةً وَلَا وَلَداً، وَلَا يَدْعُوهُمَا بِاسْمِهِمَا، بَلْ بِيَاأَبِي وَيَاأُمِّي، وَلَا يُسَافِرُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا وَرِضَاهُمَا۔

٣- بِرُّهُمَا بِكُلِّ مَاتَصِلُ إِلَيْهِ يَدَاهُ، وَتَتَّسِعُ لَهُ طَاقَتُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، كَإِطْعَامِهِمَا وَكِسْوَتِهِمَا، وَعِلَاجِ مَرِيْضِهِمَا، وَدَفْعِ الْأَذٰى عَنْهُمَا، وَتَقْدِيْمِ النَّفْسِ فِدَاءً لَهُمَا۔

٤- صِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَهُ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا، وَالدُّعَاءُ وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيْقِهِمَا۔

الْأَوْلَادُ

اَلْمُسْلِمُ يَعْتَرِفُ بِأَنَّ لِلْوَلَدِ حُقُوقاً عَلٰى وَالِدِهِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَدَاؤُهَا لَهُ، وَآدَابًا يَلْزَمُهُ الْقِيَامُ بِهَا إِزَائَهُ، وَهِيَ تَتَمَثَّلُ فِي اخْتِيَارِ وَالِدَتِهِ، وَحُسْنِ تَسْمِيَتِهِ، وَذَبْحِ الْعَقِيْقَةِ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ،وَخِتَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَالرِّفْقِ بِهِ، وَالنَّفَقَةِ عَلَيْهِ، وَحُسْنِ تَرْبِيَتِهِ، وَالِاهْتِمَامِ بِتَثْقِيْفِهِ وَتَأْدِيْبِهِ وَأَخْذِهِ بِتَعَالِيْمِ الْإِسْلَامِ وَتَمْرِيْنِهِ عَلٰى أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ وَآدَابِهِ، حَتّٰى إِذَا بَلَغَ زَوَّجَهُ، ثُمَّ خَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَبْقٰى تَحْتَ رِعَايَتِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ، وَتَبْنِيَ مَجْدَهُ بِيَدِهِ، وَذٰلِكَ لِأَدِلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ التَّالِيَةِ:

١- قَوْلُهُ تَعَالٰى: **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُوْدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ**

بِالْمَعْرُوْفِ)(البقرة:٢٣٣)، وقال تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَآئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ)**(التحريم:٦)، فَفِي هٰذِهِ الْآيَةِ الْأَمْرُ بِوَقَايَةِ الْأَهْلِ مِنَ النَّارِ ذٰلِكَ بِطَاعَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى وَطَاعَتُهُ تَعَالٰى تَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَةَ مَايَجِبُ أَنْ يُطَاعَ فِيْهِ تَعَالٰى، وَهٰذَا لَا يَتَأَتّٰى بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ، وَلَمَّا كَانَ الْوَلَدُ مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِ الرَّجُلِ كَانَتِ الْآيَةُ دَلِيْلاً عَلٰى وُجُوْبِ تَعْلِيْمِ الْوَلَدِ وَتَرْبِيَّتِهِ وَإِرْشَادِهِ وَحَمْلِهِ عَلٰى الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ لِلّٰهِ وَلِرَسُوْلِهِ، وَتَجْنِيْبِهِ الْكُفْرَ وَالْمَعَاصِي وَالْمَفَاسِدَ وَالشُّرُوْرَ لِيَقِيَهُ بِذٰلِكَ عَذَا بَ النَّارِ۔

كَمَا أَنَّ الْآيَةَ الْأُوْلٰى:(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادُهُنَّ) الآية، دَلِيْلُ وُجُوْبِ نَفَقَةِ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ، إِذَ النَّفُقَةُ الْوَاجِبَةُ لِلْمُرْضِعَةِ كَانَتْ بِسَبَبِ إِرْضَاعِهَا الْوَلَدَ، وَقَالَ تَعَالٰى:**(وَلَا تَقْتُلُوْا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)** (الإسراء:٣١)

٢- قَوْلُهُ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَعْظَمِ الذُّنُوْبِ:" أَنْ تَجْعَلَ لِلّٰهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، وَأَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيْلَةِ جَارِكَ"رَوَاهُ الْبُخَارِيّ(١) فَالْمَنْعُ مِنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ مُسْتَلْزِمٌ لِرَحْمَتِهِمْ وَالشَّفْقَةِ عَلَيْهِمْ وَالْمُحَافَظَةِ عَلٰى أَجْسَامِهِمْ وَعُقُوْلِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ، وَقَالَ ﷺ فِي الْعَقِيْقَةِ عَلَى الْوَلَدِ:"اَلْغُلَامُ مُرْتَهِنٌ بِعَقِيْقَةٍ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمّٰى فِيْهِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ"رواه الحاكم(٢) وَقَالَ:"اَلْفِطْرَةُ خَمْسٌ: اَلْخِتَانُ، وَالْإِسْتِحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيْمُ الْأَظَافِرِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ۔ روه البخاري(٣) وَقَالَ ﷺ : " أَكْرِمُوْا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوْا أَدَبَهُمْ فَإِنَّ

(١) رواه البخاري برقم : ٤٣٨٩ عن عبدالله رضي الله عنه

(٢) رواه الترمذي برقم : ١٤٤٢ والحاكم برقم : ٧٦٩٤

(٣) رواه البخاري برقم : ٥٤٣٩ عن ابي هريرة رضي الله عنه

أَوْلَادَكُمْ هَدِيَّةٌ إِلَيْكُمْ" رواه ابن ماجه(١) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِّلًا أَحَداً لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ" رواه البيهقي(٢) وَقَالَ: "مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ" رواه البيهقي (٣) وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحْسِنَ أَدَبَهُ وَيُحْسِنَ إِسْمَهُ۔ وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُعَلِّمَهُ الْكِتَابَةَ وَالرِّمَايَةَ، وَأَلَّا يَرْزُقَهُ إِلَّا حَلَالًا طَيِّباً ۔ وَيُرْوٰى عَنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ: تَزَوَّجُوا فِي الْحِجْرِ الصَّالِحِ، فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ: وَقَدِ امْتَنَّ أَعْرَابِيٌّ عَلٰى أَوْلَادِهِ بِاخْتِيَارِ أُمِّهِمْ فَقَالَ:

وَأَوَّلُ إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ تَخَيُّرِي لِمَا جِدَةِ الْأَعْرَاقِ بَادٍ عَفَافُهَا

الْإِخْوَةُ:

الْمُسْلِمُ يَرٰى أَنَّ الْأَدَبَ مَعَ الْإِخْوَةِ كَالْأَدَبِ مَعَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ سَوَاءٌ، فَعَلَى الْإِخْوَةِ الصِّغَارِ مِنَ الْأَدَبِ نَحْوَ إِخْوَتِهِ الْكِبَارِ مَا عَلَيْهِمْ لِآبَائِهِمْ، وَأَنَّ عَلَى الْإِخْوَةِ الْكِبَارِ نَحْوَ إِخْوَتِهِمُ الصِّغَارِ مَا كَانَ لِأَبَوَيْهِمْ عَلَيْهِمْ مِنْ حُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ وَآدَابٍ، وَذٰلِكَ لِمَا وَرَدَ حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلٰى وَلَدِهِ رواه البيهقي(٤) وَلِقَوْلِهِ ﷺ: بِرَّ أُمَّكَ وَأَبَاكَ ، ثُمَّ أُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ" رواه البزار(٥)

الزَّوْجَانِ:

الْمُسْلِمُ يَعْتَرِفُ بِالْآدَابِ الْمُتَبَادِلَةِ بَيْنَ الزَّوْجِ وَزَوْجَتِهِ، وَهِيَ حُقُوقُ كُلٍّ مِنْهُمَا عَلٰى صَاحِبِهِ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي**

(١) رواه ابن ماجة برقم : ٣٦٦١ عن انس رضي الله عنه
(٢) رواه البيهقي في السنن الصغير برقم : ١٧٤٥
(٣) رواه ابوداؤد برقم :٤١٨ عن عمرو بن شعيب عن الله عن جده
(٤) رواه البيهقي
(٥) رواه البزار

عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)(البقرة: ٢٢٨)، فَهٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ قَدْ أَثْبَتَتْ لِكُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ حُقُوقاً عَلٰى صَاحِبِهِ وَخَصَّتِ الرَّجُلَ بِمَزِيدِ دَرَجَةٍ لِاِعْتِبَارَاتٍ خَاصَّةٍ، وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ:" أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلٰى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا" رواه الترمذي غَيْرَأَنَّ هٰذِهِ الْحُقُوقَ بَعْضُهَا مُشْتَرَكٌ بَيْنَ كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَبَعْضُهَا خَاصٌّ بِكُلٍّ مِنْهُمَا عَلٰى حِدَةٍ ۔

الْحُقُوْقُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَهُمَا

فَالْحُقُوْقُ الْمُشْتَرَكَةُ هِيَ:

١– **الْأَمَانَةُ**: إِذْ يَجِبُ عَلٰى كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا مَعَ صَاحِبِهِ فَلَا يَخُونُهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، إِذِ الزَّوْجَانِ أَشْبَهُ بِشَرِيكَيْنِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَوَفُّرِ الْأَمَانَةِ، وَالنُّصْحِ وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُئُونِ حَيَاتِهِمَا الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ۔

٢– **الْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ**: بِحَيْثُ يَحْمِلُ كُلٌّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ أَكْبَرَ قَدْرٍ مِنَ الْمَوَدَّةِ الْخَالِصَةِ، وَالرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ، يَتَبَادَلَانِهَا بَيْنَهُمَا طِيلَةَ الْحَيَاةِ مِصْدَاقاً لِقَوْلِهِ تَعَالٰى :(**وَمِنْ اٰيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوْا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)** (الروم:٢١)، وَتَحْقِيقاً لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ "مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ" رواه البخاري(١)

٣– **الثِّقَةُ الْمُتَبَادِلَةُ بَيْنَهُمَا**: بِحَيْثُ يَكُونُ كُلٌّ مِنْهُمَا وَاثِقًا فِي الْآخَرِ وَلَا يُخَامِرُهُ أَدْنٰى شَكٍّ فِي صِدْقِهِ وَنُصْحِهِ وَإِخْلَاصِهِ لَهُ وَذٰلِكَ لِقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ)** (الحجرات: ١٠)، وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ

(١) رواه البخارى

أَحَدُكُم حَتّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه" رواه البخاري(١)، وَالرَّابِطَةُ الزَّوْجِيَةُ لَاتَزِيدُ أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ إِلَّا تَوْثِيقاً وَتَوْكِيداً وَتَقْوِيَةً. وَبِذٰلِكَ يَشْعُرُ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ أَنَّهُ هُوَ عَيْنُ الْآخَرِ وَذاتِه، وَكَيْفَ لَايَثِقُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ وَلا يَنْصَحُ لَهَا؟ أَوْ كَيْفَ يَغُشُّ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَيَخْدَعُهَا؟

٤- **الْآدَابُ الْعَامَّةُ:** مِنْ رِفْقٍ فِي الْمُعَامَلَةِ، وَطَلَاقَةِ وَجْهٍ، وَكَرَمِ قَوْلٍ، وَتَقْدِيرٍ وَاحْتِرَامٍ، وَهِيَ الْمُعَاشَرَةُ بِالْمَعْرُوفِ الَّتِي أَمَرَ اللّٰهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى: (**وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ**)(النساء:١٩)، وَهِيَ الْاِسْتِيصَاءُ بِالْخَيْرِ الَّذِيْ أَمَرَبِهِ الرَّسُوْلُ الْعَظِيْمُ فِي قَوْلِهِ : " وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً "رواه البخاري(٢)

فَهٰذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْآدَابِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَبَادَلَاهَا بَيْنَهُمَا عَمَلاً بِالْمِيْثَاقِ الْغَلِيْظِ الَّذِيْ أُشِيْرَإِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى: (**وَكَيْفَ تَأْخُذُوْنَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلٰى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيْثَاقًا غَلِيْظًا**) (النساء:٢١)، وَطَاعَةً لِلّٰهِ الْقَائِلِ سُبْحَانَهُ:(**وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّٰهَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ**) (البقرة:٢٣٧).

وَأَمَّا الْحُقُوقُ الْمُخْتَصَّةُ، وَالْآدَابُ الَّتِي تَلْزَمُ كُلاًّمِنَ الزَّوْجَيْنِ أَنْ يَقُوْمَ بِهَا وَحْدَهُ نَحْوَ زَوْجِهِ فَهِيَ:

حُقُوْقُ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ:

يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ إِزَاءَ زَوْجَتِهِ الْقِيَامُ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

١- **أَنْ يُعَاشِرَهَا بِالْمَعْرُوفِ:** لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ**)(النساء:١٩)، فَيُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسٰى

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري

وَيُؤَدِّبُهَا إِذَا خَافَ نُشُوزَهُا بِمَا أَمَرَاللّٰهُ أَنْ يُؤَدِّبَ النِّسَاءَ بِأَنْ يَعِظَهَا فِي غَيْرِ سَبٍّ وَلَاشَتْمٍ وَلَا تَقْبِيحٍ، فَإِنْ أَطَاعَتْ وَإِلَّا هَجَرَهَا فِي الْفِرَاشِ، فَإِنْ أَطَاعَتْ وَإِلَّا ضَرَبَهَا فِي غَيْرِالْوَجْهِ ضَرْباً غَيْرَمَبَرِّحٍ، فَلا يَسِيْلُ دَماً وَلَايَشِيْنُ جَارِحَةً أَوْ يُعَطِّلُ عَمَلَ عُضْوٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ عَنْ أَدَاءِ وَظِيْفَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: (**وَالّٰتِيْ تَخَافُوْنَ نُشُوْزَهُنَّ فَعِظُوْهُنَّ وَاهْجُرُوْهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوْهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا**) (النساء:٣٤)، وَلِقَوْلِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ لِلَّذِي قَالَ لَهُ: مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحدِنَا عَلَيْهِ؟ فَقَالَ: "أَنْ تُطْعِمَهَا إِنْ طَعِمتَ، وَتَكْسُوهَا إِنْ اكْتَسَيْتُ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجهَ وَلَاتُقَبِّحْ، وَلَاتَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ" رواه أبوداود(١) وَقَوْلِهِ: "أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ " وَقَوْلِهِ ﷺ: "لَايَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً - أَيْ: لَايُبْغِضُهَا - إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ آخَرُ" رواه مسلم (٢)

٢- **أَنْ يُعَلِّمَهَا الضَّرُورِيَّ مِنْ أُمُورِدِيْنِهَا:** إِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ ذٰلِكَ، أَوْيَأْذَنَ لَهَا أَنْ تَحْضُرَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ لِتَتَعَلَّمَ ذٰلِكَ، إِذْ حَاجَتُهَا لِإِصْلَاحِ دِيْنِهَا وَتَزْكِيَةِ رُوحِهَا لَيْسَتْ أَقَلَّ مِنْ حَاجَتِهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الْوَاجِبِ بَذْلُهُمَا وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا**)(التحريم:٦)، وَالْمَرْأَةُ مِنَ الْأَهْلِ وَوِقَايَتُهَا مِنَ النَّارِ بِالْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ لَا بُدَّلَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِالْمَعْرِفَةِ حَتّٰى يُمْكِنَ أَدَاؤُهُ وَالْقِيَامُ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ شَرْعاً، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: "أَلَا

(١) رواه ابوداؤد

(٢) رواه مسلم

وَاسْتَوْصُوْا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ –أَسِيْرَاتٌ –عِنْدَكُمْ"(١) وَمِنَ الْإِسْتِيْصَاءِ بِهَا خَيْراً أَنْ تُعَلِّمَ مَا تُصْلِحُ بِهِ دِيْنَهَا وَأَنْ تُؤَدِّبَ بِمَا يَكْفُلُ لَهَا الْإِسْتِقَامَةَ وَصَلَاحَ الشَّأْنِ۔

٣– **أَنْ يُلْزِمَهَا بِتَعَالِيْمِ الْإِسْلَامِ وَآدَابِهِ :** وَأَنْ يَأْخُذَهَا بِذٰلِكَ أَخذاً؛ فَيَمْنَعَهَا أَنْ تُسْفِرَ أَوْ تَتَبَرَّجَ، وَيَحُوْلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِخْتِلَاطِ بِغَيْرِ مَحَارِمِهَا مِنَ الرِّجَالِ، كَمَا عَلَيْهِ أَنْ يُوَفِّرَ لَهَا حَصَانَةً كَافِيَةً وَرِعَايَةً وَافِيَةً، فَلا يَسْمَحُ لَهَا أَنْ تَفْسُدَ فِي خُلُقٍ أَوْ دِيْنٍ، وَلَا يُفْسِحَ لَهَا الْمَجَالَ أَنْ تَفْسُقَ عَنْ أَوَامِرِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ أَوْ تَفْجُرَ، إِذْ هُوَ الرَّاعِي الْمَسْئُوْلُ عَنْهَا وَالْمُكَلَّفُ بِحِفْظِهَا وَصِيَانَتِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**الرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلٰى النِّسَآءِ**) (النساء:٣٤)، وَقَوْلِهِ ﷺ : "وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" رواه البخاري(٢)

٤– **أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ضَرَّتِهَا :** إِنْ كَانَ لَهَا ضَرَّةٌ، يَعْدِلُ بَيْنَهُمَا فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ، وَالسَّكَنِ وَالْمَبِيْتِ فِي الْفِرَاشِ، وَأَلَّا يَحِيْفَ فِي شَيْئٍ مِنْ ذٰلِكَ، أَوْ يَجُوْرَ وَيَظْلِمَ؛إِذْ حَرَّمَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ ذٰلِكَ فِي قَوْلِهِ:(**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوْا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) (النساء:٣)، وَالرَّسُوْلُ ﷺ وَصّٰى بِهِنَّ الْخَيْرَفَقَالَ"خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَاخَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"رواه الترمذى (٣)

٥– **أَلَّا يُفْشِيَ سِرَّهَا :** وَأَلَّا يَذْكُرَ عَيْبًا فِيْهَا، إِذْ هُوَ الْأَمِيْنُ عَلَيْهَا، وَالْمُطَالَبُ بِرِعَايَتِهَا وَالذَّوْدِ عَنْهَا لِقَوْلِهِ ﷺ : " إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ

(١) رواه الترمذي برقم : ١٠٨٣ والنسائي في السنن الكبرى برقم : ٩١٦٨
(٢) رواه البخاري برقم : ٨٤٤ عن ابن عمرؓ
(٣) رواه الترمذي

اللّٰهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلٰى إِمْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا "رواه مسلم (١)

حُقُوْقُ الزَّوْجِ عَلَى الزَّوْجَةِ:

يَجِبُ عَلَى الزَّوْجَةِ نَحْوَ زَوْجِهَا الْقِيَامُ بِالْحُقُوْقِ وَالْآدَابِ الْآتِيَةِ:

١– **طَاعَتُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى** :(**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوْا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلًا**) (النساء:٣٤)، وَقَوْلُ الرَّسُوْلِ ﷺ: " إِذَا دَعَا الرَّجُلُ إِمْرَأَتَهُ إِلٰى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتّٰى تُصْبِحَ" رواه مسلم (٢) وَقَوْلُهُ : " لَوْكُنْتُ آمُرُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْئَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا"رواه أبوداود(٣)

٢– **صِيَانَةُ عِرْضِ الزَّوْجِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلٰى شَرَفِهَا** : وَرِعَايَةُ مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَسَائِرِ شُئُوْنِ مَنْزِلِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّٰهُ**) (النساء:٣٤)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلٰى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ(٤) وَقَوْلِهِ : " فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُوْنَ، وَلَايَأْذَنَّ فِي بُيُوْتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُوْنَ"(٥)

٣– **لُزُوْمُ بَيْتِ زَوْجِهَا:** فَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَرِضَاهُ ، وَغَضُّ طَرْفِهَا – عَيْنِهَا – وَخَفْضُ صَوْتِهَا، وَكَفُّ يَدِهَا عَنِ السُّوْءِ، وَلِسَانِهَا عَنِ النُّطْقِ بِالْفُحْشِ وَالْبَذَاءِ، وَمُعَامَلَةُ أَقَارِبِهِ بِالْإِحْسَانِ الَّذِيْ يُعَامِلُهُمْ هُوَبِهِ،

(١) رواه مسلم
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه ابوداؤد
(٤) رواه البخاري برقم : ٨٤٤ عن ابن عمرؓ
(٥) رواه الترمذي برقم : ١٠٨٣

إِذْ مَا أَحْسَنَتْ إِلَى زَوْجِهَا مَنْ أَسَاءَتْ إِلَى وَالِدَيْهِ أَوْ أَقَارِبِهِ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:(**وَقَرْنَ فِيْ بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُوْلَى**) (الاحزاب:٣٣)، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ :(**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِيْ فِيْ قَلْبِهِ مَرَضٌ**) (الاحزاب:٣٢)، وَقَوْلِهِ:(**لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوْءِ مِنَ الْقَوْلِ**)(النساء:١٤٨)، وَقَوْلِهِ: (**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**) (النور:٣١)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: (خَيْرُالنِّسَاءِ الَّتِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ. رواه القرطبي(١)

اَلْآدَابُ مَعَ الْأَقَارِبِ:

اَلْمُسْلِمُ يَلْتَزِمُ لِأَقَارِبِهِ وَذَوِيْ رَحِمِهِ بِنَفْسِ الْآدَابِ الَّتِي يَلْتَزِمُ بِهَا لِوَالِدَيْهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَتِهِ، فَيُعَامِلُ خَالَتَهُ مُعَامَلَةَ أُمِّهِ، وَعَمَّتَهُ مُعَامَلَةَ أَبِيْهِ، وَكَمَا يُعَامِلُ الْأَبَ وَالْأُمَّ يُعَامِلُ الْخَالَ وَالْعَمَّ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ طَاعَةِ الْوَالِدَيْنِ وَبِرِّهِمَا وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، فَكُلُّ مَنْ جَمَعَتْهُمْ وَإِيَّاهُ رَحِمٌ وَاحِدَةٌ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ اعْتَبَرَهُمْ مِنْ ذَوِيْ رَحِمِهِ الْوَاجِبِ صِلَتُهُمْ وَبِرُّهُمْ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ، وَالْتَزَمَ لَهُمْ بِنَفْسِ الْآدَابِ وَالْحُقُوْقِ الَّتِيْ يَلْتَزِمُ بِهَا لِوَلَدِهِ وَوَالِدَيْهِ، فَيُوَقِّرُ كَبِيْرَهُمْ، وَيَرْحَمُ صَغِيْرَهُمْ ، وَيَعُوْدُ مَرِيْضَهُمْ، وَيُوَاسِي مَنْكُوْبَهُمْ، وَيُعَزِّي مُصَابَهُمْ. يَصِلُهُمْ وَإِنْ قَطَعُوْهُ، وَيَلِيْنُ لَهُمْ وَإِنْ قَسَوا مَعَهُ وَجَارُوْا عَلَيْهِ. كُلُّ ذٰلِكَ مِنْهُ تَمَشِّيًا مَعَ مَاتُوحِيْهِ هٰذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيْمَةُ وَالْأَحَادِيْثُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيْفَةُ وَتَأْمُرُبِهِ، قَالَ تَعَالَى: (**وَاتَّقُوْا اللّٰهَ الَّذِيْ تَسَآئَلُوْنَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**)(النساء:١)، وَقَالَ:(**وَأُوْلُوْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِيْ كِتَابِ اللّٰهِ**) (الاحزاب:٦)، (**فَهَلْ**

(١) مسند الطيالسي برقم : ٢٤٣٤

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوْا فِيْ الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوْا أَرْحَامَكُمْ) (محمد:٢٢)، وَقَالَ تَعَالَى:(**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ وَجْهَ اللّٰهِ وَأُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ**) (الروم:٣٨)، وَقَالَ عَزَّمِنْ قَائِلٍ:(**إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيْتَآءِ ذِيْ الْقُرْبَى**) (النحل:٩٠)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:(**وَاعْبُدُوْا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِيْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَالْجَارِ ذِيْ الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيْلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**) (النساء:٣٦)، وَقَوْلِهِ:(**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنُ فَارْزُقُوْهُمْ مِنْهُ وَقُوْلُوْا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوْفًا**) (النساء:٨)، وَقَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ : "يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمٰنُ، وَهٰذِهِ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا إِسْماً مِنْ إِسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ"(١) وَقَالَ لَهُ ﷺ أَحَدُ أَصْحَابِهِ: مَنْ أَبَرُّ؟ فَقَالَ:" امَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ"(٢) وَسُئِلَ ﷺ عَمَّا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَيُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ، فَقَالَ:" تَعْبُدُ اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيْمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ"(٣) وَقَالَ فِي الْخَالَةِ: "إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ. رواه البخاري(٤) ، وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍنِ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا وَقَدْ سَأَلَتْهُ عَنْ صِلَتِهَا أُمَّهَا حِيْنَمَا قَدِمَتْ عَلَيْهَا مِنْ مَكَّةَ مُشْرِكَةً فَقَالَ لَهَا: (نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ)

د-الْأَدَبُ مَعَ الْجِيْرَانِ:

اَلْمُسْلِمُ يَعْتَرِفُ بِمَا لِلْجَارِ عَلَى جَارِهِ مِنْ حُقُوْقٍ وَآدَابٍ، يَجِبُ

(١) رواه الترمذي ببرقم :١٨٣٠
(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٤٤٧٣
(٣) روه البخاري كتاب الايمان
(٤) رواه البخاري برقم : ٢٥٠١

عَلٰى كُلِّ مِنَ الْمُتَجَاوِرِيْنَ بَذْلُهَا لِجَارِهِ وَإِعْطَاؤُهَا لَهُ كَامِلَةً، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِيْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَالْجَارِ ذِيْ الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾ (النساء -٣٦)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوْصِيْنِي بِالْجَارِ حَتّٰى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ" رواه البخاري(١)، وَقَوْلِهِ : "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ" رواه مسلم (٢)

١- **عَدَمُ أَذِيَّتِهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ:** لِقَوْلِهِ ﷺ:"مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ" رواه البخاري(٣) وَقَوْلِهِ : " وَاللّٰهِ لَايُؤْمِنُ، وَاللّٰهِ لَايُؤْمِنُ" فَقِيْلَ لَهُ: مَنْ هُوَ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ؟ فَقَالَ: " الَّذِي لَايَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ" رواه البخاري(٤) وَقَوْلِهِ : " هِيَ فِي النَّارِ" لِلَّتِي قِيْلَ لَهُ إِنَّهَا تَصُوْمُ النَّهَارَ وَتَقُوْمُ اللَّيْلَ ، وَتُؤْذِي جِيْرَانَهَا روه الإمام أحمد (٥)

٢- **الإحسان إليه:** وَذٰلِكَ بِأَنْ يَنْصُرَهُ إِذَا اسْتَنْصَرَهُ، وَيُعِيْنَهُ إِذَا اسْتَعَانَهُ، وَيَعُوْدَهُ إِذَا مَرِضَ، وَيُهَنِّئُهُ إِذَا فَرِحَ ، وَيُعَزِّيْهِ إِذَا أُصِيْبَ، وَيُسَاعِدَهُ إِذَا احْتَاجَ، يَبْدُؤُهُ بِالسَّلَامِ، وَيَلِيْنُ لَهُ الْكَلَامَ، يَتَلَطَّفُ فِي مُكَالَمَةِ وَلَدِهِ، وَيُرْشِدُهُ إِلٰى مَافِيْهِ صَلَاحُ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ، يَرْعٰى جَانِبَهُ وَيَحْمِي حِمَاهُ، يَصْفَحُ عَنْ زَلَّاتِهِ، وَلَا يَتَطَلَّعُ إِلٰى عَوْرَاتِهِ، لَايُضَايِقُهُ فِي بِنَاءٍ أَوْمَمَرٍّ، وَلَايُؤْذِيْهِ بِمِيْزَابٍ يَصُبُّ عَلَيْهِ، وَلَابِقَذَرٍ أَوْوَسَخٍ يُلْقِيْهِ أَمَامَ مَنْزِلِهِ، كُلُّ هٰذَا مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ الْمَأْمُوْرِ بِهِ فِي قَوْلِ اللّٰهِ تَعَالٰى:

(١) رواه البخاري برقم : ٥٥٥٥ عن عائشةؓ

(٢) رواه البخاري برقم : ٥٥٦٠ عن ابي شريح

(٣) رواه البخاري برقم : ٤٧٨٧ عن ابي هريرةؓ

(٤) رواه البخاري برقم : ٥٥٥٧

(٥) رواه الامام احمد برقم :٩٢٩٨عن ابي هريرةؓ

"وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ" وَقَالَ الرَّسُوْلُ ﷺ: " مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلٰى جَارِهِ" روه الدارمي (١)

٣- إِكْرَامُهُ بِإِسْدَاءِ الْمَعْرُوْفِ وَالْخَيْرِ إِلَيْهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ : " يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ"رواه البخاري(٢)، وَقَوْلِهِ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا لَمَّا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلٰى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: "إِلٰى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَاباً"رواه البخاري(٣)

٤- **احْتِرَامُهُ وَتَقْدِيْرُهُ :** فَلَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ، وَلَايَبِيْعُ أَوْ يُؤَجِّرُمَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ حَتّٰى يَعْرِضَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ، وَيَسْتَشِيْرُهُ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُم جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ" رواه الإمام أحمد(٤) وَقَوْلِهِ : "مَنْ كَانَ لَهُ جَارٌ فِي حَائِطٍ أَوْ شَرِيْكٌ فَلَا يَبِيْعُهُ حَتّٰى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ"(٥)

فَائِدَتَان:

الْأُوْلٰى: يَعْرِفُ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ إِذَا كَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلٰى جِيْرَانِهِ أَوْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَنْ ذٰلِكَ : " إِذَا سَمِعْتَ جِيْرَانَكَ يَقُوْلُوْنَ: قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ يَقُوْلُوْنَ: قَدْ أَسَأْتَ فَقَدْ أَسَأْتَ ـ (رواه الإمام أحمد(٦)

الثَّانِيَةُ: إِذَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُ بِجَارِ سُوْءٍ فَلْيَصْبِرْعَلَيْهِ فَإِنْ صَبْرَهُ سَيَكُوْنُ سَبَبُ خَلَاصِهِ مِنْهُ، فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُوْ جَارَهُ فَقَالَ

(١) رواه الامام احمد برقم : ٢٢٣٩٨ والدارميؒ ٢٠٨٨

(٢) رواه البخاري برقم : ٢٣٧٨ عن ابي هريرةؓ

(٣) رواه البخاري برقم : ٢٠٩٩ عن عائشةؓ

(٤) رواه الامام احمد برقم : ٧٣٧٧ عن ابي هريرةؓ

(٥)

(٦) رواه ابن ماجة برقم : ٤٢١٣، والامام احمد برقم : ٣٦١٧

"اذْهَبْ فَاصْبِرْ۔ فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً فَقَالَ: إِطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيْقِ" فَطَرَحَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّوْنَ بِهِ وَيَقُوْلُوْنَ مَالَكَ؟ فَيَقُوْلُ: آذَانِي جَارِي، فَيَلْعَنُوْنَ جَارَهُ حَتّٰى جَاءَهُ وَقَالَ لَهُ: رُدَّ مَتَاعَكَ إِلٰى مَنْزِلِكَ؛ فَإِنِّي وَاللّٰهِ لَا أَعُوْدُ۔(رواه أبوداود (١)

آدَابُ الْمُسْلِمِ وَحُقُوْقُهُ:

اَلْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِمَا لِأَخِيْهِ مِنْ حُقُوْقٍ وَآدَابٍ تَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ، فَيَلْتَزِمُ بِهَا وَيُؤَدِّيْهَا لِأَخِيْهِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا عِبَادَةٌ لِلّٰهِ تَعَالٰى، وَقُرْبَةٌ يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى ، إِذْ هٰذِهِ الْحُقُوْقُ وَالْآدَابُ أَوْجَبَهَا اللّٰهُ تَعَالٰى عَلَى الْمُسْلِمِ لِيَقُوْمَ بِهَا نَحْوَ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ،فَفِعْلُهَا إِذًا طَاعَةٌ لِلّٰهِ، وَقُرْبَةٌ بِدُوْنِ شَكٍّ۔

وَمِنْ هٰذِهِ الْآدَابِ وَالْحُقُوْقِ مَايَلِي:

١ – **أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ** قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَيَقُوْلُ:اَلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ ، وَيُصَافِحُهُ، وَيَرُدُّ الْمُسْلِمُ عَلَيْهِ قَائِلاً: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**وَإِذَا حُيِّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا**) (النساء:٨٦)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيْلُ عَلَى الْكَثِيْرِ"(رواه البخاري(٢) وَقَوْلِهِ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعْجَبُ مِنَ الْمُسْلِمِ يَمُرُّ عَلَى الْمُسْلِمِ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ"(٣) وَقَوْلِهِ:"وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلٰى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ" رواه البخاري(٤) وَقَوْلِهِ ﷺ " مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَلَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا۔ رواه أبوداود(٥)

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم : ٧٤١١عن ابي حجيفةؓ
(٢) رواه البخاري برقم : ٥٧٦٤ عن ابي هريرةؓ
(٣) قال الزين العراقي لم اقف له على آصل
(٤) رواه البخاري برقم : ٥٧٦٧ عن عبد الله بن عمروؓ
(٥) رواه ابوداؤد برقم : ٤٥٣٦ عن البراءؓ

٢– **أَنْ يُشَمِّتَهُ إِذَا عَطَسَ:** بِأَنْ يَقُوْلَ لَهُ إِذَا حَمِدَاللّٰهَ تَعَالٰى: يَرْحَمُكَ اللّٰهُ، وَيَرُدُّ الْعَاطِسَ عَلَيْهِ قَائِلاً: يَغْفِرُ اللّٰهُ لِي وَلَكَ:، أَوْ يَهْدِيْكُمُ اللّٰهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ؛ لِقَوْلِهِ: "إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوْهُ: يَرْحَمُكَ اللّٰهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللّٰهُ، فَلْيَقُلْ لَهُ: يَهْدِيْكُمُ اللّٰهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ" رواه البخاري(١) وَقَالَ أَبُوْهُرَيْرَةَ ؓ:كَانَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْثَوْبَهُ عَلٰى فِيْهِ وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ" رواه أبوداود(٢)

٣– **أَنْ يَعُوْدَهُ إِذَا مَرِضَ:** وَيَدْعُوْ لَهُ بِالشِّفَاءِ لِقَوْلِهِ ﷺ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيْضِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيْتُ الْعَاطِسِ" رَوَاهُ الْبُخَارِي(٣) وَلِقَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ؓ: أَمَرَنَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيْضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيْتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِالْمَظْلُوْمِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ۔ رواه البخاري (٤) وَلِقَوْلِهِﷺ: "عُوْدُوا الْمَرِيْضَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَفُكُّوا الْعَانِي – الْأَسِيْرَ"(متفق عليه)(٥) وَقَوْلِ عَائِشَةَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُوْدُ بَعْضَ أَهْلِهِ فَيَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنٰى، وَيَقُوْلُ : " اَللّٰهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، إِشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَاشِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقْماً" روه أبوداود(٦)

٤– **أَنْ يَشْهَدَ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ:** لِقَوْلِهِ ﷺ "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ، رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيْضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيْتُ الْعَاطِسِ"۔

(١) رواه البخاري برقم : ٥٧٥٦ عن ابي هريرةؓ
(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٤٣٧٤ عن ابي هريرةؓ
(٣) رواه البخاري برقم : ١١٦٤ عن ابي هريرةؓ
(٤) رواه البخاري برقم : ٥٢٠٤ عن البراء
(٥) رواه الشيخان
(٦) رواه البخاري برقم : ٥٣٠٢ عن عائشةؓ

٥- **أَنْ يَبَرَّ قَسَمَهُ إِذَا أَقْسَمَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ:** وَكَانَ لَا مَحْذُوْرَ فِيْهِ، فَيَفْعَلُ مَاحَلَفَ لَهُ مِنْ أَجْلِهِ حَتّٰى لَا يَحْنَثَ فِي يَمِيْنِهِ، وَذٰلِكَ لِحَدِيْثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: أَمَرَنَا رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيْضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيْتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِالْمَظْلُوْمِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ.(١)

٦- **أَنْ يَنْصَحَ لَهُ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ:** أَوْأَمْرٍمِنَ الْأُمُوْرِ بِمَعْنٰى أَنَّهُ يُبَيِّنُ لَهُ مَايَرَاهُ الْخَيْرَ فِي الشَّيْءِ، أَوِ الصَّوَابَ فِي الْأَمْرِ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ "إِذَا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْ لَهُ" رواه البخاري(٢) وَقَوْلِهِ: "الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ" وَسُئِلَ: لِمَنْ؟ فَقَالَ: "لِلّٰهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُوْلِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَعَامَّتِهِمْ" رواه مسلم (٣)

٧- **أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ:** وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : " لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّٰى لِأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَه(٤) وَقَوْلِهِ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكٰى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعٰى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمّٰى" رواه البخاري(٥) وَقَوْلِهِ : "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً "(٦)

٨- **أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَا يَخْذُلَهُ:** فِي أَيِّ مَوْطِنٍ احْتَاجَ فِيْهِ إِلٰى نَصْرِهِ وَتَأْيِيْدِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: " اُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوْماً "(٧) وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَيْفِيَّةِ نَصْرِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ فَقَالَ : " تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ" بِمَعْنٰى: تَحْجُزُهُ عَنِ الظُّلْمِ وَتَحُوْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِعْلِهِ فَذٰلِكَ نَصْرُكَ لَهُ، وَقَوْلِهِ ﷺ

---

(١) سبق تخريجه
(٢) رواه مسلم برقم : ٨٢عن تميم الداريؓ
(٣) رواه البخاري برقم : ١٢ عن انسؓ
(٤) رواه مسلم برقم : ٤٦٨٥عن النعمان بن بشيرؓ
(٥) رواه البخاري
(٦)
(٧) رواه البخاري برقم : ٢٢٦٣عن انسؓ

"الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ" رواه البخاري(١) وَقَوْلِهِ: "مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيْهِ رَدَّ اللّٰهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه الترمذي(٢)

٩- **أَلَّا يَمَسَّهُ بِسُوْءٍ:** أَوْ يَنَالَهُ بِمَكْرُوْهٍ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ : " كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ "رواه مسلم(٣) وَقَوْلِهِ ﷺ : " لَايَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً" رواه الإمام أحمد(٤) وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ" رواه البخاري(٥)

١٠- **أَنْ يَتَوَاضَعَ لَهُ:** وَلَا يَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ، وَأَلَّا يُقِيْمَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ الْمُبَاحِ لِيَجْلِسَ فِيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ﴾**(لقمان: ١٨) وَلِقَوْلِهِ ﷺ : " إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى أَوْحٰى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوْا حَتّٰى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلٰى أَحَدٍ رواه أبوداود(٦) وَقَوْلِهِ ﷺ: "مَاتَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّٰهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى(٧) وَلَمَّا عُرِفَ عَنْهُ ﷺ مِنْ تَوَاضُعِهِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِيْنَ، وَمِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْنَفُ وَلا يَتَكَبَّرُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِيْنِ وَيَقْضِي حَاجَتَهُمَا، وَأَنَّهُ قَالَ: "اَللّٰهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيْنًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِيْنًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِيْنِ" رواه ابن ماجة(٨) وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : " لَا يُقِيْمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيْهِ،

---

(١) رواه مسلم برقم : ٤٦٥٠ عن ابي هريرةؓ
(٢) رواه الترمذي برقم : ١٨٥٤ عن ابي درداءؓ
(٣) رواه مسلم برقم : ٤٦٥٠ عن ابي هريرةؓ
(٤) رواه ابوداؤد برقم : ٤٣٥١
(٥) رواه البخاري برقم :٦٠٠٣ عن عبدالله بن عمروؓ
(٦) رواه ابوداؤد برقم : ٤٢٥٠ وابن ماجة
(٧) رواه الترمذي برقم : ١٩٥٢عن ابي هريرةؓ
(٨) رواه الترمذي برقم : ٢٢٧٥ وابن ماجة برقم : ٤١١٦

وَلٰكِنْ تَوَسَّعُوْا وَتَفَسَّحُوْا" رواه مسلم(١)

١١– **أَلَّا يَهْجُرَهُ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ:** لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هٰذَا وَيُعْرِضُ هٰذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ" رواه البخاري(٢) وَقَوْلِهِ......" وَلَا تَدَابَرُوْا، وَكُوْنُوْا عِبَادَ اللّٰهِ إِخْوَانًا" رواه مسلم(٣)

١٢– **أَلَّا يَغْتَابَهُ، أَوْ يَحْتَقِرَهُ:** أَوْ يُعِيبَهُ، أَوْ يَسْخَرَمِنْهُ، أَوْ يَنْبِزَهُ بِلَقَبِ سُوْءٍ، أَوْ يَنَمَّ عَنْهُ حَدِيثًا لِلْإِفْسَادِ، لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوْا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ**) (الحجرات:١٢)، وَقَوْلِهِ:(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُوْنُوْا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِنْ نِسَآءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوْا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوْا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوْقُ بَعْدَ الْإِيْمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُوْلٰٓئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ**) (الحجرات:١١)۔

وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "أَتَدْرُوْنَ مَا الْغِيْبَةُ؟" قَالُوا: اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ۔ قَالَ: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ" قِيْلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُوْلُ؟ قَالَ:" إِنْ كَانَ فِيْهِ مَاتَقُوْلُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ مَا تَقُوْلُ فَقَدْ بَهَتَّهُ" رواه مسلم(٤) وَقَوْلِهِ فِي حَجَّةِ الْوِدَاعِ:" إِنَّ دِمَاءَ كُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ" رواه مسلم(٥) وَقَوْلِهِ: "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ" رواه مسلم(٦) وَقَوْلِهِ ﷺ:" بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" رواه مسلم(٧)

(١) رواه مسلم برقم: ٤٠٤٣ عن ابن عمرؓ
(٢) رواه البخاري برقم: ٥٧٦٨، والامام مالك برقم: ١٤١٠ عن ابي ايوبؓ
(٣) رواه مسلم برقم: ٤٦٩٠، وابوداؤد برقم: ٤٢٣١ عن ابي هريرةؓ
(٤) رواه مسلم
(٥) رواه مسلم
(٦) سبق تخريجه
(٧) رواه مسلم برقم: ٤٦٥٠ عن ابي هريرةؓ

١٣– **أَلَّا يَسُبَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ:** حَيًّا كَانَ أَوْ مَيْتًا لِقَوْلِهِ ﷺ:" سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوْقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ" رواه البخاري(١) وَقَوْلِهِ:"لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفِسْقِ أَوِ الْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّعَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذٰلِكَ" رواه الإمام أحمد (٢) وَقَوْلِهِ:"الْمُتَسَابَّانِ مَاقَالَا، فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتّٰى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُوْمُ" رواه الإمام أحمد(٣) وَقَوْلِهِ:"لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلٰى مَاقَدَّمُوْا" رواه البخاري (٤) وَقَوْلِهِ:"مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ۔ قَالُوْا: وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ ، يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ"(٥)

١٤– **أَلَّا يَحْسُدَهُ، أَوْ يَظُنَّ بِهِ سُوْءًا:** وَيُبْغِضَهُ، أَوْ يَتَجَسَّسَ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوْا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**) (الحجرات:١٢)، وَقَوْلِهِ تَعَالٰى: (**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوْهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنٰتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا**) (النور:١٠)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "لَاتَحَاسَدُوْا وَلَا تَنَاجَشُوْا وَلَا تَبَاغَضُوْا، وَلَا تَدَابَرُوْا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلٰى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُوْنُوْاعِبَادَ اللّٰهِ إِخْوَانًا" رواه مسلم(٦) وَقَوْلِهِ:"إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيْثِ" رواه البخاري (٧)

(١) رواه البخاري برقم: ٥٥٨٤
(٢) رواه البخاري برقم: ٥٥٨٥ عن ابي ذرؓ
(٣) رواه الترمذي برقم: ١٩٠٤
(٤) رواه البخاري برقم: ١٣٠٦ عن عائشةؓ
(٥) رواه البخاري برقم: ٥٥١٦ عن عبد الله بن عمروؓ
(٦) رواه مسلم برقم: ٤٦٥٠ عن ابي هريرةؓ
(٧) رواه البخاري برقم: ٤٧٤٧ عن ابي هريرةؓ

١٥– **أَلَّا يَغُشَّهُ أَوْيَخْدَعَهُ:** لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: **(وَالَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوْا فَقَدِ احْتَمَلُوْا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِيْنًا)** (الاحزاب:٥٨)، وَقَوْلِهِ: **(وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيْئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيْئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِيْنًا)** (النساء:١١٢)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ:" مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا "رواه مسلم(١) وَقَوْلِهِ ﷺ:"مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوْكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا"رواه أبوداود(٢) وَمَعْنٰى خَبَّبَ : أَفْسَدَ وَخَدَعَ۔

١٦– **أَلَّا يَغْدُرَهُ أَوْ يَخُوْنَهُ أَوْ يَكْذِبَهُ:** أَوْ يُمَاطِلَهُ فِي قَضَاءِ دَيْنِه، لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا أَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ)**(المائدة:١)، وَقَوْلِهِ:**(وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوْا)**(البقرة:١٧٧) وَقَوْلِهِ:**(وَأَوْفُوْا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُوْلًا)** (الإسراء:٣٤)وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيْهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيْهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتّٰى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"رواه البخاري(٣) وَقَوْلِهِ: "قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى:ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيْراً فَاسْتَوْفٰى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ"رواه ابن ماجه(٤)،

١٧– **أَنْ يُخَالِقَهُ بِخُلُقٍ حَسَنٍ:** فَيَبْذُلَ لَهُ الْمَعْرُوْفَ وَيَكُفَّ عَنْهُ الْأَذٰى وَيُلَاقِيْهِ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، يَقْبَلَ مِنْهُ إِحْسَانَهُ، وَيَعْفُوَ عَنْ إِسَاءَ تِهِ، وَلَايُكَلِّفَهُ مَالَيْسَ عِنْدَهُ، فَلَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنْ جَاهِلٍ ، وَلَا الْبَيَانَ مِنْ عَيِيٍّ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:**(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِيْنَ)** (الأعراف:١٩٩)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "اِتَّقِ اللّٰهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" رواه الترمذي (٥)

(١) رواه مسلم برقم :١٤٦ عن ابي هريرةؓ
(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٤٥٠٢ عن ابي هريرةؓ
(٣) رواه البخاري برقم : ٢٢٧٩ عن عبد الله بن عمروؓ
(٤) رواه البخاري برقم : ٢٠٧ ، وابن ماجة برقم : ٢٤٣٣ عن ابي هريرةؓ
(٥) رواه الترمذي برقم : ١٩١٠ عن ابي ذرؓ

١٨– **أَنْ يُوَقِّرَهُ إِنْ كَانَ كَبِيْراً:** وَيَرْحَمَهُ إِنْ كَانَ صَغِيْراً، لِقَوْلِ الْمُصْطَفٰى ﷺ: " لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيْرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيْرَنَا " رواه الإمام أحمد(١)، وَقَوْلِهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللّٰهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ" رواه أبوداود(٢) وَقَوْلِهِ: "كَبِّرْ كَبِّرْ" أَيْ: إِبْدَأْ بِالْكَبِيْرِ، وَلِمَا عُرِفَ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُؤْتٰى بِالصَّبِيِّ لِيَدْعُوَ لَهُ بِالْبَرَكَةِ وَيُسَمِّيَهِ فَيَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ فَرُبَمَا بَالَ الصَّبِيُّ فِي حِجْرِهِ ﷺ وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلْقَاهُ الصِّبْيَانُ فَيَقِفُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَأْمُرُبِهِمْ فَيُرْفَعُوْنَ إِلَيْهِ فَيَجْعَلُ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْمِلُوْا بَعْضَهُمْ؛ رَحْمَةً مِنْهُ ﷺ بِالصِّبْيَانِ۔

١٩– أَنْ يُنْصِفَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَيُعَامِلَهُ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: "لَا يَسْتَكْمِلُ الْعَبْدُ الْإِيْمَانَ حَتّٰى يَكُوْنَ فِيْهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ"(٣) وَقَوْلِهِ ﷺ:"مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَيَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، وَلْيُؤْتِ إِلَى النَّاسِ مَايُحِبُّ أَنْ يُؤْتٰى إِلَيْهِ"رواه ابن ماجه(٤)

٢٠– **أَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ:** وَيَسْتُرَ عَنْ عَوْرَتِهِ، وَأَلَّا يَتَسَمَّعَ إِلٰى حَدِيْثٍ يُخْفِيْهِ عَنْهُ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى: **(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ)** (المائدة:١٣)، وَقَوْلِهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ:**(فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيْهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوْفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)** (البقرة:١٧٨)، وَقَوْلِهِ:

(١) رواه الامام احمد برقم : ٢٢١٤ عن ابن عباسؓ
(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٤٢٠٣ عن ابي موسىؓ
(٣) رواه الزبيدي في اتحاف السادة
(٤) رواه ابن ماجة

(فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّٰهِ) (الشورىٰ:٤٠)، وَقَوْلِهِ:(**وَلْيَعْفُوْا وَلْيَصْفَحُوْا أَلَا تُحِبُّوْنَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ)** (النور:٢٢)، وَقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**إِنَّ الَّذِيْنَ يُحِبُّوْنَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِيْ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ فِيْ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ)** (النور:٩)

وَلِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "مَازَادَ اللّٰهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا" رواه مسلم(١) وَقَوْلِهِ: "وَأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ" ،وَقَوْلِهِ:(لَايَسْتُرُعَبْدٌ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(رواه مسلم(٢) وَقَوْلِهِ:(يَامَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قَلْبِهِ لَا تَغْتَابُوْا الْمُسْلِمِيْنَ وَلَا تَتَّبِعُوْا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعُ عَوْرَةَ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللّٰهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللّٰهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْكَانَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ" رواه أبوداود(٣) وَقَوْلِهِ:"مَنِ اسْتَمَعَ إِلٰى حَدِيْثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُوْنَ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنِكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(ر واه البخاري(٤)

٢١– **أَنْ يُسَاعِدَهُ إِذَا احْتَاجَ إِلٰى مُسَاعَدَتِهِ:** وَأَنْ يَشْفَعَ لَهُ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ إِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلٰى ذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**وَتَعَاوَنُوْا عَلٰى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى)**(المائده:٢)، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:**(مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيْبٌ مِنْهَا)** (النساء:٨٥)، وَقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: " مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللّٰهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَعَلٰى مُعْسِرٍ يَسَّرَاللّٰهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللّٰهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيْهِ" رواه مسلم(٥) وَقَوْلِهِ ﷺ: " اشْفَعُوْا تُؤْجَرُوْا وَيَقْضِي اللّٰهُ عَلٰى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَاشَاءَ" رواه البخاري(٦)

(١) رواه مسلم برقم : ٤٦٨٩ عن ابي هريرة رض
(٢) رواه مسلم برقم :٤٦٩٢ عن ابي هريرة رض
(٣) رواه ابوداؤد برقم : ٤٢٣٦ عن ابي هريرة رض
(٤) رواه البخاري برقم : ٦٥٢٠ عن ابن عباس رض
(٥) رواه مسلم برقم : ٤٦٧٧عن سالم عن عبدالله رض وابوداؤد برقم : ٤٢٤٨
(٦) رواه البخاري برقم : ١٣٤٢ عن ابي موسى رض

٢٢– **أَنْ يُعِيْذَهُ إِذَا اسْتَعَاذَ بِاللّٰهِ:** وَأَنْ يُعْطِيَهُ إِذَا سَأَلَهُ بِاللّٰهِ، وَأَنْ يُكَافِئَهُ عَلٰى مَعْرُوْفِهِ أَوْ يَدْعُوَلَهُ،وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: "مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللّٰهِ فَأَعِيْذُوْهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللّٰهِ فَأَعْطُوْهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيْبُوْهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفاً فَكَافِئُوْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوْا مَا تُكَافِئُوْنَهُ بِهِ فَادْعُوْا لَهُ حَتّٰى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ" رواه أبوداود(١)

اَلْأَدَبُ مَعَ الْكَافِرِ

يَعْتَقِدُ الْمُسْلِمُ أَنَّ سَائِرَ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ بَاطِلَةٌ وَأَنَّ أَصْحَابَهَا كُفَّارٌ إِلَّا الدِّيْنَ الْإِسْلَامِي فَإِنَّهُ الدِّيْنُ الْحَقُّ، وَإِلَّا أَصْحَابَهُ فَإِنَّهُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ الْمُسْلِمُوْنَ، وَذٰلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:**(إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ)**(آلعمران:١٩)، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:(**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِيْ الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ)** (آل عمران:٨٥)، وَقَوْلِهِ:**(اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِيْ وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا)** (المائدة:٣)، فَبِهٰذِهِ الْأَخْبَارِ الْإِلٰهِيَّةِ الصَّادِقَةِ عَلِمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ سَائِرَ الْأَدْيَانِ الَّتِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَدْ نُسِخَتْ بِالْإِسْلَامِ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِيْنُ الْبَشَرِيَّةِ الْعَامُّ، فَلَمْ يَقْبَلِ اللّٰهُ مِنْ أَحَدٍ دِيْنًا غَيْرَهُ، وَلَا يَرْضٰى بِشَرْعٍ سِوَاهُ، وَمِنْ هُنَا كَانَ الْمُسْلِمُ يُرٰى أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَدِنْ لِلّٰهِ تَعَالٰى بِالْإِسْلَامِ فَهُوَ كَافِرٌ، وَيَلْتَزِمُ حِيَالَهُ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

١– **عَدَمُ إِقْرَارِهِ عَلَى الْكُفْرِ:** وَعَدَمُ الرِّضَاءِ بِهِ؛إِذِالرِّضَا بِالْكُفْرِ كُفْرٌ۔

٢– **بُغْضُهُ بِبُغْضِ اللّٰه تَعَالٰى لَهُ:** إِذَا الْحُبُّ فِي اللّٰهِ وَالْبُغْضُ فِي اللّٰهِ، وَمَادَامَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَبْغَضَهُ لِكُفْرِ بِهِ فَالْمُسْلِمُ يُبْغِضُ الْكَافِرَ بِبُغْضِ اللّٰهِ تَعَالٰى لَهُ۔

(١) رواه ابوداؤد برقم : ١٤٤٥عن ابن عمر رض

٣- **عَدَمُ مُوَالَاتِهِ وَمَوَدَّتِهِ:** لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**أَيَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُوْنَ الْكَافِرِيْنَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ**) (آل عمران:٢٨)،وَقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**أَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ يُوَادُّوْنَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ وَلَوْ كَانُوْا اٰبَآئَهُمْ أَوْ أَبْنَآئَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُمْ**) (المجادلة:٢٢)۔

٤- **إِنْصَافُهُ وَالْعَدْلُ مَعَهُ:** وَإِسْدَاءُ الْخَيْرِ لَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَارِباً؛ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**لَا يَنْهَاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِيْنَ لَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ فِي الدِّيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوْا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ**) (الممتحنة-٨)، فَقَدْ أَبَاحَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيْمَةُ الْمُحْكَمَةُ الْإِقْسَاطَ إِلَى الْكُفَّارِ وَهُوَ الْعَدْلُ وَإِنْصَافَهُمْ وَإِسْدَاءَ الْمَعْرُوْفِ إِلَيْهِمْ، وَلَمْ تَسْتَثْنِ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَّا الْمُحَارِبِيْنَ فَقَطُ، فَإِنَّ لَهُمْ سِيَاسَةً خَاصَّةً تُعْرَفُ : "بِأَحْكَامِ الْمُحَارِبِيْنَ"

٥- **يَرْحَمُهُ بِالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ:** كَإِطْعَامِهِ إِنْ جَاعَ، وَسَقْيِهِ إِنْ عَطِشَ، وَمُدَاوَاتِهِ إِنْ مَرِضَ، وَكَإِنْقَاذِهِ مِنْ تَهْلُكَةٍ، وَتَجْنِيْبِهِ الْأَذٰى، لِقَوْلِهِ ﷺ: "اِرْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ"(رواه الطبراني(١) وَقَوْلِهِ:"فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ" رواه البخاري(٢)

٦- **عَدَمُ أَذِيَّتِهِ فِي مَالِهِ أَوْدَمِهِ:** أَوْ عِرْضِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَمُحَارِبٍ، لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "يَقُوْلُ اللّٰهُ تَعَالٰى: يَاعِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلٰى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوْا" رواه الترمذي(٣)

(١) رواه الطبراني فى الكبير برقم : ٢٤٣٩

(٢) رواه البخاري برقم : ٥٥٥٠ عن ابي هريرةؓ

(٣) رواه مسلم برقم : ٤٦٧٤ عن ابي ذرؓ

٧- **جَوَازُ الْإِهْدَاءِ إِلَيْهِ:** وَقَبُوْلِ هَدِيَّتِهِ، وَأَكْلِ طَعَامِهِ إِنْ كَانَ كِتَابِيًّا - يَهُوْدِيًّا أَوْنَصْرَانِيًّا - لِقَوْلِهِ تَعَالٰى:(**وَطَعَامُ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ**) (المائدة:٥) وَلَمَّا صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُدْعٰى إِلٰى طَعَامِ يَهُوْدٍ بِالْمَدِيْنَةِ فَيُجِيْبُ الدَّعْوَةَ وَيَأْكُلُ مِمَّا يُقَدَّمُ لَهُ مِنْ طَعَامِهِمْ۔

٨- **تَشْمِيْتُهُ إِذَا عَطِسَ:** وَحَمِدَ اللّٰهَ تَعَالٰى، بِأَنْ يَقُوْلَ لَهُ: يَهْدِيْكُمُ اللّٰهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ، إِذْ كَانَ الرَّسُوْلُ ﷺ يَتَعَاطَسُ عِنْدَهُ يَهُوْدُ رَجَاءَ أَنْ يَقُوْلَ لَهُمْ:يَرْحَمُكُمُ اللّٰهُ، فَكَانَ يَقُوْلُ لَهُمْ:"يَهْدِيْكُمُ اللّٰهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ"۔

٩- **لَا يَبْدَؤُهُ بِالسَّلَامِ:** وَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: " وَعَلَيْكُمْ" لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُوْلُوْا: وَعَلَيْكُمْ۔(رواه الترمذي (١)

١٠- **يَضْطَرُّهُ عِنْدَ الْمُرُوْرِبِهِ فِي الطَّرِيْقِ إِلٰى أَضْيُقِهِ:** لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "لَاتَبْدَؤُا الْيَهُوْدَ وَلَا النَّصَارٰى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيْتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيْقٍ فَاضْطَرُّوْهُ إِلٰى أَضْيُقِهِ"(رواه مسلم(٢)

١١- **مُخَالَفَتُهُ، وَعَدَمُ التَّشَبُّهِ بِهِ:** فِيْمَا لَيْسَ بِضَرُوْرِيٍّ، كَإِعْفَاءِ اللِّحْيَةِ إِذَا كَانَ هُوَ يَحْلِقُهَا، وَصَبْغِهَا إِذَا كَانَ هُوَلَايَصْبَغُهَا، وَكَذَا مُخَالَفَتُهُ فِي اللِّبَاسِ مِنْ عِمَّةٍ وَطَرْبُوْشٍ وَنَحْوِهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ" رواه أبوداود(٣) وَقَوْلِهِ: "خَالِفُوا الْمُشْرِكِيْنَ ، أَعْفُوا اللُّحٰى وَقَصُّوالشَّوَارِبَ "رواه البخاري (٤) وَقَوْلِهِ: " إِنَّ الْيَهُوْدَ وَالنَّصَارٰى لَا يَصْبَغُوْنَ فَخَالِفُوْهُمْ " رواه البخاري(٥) يَعْنِي: خِضَابَ اللِّحْيَةِ أَوْ

(١) رواه الترمذي برقم : ٣٢٢٣ عن انس بن مالكؓ ومسلم برقم : ٤٠٢٤

(٢) رواه مسلم برقم : ٤٠٣٠ عن ابي هريرةؓ والترمذي برقم : ٢٦٢٤

(٣) رواه ابوداؤد برقم : ٣٥١٢ عن ابن عمرؓ

(٤) رواه البخاري برقم : ٥٤٤٢ عن ابن عمرؓ

(٥) رواه البخاري برقم : ٣٢٠٣ عن ابي هريرةؓ

شَعْرَالرَّأْسِ بِصُفْرَةٍ أَوْ حُمْرَةٍ؛ لِأَنَّ الصِّبْغَ بِالسَّوَادِ نَهٰى عَنْهُ الرَّسُوْلُ ﷺ لِمَا رَوٰى مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: "غَيِّرُوا هٰذَا – اَلشَّعْرَ الْأَبْيَضَ– وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ"

اَلْأَدَبُ مَعَ الْحَيْوَانِ:

اَلْمُسْلِمُ يَعْتَبِرُ أَغْلَبَ الْحَيْوَانَاتِ خَلْقاً مُحْتَرَماً فَيَرْحَمُهَا بِرَحْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى لَهَا وَيَلْتَزِمُ نَحْوَهَا بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

١– **إِطْعَامُهَا وَسَقْيُهَا:** إِذَا جَاعَتْ وَعَطِشَتْ: لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ: "فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ "(١) وَقَوْلِهِ:" مَنْ لَّا يَرْحَمُ لَايُرْحَمُ" رواه البخاري(٢) وَقَوْلِهِ:"اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ"(٣)

٢– رَحْمَتُهَا وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهَا؛ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ الْكَرِيْمِ لَمَّا رَآهُمْ قَدْ اتَّخَذُوْا حَيْوَاناً– طَيْراً– غَرَضاً–هَدَفاً–يَرْمُوْنَهُ بِسِهَامِهِمْ:" لَعَنَ اللّٰهُ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيْهِ رُوْحٌ غَرَضاً" رواه البخاري(٤) وَلِقَوْلِهِ ﷺ: "مَنْ فَجَعَ هٰذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا عَلَيْهَا وَلَدَهَا" رواه أبوداود(٥) قَالَهُ لَمَّا رَأَى الْحُمَّرَةَ – طَائِرٌ – تَحُوْمُ تَطْلُبُ أَفْرَاخَهَا الَّتِي أَخَذَهَا الصَّحَابَةُ مِنْ عُشِّهَا.

٣ – **إِرَاحَتُهَا عِنْدَ ذَبْحِهَا أَوْ قَتْلِهَا:** لِقَوْلِهِ ﷺ : " إِنَّ اللّٰهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُرِحْ، أَحَدُكُمْ ذَبِيْحَتَهُ وَلْيُحِدَّ شَفْرَتَهُ"

٤– **عَدَمُ تَعْذِيْبِهَا بِأَيِّ نَوْعٍ :** مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ، سَوَاءٌ بِتَجْوِيْعِهَا، أَوْ ضَرْبِهَا، أَوْ بِتَحْمِيْلِهَا مَا لَا تُطِيْقُ، أَوْ بِالْمُثْلَةِ بِهَا، أَوْ حَرْقِهَا بِالنَّارِ

(١) رواه البخاري برقم : ٢٢٨٦عن ابي هريرةؓ
(٢) رواه البخاري برقم : ٥٥٣٨ عن ابي هريرةؓ
(٣) رواه ابي داؤد برقم : ٤٢٩٠عن عبد الله بن عمروؓ
(٤) رواه الامام احمد برقم : ٥٩٧٧
(٥) رواه ابوداؤد برقم : ٢٣٠٠

وَذٰلِكَ لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ : " دَخَلَتْ إِمْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتّٰى مَاتَتْ فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَاهِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ" رواه البخاري(١)

٥– **إِبَاحَةُ قَتْلِ الْمُؤْذِي مِنْهَا:** كَالْكَلْبِ الْعَقُوْرِ، وَالذِّئْبِ، وَالْحَيَّةِ، وَالْعَقْرَبِ، وَالْفَأْرِ، وَمَاإِلٰى ذٰلِكَ، لِقَوْلِ الرَّسُوْلِ عَلَيْهِ أَزْكٰى السَّلَامُ : "خَمْسٌ فَوَاسِقُ تُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: اَلْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ، وَالْفَارَةُ،وَالْكَلْبُ الْعَقُوْرُ، وَالْحُدَيَّا" رواه مسلم(٢)

٦– **جَوَازُ وَسْمِ النَّعَمِ فِي آذَانِهَا لِلْمَصْلَحَةِ:** إِذْ رُؤِيَ ﷺ يَسِمُ بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةِ أَمَّا غَيْرُ النَّعَمِ– وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ وَالْبَقَرَةُ – مِنْ سَائِرِ الْحَيْوَانِ فَلَا يَجُوْزُوَسْمُهُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ رَأَى حِمَاراً مَوْسُوْماً فِي وَجْهِهِ " لَعَنَ اللّٰهُ مَنْ وَسَمَ هٰذَا فِي وَجْهِهِ" رواه مسلم (٣)

٧– **مَعْرِفَةُ حَقِّ اللّٰهِ فِيْهَا :** بِأَدَاءِ زَكَاتِهَا إِذَا كَانَتْ مِمَّا يُزَكّٰى

٨– عَدَمُ التَّشَاغُلِ بِهَا عَنْ طَاعَةِ اللّٰهِ أَوْ اللَّهْوِ بِهَا عَنْ ذِكْرِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالٰى **(يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ)** (المنافقون:٩)،

وَلِقَوْلِ الرَّسُوْلِ ﷺ فِي الْخَيْلِ: "اَلْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلٰى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِيْ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ وَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذٰلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍفَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذٰلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ وَهِيَ لِذٰلِكَ الرَّجُلُ أَجْرٌ......

(١) رواه البخاري برقم : ٢١٩٢ عن ابن عمرؓ
(٢) رواه مسلم برقم : ٢٠٦٩ عن عائشةؓ والبخاري برقم : ٣٠٦٧عائشةؓ
(٣) رواه مسلم في كتاب اللباس

وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِياً وَتَعَفُّفًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللّٰهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُوْرِهَا فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ...... وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْراً وَرِيَاءً وَنِوَاءً۔(أَيْ :مُعَادَاةً) لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ عَلَيْهِ وِزْرٌ" رواه مسلم واللفظ للبخاري(١)

فَهٰذِهِ جُمْلَةٌ مِنَ الْآدَابِ يُرَاعِيْهَا الْمُسْلِمُ إِزَاءَ الْحَيْوَانِ طَاعَةً لِلّٰهِ وَرَسُوْلِهِ، وَعَمَلاً بِمَا تَأْمُرُبِهِ شَرِيْعَةُ الْإِسْلَامِ، شَرِيْعَةُ الرَّحْمَةِ، شَرِيْعَةُ الْخَيْرِ الْعَامِّ لِكُلِّ مَخْلُوْقٍ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْحَيَوَانٍ۔

آدَابُ الْأُخُوَّةِ فِي اللّٰهِ وَالْحُبِّ وَالْبُغْضِ فِيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى

اَلْمُسْلِمُ بِحُكْمِ إِيْمَانِهِ بِاللّٰهِ تَعَالٰى لَا يُحِبُّ إِذَا أَحَبَّ إِلَّا فِي اللّٰهِ، وَلَا يُبْغِضُ إِذَا أَبْغَضَ إِلَّا فِي اللّٰهِ، وَلِأَنَّهُ لَا يُحِبُّ إِلَّا مَا يُحِبُّ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ، وَلَا يَكْرَهُ إِلَّا مَا يَكْرَهُ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهُ ، فَهُوَ إِذًا بِحُبِّ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ يُحِبُّ، وَبِبُغْضِهِمَا يُبْغِضُ۔ وَدَلِيْلُهُ فِي هٰذَا:قَوْلُ الرَّسُوْلِ ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ لِلّٰهِ وَأَبْغَضَ لِلّٰهِ وَأَعْطٰى لِلّٰهِ وَمَنَعَ لِلّٰهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيْمَانَ"رواه أبوداود(٢) وَبِنَاءً عَلٰى هٰذَا فَجَمِيْعُ عِبَادِ اللّٰهِ الصَّالِحِيْنَ يُحِبُّهُمُ الْمُسْلِمُ وَيُوَالِيْهِمْ ، وَجَمِيْعُ عِبَادِ اللّٰهِ الْفَاسِقِيْنَ عَنْ أَمْرِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ يُبْغِضُهُمْ وَيُعَادِيْهِمْ، بَيْدَ أَنَّ هٰذَا غَيْرُ مَانِعٍ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَّتَّخِذَ إِخْوَاناً أَصْدِقَاءَ فِي اللّٰهِ تَعَالٰى يَخُصُّهُمْ بِمَزِيْدِ مَحَبَّةٍ وَوِدَادٍ، إِذْ رَغَّبَ الرَّسُوْلُ ﷺ فِي إِتِّخَاذِ مِثْلِ هٰؤُلَاءِ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ بِقَوْلِهِ:"اَلْمُؤْ مِنُ إِلْفٌ مَأْلُوْفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيْمَنْ

(١) رواه البخاري برقم : ٦٨٠٩ عن ابي هريرةؓ

(٢) رواه ابوداؤد برقم : ٤٠٦١ عن ابي امامةؓ

لَا يَأْلَفُ وَلَايُؤْلَفُ" رواه الإمام أحمد، والطبراني(١) وَقَوْلِهِ:"إِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنَابِرُ مِنْ نُوْرٍ، عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُوْرٌ، وَوُجُوْهُهُمْ نُوْرٌ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّوْنَ وَالشُّهَدَاءُ" فَقَالُوا: يَارَسُوْلَ اللّٰهِ، صِفْهُمْ لَنَا۔ فَقَالَ:"الْمُتَحَابُّوْنَ فِي اللّٰهِ، وَالْمُتَجَالِسُوْنَ فِي اللّٰهِ وَالْمُتَزَاوِرُوْنَ فِي اللّٰهِ"(٢) وَقَوْلِهِ ﷺ: "إِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى يَقُوْلُ: حَقَّتْ مُحَبَّتِي لِلَّذِيْنَ يَتَزَاوَرُوْنَ مِنْ أَجْلِي،وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِيْنَ يَتَنَاصَرُوْنَ مِنْ أَجْلِي"روه الإمام أحمد(٣) وَقَوْلِهِ:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّٰهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَاظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتّٰى يَعُوْدَ إِلَيْهِ،وَرَجُلَانِ تَحَابَا فِي اللّٰهِ فَاجْتَمَعَا عَلٰى ذٰلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَاللّٰهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ إِمْرَأَةٌ ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللّٰهَ تَعَالٰى، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتّٰى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِيْنُهُ" رواه البخاري(٤) وَقَوْلِهِ ﷺ: " إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاًلَهُ فِي اللّٰهِ فَأَرْصَدَ اللّٰهُ لَهُ مَلَكًا،فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيْدُ؟ قَالَ:أُرِيْدُ أَنْ أَزُوْرَ أَخِي فُلَاناً فَقَالَ: لِحَاجَةٍ لَكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ : لَا قَالَ لِقَرَابَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ لَا، قَالَ فَبِنِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَهُ ؟ قَالَ لَا قَالَ: فَبِمَ؟ قَالَ:أُحِبُّهُ فِي اللّٰهِ۔ قَالَ: فَإِنَّ اللّٰهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ أُخْبِرُكَ بِأَنَّهُ يُحِبُّكَ لِحُبِّكَ إِيَّاهُ، وَقَدْ أَوْجَبَ لَكَ الْجَنَّةَ" رواه مسلم(٥)

(١) رواه الامام احمد برقم : ٨٨٣١ عن ابي هريرةؓ

(٢) رواه الزبيدي فى الاتحاف ورواه مسلم ببلفظ اخضر من هذا

(٣) رواه الامام احمد برقم : ١٨٦٢١

(٤) رواه البخاري برقم : ١٣٣٤عن ابي هريرةؓ

(٥) رواه مسلم

وَأَمَّا آدَابُهَا: فَهِي أَنْ يَكُوْنَ الْمُتَّخَذُ أَخًا:

١ – عَاقِلًا: لِأَنَّهُ لَاخَيْرَ فِي أُخُوَّةِ الْأَحْمَقِ وَصُحْبَتِهِ ، إِذْ قَدْ يَضُرُّ الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ مِنْ حَيْثُ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفَعَ۔

٢ – حَسَنَ الْخُلُقِ : إِذْ سَيِّئُ الْخُلُقِ وَإِنْ كَانَ عَاقِلًا فَقَدْ تَغْلِبُهُ شَهْوَةٌ أَوْ يَتَحَكَّمُ فِيْهِ غَضَبٌ فَيُسِيْءُ إِلٰى صَاحِبِهِ۔

٣ – تَقِيًّا: لِأَنَّ الْفَاسِقَ الْخَارِجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ لَايُؤْمَنُ جَانِبُهُ، إِذْ قَدْ يَرْتَكِبُ ضَدَّ صَاحِبِهِ جَرِيْمَةً لَا يُبَالِي مَعَهَا بِأُخُوَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ مَنْ لَا يَخَافُ اللّٰهَ تَعَالٰى لَا يَخَافُ غَيْرَهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ۔

٤ – مُلَازِماً لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَعِيْداً عَنِ الْخُرَافَةِ وَالْبِدْعَةِ، إِذِ الْمُبْتَدِعُ قَدْ يَنَالُ صَدِيْقَهُ مِنْ شُؤْمِ بِدْعَتِهِ۔ وَلِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ وَصَاحِبَ الْهَوٰى هِجْرَتُهُمَا مُتَعَيَّنَةٌ، وَمُقَاطَعَتُهُمَا لَازِمَةٌ، فَكَيْفَ تُمْكِنُ خُلَّتُهُمَا وَصَدَاقَتُهُمَا۔

وَقَدْ أَوْجَزَ هٰذِهِ الْآدَابَ فِي إِخْتِيَارِ الْأَصْحَابِ أَحَدُ الصَّالِحِيْنَ فَقَالَ يُوْصِي إِبْنَهُ: يَابُنَيَّ إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلٰى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وَإِنْ قَعَدَتْ بِكَ مَئُوْنَةٌ مَانَكَ: اصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأٰى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأٰى سَيِّئَةً سَدَّهَا، اصْحَبْ مَنْ إِذَا سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ، وَإِنْ سَكَتَّ ابْتَدَاكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكَ نَازِلَةٌ وَاسَاكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَّقَ قَوْلَكَ وَإِنْ حَاوَلْتُمَا أَمْرًا أَمَّرَكَ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا شَيْئًا آثَرَكَ۔

حُقُوْقُ الْأُخُوَّةِ فِي اللّٰهِ:

وَمِنْ حُقُوقِ هٰذِهِ الْأُخُوَّةِ مَايَلِي:

١ – الْمُوَاسَاةُ بِالْمَالِ(الْمُوَاسَاةُ: الْمُعَاوَنَةُ وَالْمُسَاعَدَةُ) فَيُوَاسِي كُلُّ مِنْهُمَا أَخَاهُ بِمَالِهِ إِنِ احْتَاجَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُوْنُ دِيْنَارُهُمَا وَدِرْهَمُهُمَا وَاحِداً لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِيْهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ

فَقَالَ: إِنِّي أُرِيْدُ أَنْ أُوَاخِيَكَ فِي اللّٰهِ، قَالَ : أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْإِخَاءِ؟ قَالَ :عَرِّفْنِي ، قَالَ: لَاتَكُوْنُ أَحَقَّ بِدِيْنَارِكَ وَدِرْهَمِكَ مِنِّي۔ قَالَ: لَمْ أَبْلُغْ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ بَعْدُ، قَالَ: فَاذْهَبْ عَنِّي۔

٢ – **أَنْ يَكُوْنَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَوْناً لِصَاحِبِهِ:** يَقْضِي حَاجَتَهُ وَيُقَدِّمُهَا عَلٰى نَفْسِهِ، يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَه كَمَا يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ نَفْسِهِ، وَيُؤْثِرُهُ عَلٰى نَفْسِهِ وَعَلٰى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، يَسْأَلُ عَنْهُ بَعْدَ كُلِّ ثَلَاثٍ فَإِنْ كَانَ مَرِيْضاً عَادَهُ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُوْلًا أَعَانَهُ، وَإِنْ كَانَ نَاسِياً ذَكَّرَهُ، يُرَحِّبُ بِهِ إِذَا دَنَا، وَيُوَسِّعُ لَهُ إِذَا جَلَسَ، وَيُصْغِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ۔

٣ – **أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ لِسَانَهُ إِلَّا بِخَيْرٍ:** فَلَا يَذْكُرُ لَهُ عَيْبًا فِي غَيْبَتِهِ أَوْ حُضُوْرِهِ، وَلَا يَسْتَكْشِفُ أَسْرَارَهُ، وَلَا يُحَاوِلُ التَّطَلُّعَ إِلٰى خَبَايَا نَفْسِهِ، وَإِذَا رَآهُ فِي طَرِيْقِهِ لِحَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ فَلَا يُفَاتِحُهُ فِي ذِكْرِهَا وَلَا يُحَاوِلُ التَّعَرُّفَ إِلٰى مَصْدَرِهَا أَوْ مَوْرِدِهَا، يَتَلَطَّفُ فِي أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوْفِ، أَوْ نَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ لَايُمَارِيْهِ فِي الْكَلَامِ وَلَا يُجَادِلُهُ بِحَقٍّ أَوْ بَبَاطِلٍ، لَا يُعَاتِبُهُ فِي شَيْئٍ وَلَا يُعَاتِبُهُ عَلَيْهِ فِي آخَرَ۔

٤ – **أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ لِسَانِهِ مَا يُحِبُّهُ مِنْهُ:** فَيَدْعُوْهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَيَذْكُرُهُ بِالْخَيْرِ فِي الْغَيْبَةِ وَالْحُضُوْرِ، يَبْلُغُهُ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ مُظْهِراً إِغْتِبَاطَهُ بِذٰلِكَ، وَفَرَحَهُ بِهِ، لَا يَسْتَرْسِلُ فِي نُصْحِهِ فَيُقْلِقَهُ، وَلَايَنْصَحُهُ أَمَامَ النَّاسِ فَيَفْضَحُهُ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ۔

٥ – **يَعْفُو عَنْ زَلَّاتِهِ:** وَيَتَغَاضٰى عَنْ هَفَوَاتِهِ، وَيَسْتُرُ عُيُوْبَهُ، وَيُحْسِنُ بِهِ ظُنُوْنَهُ، وَإِنِ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً سِرًّا أَوْعَلَانِيَةً فَلَا يَقْطَعُ مَوَدَّتَهُ، وَلَايُهْمِلُ أُخُوَّتَهُ، بَلْ يَنْتَظِرُ تَوْبَتَهُ وَأَوْبَتَهُ، فَإِنْ أَصَرَّفَلَهُ صَرْمُهُ وَقَطْعُهُ، أَوِ الْإِبْقَاءُ عَلٰى أُخُوَّتِهِ مَعَ إِسْدَاءِ النَّصِيْحَةِ وَمُوَاصَلَةِ الْمَوْعِظَةِ رَجَاءَ أَنْ يَتُوْبَ فَيَتُوْبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: إِذَا تَغَيَّرَ أَخُوْكَ وَحَالَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ فَلَا تَدَعْهُ لِأَجْلِ ذٰلِكَ، فَإِنَّ أَخَاكَ يَعْوَجُّ مَرَّةً وَيَسْتَقِيْمُ أُخْرٰى۔

٦ – **أَنْ يَفِيَ لَهُ فِي الْأُخُوَّةِ:** فَيَثْبُتُ عَلَيْهَا وَيُدِيْمَ عَهْدَهَا، لِأَنَّ قَطْعَهَا

مُحبطٌ لِأَجرِهَا، وَإِنْ مَاتَ نَقَلَ الْمَوَدَّةَ إِلٰى أَوْلَادِه وَمَنْ وَالَاهُ مِنْ أَصْدِقَائِه، مُحَافَظَةً عَلٰى الْأُخُوَّة وَوَفَاءً لِصَاحِبِهَا۔ فَقَدْ أَكْرَمَ رَسُوْلُ اللّٰه ﷺ عَجُوزاً دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ:"إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِيْنَا أَيَّامَ خَدِيْجَة، وَإِنَّ كَرَمَ الْعَهْدِ مِنَ الدِّيْنِ"(١) وَمِنَ الْوَفَاءِ: أَلَّا يُصَادِقَ عَدُوَّ صَدِيْقِه، إِذْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى: إِذَا أَطَاعَ صَدِيْقُكَ عَدُوَّكَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي عَدَوَاتِكَ۔

٧- **أَلَّا يُكَلِّفَهُ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِ:** وَأَلَّا يُحَمِّلَهُ مَا لَا يَرْتَاحُ مَعَهُ، فَلَا يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَمِدَّ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ جَاهٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ يُلْزِمَهُ بِالْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ، إِذْ أَصْلُ الْأُخُوَّة كَانَتْ لِلّٰه فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُحَوِّلَ إِلٰى غَيْرِه مِنْ جَلْبِ مَنَافِعِ الدُّنْيَا، أَوْ دَفْعِ الْمَضَارِّ، وَكَمَالَا يُكَلِّفُهُ لا نَجْعَلُهُ يتكَلَّفُ لَهُ، إِذْ كِلَاهُمَا مُخِلٌّ بِالْأُخُوَّة مُؤَثِّرٌ فِيهَا مُنْقِصٌ مِنْ أَجرِهَا الْمَقْصُوْد منهَا، فَعَلَيْهِ أَنْ يَطْوِيَ مَعَهُ بِسَاطَ التَّزَمُّتِ وَالتَّكَلُّفِ وَالتَّحَفُّظِ، إِذْ بِهٰذِه تَحْصُلُ الْوَحْشَةُ الْمُنَافِيَةُ لِلْأُلْفَة، وَقَدْجَاءَ فِي الْأَثَرِ: أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ ، وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِيْنَ:مَنْ سَقَطَتْ كُلْفَتُهُ دَامَتْ أُلْفَتُهُ، وَمَنْ خَفَّتْ مُؤْنَتُهُ دَامَتْ مَوَدَّتُهُ، وَآيَةُ سُقُوْط الْكُلْفَة الْمُوْجِبَة لِلْأُنسِ، وَالْمُذْهِبَة لِلْوَحْشَة أَنْ يَفْعَلَ الْأَخُ فِي بَيْتِ أَخِيْهِ أَرْبَعَ خِصَالٍ: أَنْ يَأْكُلَ فِي بَيْتِه، وَيَدْخُلَ الْخَلَاءِ عِنْدَهُ، وَيُصَلِّي وَيَنَامُ مَعَهُ، فَإِذَا فَعَلَ هٰذه فَقَدْتَمَّ الْإِخَاءُ، وَارْتَفَعَتِ الْحِشْمَةُ الْمُوْجِبَةُ لِلْوَحْشَة، وَوُجِدَ الْأُنسُ وَتَأَكَّدَالْإِنبِسَاطُ۔

٨- أَنْ يَدْعُوَ لَهُ وَلِأَوْلَادِه: وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِه بِخَيْرٍ مَايَدْعُوْ بِه لِنَفْسِه وَأَوْلَادِه وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِه، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ أَحَدِهِمَا وَالْآخرِبحُكم الْأُخُوَّة الَّتِي جَمَعَتْ بَيْنَهُمَا، فَيَدْعُوْلَهُ حَيًّا وَمَيِّتًا وَحَاضِراً وَغَائِباً، قَالَ رَسُوْلُ اللّٰه ﷺ: "إِذَا دَعَا الرَّجُلُ لِأَخِيْه فِي ظَهْرِ الْغَيْبِ قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ مِثْلُ ذٰلكَ"(١) وَقَالَ أَحَدُ الصَّالِحِيْنَ:أَيْنَ مَثْلُ الْأَخِ الصَّالِحِ؟! إِنَّ أَهْلَ الرَّجُلِ إِذَا مَاتَ يَقْسِمُوْنَ مِيْرَاثَهُ وَيَتَمَتَّعُوْنَ بِمَا خَلَّفَ، وَالْأَخُ الصَّالِحُ يَنْفَرِدُ بِالْحُزْنِ، مُهْتَمًّابِمَا قَدمَ أَخُوْهُ عَلَيْه وَمَاصَارَ إِلَيْهِ، يَدْعُوْلَهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَيَسْتَغْفِرُلَهُ وَهُوَ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرٰى۔(١)

(١) هذه المضامين ماخوذة من منهاج المسلم

اَلْبَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ

فِي أَعْدَاءِ الْإِنْسَانِ الْأَرْبَعَةِ

وَاِعْلَمْ أَنَّ لِلْإِنْسَانِ أَرْبَعَةً مِنَ الْأَعْدَاءِ فَيَحْتَاجُ أَنْ يُجَاهِدَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، أَحَدُهَا النَّفْسُ، ثَانِيهَا الدُّنْيَا، ثَالِثُهَا الْهَوٰى، رَابِعُهَا الشَّيْطٰنُ، فَهٰؤُلَاءِ يُزَاحِمُوْنَهُ دَائِمًا فِي الدِّيْنِ فَلَا بُدَّلَهُ مِنَ التَّيَقُّظِ مِنْهُمْ۔

اَلْأَوَّلُ النَّفْسُ

اَلنَّفْسُ هِيَ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ تَمِيْلُ إِلَى الشَّهْوَاتِ وَالْمَعَاصِي دَائماً، وَتَأْمُرُ بِالسُّوْءِ وَهِيَ شَرُّالْأَعْدَاءِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ أَعْدٰى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ۔(١)

سُئِلَ أَحَدُ الْمَشَائِخِ أَنَّ الشَّيْطٰنَ يُضِلُّ الْإِنْسَانَ وَيُوَسْوِسُ فِي قَلْبِهِ كَيْ يُضِلَّ السَّبِيْلَ، فَمَنْ أَضَلَّ الشَّيْطَانَ؟ قَالَ أَضَلَّهُ نَفْسُهٗ فَالنَّفْسُ هِيَ الْعَدُوُّالْخَفِيُّ الْمَاكِرُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ الَّتِي لَاتَقْطَعُ عَدَاوَتُهَا إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّهٗ۔

اَلنَّفْسُ لَهَا صِفَاتٌ

إِنَّ نَفْسَ الْإِنْسَانِ لَهَا صِفَاتٌ، فَهِيَ تَخْتَلِفُ بِصِفَاتِهَا، فَتُسَمّٰى بِاعْتِبَارِ كُلِّ صِفَةٍ بِإِسْمٍ، فَتُسَمّٰى مُطْمَئِنَّةً بِاعْتِبَارِطَمَانِيْنَتِهَا إِلٰى رَبِّهَا بِعُبُوْدِيَّتِه وَمَحَبَّتِه وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْه، وَبِاعْتِبَارِ مَلَامَتِهَا صَاحِبَهَا تُسَمّٰى لَوَّامَةً، وَبِاعْتِبَارِ أَمْرِهَا بِالسُّوْءِ تُسَمّٰى أَمَّارَةً، فَتَكُوْنُ أَوَّلًا أَمَّارَةً ثُمَّ تَصِيْرُ بِالرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ لَوَّامَةً ثُمَّ تَتَرَقّٰى حَتّٰى تَصِيْرَ مُطْمَئِنَّةً وَهِيَ غَايَةُ كَمَالِهَا وَصَلَاحِهَا۔

(١) الزهد الكبير للبيهقي رقم الحديث ٣٥٥

وَقَدْ امْتَحَنَ اللّٰهُ تَعَالٰى الْإِنْسَانَ بِهَاتَيْنِ النَّفْسَيْنِ الْأَمَّارَةِ وَاللَّوَّامَةِ كَمَا أَكْرَمَهُ بِالْمُطْمَئِنَّةِ، فَهِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تَكُوْنُ أَمَّارَةً ثُمَّ لَوَّامَةً ثُمَّ مُطْمَئِنَّةً، هٰذَا مَاحَقَّقَهُ الْعُلَمَاءُ لَا أَنَّ لَهُ ثَلٰثُ أَنْفُسٍ كَمَا هُوَ رَأْيُ الْبَعْضِ، هٰذَا خُلَاصَةُ مَاذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالٰى۔

يَقُوْلُ أَلشَّاعِرُ ؎

النَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلٰى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تُفْطِمْهُ يَنْفَطِمُ

النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ

أَمَّا النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ فَهِيَ الْمَذْمُوْمَةُ، فَإِنَّهَا الَّتِي تَأْمُرُ بِكُلِّ سُوْءٍ، وَهٰذَا مِنْ طَبِيْعَتِهَا إِلَّامَا وَفَّقَهَا اللّٰهُ وَثَبَّتَهَا وَأَعَانَهَا، فَمَا تَخَلَّصَ أَحَدٌمِنْ شَرِّنَفْسِهِ إِلَّا بِتَوْفِيْقِ اللّٰهِ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالٰى حَاكِيًا عَنْ إِمْرَأَةِ الْعَزِيْزِ،(**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ**) (يوسف٥٣)

قَالَ تَعَالٰى (**وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا** (النور ٢١)

وَقَالَ تَعَالٰى (لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ وَأَحِبِّهِمْ إِلَيْهِ (**وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيْلًا**) (اسراء ٧٤)

وَكَانَ النَّبِيﷺ يُعَلِّمُهُمْ خُطْبَةَ الْحَاجَةِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّأَتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ فَلَامُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ(١)

فَالشَّرُّ كَامِنٌ فِي النَّفْسِ وَهُوَيُوْجِبُ سَيِّأتِ الْأَعْمَالِ ، فَإِنْ خَلَّى

(١) رواه ابوداؤد برقم : الحديث ١٨٠٩، والنسائي برقم الحديث ٣٢٢٥

اللّٰهُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ نَفْسِهِ هَلَكَ بَيْنَ شَرِّهَا وَمَاتَقْتَضِيْهِ مِنْ سَيِّأتِ الْأَعْمَالِ، وَإِنْ وَفَّقَهُ اللّٰهُ وَأَعَانَهُ نَجَاهُ مِنْ ذٰلِكَ، فَنَسْأَلُ اللّٰهَ الْعَظِيْمَ أَنْ يُعِيْذَنَا مِنْ شُرُوْرِأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّأَتِ أَعْمَالِنَا ۔

النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ

وَأَمَّا النَّفْسُ اللَّوَّامَةُ وَهِيَ الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا سُبْحٰنَهُ فِي قَوْلِهِ(وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) فَاخْتُلِفَ فِيْهَا، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ هِيَ الَّتِي لَاتَثْبُتُ عَلٰى حَالٍ وَاحِدَةٍ، أَخَذُوْا اللَّفْظَةَ مِنَ التَّلَوُّمِ وَهُوَ التَّرَدُّدُ، فَهِيَ كَثِيْرَةُ التَّقَلُّبِ وَالتَّلَوُّنِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ اللّٰهِ،فَإِنَّهَا مَخْلُوْقٌ مِنْ مَخْلُوْقَاتِهِ تَتَقَلَّبُ وَتَتَلَوَّنُ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ فَضْلًا عَنِ الْيَوْمِ وَالشَّهْرِوَالْعَامِ وَالْعُمَرِ أَلْوَانًامُتَلَوِّنَةً۔

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرٰى اللَّفْظَةُ مِنَ اللَّوْمِ ثُمَّ اخْتَلَفُوْا فَقَالَتْ فِرْقَةٌ هِيَ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ وَهٰذَا مِنْ صِفَاتِهَا الْمُجَرَّدَةِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَاتَرَاهُ إِلَّايَلُوْمُ نَفْسَهُ دَائِماً يَقُوْلُ:مَاأَرَدْتُ بِهٰذَا؟ لِمَ فَعَلْتَ هٰذَا؟ كَانَ غَيْرُ هٰذَا أَوْلٰى أَوْنَحْوَهٰذَا مِنَ الْكَلَامِ۔

وَقَالَ غَيْرُهُ هِيَ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ تُوْقِعُهُ فِي الذَّنْبِ ثُمَّ تَلُوْمُهُ عَلَيْهِ فَهٰذَا اللَّوْمُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِخِلَافِ الشَّقِيِّ فَإِنَّهُ لَايَلُوْمُ نَفْسَهُ عَلٰى ذَنْبٍ بَلْ يَلُوْمُهَا وَتَلُوْمُهُ عَلٰى فُوَاتِهِ۔

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

وَأَمَّا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى(يٰأَيَّتُهَاالنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) فَهِيَ تَصِيْرُ مُطْمَئِنَّةً بِطَمَانِيْنَتِهَا،وَحَقِيْقَةُ الطَّمَانِيْنَةِ الَّتِي تَصِيْرُ بِهَا أَلنَّفْسُ

مُطْمَئِنَّةً أَنْ تَطْمَئِنَّ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِ كَمَالِهِ إِلٰى خَبَرِهِ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَخْبَرَتْ بِهِ عَنْهُ رُسُلُهُ فَتَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُوْلِ وَالتَّسْلِيْمِ وَالْإِذْعَانِ وَالْاِنْشِرَاحِ فَلَايَزَالُ الْقَلْبُ فِي أَعْظَمِ الْقَلَقِ وَالْاِضْطِرَابِ فِي هٰذَا الْبَابِ حَتّٰى يُخَالِطَ الْإِيْمَانَ بِأَسْمَاءِ الرَّبِّ تَعَالٰى وَصِفَاتِهِ وَتَوْحِيْدِهِ فَيَنْزِلُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ نُزُوْلَ الْمَاءِ الزُّلَالِ عَلَى الْقَلْبِ الْمُلْتَهِبِ بِالْعَطَشِ فَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَيَسْكُنُ إِلَيْهِ وَيَفْرَحُ بِهِ وَيَلِيْنُ لَهُ قَلْبُهُ وَمَفَاصِلُهُ حَتّٰى كَأَنَّهُ شَاهَدَ الْأَمْرَ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، بَلْ يَصِيْرُ ذٰلِكَ لِقَلْبِهِ بِمَنْزِلَةِ رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهْرِ لِعَيْنِهِ، فَهٰذَا أَوَّلُ دَرَجَاتِ الطُّمَانِيْنَةِ ثُمَّ لَايَزَالُ يَقْوٰى وَهٰذَا أَمْرٌلَانِهَايَةَ لَهُ، فَهٰذِهِ الطُّمَانِيْنَةُ أَصْلُ أُصُوْلِ الْإِيْمَانِ الَّتِيْ قَامَ عَلَيْهِ بِنَاءُ هُ ثُمَّ يَطْمَئِنُّ إِلٰى خَبَرِهِ عَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أُمُوْرِالْبَرْزَخِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، حَتّٰى كَأَنَّهُ يُشَاهِدُ ذٰلِكَ كُلَّهُ عِيَاناً۔

وَهٰذَا حَقِيْقَةُ الْيَقِيْنِ الَّذِيْ وَصَفَ بِهِ سُبْحَانَهُ تَعَالٰى أَهْلَ الْإِيْمَانِ، حَيْثُ قَالَ (وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُوْنَ) فَلَايَحْصُلُ الْإِيْمَانُ بِالْاٰخِرَةِ حَتّٰى يَطْمَئِنَّ الْقَلْبُ إِلٰى مَا أَخْبَرَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ بِهِ عَنْهَا طَمَانِيْنَتَهُ إِلَى الْأُمُوْرِ الَّتِي لَايَشُكُّ فِيْهَا وَلَايَرْتَابُ۔

فَهٰذَا هُوَالْمُؤْمِنُ حَقًّا كَمَا فِي حَدِيْثِ حَارِثَةَ أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً، فَقَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً فَمَا حَقِيْقَةُ إِيْمَانِكَ؟ قَالَ عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُإِلٰى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَإِلٰى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُوْنَ فِيْهَا، وَأَهْلِ النَّارِ يُعَذَّبُوْنَ فِيْهَا فَقَالَ عَبْدٌ نَوَّرَاللّٰهُ قَلْبَهُ(وَلَنِعْمَ مَاقِيْلَ)

أَلَا يَانَفْسُ وَيْحَكِ سَاعِدِيْنِي	بِسَعْيٍ مِنْكِ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي
لَعَلَّكِ فِي الْقِيَامَةِ أَلَّا تَفُوْزِي	بِطِيْبِ الْعَيْشِ فِي تِلْكَ الْعُلَالِي

النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ يَكُوْنُ الشَّيْطَانُ قَرِيْنَهَا

النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ جُعِلَ الشَّيْطٰنُ قَرِيْنُهَا وَصَاحِبُهَا الَّذِيْ يَلِيْهَا، فَهُوَ يَعِدُهَا وَيُمَنِّيْهَا، وَيَقْذِفُ فِيْهَا الْبَاطِلَ، وَيَامُرُهَا بِالسُّوْءِ وَيُزَيِّنُهُ لَهَا،وَيُطِيْلُ لَهَا فِي الْأَمَلِ، وَيُرِيْهَا الْبَاطِلَ فِي صُوْرَةٍ تَقْبَلُهَا،وَتَسْتَحْسِنُهَا وَيُمِدُّهَا بِأَنْوَاعِ الْإِمْدَادِ الْبَاطِلِ مِنَ الْأَمَانِيِّ الْكَاذِبَةِ وَالشَّهَوَاتِ الْمُهْلِكَةِ وَيَسْتَعِيْنُ عَلَيْهَا بِهَوَاهَا وَإِرَادَتِهَا فَمِنْهُ يَدْخُلُ عَلَيْهَا كُلُّ مَكْرُوْهٍ فَمَا اسْتَعَانَ عَلَى النُّفُوْسِ بِشَيْئٍ هُوَأَبْلَغُ مِنْ هَوَاهَا وَإِرَادَتِهَا إِلَيْهِ وَقَدْ عَلِمَ ذٰلِكَ إِخْوَانُهُ مِنْ شَيَاطِيْنِ الْإِنْسِ فَلَايَسْتَعِيْنُوْنَ عَلَى الصُّوَرِ الْمَمْنُوْعَةِ مِنْهُمْ بِشَيْئٍ أَبْلَغَ مِنْ هَوَاهُمْ وَإِرَادَتِهِمْ فَإِذَا أَعْيَتْهُمْ صُوْرَةٌ طَلَبُوْا بِجُهْدِهِمْ مَاتُحِبُّهُ وَتَهْوَاهُ ثُمَّ طَلَبُوْا بِجُهْدِهِمْ تَحْصِيْلَه فَاصْطَادُوْا بِهِ تِلْكَ الصُّوْرَةَ، فَإِذَا فَتَحَتْ لَهُمُ النَّفْسُ بَابَ الْهَوٰى دَخَلُوْا مِنْهُ فَجَلَسُوْا خِلَالَ الدِّيَارِ، فَعَاثُوْا وَأَفْسَدُوْا وَفَتَكُوْا وَسَبَوْا وَفَعَلُوْا مَا يَفْعَلُهُ الْعَدُوُّ بِبِلَادِ عَدُوِّهِ إِذَا تَحَكَّمَ فِيْهَا، فَهَدَمُوْا مَعَالِمَ الْإِيْمَانِ وَالْقُرْاٰنِ وَالذِّكْرِوَ الصَّلَاةِ

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ يَكُوْنُ الْمَلَكُ قَرِيْنَهَا

وَأَمَّاالنَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ فَجُعِلَ الْمَلَكُ قَرِيْنُهَا وَصَاحِبُهَا الَّذِيْ يَلِيْهَا وَيُسَدِّدُهَا وَيَقْذِفُ فِيْهَا الْحَقَّ وَيُرَغِّبُهَا فِيْهِ، وَيُرِيْهَا حُسْنَ صُوْرَتِهِ، وَيَزْجُرُهَا عَنِ الْبَاطِلِ وَيُزْهِدُهَا فِيْهِ،وَيُرِيْهَا قُبْحَ صُوْرَتِهِ، وَأَمَدَّهَا بِمَا عَلِمَهَا مِنَ الْقُرْاٰنِ وَالْأَذْكَارِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ، وَجَعَلَ وُفُوْدُ الْخَيْرَاتِ وَمَدَادُ التَّوْفِيْقِ تَنْتَابُهَا وَتَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَكُلَّمَا تَلَقَّتْهَا بِالْقَبُوْلِ وَالشُّكْرِوَالْحَمْدُلِلّٰهِ وَرُؤْيَتِهِ أَوَّلِيَّتِهِ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ إِزْدَادَمَدَدُهَا، فَتَقْوٰى عَلٰى مُحَارَبَةِ الْأَمَّارَةِ فَمِنْ جُنْدِهَا وَهُوَسُلْطَانُ عَسَاكِرِهَا، وَمَلِكُهَا الْإِيْمَانُ وَالْيَقِيْنُ، فَالْجُيُوْشُ الْإِسْلَامِيَّةُ كُلُّهَا تَحْتَ لِوَائِهِ نَاظِرَةٌ إِلَيْهِ، إِنْ ثَبَتَ ثَبَتَتْ وَإِنِ انْهَزَمَ وَلَّتْ عَلٰى أَدْبَارِهَا، ثُمَّ أُمَرَاءُ هٰذَا الْجَيْشِ وَمُقَدَّمُوْ

عَسَاكِرِهٖ شُعَبُ الْإِيْمَانِ اَلْمُتَعَلِّقَةُ بِالْجَوَارِحِ عَلٰى إِخْتِلَافِ أَنْوَآعِهَا كَالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْأَمْرِبِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْىِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَنَصِيْحَةِ الْخَلْقِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ وَشُعَبُهُ الْبَاطِنَةُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْقَلْبِ كَالْإِخْلَاصِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَالتَّوْبَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالصَّبْرِوَالْحِلْمِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْمَسْكَنَةِ وَامْتِلَاءِ الْقَلْبِ مِنْ مَحَبَّةِ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ، وَتَعْظِيْمِ أَوَامِرِاللّٰهِ وَحُقُوْقِهٖ وَالْغَيْرَةِ لِلّٰهِ وَفِي اللّٰهِ، وَمِلَاكُ ذٰلِكَ كُلُّهُ الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ فَلَا يَتْعَبُ الصَّادِقُ الْمُخْلِصُ(١)

اَلثَّانِي الدُّنْيَا

اَلْعَدُوُّ الثَّانِي لِلْإِنْسَانِ الدُّنْيَا هِيَ غَرَّارَةٌ، مَكَّارَةٌ، لَاثَبَاتَ لَهَا، قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى(**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُوْرُ**)(لقمان ٣٣)

اَللّٰهُ سُبْحَانَهٗ تَعَالٰى ضَرَبَ لِلدُّنْيَا مَثَلًا وَالنَّبِيُّ ﷺ ضَرَبَ لَهَا مَثَلًا، وَالْحُكَمَاءُ ضَرَبُوا لَهَا مَثَلًا فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَنْظُرَوَيَتَفَكَّرَ، وَيَتَنَبَّهَ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى۔

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا) يَعْنِي مَثَلُ الدُّنْيَا فِي فَنَائِهَا وَزَوَالِهَا (كَمَاءٍ)أَيْ كَمَطَرٍ(أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ)يَعْنِي أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ا (فَاخْتَلَطَ بِهٖ نَبَاتُ الْأَرْضِ) أَيْ اخْتَلَطَ الْمَاءُ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ يَعْنِي إِنَّ الْمَاءَ يَدْخُلُ فِي الْأَرْضِ، فَيَنْبُتُ النَّبَاتُ(مِمَّايَاكُلُ النَّاسُ) مِنَ الْحُبُوْبِ(وَالْأَنْعَامُ)أَيْ مِنَ الْكَلَأِ وَالْحَشِيْشِ(حَتّٰى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) يَعْنِي زِيْنَتَهَا وَحُسْنَهَا(وَازَّيَّنَتْ) أَيْ تَزَيَّنَتِ الْأَرْضُ بِنَبَاتِهَا وَحَسُنَتْ بِأَلْوَانٍ مِنَ النَّبَاتِ(وَظَنَّ أَهْلُهَا) يَعْنِي حَسَبَ أَهْلُ الزَّرْعِ وَالنَّبَاتِ(إِنَّهُمْ قَادِرُوْنَ عَلَيْهَا) أَيْ عَلٰى غَلَّاتِهَا وَإِنَّهَا سَتَتِمُّ لَهُمْ (أَتَاهَا أَمْرُنَا) أَيْ عَذَابُ اللّٰهِ(لَيْلًا أَوْنَهَاراً) أَيْ بِاللَّيْلِ أَوْبِالنَّهَارِ (فَجَعَلْنَاهَا

(١) ملخص من كتاب الروح لابن القيم

حَصِيْداً)أَيْ مُتَأَصِّلًا(كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ) يَعْنِي صَارَتْ كَانْ لَمْ تَكُنْ فَكَذٰلِكَ الدُّنْيَا وَمَافِيْهَا لَاتَبْقٰى كَمَا لَايَبْقَى الزَّرْعُ۔(**كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُوْنَ**)(يونس ٢٤) فِي أَمْرِالدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ أَنَّ الدُّنْيَا تَفْنِي وَالْاٰخِرَةَ تَبْقٰى۔

وَالْآيَاتُ الْوَارِدَةُ فِي ذَمِّ الدُّنْيَا أَمْثِلَتُهَا كَثِيْرَةٌ وَأَكْثَرُ الْقُرْاٰنِ مُشْتَمِلٌ عَلٰى ذَمِّ الدُّنْيَا وَصَرْفِ الْخَلْقِ عَنْهَا وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْاٰخِرَةِ بَلْ هُوَ مَقْصُوْدُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَمْ يُبْعَثُوْا إِلَّالِذٰلِكَ؟

اَلدُّنْيَا عَدُوَّةٌ لِلّٰهِ وَلِأَوْلِيَاءِهٖ

اَلدُّنْيَا عَدُوَّةٌ لِلّٰهِ عَدُوَّةٌ لِأَوْلِيَاءِهٖ وَعَدُوَّةٌ لِأَعْدَائِهٖ أَمَّا عَدَاوَتُهَا لِلّٰهِ فَإِنَّهَا قَطَعَتِ الطَّرِيْقَ عَلٰى عِبَادِاللّٰهِ وَلِذٰلِكَ لَمْ يَنْظُرِ اللّٰهُ إِلَيْهَا مُنْذُ خَلَقَهَا۔

وَأَمَّا عَدَاوَتُهَا لِأَوْلِيَاءِ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ فَإِنَّهَا تَزَيَّنَتْ لَهُمْ بِزِيْنَتِهَا وَعَمَّتْهُمْ بِزَهْرَتِهَا وَنَضَارَتِهَا حَتّٰى تَجَرَّعُوْا مَرَارَةَ الصَّبْرِ فِي مُقَاطَعَتِهَا۔

وَأَمَّا عَدَاوَتُهَا لِأَعْدَاءِ اللّٰهِ فَإِنَّهَا اسْتَدْرَجَتْهُمْ بِمَكْرِهَا وَكَيْدِهَا فَاقْتَنَصَتْهُمْ بِشَبَكَتِهَا حَتّٰى وَثِقُوْابِهَا وَعَوَّلُوْا عَلَيْهَا فَخَذَلَتْهُمْ أَحْوَجَ مَاكَانُوْا إِلَيْهَا فَاجْتَنَوْا مِنْهَا حَسَرَةً تَتَقَطَّعُ دُوْنَهَا الْأَكْبَادُ، ثُمَّ حَرَّمَتْهُمُ السَّعَادَةَ أَبَدَالْآبَادِ، فَهُمْ عَلٰى فِرَاقِهَا يَتَحَسَّرُوْنَ، وَمِنْ مَكَايِدِهَا يَسْتَغِيْثُوْنَ، وَلَايُغَاثُوْنَ بَلْ يُقَالُ لَهُمْ (**اخْسَئُوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنِ**)(مومنون ١٠٨) وَقَالَ تَعَالٰى (**أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُوْنَ**)(البقرة: ٨٦) وَلِلّٰهِ دَرُّمَنْ قَالَ

يَاخَاطِبَ الدُّنْيَا إِلٰى نَفْسِهَا تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمُ
إِنَّ الَّتِي تَخْطُبُ غَدَّارَةٌ قَرِيْبَةُ الْعُرْسِ مِنَ الْمَاتَمِ

وَقِيْلَ أَيْضاً

وَمَا الْمَالُ وَأَهْلُوْنَ إِلَّاوَدَائِعُ   وَلَا بُدَّ يَوْماً إِنْ تَرُدَّ الْوَدَائِعَ

حَقِيْقَةُ الدُّنْيَا

وَقَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ لِي رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ يَا أَبَاهُرَيْرَةَ أَلَا أُرِيْكَ الدُّنْيَا جَمِيْعَهَا بِمَا فِيْهَا، فَقُلْتُ بَلٰى يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! فَأَخَذَ بِيَدِيْ وَأَتٰى بِي وَادِيًا مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِيْنَةِ، فَإِذَا مَزْبَلَةٌ فِيْهَا رُؤُوْسُ أُنَاسٍ وَعَذْرَاتٌ وَخِرَقٌ وَعِظَامٌ، ثُمَّ قَالَ،يَاأَبَاهُرَيْرَةَ هٰذِهِ الرُّؤُوْسُ كَانَتْ تَحْرِصُ كَحِرْصِكُمْ وَتَأْمَلُ كَأَمَلِكُمْ ثُمَّ هِيَ الْيَوْمَ عِظَامٌ بِلَاجِلْدٍ، ثُمَّ هِيَ صَائِرَةٌ رَمَاداً وَهٰذِهِ الْعَذْرَاتُ هِيَ أَلْوَانُ أَطْعِمَتِهِمْ إِكْتَسَبُوْهَا ثُمَّ قَذَفُوْهَا فِي بُطُوْنِهِمْ فَأَصْبَحَتْ وَالنَّاسُ يَتَحَامُوْنَهَا، وَهٰذِهِ الْخِرَقُ الْبَالِيَةُ رِيَاشُهُمْ وَلِبَاسُهُمْ فَأَصْبَحَتْ وَالرِّيَاحُ تُصَفِّقُهَا، وَهٰذِهِ الْعِظَامُ عِظَامُ دَوَابِّهِمُ الَّتِي كَانُوْا يَنْتَجِعُوْنَ عَلَيْهَا أَطْرَافَ الْبِلَادِ فَمَنْ كَانَ بَاكِيًا عَلَى الدُّنْيَا فَلْيَبْكِ قَالَ فَمَا رَبِحْنَا حَتّٰى اشْتَدَّ بُكَاءُ نَا(١)

وَرُوِيَ أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ وَقَفَ عَلٰى مَزْبَلَةٍ فَقَالَ هَلُمُّوا إِلَى الدُّنْيَا وَأَخَذَ خِرَقًا قَدْ بَلِيَتْ عَلٰى تِلْكَ الْمَزْبَلَةِ وَعِظَاماً قَدْ نَخِرَتْ فَقَالَ" هٰذِهِ الدُّنْيَا"وَهٰذِهِ إِشَارَةٌ إِلٰى أَنَّ زِيْنَةَ الدُّنْيَا سَتَخْلُقُ مِثْلَ تِلْكَ الْخِرَقِ وَأَنَّ الْأَجْسَامَ الَّتِي تَرٰى بِهَا سَتَصِيْرُ عِظَامًا بَالِيَةً (٢)

يَامَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لَهَا   يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي دُنْيَاهُ سِفَارًا

هَلَّا تَرَكْتَ مِنَ الدُّنْيَا مُعَانَقَةً   حَتّٰى تُعَانِقَ فِي الْفِرْدَوْسِ أَبْكَارَا

(١) نقلا عن احياء للغزالي الجزء الثانى/٣٩٢

(٢) رواه البيهقي في شعب الايمان برقم : ١٠٠٨٢ عن ابي ميمونه رض

الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ

عَنْ أَبِي سَعِيْدِ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللّٰهَ تَعَالٰى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيْهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ-رواه المسلم(١)

وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ مَا الدُّنْيَا فِي الْاٰخِرَةِ إِلَّامِثْلَ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ-(رواه مسلم)(٢)

وَعَنْ عَمْرِ وبْنِ عَوْفِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللّٰهِ ﷺ بَعَثَ أَبَاعُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُوْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ فَلَمَّا صَلّٰى رَسُوْلُ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوْا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ حِيْنَ رَاٰهُمْ ثُمَّ قَالَ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَاعُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْئٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالُوْا أَجَلْ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ! فَقَالَ أَبْشِرُوْا وَامِّلُوْا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللّٰهِ مَا الْفَقْرَ اَخْشٰى عَلَيْكُمْ وَلٰكِنِّي أَخْشٰى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلٰى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوْهَا كَمَا تَنَافَسُوْهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ-(٣)

وَنِعْمَ مَاقِيْلَ ؎

أَرٰى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عُمْرُهٗ   وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُوْراً وَأَنْعُمًا

كَبَانٍ بَنٰى بُنْيَانَهٗ فَأَقَامَهٗ   فَلَمَّا اسْتَوٰى مَاقَدْ بَنَاهُ تَهَدَّمَا

الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيْقٌ

قَالَ لُقْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِبْنِهِ:يَا بُنَيَّ إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌعَمِيْقٌ وَقَدْ غَرِقَ

(١) اخرجه مسلم برقم : ٤٩٢٥، والترمذي برقم : ٢١١٧

(٢) اخرجه مسلم برقم : ٥١٠١، والترمذى٢٢٤٥

(٣) اخرجه البخاري برقم : ٣٧١٢

فِيهِ نَاسٌ كَثِيرٌ فَلْتَكُنْ سَفِينَتُكَ فِيهِ تَقْوَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ وَحَشْوُهَا الْإِيمَانُ بِاللّٰهِ تَعَالٰى وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلُ عَلَى اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ لَعَلَّكَ تَنْجُوْ وَمَاأَرَاكَ نَاجِياً(١)

وَقَالَ عَمَّارُ بْنُ سَعِيدٍ مَرَّ عِيسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَرْيَةٍ، فَإِذَا أَهْلُهَا مَوْتٰى فِي الْأَفْنِيَةِ وَالطُّرُقِ فَقَالَ يَامَعْشَرَالْحَوارِيِّينَ! إِنَّ هٰؤُلَاءِ مَاتُوْا عَنْ سُخْطَةٍ وَلَوْمَاتُوْا عَنْ غَيْرِذٰلِكَ لَتَدَافَنُوْا۔

فَقَالُوْا يَا رُوحَ اللّٰهِ! وَدِدْنَا أَنْ لَوْعَلِمْنَا خَبَرَهُمْ، فَسَأَلَ اللّٰهُ تَعَالٰى فَأَوْحٰى إِلَيْهِ إِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَنادِهِمْ يُجِيبُونَكَ فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ أَشْرَفَ عَلٰى نَشَزٍ(أَيْ مَوْضَعٍ عَالٍ)ثُمَّ نَادٰى يَا أَهْلَ الْقَرْيَةِ ۔

فَأَجَابَهُ مُجِيبٌ لَبَّيْكَ يَارُوحَ اللّٰهِ! فَقَالَ مَاحَالُكُمْ وَمَاقِصَّتُكُمْ ؟ فَقَالَ بِتْنَا فِيعَافِيَةٍ وَأَصْبَحْنَا فِي الْهَاوِيَةِ، قَالَ وَكَيْفَ ذَالِكَ؟ قَالَ بِحُبِّنَا الدُّنْيَا وَطَاعَتِنَا أَهْلَ الْمَعَاصِي، قَالَ وَكَيْفَ كَانَ حُبُّكُمْ لِلدُّنْيَا؟ قَالَ حُبُّ الصَّبِيِّ لِأُمِّهِ، إِذَا أَقْبَلَتْ فَرِحْنَابِهَا وَإِذَا أَدْبَرَتْ حَزِنّا وَبَكَيْنَا عَلَيْهَا۔

قَالَ فَمَا بَالُ أَصْحَابِكَ لَمْ يُجِيبُونِي؟ قَالَ لِأَنَّهُمْ مُلْجَمُوْنَ بِلَجَمٍ مِنْ نَارٍبِأَيْدِي مَلٰئِكَةٍ غِلَاظٍ شِدَادٍ، قَالَ فَكَيْفَ أَجَبْتَنِي أَنْتَ مِنْ بَيْنِهِمْ؟ قَالَ لِأَنِّي كُنْتُ فِيهِمْ وَلَمْ أَكُنْ مِنْهُمْ فَلَمَّا نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ أَصَابَنِي مَعَهُمْ فَأَنَا مُعَلَّقٌ عَلٰى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، لَاأَدْرِي أَأَنْجُومِنْهَا أَمْ أُكَبْكَبُ فِيهَا؟

فَقَالَ الْمَسِيحُ لِلْحَوارِيِّينَ لَأَكْلُ خُبْزِالشَّعِيرِ بِالْمِلْحِ الْجَرِيشِ، وَلُبْسُ الْمَسُوحِ، وَالنَّوْمُ عَلَى الْمَزَابِلِ كَثِيرٌمَعَ عَافِيَةِ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ۔(٢)

(١) احياء العلوم للغزالي الجزء الثانى/ ٣٩٥ بيان ذم الدنيا

(٢) احياء العلوم للغزالي الجزء الثاني برقم الصفحه ٩٩

وَقَدْ قِيلَ

وَمَنْ يَحْمَدُ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسُرُّهُ ... فَسَوْفَ لِعُمْرِيْ عَنْ قَلِيلٍ يَلُوْمُهَا

إِذَا أَدْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى الْمَرْأِ حَسْرَةٌ ... وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيْرًا هُمُوْمُهَا

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زَائِلٍ

وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَرِعِيَّةُ الْفَنَاءِ، قَرِيبَةُ الْاِنْقِضَاءِ تَعِدُ بِالْبَقَاءِ ثُمَّ تُخْلِفُ فِي الْوَفَاءِ تَنْظُرُإِلَيْهَا فَتَرَاهَا سَاكِنَةً مُسْتَقِرَّةً، وَهِيَ سَائِرَةٌ سَيْرًا عَنِيْفًا، وَمُرْتَحِلَةٌ إِرْتِحَالًا سَرِيعاً وَلٰكِنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهَا قَدْ لَايُحِسُّ بِحَرْكَتِهَا فَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُحِسُّ عِنْدَ إِنْقِضَائِهَا وَمِثَالُهَا الظِّلُّ فَإِنَّهُ مُتَحَرِّكٌ سَاكِنٌ مُتَحَرِّكٌ فِي الْحَقِيقَةِ سَاكِنٌ فِي الظَّاهِرِ لَاتُدْرَكُ حَرَكَتُهُ بِالْبَصَرِ الظَّاهِرِ، بَلْ بِالْبَصِيرَةِ الْبَاطِنَةِ۔

وَلَمَّا ذُكِرَتِ الدُّنْيَا عِنْدَ الْحَسَنِ الْبَصَرِيِّ رَحِمَهُ اللّٰهُ أَنْشَدَ وَقَالَ

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْكَظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِهَا لَايُخْدَعُ

وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا وَيَقُوْلُ

يَاأَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لَابَقَاءَ لَهَا ... إِنَّ إِغْتِرَاراً بِظِلٍّ زَائِلٍ حُمُقٌ

مِثَالٌ لِلدُّنْيَا بِعَدَاوَتِهَا لِأَهْلِهَا

وَاعْلَمْ أَنَّ طَبَعَ الدُّنْيَا التَّلَطُّفُ فِي الْإِسْتِدْرَاجِ أَوَّلًا وَالتَّوَصُّلُ إِلَى الْإِهْلَاكِ آخِراً وَهِيَ كَامِرَةٌ تَتَزَيَّنُ لِلْخُطَّابِ حَتّٰى إِذَا نَكَحَتْهُمْ ذَبَحَتْهُمْ۔

وَقَدْرُوِيَ أَنَّ عِيسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُوشِفَ بِالدُّنْيَا فَرَاهَا فِي صُوْرَةِ عَجُوْزٍ هَتْمَاءَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ، فَقَالَ لَهَا كَمْ تَزَوَّجْتِ؟ قَالَتْ

لَاأُحْصِيهِمْ، قَالَ فَكُلُّهُمْ مَاتَ عَنْكِ أَمْ كُلُّهُمْ طَلَّقَكِ؟ قَالَتْ بَلْ كُلَّهُمْ قَتَلْتُ فَقَالَ عِيسٰى عَلَيْهِ السَّلَامُ بُؤْسًا لِأَزْوَاجِكَ الْبَاقِيْنَ كَيْفَ لَايَعْتَبِرُوْنَ بِأَزْوَاجِكَ الْمَاضِيْنَ! كَيْفَ تُهْلِكُهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَلا يَكُوْنُوْنَ مِنْكِ عَلٰى حَذَرٍ۔

وَقَالَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ عَجُوْزًا كَبِيْرَةً مُتَعَصِّبَةَ الْجِلْدِ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِيْنَةِ الدُّنْيَا، وَالنَّاسُ عَكُوْفٌ عَلَيْهَا مَعْجِبُوْنَ يَنْظُرُوْنَ إِلَيْهَا، فَجِئْتُ وَنَظَرْتُ وَتَعَجَّبْتُ مِنْ نَظْرِهِمْ إِلَيْهَا وَإِقْبَالِهِمْ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ لَهَا، وَيْلَكَ مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ أَوَمَا تَعْرِفُنِي؟ قُلْتُ لَا أَدْرِيْ مَنْ أَنْتِ؟ قَالَتْ أَنَا الدُّنْيَا، قُلْتُ أَعُوْذُبِاللّٰهِ مِنْ شِرْكِ (١) ۔

وَإِنَّ امْرَأً دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ ۔ لَمُسْتَمْسِكٌ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُوْرٍ

اَلثَّالِثُ الْهَوٰى

اَلْهَوٰى هُوَ الدَّافِعُ الْقَوِيُّ فِي الْإِنْسَانِ لِكُلِّ طُغْيَانٍ وَكُلِّ تَجَاوُزٍ وَكُلِّ مَعْصِيَةٍ، وَهُوَ أَسَاسُ الْبَلْوٰى وَيَنْبُوْعُ الشَّرِّ، وَقَلَّ أَنْ يُؤْتٰى إِنْسَانٌ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْهَوٰى، فَالْجَهْلُ سَهْلٌ عِلَاجُهٗ وَلٰكِنَّ الْهَوٰى بَعْدَ الْعِلْمِ هُوَ آفَةُ النَّفْسِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلٰى جِهَادٍ شَاقٍّ طَوِيْلِ الْأَمْدِ لِعِلَاجِهَا۔

وَالْحَاجِزُالصُّلْبُ أَمَامَ دَفْعَاتِ الْهَوٰى الْعَنِيْفَةِ هُوَ الْخَوْفُ مِنَ اللّٰهِ، وَقَلَّ أَنْ يَثْبُتَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهٰذَا الْحَاجِزِ أَمَامَ دَفْعَاتِ الْهَوٰى، وَمِنْ ثَمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا السِّيَاقُ الْقُرْاٰنِي فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ حَيْثُ قَالَ(**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهٖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوٰى**) (النازعات٤٠-٤١)

فَالَّذِيْ يُحَدِّثُ هُنَا هُوَ خَالِقُ هٰذِهِ النَّفْسِ الْعَلِيْمُ بِدَائِهَا، الْخَبِيْرُ

(١) احياء العلوم للغزالي الجزء الثاني برقم : ٤٠٤ بيان صفحة الدنيا

بِدَوَائِهَا، وَهُوَوَحْدَهٗ الَّذِيْ يَعْلَمُ دُرُوْبَهَا وَمُنْحَنِيَاتِهَا، وَيَعْلَمُ أَيْنَ تَمَكَّنَ أَهْوَاؤُهَا وَأَدْوَاؤُهَا وَكَيْفَ تُطَارِدُ فِي مَكَامِنِهَا وَمَخَابِئِهَا۔(١)

اَلْهَوٰى عَدُوٌّ مُتَّبَعٌ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ الْعَقْلُ صَدِيْقٌ مَقْطُوْعٌ وَالْهَوٰى عَدُوٌّمُتَّبَعٌ۔

وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ إِنَّمَا أَخْشٰى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُوْنِكُمْ وَفُرُوْجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوٰى۔(رواهٗ احمد والطبرانی)(٢)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مَاذَكَرَاللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ–هَوًى فِي الْقُرْاٰنِ إِلَّاذَمَّهٗ ، قَالَ تَعَالٰى(**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهٗ كَمَثَلِ الْكَلْبِ**)(اعراف ١٧٦) وَقَالَ تَعَالٰى (**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ**)(سورة:ص٢٦) وَقَالَ تَعَالٰى (**وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهٗ فُرُطًا**)(الكهف٢٨) وَقَالَ تَعَالٰى(**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللّٰهِ**)(القصص:٥٠)وَقَالَ تَعَالٰى (**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أَهْوَآئَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِيْ مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ**) (الروم: ٢٩)

قَالَ بْنِ مَسْعُوْدٍ رضي الله عنه أَنْتُمْ فِي زَمَانٍ يَقُوْدُ الْحَقُّ الْهَوٰى، وَسَيَاتِيْ زَمَانٌ يَقُوْدُ الْهَوٰى الْحَقَّ۔(٣)

اِتِّبَاعُ الْهَوٰى طَرِيْقُ الضَّلَالِ

وَلَقَدْ بَيَّنَ اللّٰهُ تَعَالٰى أَنَّ إِتِّبَاعَ الْهَوٰى هُوَ طَرِيْقُ الضَّلَالِ وَالْاِنْحِرَافِ وَالشَّقَاوَةِ وَالْإِحْجَافِ، فَقَالَ سُبْحٰنَهٗ تَعَالٰى(**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ**)(سورة: ص٢٦) وَرُوِيَ أَنَّ إِبْلِيْسَ قَالَ، أَهْلَكْتُهُمْ بِالذُّنُوْبِ

(١) تلخيص من وقاية الانسان

(٢) رواه الطبراني في الصغير برقم : ٥١٢ واحمد في مسنده برقم : ١٨٩٣٦ عن ابي برزة رضي الله عنه

(٣) تفسير القرطبی

فَأَهْلَكُوْنِي بِالْإِسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَئَيْتُ ذٰلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ فَهُمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُوْنَ فَلَا يَسْتَغْفِرُوْنَ(١)

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَكَّبَ اللّٰهُ الْمَلٰئِكَةَ مِنْ عَقْلٍ بِلَا شَهْوَةٍ، وَرَكَّبَ الْبَهَائِمَ مِنْ شَهْوَةٍ بِلَا عَقْلٍ وَرَكَّبَ ابْنَ آدَمَ مِنْ كِلَيْهِمَا فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهُ عَلٰى شَهْوَتِهِ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ وَمَنْ غَلَبَ شَهْوَتُهُ عَلٰى عَقْلِهِ فَهُوَ شَرٌّمِنَ الْبَهَائِمِ ـ(٢)

وَقَالَ أَبُوالدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ إِذَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ اجْتَمَعَ هَوَاهُ وَعَمَلُهُ وَعِلْمُهُ فَإِنْ كَانَ عِلْمُهُ تَبَعًا لِهَوَاهُ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ سُوْءٌ وَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ تَبَعًا لِعِلْمِهِ فَيَوْمُهُ يَوْمٌ صَالِحٌ ـ(٣)

اَلْعَقْلُ أَمِيْرٌوَقَائِدٌ عَلَى الْهَوٰى

إِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى عِنْدَ مَارَكَّبَ الْهَوٰى فِي الْإِنْسَانِ ،خَلَقَ لَهُ عَقلاً لِيَكُوْنَ عَلَيْهِ أَمِيراً وَقَائِداً ـ

قَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ

يَا عَاقِلًا أَرْدَى الْهَوٰى عَقْلَهُ   مَالَكَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُوْرُ
أَتَجْعَلُ الْعَقْلَ أَسِيْرَ الْهَوٰى   وَإِنَّمَا الْعَقْلُ عَلَيْهِ أَمِيْرُ

قَالَ أَبُوالْحَسَنِ الْمَاوَرْدِي وَأَمَّاالْهَوٰى فَهُوَ عَنِ الْخَيْرِ صَادٍ وَلِلْعَقْلِ مُضَادٌّ، فَإِنَّهُ يُنْتِجُ مِنَ الْأَخْلَاقِ قَبَائِحَهَا، وَيُظْهِرُ مِنَ الْأَفْعَالِ فَضَائِحَهَا وَيَجْعَلُ سِتْرَالْمُرُوْءَةِ مَهْتُوْكاً وَمَدْخَلَ الشَّرِّ مَسْلُوْكًا ـ(٤)

(١) وقاية الانسان
(٢) ادب الدنيا والدين الجزء ٢٢/١
(٣) التحرير والتنويرلابن عاشور الجزء ٣٢٥/١٣
(٤) ادب الدنيا والدين الجزء ١٩/١

وَقَالَ أَيْضاً وَلَمَّا كَانَ الْهَوٰى غَالِباً وَإِلٰى سَبِيْلِ الْمَهَالِكِ مَوْرِداً جُعِلَ الْعَقْلُ عَلَيْهِ رَقِيْبًا مُجَاهِداً يُلَاحِظُ عِثْرَةَ غَفْلَتِهِ وَيَدْفَعُ بَادِرَةَ سَطْوَتِهِ، وَيَدْفَعُ خِدَاعَ حِيْلَتِهِ لِأَنَّ سُلْطَانَ الْهَوٰى قَوِيٌّ، وَمَدْخَلَ مَكْرِهِ خَفِيٌّ ـ(١)

لِلْهَوٰى مَعَ الْعَقْلِ ثَلٰثَةُ أَحْوَالٍ

إِنَّمَا جُعِلَ الْعَقْلُ قَائِداً وَأَمِيْرًا وَرَقِيْبًا عَلَى الْهَوٰى وَلَكِنْ بِاعْتِبَارِ قُوَّتِهِ وَضُعْفِهِ ثَلٰثَةُ أَحْوَالٍ ـ

اَلْحَالَةُ الْأُوْلٰى:أَنْ يَقْوٰى سُلْطَانَ الْهَوٰى بِكَثْرَةِ دَوَاعِيْهِ حَتّٰى تَسْتَوْلِيَ عَلَيْهِ غَلَبَةُ الْهَوٰى وَالشَّهَوَاتُ فَيَكِلُّ الْعَقْلُ عَنْ دِفَاعِهَا وَيَضْعَفُ عَنْ مَنْعِهَا، مَعَ وُضُوْحِ قُبْحِهَا فِي الْعَقْلِ الْمَقْهُوْرِبِهَا، وَهٰذَا يَكُوْنُ فِي الْأَحْدَاثِ أَكْثَرُ، وَعَلَى الشَّبَابِ أَغْلَبُ لِقُوَّةِ شَهَوَاتِهِمْ، وَكَثْرَةِ دَوَاعِي الْهَوٰى الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ ـ

وَصَاحِبُ هٰذِهِ الْحَالَةِ أَسِيْرُالْهَوٰى فَلَا يُفَكِّرُ إِلَّا بِهَوَاهُ وَلَايُعَادِي إِلَّامِنْ أَجْلِهِ وَلَايُصَادِقُ إِلَّامِنْ أَجْلِهِ وَلَا يَجْتَهِدُ إِلَّا لِنَيْلِهِ، وَرُبَّمَا ذَلَّهُ الْهَوٰى وَاتَّخَذَهُ عَبْداً ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُوْنُ عَلَيْهِ وَكِيْلًا**﴾(الفرقان)

وَمَنْ تَحَكَّمَ فِيْهِ هَوَاهُ قَادَهُ إِلَى الذُّلِّ وَالْهَوَانِ وَالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ ـ

وَقَدْ قِيْلَ ؎

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوٰى قَادَكَ الْهَوٰى
إِلٰى كُلِّ مَافِيْهِ عَلَيْكَ مَقَالُ(٢)

(١) نفس المصدر السابق
(٢) وقاية الانسان

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ

أَنْ تَكُوْنَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا سِجَلًا، فَمَرَّةً يَجْتَهِدُ بِهِ الْهَوٰى، وَمَرَّةً يَعُوْدُ إِلٰى رُشْدِهِ فَعَلٰى صَاحِبِ هٰذِهِ الْحَالَةِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ أَصْدِقَاءِ الْخَيْرِ الَّذِيْنَ يُذَكِّرُوْنَهُ إِذَا نَسِيَ وَيُنَبِّهُوْنَهُ إِذَا غَفَلَ وَيُرْشِدُوْنَهُ إِذَا جَهِلَ وَيُنَشِّطُوْنَهُ إِذَا كَسَلَ وَيُقَوُّوْنَهُ إِذَا ضَعُفَ وَيَاخُذُوْنَ بِيَدِهِ إِلَى الطَّرِيْقِ الْمُسْتَقِيْمِ، وَعَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَلْبَسَ دِرْعَ الْحَرْبِ وَيَشُدُّ عَلَيْهِ سِلَاحَهُ وَيَنْزِلَ مَيْدَانَ النَّفْسِ لِيُجَاهِدَ جُنْدَ الْهَوٰى۔

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ الْهَوٰى،

فَعَلَيْهِ أَنْ يُجَاهِدَ مَعَ النَّفْسِ وَالْهَوٰى وَيَصْبِرَ وَإِنْ طَالَ الْجِهَادُ، فَحَرِيٌّ بِالْمُجَاهِدِ أَنْ يَنْتَصِرَ وَ بِالصَّابِرِ أَنْ يَفُوْزَ وَبِالرَّاغِبِ أَنْ يَنَالَ۔

وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِيْنَ بِاللّٰهِ عَلٰى نَفْسِهِ وَهَوَاهُ لِأَنَّهُ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ۔

الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ

أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الْهَوٰى فَيَكْبِتَهُ وَيَقْهَرَهُ وَيُكَبِّحَ جِمَاحَهُ وَيُوَجِّهَهُ نَحْوَ الشَّرْعِ فَبِهِ يَسْتَضِيْئُ وَعَلٰى طَرِيْقِهِ يَسِيْرُ، وَبِرَسُوْلِهِ يَقْتَدِيْ وَهٰؤُلَاءِ هُمُ الْمُسْتَقِيْمُوْنَ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا الَّذِيْنَ تَمَثَّلُوْا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْ آمَنْتُ بِاللّٰهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ ۔

وَهُمُ الْمَقْصُوْدُوْنَ بِقَوْلِهِ تَعَالٰى **(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)**(النازعات ٤٠–٤١)

الرَّابِعُ الشَّيْطَانُ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى **(إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا)** (فاطر ٦)

فَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ صَدِيْقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، فَيُطِيْعُ صَدِيْقَهُ، وَلَايَتَّبِعُ عَدُوَّهُ۔

يَقُوْلُ ابْنُ جَرِيْرِ الطِّبْرِيُّ الشَّيْطَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَكُلِّ شَيْئٍ۔

قَالَ: وَكَذٰلِكَ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاءُهُ (**وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِيْنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ)** (انعام:١١٢)

فَجُعِلَ مِنَ الْإِنْسِ شَيَاطِيْن مِثْلَ الَّذِي جُعِلَ مِنَ الْجِنِّ، ثُمَّ سَاقَ بِسَنَدِهِ عَنْ أَسْلَمَ الْعَدَوِيِّ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه رَكِبَ بِرْذَوْنًا(أَيْ دَابَّةً) فَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُبِهِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَلَا يَزْدَادُ إِلَّاتَبَخْتُراً فَنَزَلَ عَنْهُ وَقَالَ مَاحَمَلْتُمُوْنِي إِلَّاعَلٰى شَيْطَانٍ، مَا نَزَلْتَ عَنْهُ حَتّٰى أَنْكَرْتُ نَفْسِي۔

قَالَ: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُتَمَرِّدُ مِنْ كُلِّ شَيْئٍ شَيْطَاناً لِمُفَارَقَةِ أَخْلَاقِهِ وَأَفْعَالِهِ أَخْلَاقَ سَائِرِ جِنْسِهِ وَأَفْعَالِهِ وَبُعْدِهِ عَنِ الْخَيْرِ۔(١)

وَالشَّيْطَانُ الْكَبِيْرُالْمُتَمَرِّدُ الَّذِي أَبَي السُّجُوْدَهُوَ وَاحِدٌ يُسَمّٰى إِبْلِيْسَ، وَالْبَوَاقِي كُلُّهُمْ مِنْ شَيَاطِيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ أَتْبَاعُهُ وَجُنُوْدُهُ۔

بِدَايَةُ الْعَدَاوَةِ

عِنْدَ مَاخَلَقَ اللّٰهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَالْمَلٰئِكَةَ بِالسُّجُوْدِ لَهُ، فَسَجَدُوْا جَمِيْعاً، لِأَنَّهُمْ **(لَا يَعْصُوْنَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ)** (التحريم٦) وَلٰكِنْ كَانَ هُنَاكَ مَخْلُوْقٌ يَتَعَبَّدُ مَعَهُمْ وَلَيْسَ مِنْ

(١) جامع البيان للطبرى

جِنسِهِم، إِذْأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ نُورٍ، وَهُوَخُلِقَ مِنْ نَارٍ، فَخَانَهُ أَصْلُهُ سَاعَةَ الْاِبْتِلَاءِ، فَأَبٰى أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَلِّلاً بِأَنَّهُ أَشْرَفُ مِنْ آدَمَ، فَقَارَنَ بَيْنَ الْأُصُولِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى الْأَمْرِ بِالسُّجُودِ، فَقَالَ (**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِىْ مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِيْنٍ**) (اعراف ١٢)

وَيَالَلْعَجَبُ، إِنَّهُ يُقِرُّبِأَنَّ الْخَالِقَ هُوَاللّٰهُ وَيُقِرُّبِأَنَّ الْمُحْيِ وَالْمُمِيتُ هُوَاللّٰهُ حَيْثُ قَالَ(**أَنْظِرْنِىْ إِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ**) (اعراف١٤) وَلٰكِنْ هَلْ يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِدُوْنِ الْعَمَلِ؟ كَلَّا ثُمَّ كَلَّا، بَلْ يَكُوْنُ وَبَالاً عَلٰى صَاحِبِهٖ، وَحُجَّةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَهُنَا صَدَرَالْأَمْرُ الْإِ لٰهِيُّ بِالطَّرْدِ وَاللَّعَنِ قَالَ (**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيْمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلٰى يَوْمِ الدِّيْنِ**) (الحجر ٣٤-٣٥)

وَمِنْ هُنَا تَأَصَّلَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ فَفَكَّرَفِي الْاِنْتِقَامِ وَالتَّشَفِّي۔(١)

أَهْدَافُهُ الْمَنْشُوْدَةُ

لَمَّا طُرِدَ، فَنَطَقَ عَلٰى عَجَلٍ(**رَبِّ فَأَنْظِرْنِىْ إِلٰى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ**) (حجر٣٦) لَقَدْ طَلَبَ النَّظْرَةَ إِلٰى يَوْمِ الْبَعْثِ، لَايَنْدَمُ عَلٰى خَطِيْئَتِهٖ فِي حَضْرَةِ الْخَالِقِ الْعَظِيْمِ،وَلَايَتُوْبُ إِلَى اللّٰهِ وَيَرْجِعُ وَلَايُكَفِّرُ عَنْ إِثْمِهِ الْجَسِيْمِ،وَلٰكِنْ لِيَنْتَقِمَ مِنْ آدَمَ وَذُرِّيَّتِهٖ جَزَاءَ مَالَعَنَهُ اللّٰهُ وَطَرَدَهٗ يَرْبِطُ لَعْنَةَ اللّٰهِ لَهُ بِآدَمَ، وَلَايَرْبُطُهَا بِعِصْيَانِهٖ لِلّٰهِ۔

وَبَعْدَ مَا اطْمَئَنَّ لِبَقَائِهٖ إِلٰى يَوْمِ الْبَعْثِ حِيْنَ قَالَ لَهُ(**فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ إِلٰى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ**)(حجر٣٧- ٣٨) بَدَأَيَسْرُدُ تَفَاصِيْلَ الْخُطَّةِ وَيَفْصَحُ عَنِ الْأَهْدَافِ الْمَنْشُوْدَةِ غَيْرَخَائِفٍ وَلَاهِيَابٍ،فَقَالَ

(١) وقاية الانسان

(**رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ**) (حجر٣٩-٤٠)

قَالَ الْمُفَسِّرُ سَيِّدُ قُطُبْ وَبِذٰلِكَ حَدَّدَ إِبْلِيْسُ مَسَاحَةَ الْمَعْرِكَةِ أَنَّهَا الْأَرْضُ(لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) وَحَدَّدَ عُدَّتَهُ فِيْهَا،أَنَّهُ التَّزْيِيْنُ تَزْيِيْنُ الْقَبِيْحِ وَتَجْمِيْلُهُ وَالْإِغْرَاءُ بِزِيْنَتِهِ الْمُصْطَنْعَةِ عَلٰى ارْتِكَابِهٖ وَهٰكَذَا لَايَجْتَرِحُ الْإِنْسَانُ الشَّرَّ إِلَّاوَعَلَيْهِ مِنَ الشَّيْطَانِ مَسْحَةً تُزَيِّنُهُ وَتُجَمِّلُهُ وَتُظْهِرُهُ فِي غَيْرِحَقِيْقَتِهٖ وَرِدَائِهٖ، فَلْيَفْطِنِ النَّاسُ إِلٰى عُدَّةِ الشَّيْطَانِ وَلْيَحْذَرُوْا كُلَّمَا وَجَدُوْا فِي أَمْرٍ تَزْيِيْنًا وَكُلَّمَا وَجَدُوْ مِنْ نُفُوْسِهِمْ إِلَيْهِ اشْتِهَاءً لِيَحْذَرُوْا قَدْيَكُوْنُ الشَّيْطَانُ هُنَاكَ إِلَّا أَنْ يَتَّصِلُوْا بِاللّٰهِ وَيَعْبُدُوْهُ حَقَّ عِبَادَتِهٖ، فَلَيْسَ لِلشَّيْطَانِ – بِشَرْطِهٖ هُوَ – عَلٰى عِبَادِ اللّٰهِ الْمُخْلِصِيْنَ مِنْ سَبِيْلٍ (اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِيْنَ)۔(١)

كَيْفِيَّةُ الْوَسْوَسَةِ

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللّٰهُ الْوَسْوَاسُ (فَعَلَالٌ)مِنْ وَسْوَسَ، وَأَصْلُ الْوَسْوَسَةِ الْحَرَكَةُ أَوِالصَّوْتُ الْخَفِيُّ الَّذِيْ لَايُحَسُّ فَيُحْتَرَزُمِنْهُ۔

فَالْوَسْوَاسُ الْإِلْقَاءُ الْخَفِيُّ فِي النَّفْسِ إِمَّا بِصَوْتٍ خَفِيٍّ لَايَسْمَعُهُ إِلَّامَنْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ وَإِمَّا بِغَيْرِصَوْتٍ كَمَا يُوَسْوِسُ الشَّيْطَانُ إِلَى الْعَبْدِ۔

وَقَالَ أَيْضاً فِي الْوَسْوَسَةِ هِيَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ فَإِنَّ الْقَلْبَ يَكُوْنُ فَارِغًا مِنَ الشَّرِّوَالْمَعْصِيَةِ فَيُوَسْوِسُ إِلَيْهِ،وَيَخْطُرُ الذَّنْبَ بِبَالِهٖ، فَيُصَوِّرُ لِنَفْسِهٖ وَيُمَنِّيْهِ وَيُشَهِّيْهِ فَيَصِيْرُ مَشْهُوَّةً وَيُزَيِّنُهَا لَهُ بِحُسْنِهَالَهُ، وَيُخَيِّلُهَا فِي خَيَالٍ

(١) في ظلال القرآن الجزء ٤/٤٣٧

تَمِيلُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ ،فَيَصِيرُ إِرَادَةً ثُمَّ لَايَزَالُ يُمَثِّلُ وَيُخَيِّلُ وَيُمَنِّي وَيُشْهِي، وَيُنْسِي عِلْمَهُ بِضَرَرِهَا،وَيَطْوِي عَنْهُ سُوءَ عَاقِبَتِهَا،فَيَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُطَالَعَتِهِ فَلَا يَرٰى إِلَّاصُورَةَ الْمَعْصِيَةِ وَالْتِذَاذَهُ بِهَا فَقَطْ وَيَنْسٰى مَاوَرَاءَ ذٰلِكَ،فَتَصِيرُ الْإِرَادَةُ عَزِيمَةً حَازِمَةً فَيَشْتَدُّ الْحِرْصُ عَلَيْهَا مِنَ الْقَلْبِ فَيَبْعَثُ جُنُودَهُ فِي الطَّلَبِ، فَيَبْعَثُ الشَّيْطَانَ مَعَهُمْ مَدَداً لَهُمْ عَوْنًا، فَإِنْ فَتَرُوا حَرَّكَهُمْ وَإِنْ وَنَوْاأَزْعَجَهُمْ،كَمَاقَالَ تعالىٰ(**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِيْنَ عَلَى الْكَافِرِيْنَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**)(مريم ٨٣) أَيْ تُزْعِجُهُمْ إِلَى الْمَعَاصِي إِزْعَاجاً(١)

مَرَاتِبُ الْإِغْوَاءِ

الشَّيْطَانُ يَتَعَقَّبُ الْإِنْسَانَ وَيَتَتَبَّعُهُ وَلَايَرُدُّأَنِينُهُ إِلَّاإِذَا أَغْوَاهُ وَأَفْسَدَهُ وَضَمَّهُ إِلٰى حِزْبِهِ الْخَاسِرِينَ،وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللّٰهُ مَرَاتِبَ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ فَقَالَ

اَلْمَرْتَبَةُ الْأُوْلٰى

الْكُفْرُوَالشِّرْكُ وَمُعَادَاةُ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا ظَهَرَبِذٰلِكَ مِنِ ابْنِ آدَمَ بَرَدَأَنِينُهُ وَاسْتَرَاحَ مِنْ تَعَبِهِ مَعَهُ،وَهُوَ أَوَّلُ مَايُرِيدُ مِنَ الْعَبْدِ، فَلَايَزَالُ بِهِ حَتّٰى يَنَالَ مِنْهُ فَإِذَا نَالَ ذٰلِكَ صَيَّرَهُ مِنْ جُنْدِهِ وَعَسْكَرِهِ وَاسْتَنَابَهُ عَلٰى أَمْثَالِهِ وَأَشْكَالِهِ فَصَارَمِنْ دُعَاةِ إِبْلِيسَ وَنَوَابِهِ۔

اَلْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ

وَهِيَ الْبِدْعَةُ وَهِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْفُسُوقِ وَالْمَعَاصِي لِأَنَّ ضَرَرَهَا

(١) وقاية الانسان

فِي نَفْسِ الدِّينِ، هَوَضَرَرٌمُتَعَدٍّ وَهِيَ ذَنْبٌ لَايُتَابُ مِنْهُ،وَهِيَ مُخَالَفَةٌ لِدَعْوَةِ الرُّسُلِ وَدُعَاءٌ إِلٰى خِلَافِ مَاجَاءُ وَابِهِ۔

وَهِيَ بَابُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ فَإِذَا نَالَ مِنْهُ الْبِدْعَةَ وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِهَا بَقِيَ أَيْضاً نَائِبُهُ وَدَاعِيًا مِنْ دُعَاتِهِ۔

فَإِذَا أَعْجَزَهُ مِنْ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ،وَكَانَ الْعَبْدُ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللّٰهِ مَوْهِبَةُ السُّنَّةِ وَمُعَادَاةُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ نَقَلَهُ إِلٰى:

اَلْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ

وَهِيَ الْكَبَائِرُ عَلٰى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا،فَهُوَأَشَدُّ حِرْصاً عَلٰى أَنْ يُوقِعَهُ فِيهَا، وَلَاسِيِّمَا إِذَا كَانَ عَالِمًا مَتْبُوعاً فَهُوَ حَرِيصٌ عَلٰى ذٰلِكَ لِيُنَفِّرَالنَّاسَ عَنْهُ ثُمَّ يُشِيعُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ فِي النَّاسِ وَيَسْتَنِيبُ مِنْهُمْ مَنْ يُشِيعُهَا وَيُذِيعُهَا تَدَيُّنًا وَتَقَرُّباً–بِزَعْمِهِ–إِلَى اللّٰهِ تَعَالٰى وَهُوَنَائِبُ إِبْلِيسَ وَلَايَشْعُرُ(**إِنَّ الَّذِيْنَ يُحِبُّوْنَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ**)(النور ١٩) فَإِنْ عَجِزَ الشَّيْطَانُ عَنْ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ نَقَلَهُ إِلٰى–

اَلْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ

وَهِيَ الصَّغَائِرُ الَّتِي إِذَا اجْتَمَعَتْ فَرُبَّمَا أَهْلَكَتْ صَاحِبَهَا۔

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِﷺ قَالَ إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بِبَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَابِعُودٍ وَذَابِعُودٍ حَتّٰى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتٰى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ۔(١)

(١) رواه احمد برقم : ٢١٧٤٢، والطبراني في الاوسط برقم : ٧٥٣٤عن سهل بن سعدؓ

فَإِنْ أَعْجَزَهُ الْعَبْدُ مِنْ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ نَقَلَهُ إِلٰى:

اَلْمَرْتَبَةُ الْخَامِسَةُ

وَهِيَ إِشْغَالُهُ بِالْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَاثَوَابَ فِيهَا وَلَاعِقَابَ، بَلْ عَاقِبَتُهَافُوَاتُ الثَّوَابِ الَّذِيْ ضَاعَ عَلَيْهِ بِاشْتِغَالِهِ بِهَا۔

وَهٰذِهِ الْمُبَاحَاتُ مِثْلُ كَثْرَةِ النَّوْمِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ وَالسَّهْرِفِيمَا لَايُفِيدُ فَإِنْ أَعْجَزَهُ الْعَبْدُ مِنْ هٰذِهِ الْمَرْتَبَةِ،وَكَانَ حَافِظاً لِوَقْتِهِ شَحِيحاً بِهِ،يَعْلَمُ مِقْدَارَ أَنْفَاسِهِ وَانْقِطَاعَهَا وَمَايُقَابِلُهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ نَقَلَهُ إِلٰى–

الْمَرْتَبَةُ السَّادِسَةُ

وَهُوَأَنْ يُشْغِلَهُ بِالْعَمَلِ الْمَفْضُوْلِ عَنِ الْفَاضِلِ فَيَأْمُرُهُ بِفِعْلِ الْخَيْرِالْمَفْضُوْلِ وَيَحُضُّهُ عَلَيْهِ وَيُحَسِّنُهُ لَهُ إِذَا تَضَمَّنَ تَرْكَ مَاهُوَ أَفْضَلُ وَأَعْلٰى مِنْهُ وَقَلَّ مَنْ يَنْتَبِهُ لِهٰذَا مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّهُ إِذَا رَأٰى فِيهِ دَاعِياً وَمُحَرِّكاً إِلٰى أَنْوَاعِ الطَّاعَةِ لَايَشُكُّ أَنَّهُ طَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ فَإِنَّهُ لَايَكَادُ يَقُوْلُ إِنَّ هٰذَا الدَّاعِي مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَايَامُرُ بِالْخَيْرِ،وَيَرٰى أَنَّ هٰذَا خَيْرٌ،فَيَقُوْلُ هٰذَا الدَّاعِي مِنَ اللّٰهِ وَهُوَمَعْذُوْرٌ وَلَمْ يَصِلْ عِلْمُهُ إِلٰى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْمُرُبِسَبْعِيْنَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ۔

فَإِذَا أَعْجَزَهُ الْعَبْدُ مِنْ هٰذِهِ الْمَرَاتِبِ السِّتِّ وَأَعْيَا عَلَيْهِ، يُسَلِّطُ عَلَيْهِ حِزْبَهُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِأَنْوَاعِ الْأَذٰى وَالتَّكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالتَّحْذِيرِمِنْهُ وَقَصَدَ أَخْمَادَهُ وَأَطْفَائَهُ لِيُشَوِّشَ عَلَيْهِ قَلْبَهُ وَيُشْغِلُ بِحَرْبِ فِكْرِهِ وَلِيَمْنَعَ النَّاسَ مِنَ الْاِنْتِفَاعِ بِهِ فَيَبْقٰى سَعْيُهُ فِي تَسْلِيطِ الْمُبْطِلِيْنَ مِنْ شَيَاطِيْنِ

الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَلَيْهِ لَايَفْتُرُ وَلَايَنِى ـ

بَعْثُ الشَّيْطَانِ جُنُوْدَهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ، قَالَ رَسُوْلُ اللّٰهِ ﷺ أَنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيْئُ أَحَدُهُمْ فَيَقُوْلُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُوْلُ مَاصَنَعْتَ شَيْئاً،قَالَ ثُمَّ يَجِيْئُ أَحَدُهُمْ فَيَقُوْلُ مَاتَرَكْتُهُ حَتّٰى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِمْرَأَتِهِ قَالَ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُوْلُ نِعْمَ أَنْتَ ! قَالَ الْأَعْمَشُ أُرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ۔(رواه مسلم)(١)

طُرُقُ الشَّيْطَانِ فِي إِضْلَالِ الْإِنْسَانِ

لَوْأَنَّ إِنْسَانًا مَارَسَ عَمَلاً مُعَيَّناً خَمْسِيْنَ عَامًا–مَثَلاً– لَأَصْبَحَ فِيهِ مُحَنِّكاً بِمَدَاخِلِهِ وَطُرِقِ خَفَايَاهُ۔

فَهٰذَا إِبْلِيْسُ –عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللّٰهِ–مِنْ يَوْمِ طَرَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، حَتَّى الْآنَ لَيْسَ لَهُ عَمَلٌ إِلَّا إِضْلَالُ الْخَلْقِ، وَاغْوَاءُ هُمْ،فَهٰذِهِ الْمُدَّةُ الطَّوِيْلَةُ، وَتِلْكَ الْخَبْرَةُ الْمَدِيْدَةُ جَعَلَتْهُ يَخْتَرِعُ أَفَانِيْنَ فِي الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، فَمِنْ هٰذِهِ الْحِيَلِ۔

تَزْيِيْنُ الْبَاطِلِ

إِنَّ الْبَاطِلَ لَهُ صُوْرَةٌ قَبِيْحَةٌ وَرَائِحَةٌ مُنْتِنَةٌ وَلِذٰلِكَ يَعْمَدُ الشَّيْطَانُ إِلٰى هٰذَا الْبَاطِلِ فَيُغَطِّيْهِ بِغِطَاءٍ جَمِيْلٍ، وَيَلْبَسُهُ رِدَاءً حَسَناً ثُمَّ يُزَيِّنُهُ وَيُحَسِّنُهُ ثُمَّ يَبْدَأُ فِي إِغْوَاءِ الْعَبْدِبِهِ وَمَا عَلِمْنَا ذٰلِكَ إِلَّا مِنْ قَوْلِ الشَّيْطَانِ نَفْسَهِ حِيْنَ قَالَ لِرَبِّهِ(**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِيْ الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ**)(الحجر ٣٩) فَالتَّزْيِيْنُ أَوَّلاً ثُمَّ الْإِغْوَاءُ

(١) اخرجه مسلم برقم : ٥٠٣٢ واحمد برقم : ١٣٨٥٨

تَسْمِيَةُ الْمَعَاصِي بِأَسْمَاءٍ مُحَبَّبَةٍ

وَمِنْ صُوَرِ هٰذَا التَّزْيِيْنِ تَسْمِيَةُ الْفَوَاحِشِ وَالْمَعَاصِي بِأَسْمَاءٍ مُحَبَّبَةٍ إِلَى النُّفُوْسِ لِكَيْ يَخْفٰى خُبْثُهَا وَفُحْشُهَا،فَهُوَ الَّذِي سَمَّى الشَّجَرَةَ بِشَجَرَةِ الْخُلْدِ (**هَلْ أَدُلُّكَ عَلٰى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلٰى**) (طه ١٢٠)

يَقُوْلُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللّٰهُ وَقَدْ وَرَّثَ أَتْبَاعَهُ تَسْمِيَةَ الْأُمُوْرِ الْمُحَرَّمَةِ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تُحِبُّ النُّفُوْسُ مُسَمَّيَاتِهَا فَسَمُّوا الْخَمْرَ بِأُمِّ الْأَفْرَاحِ۔(١)

فَهُمُ الَّذِيْنَ يُسَمُّوْنَ الرِّبَا بِالْفَائِدَةِ، وَالتَّبَرُّجَ الْفَاضِحَ بِحُرِّيَّةِ الْمَرْأَةِ، وَالْاِخْتِلَاطَ الْمُسْتَهْتَرَ بِالتَّقَدُّمِ وَالتَّمَدُّنِ، وَكُلُّ هٰذَا لِيَجْذِبُوا قُلُوْبَ النَّاسِ إِلَى الْفُحْشِ وَالْخَبَثِ۔

تَسْمِيَةُ الطَّاعَاتِ بِأَسْمَاءٍ مُنَفِّرَةٍ

إِنَّ الْحَقَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِ مَسْحَةٌ مِنْ نُوْرٍ وَتَعْلُوْهُ إِشْرَاقَةٌ وَضَاءَةٌ فَلَوْظَلَّ كَمَا هُوَ دُوْنَ تَشْوِيْهٍ أَوْتَقْبِيْحٍ لَتَهَافَتَتْ إِلَيْهِ النُّفُوْسُ، وَصَغَتْ إِلَيْهِ الْأَسْمَاءُ، وَرَكَنَتْ إِلَيْهِ الْقُلُوْبُ وَلِذَا كَانَ دَوْرُالشَّيْطَانِ الْأَوَّلِ هُوَ تَقْبِيْحُ صُوْرَةِ الْحَقِّ وَتَشْوِيْهُمَا وَتَسْمِيَتُهُ بِأَسْمَاءٍ مُنَفِّرَةٍ۔

فَهُوَ الَّذِيْ أَوْحٰى إِلٰى أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْكُفَّارِ مِنْ قَوْمِ عَادَ أَنْ يَقُوْلُوْا لِنَبِيِّهِمْ هُوْدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (**إِنَّا لَنَرَاكَ فِيْ سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِيْنَ**)(اعراف ٦٦)

وَهُوَ الَّذِي أَوْحٰى إِلٰى أَوْلِيَائِهِ مِنْ كُفَّارِقُرَيْشٍ بِتَسْمِيَةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ بِالسَّاحِرِ وَالْكَاهِنِ وَالشَّاعِرِ وَالْمَسْحُوْرِ وَالْمَجْنُوْنِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُنَفِّرَةِ(وَقَالَ الظّٰلِمُوْنَ) **إِنْ تَتَّبِعُوْنَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوْرًا** (فرقان٨)

(١) اغاثة اللهفان الجزء ١١٢/١

وَلٰكِنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى نَفٰى كُلَّ مَانُسِبَ إِلٰى رَسُوْلِ اللّٰهِ ﷺ مِنْ زُوْرٍوَبُهْتَانٍ وَهُوَ الَّذِيْ أَوْحٰى إِلٰى أَوْلِيَائِهِ بِتَسْمِيَةِ الْمُتَمَسِّكِيْنَ بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُنْتَسِبِيْنَ بِسُنَّتِهِ ظَاهِراً وَبَاطِنًا بِالْمُتَطَرِّفِيْنَ وَالْمُتَعَصِّبِيْنَ۔

كَمَا يُسَمُّوْنَ الْبُعْدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَدَوْرَالْفِسْقِ وَالْفُجُوْرِ إِنْغِلَاقاً، وَيُسَمُّوْنَ الْحِجَابَ الشَّرْعِيَّ خَيْمَةً وَالْمَرْأَةَ الَّتِي الْتَزَمَتْ بِأَمْرِرَبِّهَا وَجَلَسَتْ فِي بَيْتِهَا رَجْعِيَّةًوَمُتَخَلِّفَةً، كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ إِلَيْهِمْ۔

أَلتَّدَرُّجُ فِي الْإِضْلَالِ

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَايَأْتِي الْإِنْسَانَ وَيَقُوْلُ لَهُ افْعَلْ هٰذِهِ الْمَعْصِيَةَ أَوْ ارْتَكِبْ هٰذِهِ الْفَاحِشَةَ وَإِنَّمَا يُقَرِّبُهُ مِنْهَا خُطْوَةً خُطْوَةً وَقَدِيْماً قَالُوْا "نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ،فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءٌ" وَهُنَا يَقَعُ الْمَحْظُوْرُ فَلِذٰلِكَ حَذَّرَنَا اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى مِنْ إِتِّبَاعِ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَقَالَ(**يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّبِعُوْا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ**) (النور ٢١)

الصَّدُّعَنِ الْحَقِّ

أَخَذَ الشَّيْطَانُ عَلٰى نَفْسِهِ عَهْداً لَيُضِلَّنَّ بَنِي آدَمَ وَلَيُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ إِلَّامَنِ اعْتَصَمَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ تَعَالٰى وَتَحَصَّنَ بِحِصْنِ الْإِخْلَاصِ فَذٰلِكَ لَاسَبِيْلَ لِلشَّيْطَانِ إِلَيْهِ۔

قَالَ تَعَالٰى (**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِىْ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيْمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَآئِلِهِمْ**

وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِيْنَ) (اعراف ١٦-١٧)

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أَيْ بِالصَّدِّ عَنْهُ وَتَزْيِينِ الْبَاطِلِ حَتّٰى يَهْلِكُوْا كَمَا هَلَكَ، قَالَ-وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الطَّرِيْقُ إِلَى الْجَنَّةِ(١)

قَالَ الْحَكَمُ بْنُ عُتْبَةَ(مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) مِنْ دُنْيَاهُمْ (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) مِنْ آخِرَتِهِمْ(وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ يَعْنِي حَسَنَاتِهِمْ وَأُمُوْرِالدِّيْنِ، وَالطَّاعَةِ(وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ يَعْنِي سَيِّاٰتِهِمْ(٢)

إِظْهَارُ النُّصْحِ لِلْاِنْسَانِ

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَايَأْتِي إِلَى الْإِنْسَانِ إِلَّافِي صُوْرَةِ النَّاصِحِ الْأَمِيْنِ، فَيَقَعُ الْإِنْسَانُ فِي حِيْلَتِهِ وَمَكْرِهِ وَبِهٰذِهِ الْحِيْلَةِ تَمَكَّنَ مِنْ إِغْوَاءِ أَبَوَيْنَا وَاِخْرَاجِهِمَا مِنَ الْجَنَّةِ(وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِيْنَ)

وَلِذٰلِكَ حَذَّرَنَا اللّٰهُ تَعَالىٰ مِنْ هٰذِهِ الْفِتْنَةِ وَتِلْكَ الْحِيْلَةِ قَائِلاً (**يَا بَنِيْ اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**) (اعراف ٢٧)

الْإِسْتِعَانَةُ بِشَيَاطِيْنِ الْإِنْسِ

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَايَجِدُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ سَبِيْلاً وَتُعْجِزُهُ الْحِيَلُ مَعَهُمْ لِلْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ، فَيَسْتَنْجِدُ بِأَوْلِيَائِهِ مِنْ شَيَاطِيْنِ الْإِنْسِ لِيُعَاوِنُوْهُ فِي تِلْكَ الْمُهِمَّةِ۔

قَالَ تَعَالىٰ(**وَإِنَّ الشَّيَاطِيْنَ لَيُوْحُوْنَ إِلىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوْكُمْ**) (انعام ١٢١)

قَالَ مَالِكُ بْنُ دِيْنَارٍ: إِنَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ شَيْطَانِ

(١) تفسير الفرطبی

(٢) وقاية الانسان

الْجِنِّ، وَذٰلِكَ أَنِّي إِذَا تَعَوَّذْتُ بِاللّٰهِ ذَهَبَ عَنِّي شَيْطَانُ الْجِنِّ، وَشَيْطَانُ الْاِنْسِ يَجِيْئُنِي فَيَجُرُّنِي إِلَى الْمَعَاصِي عَيَاناً۔(١)

فَنَعُوْذُبِاللّٰهِ مِنْ شَيَاطِيْنِ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَقِيَنَا شَرَّهُمْ وَيَكْفِيَنَامَكْرَهُمْ۔

عَشَرَةُ أَبْوَابٍ يَأْتِي الشَّيْطَانُ مِنْهَا إِلَى الْإِنْسَانِ

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: نَظَرْتُ مِنْ أَيِّ بَابٍ يَأْتِي الشَّيْطَانُ إِلَى الْإِنْسَانِ فَإِذَا هُوَبَابٌ مِنْ عَشَرَةِ أَبْوَابٍ۔

أَوَّلُهَا: يَأْتِي مِنْ قِبَلِ الْحِرْصِ وَسُوْءِ الظَّنِّ فَقَابَلْتُهُ بِالثِّقَةِ وَالْقَنَاعَةِ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّٰى عَلَيْهِ مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ تَعَالىٰ؟ فَوَجَدْتُ قَوْلَ اللّٰهِ عَزَّوَجَلَّ (**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا**) (هود ٦) فَكَسَرْتُهُ بِذٰلِكَ

أَلثَّانِي : نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَيَأْتِي مِنْ قِبَلِ الْحَيَاةِ وَطُوْلِ الْأَمَلِ، فَقَابَلْتُهُ بِخَوْفِ مُفَاجَأَةِ الْمَوْتِ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّٰى عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالىٰ (**وَمَا تَدْرِيْ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِيْ نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوْتُ**) (لقمان ٣٤) فَكَسَرْتُهُ بِهَا۔

وَالثَّالِثُ : نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَيَأْتِي مِنْ قِبَلِ طَلَبِ الرَّاحَةِ وَطَلَبِ النِّعْمَةِ، فَقَابَلْتُهُ بِزَوَالِ النِّعْمَةِ وَسُوْءِ الْحِسَابِ فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّٰى عَلَيْهِ؟ فَوَجَدْتُ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالىٰ(**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوْا وَيَتَمَتَّعُوْا**)(حجر٣) وَبِقَوْلِهِ تَعَالىٰ (**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِيْنَ**) (شعراء ٢٠٥) فَكَسَرْتُهُ بِهَا۔

(١) تفسير القرطبی

وَالرَّابِعُ : نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَيَأْتِي مِنْ بَابِ الْعُجْبِ فَقَابَلْتُهُ بِالْمِنَّةِ وَخَوْفِ الْعَاقِبَةِ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ؟فَوَجَدْتُ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى(**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيْدٌ**) (هود ١٠٥)

وَالْخَامِسُ: رَئَيْتُهُ يَأْتِي مِنْ بَابِ الْإِسْتِخْفَافِ بِالْإِخْوَانِ وَقِلَّةِ حُرْمَتِهِمْ ، فَقَابَلْتُهُ بِمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَحُرْمَتِهِمْ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ؟ فَوَجَدْتُّ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى فِي كِتَابِهِ(**وَلِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ**) (منافقون٨) فَسَكَّرْتُهُ بِهَا۔

وَالسَّادِسُ : نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَيَأْتِي مِنْ بَابِ الْحَسَدِ، فَقَابَلْتُهُ بِالْعَدْلِ وَقِسْمَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى فِي خَلْقِهِ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ؟ فَوَجَدْتُّ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى(**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيْشَتَهُمْ فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** (زخرف ٣٢) فَكَسَرْتُهُ بِهَا۔

وَالسَّابِعُ : نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَيَأْتِي مِنْ قِبَلِ الرِّيَاءِ وَمَدحِ النَّاسِ، فَقَابَلْتُهُ بِالْإِخْلَاصِ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُّ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى(**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْا لِقَآءَ رَبِّهٖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖ أَحَدًا**) (الكهف ١١٠) فَكَسَرْتُهُ بِهَا

وَالثَّامِنُ: نَظَرْتُ فَإِذَاهُوَيَأْتِي مِنْ بَابِ الْبُخْلِ، فَقَابَلْتُهُ بِفَنَاءِ مَافِي أَيْدِي الْخَلْقِ وَبَقَاءِ مَاعِنْدَ اللّٰهِ تَعَالٰى، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ؟ فَوَجَدْتُّ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى(**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ بَاقٍ**)(نخل ٩٦)فَكَسَرْتُهُ بِهَا

وَالتَّاسِعُ : نَظَرْتُ فَإِذَاهُوَيَأْتِي مِنْ بَابِ الْكِبْرِ فَقَابَلْتُهُ بِالتَّوَاضُعِ، فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ؟فَوَجَدْتُّ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى(**إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ**

ذَكَرٍ وَأُنْثٰى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوْبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَاكُمْ)(الحجرات ١٣) فَكَسَرْتُهُ بِهَا۔

وَالْعَاشِرُ: نَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ يَأْتِي مِنْ بَابِ الطَّمْعِ، فَقَابَلْتُهُ بِالْإِيَاسِ مِنَ النَّاسِ وَالثِّقَةِ بِمَا عِنْدَ اللّٰهِ،فَقُلْتُ بِأَيِّ آيَةٍ أَتَقَوّى عَلَيْهِ؟ فَوَجَدْتُّ قَوْلَ اللّٰهِ تَعَالٰى (**وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**) (الطلاق ٢-٣) (١)

مَعْلُوْمَاتٌ عَنْ عَدُوِّكَ اللَّدُوْدِإِبْلِيْسَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ

الْإِسْمُ	ــــــ	إِبْلِيسُ
الْبَلْدَةُ	ــــــ	قُلُوبُ الْغَافِلِينَ
الْعَشِيْرَةُ	ــــــ	الطَّوَاغِيْتُ
الْمَكَانُ الدَّائِمُ	ــــــ	جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ
الدَّرَجَةُ	ــــــ	فَاسِقٌ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُوْلٰى
الْأَقْطَارُ	ــــــ	الَّتِي لَايُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّٰهِ
طَرِيْقُ الرِّحْلَةِ	ــــــ	عِوَجاً
رَأْسُ الْمَالِ	ــــــ	الْأَمَانِيُّ
الْمَجْلِسُ	ــــــ	الْأَسْوَاقُ
أَعْدَاءُ الرِّحْلَةِ	ــــــ	الْمُسْلِمُوْنَ
الدَّلِيْلُ	ــــــ	السَّرَابُ
شِعَارُ الْعَمَلِ	ــــــ	النِّفَاقُ
لِبَاسُ الْعَمَلِ	ــــــ	جَمِيعُ الْأَلْوَانِ كَالْحَرْبَاءِ فَلِكُلِّ مَكَانٍ لَوْنٌ

(١) تنبيه الغافلين

زَوْجَةُ الدُّنْيَا ــــــ الْكَاسِيَاتُ الْعَارِيَاتُ

يُحِبُّ مَنْ ــــــ الْغَافِلِيْنَ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ

يُزْعِجُهُ ــــــ الْاِسْتِغْفَارُ

كِتَابَتُهُ ــــــ الْوَشْمُ

بَيْتُهُ ــــــ الْخَلَاءُ وَالْحَمَّامُ

صِفَتُهُ ــــــ مُذَبْذَبٌ حَسْبَ الْمَصْلِحَةَ

بِدَايَةُ ظُهُوْرِهِ ــــــ يَوْمَ أَنْ رَفَضَ السُّجُوْدَ لِاٰدَمَ

زُمَلَاءُ هُ ــــــ الْمُنَافِقُوْنَ

مَصْدَرُ رِزْقِهِ ــــــ أَلْمَالُ الْحَرَامُ

غُرْفَةُ عَمَلِيَّاتِهِ ــــــ الْأَمَاكِنُ النَّجِسَةُ وَمَحَالُّ الْمَعَاصِي

خِدْمَاتُهُ ــــــ يَأْمُرُ بِالْمُنْكَرِ وَيُرَغِّبُ فِيْهِ

أَوَامِرُهُ ــــــ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

الدِّيَانَةُ ــــــ الْكُفْرُ

الْوَظِيْفَةُ ــــــ مُدِيْرُ عَامِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّيْنَ

مُدَّةُ الْخِدْمَةِ ــــــ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ

جِهَةُ السَّفَرِ ــــــ صِرَاطُ الْجَحِيْمِ

أَرْبَاحُ التِّجَارَةِ ــــــ هَبَاءً مَنْثُوْرًا

رَفِيْقُ الرِّحْلَةِ ــــــ شَيَاطِيْنُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ

رَفِيْقُ الْعَمَلِ ــــــ السَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ

نَوْعُ الرُّكُوْبَةِ ــــــ الْكِذْبُ

الْأُجْرَةُ ــــــ مَأْزُوْرٌ، هُوَ وَأَتْبَاعُهُ

جِهَازُ الْاِتِّصَالِ ــــــ الْغِيْبَةُ، وَالنَّمِيْمَةُ، وَالتَّجَسُّسِ

الطَّعَامُ الْمُفَضَّلُ ــــــ لَحْمُ الْأَمْوَاتِ (الْغِيْبَةُ)

مَنْ أَشَدُّ عَلَيْهِ ــــــ الْعُلَمَاءُ

يَخَافُ مِمَّنْ؟ ــــــ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ

يَكْرَهُ مَنْ ــــــ الذَّاكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَالذَّاكِرَاتِ

الدِّفَاعُ ــــــ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطٰنِ كَانَ ضَعِيْفًا

مَصَائِدُهُ ــــــ النِّسَاءُ

هَوَايَتُهُ ــــــ الْغَوَايَةُ وَالضَّلَالَةُ

أُمْنِيَّتُهُ ــــــ أَنْ يَكْفُرَ النَّاسُ جَمِيْعاً وَيَصِلُوْنَ إِلٰى جَهَنَّمَ

نِهَايَتُهُ ــــــ يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ

أَفْضَلُ عَمَلٍ لَهُ ــــــ اللِّوَاطُ وَالسِّحَاقُ

كَلِمَةُ السِّرِّ لِأَتْبَاعِهِ ــــــ (أَنَا) كَلِمَةُ الْمُتَكَبِّرِيْنَ

مَنْ مُطْرِبُوْهُ ــــــ الْفَنَّانُوْنَ وَالْفَنَّانَاتُ

وُعُوْدُهُ ــــــ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

مَا يُبْكِيْهِ ــــــ كَثْرَةُ السُّجُوْدِ(١)

---

(١) وقاية الانسان

خَاتِمَةُ الْكِتَابُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِيْ هَدَانَا لِهٰذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَاأَنْ هَدَانَااللّٰه، اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍعَبْدِ كَ وَرَسُوْلِكَ وَعَلٰى اٰلِ مُحَمَّدٍوَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلٰى اٰلِ إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلٰى مُحَمَّدِنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلٰى اٰلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلٰى إِبْرَاهِيْمَ وَعَلٰى اٰلِ إِبْرَاهِيْمَ فِي الْعَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ ـ

اللّٰهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَاتَصَدَّقْنَا وَلَاصَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقِيْنَا
اِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوْا فِتْنَةً أَبِيْنَا

وَبِهٰذَا تَمَّ الْكِتَابُ بِعَوْنِ اللّٰهِ الْوَاحِدِ الْوَهَّابِ وَتَوْفِيْقِهِ، تَارِيْخِ ٩/جُمَادَي الْأُوْلٰى سَنَةَ ١٤٣٢/مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلٰى صَاحِبِهَا أَلْفُ أَلْفِ صَلوٰةٍ وَتَحِيَّةٍ ﷺ الْمُصَادِفُ ١٣/أَبْرِيْل سَنَةَ ٢٠١١ء مِيْلَادِيَّة،فِي دَوْلَةِ السُّوْدَانُ، فِي مَدِيْنَةِ وَدْ مَدَنِي (الْجَزِيْرَة) يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ بَعْدَ الظُّهْرِ، سَاعَةَ ثَلٰثَةٍ وَرُبْعٍ فِي مَسْجِدِ جَبْرُوْنَه، أَسْأَلُ اللّٰهُ تَبَارَكَ وَتَعَالٰى أَنْ يَّتَقَبَّلَهُ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ وَيَجْعَلُهُ ذُخْراً لِي يَوْمَ لَايَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُوْنَ ـ

طَالِبُ رِضَا اللّٰهِ

حفظ الرحمن ابن عباس البالنبوری(کاکوسی)

المقيم في بومبای(الهند)

اَطْرَافُ الْآيَاتِ

اَطْرَافُ الْاَحَادِيْثِ وَالْاٰثَارِ

لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي اٰخَر. ﴿المسلم﴾ ٢٩٠

ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنماهنّ عوانٌ. ﴿البخاري﴾ ٢٩٠

والرجل داع في أهله وهو مسئول عن رعيته. ﴿البخاري﴾ ٢٩١

خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي. ﴿الترمذي﴾ ٢٩١

إن من شرالناس عند اللّٰه منزلة يوم القيمة الرجل

يفضي إلى المرأة وتفضى إليه ثم ينشر سرّها. ﴿المسلم﴾ ٢٩١

إذا دعا الرجل امرأته على فراشه. ﴿المسلم﴾ ٢٩٢

لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت ﴿ابوداؤد﴾ ٢٩٢

والمرأة راعية على بيت زوجها وولده. ﴿البخاري﴾ ٢٩٢

فحقكم عليهن الايوطئن فرشكم من تكرهون. ﴿الترمذي﴾ ٢٩٢

خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك. ﴿مسند الطيالسي﴾ ٢٩٣

لا تمنعوا إماء اللّٰه مساجد اللّٰه. ﴿المسلم﴾

أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسمًا من اسمي. ﴿البخاري﴾ ٢٩٤

مازال جبريل يوصيى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. ﴿البخاري﴾ ٢٩٥

من كان يؤمن باللّٰه واليوم الاخر فليكرم جاره. ﴿المسلم﴾ ٢٩٥

من كان يؤمن باللّٰه واليوم الاخر فلا يؤذي جاره. ﴿البخاري﴾ ٢٩٥

” واللّٰه لا يؤمن واللّٰه لا يؤمن واللّٰه لا يؤمن “ فقيل

له: من هو يا رسول اللّٰه. ﴿البخاري﴾ ٢٩٥

من كان يؤمن با للّٰه واليوم الاخر فليحسن إلى جاره ﴿الدرامي﴾ ٢٩٦

يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو

فرسن شاة. ﴿البخاري﴾ ٢٩٦

لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة في جداره. ﴿مسند احمد﴾ ٢٩٦

إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت. ﴿مسند احمد﴾ ٢٩٦

يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد. ﴿الخاري﴾ ٢٩٧

وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف. ﴿البخاري﴾ ٢٩٧

ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما

قبل أن يتفرقا. ﴿ابوداؤد﴾ ٢٩٧

إذا عطس أحدكم فليقل له أخوه: يرحمك اللّٰه. ﴿البخاري﴾ ٢٩٨

حق المسلم على المسلم خمس. ﴿البخاري﴾ ٢٩٨

عودوا المريض، وأطعموا الجائع وفكوا العاني ﴿متفق عليه﴾ ٢٩٨

الّٰهم رب الناس أذهب البأس اشف وأنت الشافي

لا شفاء ألا شفاؤك. ﴿البخاري﴾ ٢٩٨

إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح لَهُ. ﴿البخاري﴾ ٢٩٩

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقرهُ. ﴿البخاري﴾ ٣٠٠

من رد عن عرض أخيه رد اللّٰه عن وجهه النار يوم القيامة. ﴿الترمذي﴾ ٣٠٠

كل المسلم على المسلم حرامٌ: دمه وماله وعرضه ﴿المسلم﴾ ٣٠٠

لا يحل لمسلم أن يروع مسلما. ﴿مسند احمد﴾ ٣٠٠

إن اللّٰه تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر

أحدٌ على أحَدٍ. ﴿ابوداؤد﴾ ٣٠٠

ما تواضع أحدٌ للّٰه إلّارفعه اللّٰه. ﴿الترمذي﴾ ٣٠٠

لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. ﴿البخاري﴾ ٣٠١

أتدرون ما الغيبة؟ ﴿المسلم﴾ ٣٠١

اَلْمُحْتَوَيَاتْ

اَلْبَابُ الثَّالِثُ: نُبْذَةٌ مِنْ سِيْرَةِ الرَّسُوْلِ ﷺ

اَدْوَارُ الدَّعْوَةِ وَمَرَاحِلُهَا

اَلْبَابُ الرَّابِعُ فِی الْمُذاکَرَاتِ مَعَ الدُّعَاةِ

مِثَالُ الدَّعْوَةِ وَالدَّاعِی

مَقَاصِدُ الدَّعْوَةِ

ثَمَرَاتُ الدَّعْوَةِ

اَسَاس الدَّعْوَةِ

عَقَبَاتُ الدَّاعِي

اَلْبَابُ الْخَامِسُ فِي أَسَالِيبِ الدَّعْوَةِ

أُسْلُوبُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّعْلِيمِ

اَلْبَابُ السَّادِسُ فِي الصِّفَاتِ السِّتَّةِ وَمَقَاصِدِهَا

اَلصِّفَةُ الثَّانِيَةُ اَلصَّلٰوةُ ذَاتُ خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ

اَلصِّفَةُ الثَّالِثَةُ الْعِلْمُ مَعَ الذِّكْرِ

اَلصِّفَةُ الرَّابِعَةُ، إِكْرَامُ الْمُسْلِمِ

اَلصِّفَةُ الْخَامِسَةُ اَلْإِخْلَاصُ تَصْحِيْحُ النِّيَّةِ

اَلصِّفَةُ السَّادِسَةُ اَلدَّعْوَةُ إِلَى اللّٰهِ وَالْخُرُوْجُ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ

اَمْرَاضُ الْأُمَّةِ وَعَلَاجُهَا

اَلْبَابُ السَّابِعُ فِى جُهْدِ الدَّعْوَةِ وَأَقْسَامِهَا

اَلْبَابُ الثَّامِنُ فِى أَعْمَالِ التَّرْبِيَّةِ فِى الدَّعْوَةِ

اَلْمَشْوَرَةُ وَالشُّوْرٰى

حَلَقَةُ التَّعْلِيْم

آدَابُ الْبَيَان

اَلْجَوْلَةُ وَالزِّيَارَةُ الْخُصُوصِيَّةُ

اَلْبَابُ التَّاسِعُ مَايَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ اللَّازِمَةِ لِلدُّعَاةِ وَالْمُبَلِّغِيْنَ

اَلْبَابُ الْعَاشِرُ فى أُمُوْرٍ تَجْلِبُ النُّصْرَةَ وَالْعَافِيَةَ

أَسْبَابُ نُصْرَةِ اللّٰهِ تَعَالٰى

اسباب الرزق والسعة

اَلدُّعَاءُ، اِسْتِجَابَتُهُ وَآدَابُهُ

اَلْبَابُ الْحَادِي عَشَرَ فِي آدَابِ الْأَعْمَالِ

آدَابُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ

آدَابُ الضِّيَافَةِ

آدَابُ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ

آدَابُ النَّوْمِ

آدَابُ اللِّبَاسِ

آدَابُ السَّفَرِ

آدَابُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ

اَلْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْآدَابِ وَالْحُقُوْقِ اللَّازِمَةِ

الثانى الدنيا

اَلثَّالِثُ الْهَوٰى

اَلرَّابِعُ اَلشَّيْطَانُ

